بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية السودان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا

القراءات القرآنية في الربع الأول من القرآن الكريم

دراسة صوتية صرفية نحوية دلالية

بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية

تخصص النحو والصرف

إعداد الطالب/ محمد المبارك السمّاني الطيّب البشير

إشراف الأستاذ الدكتور/ محمد غالب عبد الرحمن ورّاق

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ
ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾

صدق الله العظيم

الآية ٢٩ من سورة ص

المقدمـــــة

الحمد لله المستحق للحمد والثناء، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسـيّد الفصحاء، سيدنا محمد بن عبد الله النبي الأمّي الأمين وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين وعلى تابعيهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،،، أما بعد

فإن الاهتمام بخدمة اللغة العربية والعمل على رفعة شأنها وصيانة حوزتها من أمور ديننـــا الإسلامي الحنيف التي رغّب فيها وحضّ الناس عليها وعدَّها من أعظم القربات، ذلك أن أحكام هذا الدين ومقاصد شريعته الغرّاء لا يمكن التوصل إليها وإدراكها إلا من خلال المعرفة التامــة بهــذه اللغة التي جعلها الله تبارك وتعالى بابًا لهذا الخير العميم ومفتاحًا لمكنونات كتابه الكريم.

ولقد سبق لي أن طرقتُ هذا المجال في دراستي السابقة للحصول على درجة الماجســتير التي دارت حول الرواية والقياس بين القراء والنحاة، حيث تبيّنتُ دور الرواية وجهود القراء فــي نقل الذكر الحكيم عبر الحقب والأزمان بصورة أظهرت العناية الإلهية في حفــظ القــرآن الكــريم وصون لغته الشريفة.

ومواصلة للسير في ذات المضمار يجيء اختياري لهذا الموضوع الــذي يُعنــى بدراســة القراءات القرآنية من خلال معطيات الدرس اللغوي استجلاءً لما حفلت به هذه القراءات القرآنية من روائع البيان، وما تضمنته من توظيف طاقات هذه اللغة في حمل المعاني والتعبير عنها بمختلــف الكيفيات بوصفها مظهراً من مظاهر الإعجاز الذي اختصها الله تعالى به.

هذا وقد أفدتُ بحمد الله كثيرًا مما سبقني من جهود علمائنا الأبرار الذين أثروا هذه الدراسة وسبروا أغوارها واستقصوا شواردها فذللوا الصعاب وأناروا السبيل أمام المشتغلين بهذه الدراســة المتجددة دومًا بتجدد الحياة وحاجات الإنسان.

ولقد سلكتُ في معالجة جوانب هذا البحث منهجًا تكامليًا تناولت من خلالــه تــاريخ نشــأة الدراسات اللغوية ومراحل تطورها متعرضًا لجهود قراء الذكر الحكيم في هذه النشأة والتطور، ثــم وصف طبيعة اللغة من خلال دراسة أصواتها وبناء كلماتها وتأليف جملها وتراكيبها ومن ثمّ تحليل هذه الأساليب من خلال دراسة القراءات القرآنية.

أما خطة البحث فقد اشتملت على ثلاثة أبواب تسبقها مقدمة وتمهيد وتعقبها خاتمة وفهارس. وقد تطرقتُ في التمهيد إلى مراحل توثيق النص القرآني ونشأة القراءات القرآنية وترجمتُ لأشهر القراء.

ثم يأتي الباب الأول وهو بعنوان القراءات وعلم العربية وقد جاء مشــتملاً علــى خمســة فصول تطرقتُ في الأول منها إلى أثر علماء القراءات في تطور الدراسة الصوتية، ثــمّ تناولــت العلاقة بين الدراسة الصوتية وأصول القراءات القرآنية في الفصل الثاني، ثمّ أثر علماء القــراءات في تطور الدراسة الصرفية في الفصل الثالث ثم جهودهم في تطور الدراسة النحوية فــي الفصــل

الرابع، وفي الفصل الخامس تناولت جهود علماء القراءات في نشأة علم الدلالة وما أفادهُ المحدثون من جهودهم في تطوير هذا العلم والارتقاء به نحو آفاقٍ أرقى في دراسة اللغة.

ثم يأتي الباب الثاني بعنوان الاختلافات الصرفية في الربع الأول من القرآن الكريم وقد اشتمل على ثلاثة فصول تناولَتْ الاختلافات الصرفية في صيغ المصادر والصفات في الفصل الأول، ثمّ الاختلافات الصرفية في صيغ الإفراد والتثنية والجمع في الفصل الثاني، ثمّ الاختلافات الصرفية في صيغ الأفعال وما ترتّب على كل هذه الاختلافات من آثار على المعنى والدلالة في الفصل الثالث.

أما الباب الثالث فقد تناولت فيه الاختلافات النحوية في الربع الأول من القرآن الكريم وأثرها الدلالي وذلك في ثلاثة فصول تضمّن الأول منها الاختلافات النحوية بين الأسماء، كما تضمّن الثاني الاختلافات النحوية بين الأفعال وتضمّن الثالث الاختلافات النحوية في الحروف وما صاحب ذلك من آثار على معاني الآيات الكريمة ودلالاتها.

هذا وقد هدَفَت هذه الدراسة إجمالاً إلى استجلاء طاقات اللغة العربية وقدرة بيانها على حمل المعاني ثم التماس السبل الكفيلة بدرء ما يتهدد كيانها من علل وأدواء حتى لا تقف عائقًا أمام أداء وظيفتها في الحياة.

فإن كنتُ قد وفِّقتُ إلى هذا فبفضل الله وتوفيقه، وإن كانت الأخرى فحسبي ما بذلت من جهدٍ في سبيل ذلك وما التوفيق إلا من عند الله.

وبعد شُكر الله تبارك وتعالى على نعمتي الإيجاد والإمداد والإعانة والتوفيق فإنه يطيب لي أن أتقدم بأسمى آيات شكري وتقديري وعرفاني إلى شيخي الجليل الأستاذ الدكتور محمد غالب عبدالرحمن ورّاق الذي رحّب بالإشراف على هذا البحث وأغدق عليّ من علمه الغزير وتجاربه الثّرّة وأياديه البيضاء فجزاه الله عني وعن العلم خير الجزاء وبارك في عمره وعمله وذريّته.

والشكر لجامعة أم درمان الإسلامية التي فتحت لي أبوابها ونشأتُ في رحابها وأتاحت لي فرصة الدراسة الجامعية ثمّ الدراسات العليا وأخصُّ بالشكر أسرة كلية اللغة العربية وعميدها الأستاذ الدكتور بكري محمد الحاج، ثمّ أسرة المكتبة العامّة بجامعة أم درمان الإسلامية على ما أولوني من جميل معروفهم ووافر عونهم.

والشكر لأساتذتي الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة والتحكيم الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذا البحث وأعطوه من وقتهم وجهدهم شكر الله لهم وأمدهم بعونه وتوفيقه وبارك لهم في علمهم وأعمارهم وصالحات أعمالهم.

والشكر لأخي العزيز حبيب بن جمعة الكندي من أبناء سلطنة عُمان الذي توفّر على طباعة هذا البحث وتحمّل في سبيل إخراجه بهذه الصورة كل عناء ومشقّة فجزاه الله خير الجزاء وبارك في عمره وزاده من فضله.

والشكر لأستاذيَّ الجليلين الأستاذ الدكتور عبدالحليم محمد حامد، والأستاذ الدكتور الطاهر محمد الدرديري، الأستاذين بجامعة السلطان قابوس بسلطنة عُمان واللّذين فتحا لي قلبيهما قبل مكتبيهما وأعاناني على تذليل كثيرٍ من الصِّعاب التي اعترضت سبيل بحثي هذا، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

والشكر لوالدتي متعنا الله بصحتها وعافيتها وأمدّ في عمرها، والشكر لوالدي يرحمه الله تعالى رحمة واسعة، فقد كان من حملة هذا الكتاب العزيز والمهتمّين بأمر دراسته وتدبره، وقد حبّبَ إليَّ هذه الدراسة ودفعني دفعًا إلى المُضي قدمًا في آفاقها الرحبة، جعل الله كل ذلك في ميزان حسناته وجزاه عني خير ما يُجزى والدٌ عن ولده.

والشكر موصول إلى كل من أسدى إليّ معروفًا وأعانني ولو بكلمة طيبة، سائلاً الله تعالى أن يتولى الجميع بحفظه وتوفيقه.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا كثيرا.

تمهيد

نشأة القراءات القرآنية وأشهر أئمتها

إن الحديث عن نشأة القراءات القرآنية يقتضي بدءاً التعرض إلى المراحل التي مر بها توثيق النص القرآني والتي كانت سبيلا إلى معرفة هذه القراءات التي لم تكن في الواقع سوى اختيارات لأئمة القراءة من الوجوه التي وردت عليها بعض كلمات القرآن الكريم.

ولعل أهم مراحل توثيق النص القرآني هي تلك المراحل التي جُمع فيها القرآن الكريم إبّان عصر النبوة والخلافة الراشدة، وقد كان ذلك في ثلاث مراحل حسبما أورده الإمام السيوطي من أن القرآن الكريم جمع ثلاث مرات(١) هي:

المرحلة الأولى:

كانت على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فقد كان –عليه أفضل الصلاة والسلام– معنياً أول الأمر بجمع القرآن الكريم في الصدور بحفظه واستظهاره وذلك بما يتفق مع أنه نبي أُمّي بعثه الله في قوم أُمِّيِّين لم تتوفر لديهم أدوات الكتابة بالقدر المطلوب، وعلى الرغم من ذلك فقد اتخذ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كُتَّاباً للوحي فكان كلما نزل عليه شيء من القرآن الكريم أمرهم بكتابته، وقد اضطلع بهذه المهمة نفر من كبار الصحابة –رضوان الله عليهم– منهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية، وأبو الدرداء عويمر بن زيد، ومعاذ بن جبل، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن زيد بن النعمان، وغيرهم(٢)، وقد رُوي عن عثمان بن عفان–رضي الله عنه– أنه قال: (كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال: ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا..)(٣) وعن زيد بن ثابت–رضي الله عنه– أنه قال: (كنا عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم– نؤلف القرآن من الرقاع)(٤) وذلك في إشارة إلى أن هذا الجمع كان عبارة عن جمع الآيات المتفرقة من سورة واحدة وضمها إلى بعضها بإشارة النبي –صلى الله عليه وسلم– وتحت إشرافه.

ومما لا شك فيه أن هذه المرحلة كانت الركيزة والأساس في توثيق القرآن الكريم حيث كان الاعتماد في نقل القرآن الكريم على حفظ القلوب والصدور، وغاية ما في الأمر أن القرآن كله كان

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي ١٨١/١.تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا. نشر دار ابن كثير بدمشق ط/٣-١٤١٦هـ- ١٩٩٦م

(٢) الفهرست لابن النديم بتعليق الشيخ إبراهيم رمضان ص٤٥ نشر دار المعرفة بيروت ط/٢ ١٤١٧هـ-١٩٩٧م

(٣) جمال القراء وكمال الإقراء للإمام علي بن محمد السخاوي ٢٥٩/١. بتحقيق الدكتور عبد الكريم الزبيدي. نشر دار البلاغة للطباعة والنشر بلبنان ط/١ ١٤١٣هـ-١٩٩٣م

(٤) المستدرك للحاكم كتاب التفسير باب جمع القرآن لم يكن مرة واحدة (٢٩٩/٢)

مكتوباً على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على العُسُب(١) واللِّخاف(٢) والرِّقاع(٣) وقطع الأديم وعظام الأكتاف، ولم يتم تدوينه في صحف أو مصاحف في هذه المرحلة لأنه نزل منجماً وكان عرضة للنسخ ولم تتضح معالم الترتيب الأخير واكتمال السور إلا بختام التنزيل والعرضة الأخيرة قُبيل وفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–.

المرحلة الثانية:

كانت هذه المرحلة في خلافة أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– في سنة اثنتي عشرة للهجرة بعد موقعة اليمامة التي قُتل فيها سبعون من حفظة القرآن الكريم(٤)، وقد خشي المسلمون من ضياع القرآن باستشهاد الحفظة، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن زيدٍ بن ثابت قال: (أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة، أي عقب استشهاد القراء السبعين في واقعة اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده. قال أبو بكر –رضي الله عنه–:إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ "أي اشتدّ" يوم اليمامة بقراء القرآن. وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؟ قال عمر: هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك. ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد : قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فتَتبّع القرآن فاجمعه. فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؟ قال: هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ التوبة/١٢٨، حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر)(٥) كان زيد بن ثابت لا يكتفي بالحفظ دون كتابة، وقوله إنه لم يجد آخر سورة التوبة إلا عند أبي خزيمة الأنصاري لا يعني أنها ليست متواترة، وإنما المراد أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره، وكان زيد يحفظها كما كان كثير من الصحابة يحفظونها كذلك، ولكن زيداً كان يعتمد على الحفظ والكتابة معاً فكان لا يكتب الآية

---

(١) العُسُب: جمع عسيب وهو جريد النخل العريض، تاج العروس للزبيدي مادة (عسب) ٣٨١/١.

(٢) اللِّخاف: بكسر اللام جمع لَخفة بفتح اللام وهي صفائح الحجارة، تاج العروس للزبيدي مادة (لخف) ٢٤٤/٦.

(٣) الرقاع: جمع رقعة من جلد أو ورق، تاج العروس للزبيدي مادة (رقع) ٣٦٠/٥.

(٤) تاريخ الأمم والملوك للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٢٤٣/٣، طبع المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى بدون تاريخ. وانظر تاريخ الخلفاء للإمام جلال الدين السيوطي صـ٧٠-٧١. طبع مكتبة إشاعة الإسلام– الهند بدون تاريخ.

(٥) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن. باب جمع القرآن ٥٨٠/٦. بشرح وتحقيق الشيخ قاسم الرفاعي. نشر دار القلم ببيروت، بدون تاريخ.

حتى يأتيه اثنان من الصحابة حفظا هذه الآية من فم النبي –صلى الله عليه وسلم–، واثنان آخران كتباها بين يدي النبي –صلى الله عليه وسلم–، وهذا شرط لا بد منه ذلك أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مع أنه كان أُمِّيّاً، ولكنه كان يُصَوِّب ويُصحِّح لكُتّاب الوحي الذين يكتبون بين يديه إذا اخطأوا وهذا من معجزاته –صلى الله عليه وسلم–[١]، وهذا يبين شدة حرص زيد بن ثابت –رضي الله عنه– ومبالغته في الاحتياط، حسبما وجهه به أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– فقد أخرج ابن أبي داوود من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: (اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه)[٢] وذهب أهل العلم إلى أن المقصود شاهدان عدلان في الكتابة وشاهدان عدلان في الحفظ، قال السخاوي: (إن أُبَيّاً –رحمه الله– إنما كان يتتبع ما كُتب بين يدي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في اللّخاف والأكتاف والعسب ونحو ذلك لا لأن القرآن العزيز كان معدوماً)[٣] وعلى ذلك كتب زيد بن ثابت جميع القرآن إلا آية في آخر سورة التوبة وجدت مع أبي خزيمة بن ثابت الأنصاري أي لم يجدها مكتوبة عند غيره[٤]. فقال: اكتبوها فإن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– جعل شهادته بشهادة رجلين[٥] وذلك من توفيق الله تعالى أن وجدت هذه الآية مع أبي خزيمة لم توجد مع غيره فأخذت حكم شهادة الشاهدين.

لقد تم في هذه المرحلة جمع القرآن الكريم في صحف على أدق وجوه البحث والتحري والتثبت، وقد اقتُصر فيها على ما لم تنسخ تلاوته ووافق العرضة الأخيرة، وقد ظفرت بإجماع الأمة[٦] وقد شمل هذا الجمع الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن تيسيراً على الأمة كما كانت الأحرف السبعة في الرقاع سابقاً.

المرحلة الثالثة:

كانت هذه المرحلة في خلافة عثمان بن عفان –رضي الله عنه– بعد أن توسعت الفتوحات الإسلامية وتفرق المسلمون في الأمصار، وكان أهل كل إقليم يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة مما فتح باباً للشقاق بين الناس حتى

---

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٣١٣/١. تحقيق حسين عبد الحميد نيل، نشر دار الأرقم بيروت بدون تاريخ.

(٢) كتاب المصاحف لأبي بكر بن أبي داوود السجستاني صـ٥١ تحقيق محمد بن عبده نشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر – القاهرة ط٧، سنة ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.

(٣) جمال القراء وكمال الإقراء للإمام علم الدين أبي حسن علي بن محمد السخاوي٢٦٣/١، تحقيق الدكتور عبد الكريم الزبيدي. نشر دار البلاغة للطباعة والنشر – لبنان ط١، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني٢٤٥/١، نشر دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

(٥) كتاب المصاحف لابن أبي داوود صـ١١٠. (مرجع سابق).

(٦) جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي٢٦٧/١ (مرجع سابق).

كفَّر بعضهم بعضاً[1] والسبب في ذلك أن الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن لم تكن معروفة لأهل الأمصار ولما كثر الشقاق والنزاع أشار حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان بمعالجة الأمر فقد روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيداً بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق. بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[2] لقد أمر عثمان –رضي الله عنه– الجماعة التي كلفها بنسخ المصاحف أن تراعي أموراً قصد منها إلى جانب توثيق النص القرآني أن يحتمل كافة وجوه القراءات التي تحقق المراد من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم وقد تمثل ذلك فيما يلي:

١- ألا يكتبوا إلا ما تحققوا أنه قرآن وأنه لم ينسخ وقد استقر في العرضة الأخيرة.

٢- كتابة المصاحف بصورة متفاوتة في الإثبات والحذف والبدل وغيرها.

٣- عدم وجود النقط بالمصاحف جعل الكلمات المتماثلة تحتمل أكثر من قراءة مثل (فتبينوا) يمكن أن تقرأ (فتثبتوا) وهي قراءة أخرى لهذه الكلمة، وكذلك (ننشزها) و(ننشرها) إلى غير ذلك من الكلمات.

٤- الكلمات التي لا تدل على أكثر من قراءة برسمها تكتب في بعض المصاحف بصورة وفي بعضها الآخر بصورة أخرى مثل (وصَّى) و (أوصى) بالتضعيف والهمز وهما قراءتان. ومثل (من تحتها الأنهار) كتبت في مصاحف أخرى (تحتها الأنهار) بحذف من[3].

وعلى هذا الأساس تم نسخ المصحف الإمام الذي حبسه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لنفسه وهو بالصورة التي عرفت فيما بعد بالرسم العثماني والذي نسخت منه خمسة مصاحف أرسلت أربعة منها إلى الآفاق، واستبقي مصحفاً بالمدينة ليقرئ به القراء أهل المدينة.

---

(١) جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي ٢٦٦/١.

(٢) صحيح البخاري- كتاب فضائل القرآن- باب جمع القرآن ١٤١٣هـ، ج٦، صـ٥٨١.

(٣) انظر كتاب المصاحف لابن أبي داوود، باب اختلاف مصاحف الأمصار التي نسخت من الإمام صـ١٤٤ وما بعدها.

وحيث إن الاعتماد في نقل القرآن الكريم كان ولا يزال على التلقي من صدور الرجال ثقة عن ثقة وإماماً عن إمام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقد بعث عثمان هذه المصاحف إلى الآفاق ليقطع دابر الفتنة وأرسل مع كل مصحف رجلاً حافظاً لكتاب الله، فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدينة المنورة بما يوافق المصحف المدني، وبعث عبد الله بن السائب مع المكي والمغيرة بن شهاب مع الشامي وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي وعامر بن عبد القيس مع البصري، فقرأ أهل كل مِصر بما في مصحفهم تلقياً عن هؤلاء الصحابة الذين تلقوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قراءة التابعين ثم قراءة تابعي التابعين.

ثم إن الصحابة كانوا قد أخذوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصور مختلفة فمنهم من أخذ القرآن بحرف واحد ومنهم من أخذه بحرفين، ومنهم من زاد، ثم تفرقوا في البلاد وهم على هذه الحال فاختلف تبعاً لذلك أخذ التابعين عنهم وأخذ تابعي التابعين عن التابعين حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ويعنون بها وينشرونها.(١)

نزول القرآن على سبعة أحرف:

يعتبر حديث نزول القرآن على سبعة أحرف من الأحاديث المتواترة التي رواها جمع غفير من ثقات الرواة عن جمع من كبار الصحابة رضوان الله عليهم، وقد ذكر الإمام السيوطي ذلك بقوله: (قلت: ورد حديث "نزل القرآن على سبعة أحرف" من رواية جمع من الصحابة: أبي بن كعب، وأنس، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسَمُرة بن جندب، وسليمان بن صُرد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وعمر بن أبي سلمة، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبي بكرة، وأبي جهم، وأبي سعيد الخُدري، وأبي طلحة الأنصاري، وأبي هريرة، وأبي أيوب. فهؤلاء أحد وعشرون صحابياً، وقد نص أبو عبيد على تواتره.)(٢).

ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (سمعت هِشَامَ بنَ حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة فتصبَّرت حتى سلم فلبَّبته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني ٤٠٦/١.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي ١٤٥/١، تقديم الدكتور مصطفى ديب البغا. نشر دار ابن كثير للطباعة والنشر-دمشق وبيروت، ط٣. ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسله. اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت ثم قال: اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه.)(١).

ولقد اختلف العلماء في تحديد المراد بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم لدرجة كبيرة حتى بلغت أقوالهم في هذا نحوا من أربعين قولاً(٢) وهي أقوال يشبه بعضها بعضا وكلها محتملة وتحتمل غيرها وأهمها ما يلي:

الرأي الأول:

رأي ابن قتيبة(٣) ويقول فيه:

إن المراد بالأحرف السبعة الأوجه التي يقع بها التغاير.

فأولها: ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل: ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ ﴾ البقرة/٢٨٢، بفتح الراء وضمها.

وثانيها: ما يتغير بالفعل مثل: (بَاعِدْ) و(بَاعَدَ) سبأ/١٩، بلفظ الطلب والماضي.

وثالثها: ما يتغير باللفظ مثل: (ننشِرُها) و ﴿ نُنشِزُهَا ﴾ البقرة/٢٥٩، بالراء المهملة والزاي المعجمة.

ورابعها: ما يتغير بإبدال حرف قريب المخرج مثل ﴿ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴾ الواقعة/٢٩، و(طلع منضود).

وخامسها: ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل: ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ ﴾ ق/١٩، و(وجاءت سكرة الحق بالموت).

وسادسها: ما يتغير بالزيادة والنقصان مثل: ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾ الليل/٨٣، و(والذكر والأنثى) بنقص لفظ (ما خلق).

وسابعها: ما يتغير بإبدال كلمة بأخرى مثل: ﴿ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ﴾ القارعة/٥، و(كالصوف المنفوش).

(١) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن٦/٥٨٣، ٥٨٤.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي١/١٤٥ (مرجع سابق)

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني١/١٥١، ١٥٢ (مرجع سابق)

وقد ذهب ابن قتيبة إلى أن الاختلاف في الإظهار والإدغام. والرَّوم والإشمام والتحقيق والتسهيل ونحو ذلك فليس من الاختلاف الذي يتنوع في اللفظ والمعنى لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرج عن كونه لفظاً واحداً(1).

الرأي الثاني:

وهو ما ذهب إليه أبو عبيد أحمد بن محمد بن محمد الهروي، من أنه على سبع لغات من لغات العرب، أي أنها متفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوزان وبعضه بلغة اليمن. وقد رد ابن الجزري هذا القول بأن عمر بن الخطاب وهشام ابن حكيم اختلفا في قراءة سورة الفرقان كما ثبت في الصحيح وكلاهما قرشيان يتحدثان لغة واحدة وهما من قبيلة واحدة.(2)

الرأي الثالث:

وهو أن المراد بالسبعة ليس حقيقة العدد بل المراد التيسير والتسهيل والسعة، ولفظ (السبعة) يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمائة في المئين، وإلى هذا جنح القاضي عياض ومن تبعه.(3)

ويرد هذا القول ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)(4). وهذا يدل على إرادة حقيقة العدد وانحصاره.

الرأي الرابع:

وقال بعضهم إن المراد بها معاني الأحكام كالحلال والحرام، والمحكم والمتشابه، والأمثال والإنشاء، والأخبار، وقيل: الناسخ والمنسوخ، والخاص، والعام، والمجمل، والمبين والمفسر. وقيل: الأمر والنهي،والطلب، والدعاء، والخبر والاستخبار، والزجر، وقيل: الوعد والوعيد، والمطلق والمقيد، والتفسير والإعراب، والتأويل(5).

---

(1) مناهل العرفان للزرقاني ١/١٥٤ .

(2) النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ١/٢٤، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر، بدون تاريخ.

(٣) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي – باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ٦/٤٢٣. نشر دار الخير للطباعة والنشر بدمشق– ط/٥ ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

(٤) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي– كتاب صلاة المسافرين وقصرها– باب القرآن على سبع أحرف رقم ٨١٩.

(٥) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/٢٤–٢٥ .

قال ابن الجزري: "وهذه الأقوال غير صحيحة فإن الصحابة الذين اختلفوا وترافعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت في حديث عمر وهشام لم يختلفوا في تفسيره ولا أحكامه وإنما اختلفوا في قراءة حروفه"(١)

الرأي الخامس:

وهو ما ذهب إليه ابن الجزري حيث قال: (ولا زلت استشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله عليَّ بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله وذلك أني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها وذلك إما في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة نحو ﴿بِٱلۡبُخۡلِ﴾ النساء/٣٧، بأربعة و (يحسب) بوجهين. أو بتغيير في المعنى فقط نحو ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾ البقرة/٣٧، ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾،(وأمة) يوسف/٤٥، وإما في الحروف بتغيير المعنى لا الصورة نحو ﴿تَبۡلُواْ﴾ يونس/٣٠، و(تتلوا)، و(ننحيك ببدنك لتكون لمن خلفك)، و(ننجيك ببدنك) يونس/٩٢، أو عكس ذلك نحو (بصطة) و (بَسۡطَةٗ) البقرة/٢٤٧، و(الصراط والسراط) الفاتحة/٦، أو بتغييرهما نحو (أشد منكم ومنهم)التوبة/٦٩،(ويأتل ويتأل) النور/٢٢، و(فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ) الجمعة/٩، وإما في التقديم والتأخير نحو (فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ) التوبة/١١١، (وجاءت سكرة الحق بالموت) ق/١٩، أو في الزيادة والنقصان نحو (وأوصى ووصى) البقرة/١٣٢، (والذكر والأنثى) الليل/٣، فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها، وأما نحو اختلاف الإظهار، والإدغام، والروم، والإشمام، والتفخيم والترقيق، والمد والقصر، والإمالة، والفتح، والتحقيق، والتسهيل، والإبدال، والنقل، مما يعبر عنه بالأصول فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً)(٢).

الرأي السادس:

وهو ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازي بقوله: (إن الكلام لا يخرج اختلافه عن سبعة أوجه:

الأول: اختلاف الأسماء من الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث وغيرها.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال وما يسند إليه من نحو الماضي والمضارع والأمر والإسناد إلى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به.

---

(١) النشر لابن الجزري ٢٥/١.

(٢) السابق ٢٦/١-٢٧.

الثالث: وجوه الإعراب.

الرابع: الزيادة والنقص.

الخامس: التقديم والتأخير.

السادس: القلب والإبدال في كلمة بأخرى وفي حرف بآخر.

السابع: اختلاف اللغات من فتح وإمالة وترقيق وتفخيم وتحقيق وتسهيل وإدغام وإظهار ونحو ذلك.)(١)

ولعل المتأمل في مجمل هذه الآراء يجد أن أمثلها وأقربها إلى الصواب هو ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازي والذي يتفق مع رأي ابن الجزري في أكثر جوانبه ويتميز عنه بأنه اعتبر اختلاف اللغات أي اللهجات من فتح وإمالة وترقيق وتفخيم وغيرها وجهاً من وجوه الاختلاف بين الأحرف السبعة في حين أن ابن الجزري لا يعتبرها كذلك.

وكما أن الاختلاف بين عمر وهشام رضي الله عنهما في القراءة لم يكن في معنىً من معاني الآيات وإنما كان أكثره في هيئات الألفاظ فإن الأمر لا بد من اعتباره من الاختلافات المقصودة بين الحروف.

ولئن كان اليسر هو مدار تنوع القراءات واختلافها بمقتضى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الوارد في صحيح مسلم من حديث أُبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار قال: (فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا)(٢).

وبمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الوارد في صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه)(٣) لئن كان هذا اليُسر في قراءة القرآن هو مطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته، فإنه لابد من عده أساساً لهذا الأمر لأن العربي ابن بيئته اللغوية التي يصعب عليه الخروج عن تقاليدها

---

(١) ينظر في ذلك النشر لابن الجزري١/٢٧. والإتقان في علوم القرآن للسيوطي١/١٤٧.

(٢) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي– كتاب صلاة المسافرين وقصرها–باب القرآن على سبعة أحرف رقم ٨٢١.

(٣) صحيح البخاري– كتاب فضائل القرآن رقم (١٤١٧) ٦/٥٨٣–٥٨٤.

ولحونها ومما يؤيد ذلك ما رواه ابن جني عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني أنه قال: (قرأ على أعرابيٌّ بالحرم ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ الرعد/٢٩، فقلت: طوبى، فقال: طِيبَى، فأعدت فقلت: طوبى، فقال: طِيبَى، فلما طال عليَّ قلت:طو طو، قال: طِي طِي. قال ابن جني: أفلا ترى إلى هذا الأعرابي، وأنت تعتقده جافياً كزاً، لا دمثاً ولا طيعاً، كيف نبا طبعه عن ثقل الواو إلى الياء فلم يؤثر فيه التلقين، ولا ثنى طبعه عن التماس الخفة هزٌّ ولا تمرين، وما ظنك به إذا خُلِّى مع سَوْمه وتساند إلى سليقته ونجره)(١) فأنت ترى كيف أن هذا الأعرابي قد شقَّ إخراجه عن سليقته ولهجته مما يؤيد أن هذه الخصائص اللغوية التي تعود إلى اللهجات العربية هي مما اختلفت به الحروف السبعة الأمر الذي يؤيد رأي الإمام أبي الفضل الرازي في ذلك.

هذا، ولما أرسل عثمان رضي الله عنه المصاحف إلى الأمصار أوفد مع كل مصحف من يوافق قراءته التي اختيرت له عندما نُسخت تلك المصاحف متضمنة الأحرف السبعة، فأمر زيداً بن ثابت أن يقرئ بالمصحف المدني في المدينة المنورة. وأرسل مع المصحف المكي عبد الله بن السائب، كما أرسل المغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي وعامر بن عبد القيس مع البصري.(٢) وقد تلقت الأمة هذه المصاحف بالقبول وقرأ أهل كل مصر بما في مصحفهم وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قام بالإقراء قوم أخذوا عن أولئك الصحابة القراء، قال ابن الجزري: (ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة أتمَّ عناية حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدي بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول ولم يختلف عليهم فيها اثنان، ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم، فكان بالمدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع ثم شيبة بن نصاح ثم نافع ابن أبي نعيم، وكان بمكة عبد الله بن كثير وحميد بن قيس الأعرج ومحمد بن محيصن. وكان بالكوفة يحيى بن وثاب ثم عاصم بن أبي النَّجود وسليمان الأعمش ثم حمزة ثم الكسائي. وكان بالبصرة عبد الله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء ثم عاصم الجحدري ثم يعقوب الحضرمي. وكان بالشام عبد الله بن عامر وعطية بن قيس الكلابي وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر ثم يحيى بن الحارث الذماري ثم شريح ابن يزيد الحضرمي)(٣)

وبمرور الزمن كثر القراء وانتشروا في البلاد واختلفت صفاتهم وطبقاتهم فمنهم المتقن لهذا الفن المتمكن من معرفة الرواية والدراية ومنهم الأقل حظاً في كل ذلك فقلَّ لذلك الضبط حتى خشي من ذلك على القراءات القرآنية فعندئذ قامت طائفة من العلماء اجتهدوا في جمع الحروف والقراءات

---

(١) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني١/٧٥-٧٦. تحقيق محمد علي النجار. نشر دار الهدى للطباعة والنشر- بيروت.ط/٢. بدون تاريخ.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني١/٣٩٦-٣٩٧.

(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري١/٨-٩.

وعزوا كل قراءة إلى من نسبت إليه وبينوا الصحيح من هذه القراءات كما بينوا الشاذ منها وذلك وفق شروط وضعوها لمعرفة صحة هذه القراءات وتحديد درجتها وهي:

١- موافقة العربية ولو بوجه.

٢- موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

٣- صحة السند.(١)

فكل قراءة تجتمع فيها هذه الأركان الثلاثة فهي قراءة صحيحة يحكم بقبولها ولا يحل إنكارها بل لقد حكموا بكفر من جحدها، سواءً أكانت تلك القراءة مروية عن القراء السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين.

وبالمقابل فإن كل قراءة لا تتوفر فيها هذه الأركان أو اختل ركن منها أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء أكانت عن السبعة أم عمن سبقهم من القراء.(٢)

التأليف في علم القراءات:

نشأ علم القراءات القرآنية كغيره من العلوم الإسلامية التي ظهرت لخدمة القرآن الكريم وصونه من التبديل والتحريف، وقد تدرج في أطواره المختلفة على أيدي جهابذة من العلماء حتى قوي عوده واستوى علماً متكامل البناء قوي الأساس، ولقد اشتهر بين كثير من المؤرخين أن أول من صنف في علم القراءات هو الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة كما ذهب إلى ذلك الإمام ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر(٣)، إلا أن بعض كتب التراجم والتاريخ قد ذكرت علماء سبقوا إلى هذا الفن قبل ذلك بكثير فقد ذكر ابن عطية أن أول من ألف في القراءات هو يحيى بن يعمر المتوفى سنة تسع وعشرين ومائة للهجرة، قال: (وأما شكل المصحف ونقطه فروي أن عبد الملك بن مروان أمر به عماله، فتجرد لذلك الحجاج بواسط ، وجدّ فيه وزاد تحزيبه وأمر – وهو والي العراق- الحسن ويحيى بن يعمر بذلك. وألف – يعني يحيى بن يعمر – إثر ذلك بواسط كتاباً في القراءات جمع فيه ما رُوي من اختلاف الناس فيما وافق الخط ومشى الناس على ذلك زماناً طويلاً إلى أن ألف ابن مجاهد كتاب القراءات.)(٤)

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري١/٩ ومناهل العرفان للزرقاني١/٤١١.

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري١/٩.

(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري١/٣٣.

(٤) مقدمتان في علوم القرآن ص٢٧٥، نقلاً عن مقدمة إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للشيخ أحمد بن محمد البنا الدمياطي ١/٣٤. تحقيق د.شعبان شعبان محمد إسماعيل. نشر عالم الكتب ببيروت. ط/١. ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

ثم ألف بعد ذلك أبان بن تغلب الكوفي المتوفى سنة ١٤١هـ. قال ابن النديم: (أبان بن تغلب: وله من الكتب: كتاب معاني القرآن "لطيف" و"كتاب القراءات)(١)

وتوالى التصنيف في علم القراءات بعد ذلك فألف فيها مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة ١٥٠هـ كتاب "القراءات"(٢) ثم أبو عمرو بن العلاء إمام البصرة ومقرئها وأحد الأئمة السبعة الذين أجمعت الأمة على تلقي القراءات عنهم بالقبول، وقد كان أبو عمرو من أعلم أهل عصره بالقرآن والعربية وقد ألف كتاباً في القراءات إلى جانب تصانيفه الكثيرة. وقد توفى عام أربعة وخمسين ومائة(٣) (١٥٤هـ).

ثم ألف في القراءات حمزة بن حبيب الزيات المتوفى سنة ١٥٦هـ وهو أحد القراء السبعة وإمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم بن أبي النجود. ثم أسهم بالتأليف في القراءات كلٌّ من عبد الحميد بن عبد المجيد الأخفش الأكبر المتوفى سنة ١٧٧هـ ثم هارون بن موسى الأعور المتوفى سنة ١٨٠هـ ثم هُشيم بن بشير السلمي المتوفى سنة ١٨٣هـ ثم يعقوب بن إسحاق الحضرمي المتوفى سنة ٢٠٥هـ ثم عبد الرحمن بن واقد الواقدي المتوفى سنة ٢٠٩هـ(٤) ومن ثم جاء أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ والذي قال عنه ابن الجزري: (.. فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئا مع هؤلاء السبعة..)(٥)

إن هذا الوصف الذي خلعه ابن الجزري على الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام لا يقدح في جهود السابقين الذين نعتبرهم الرواد الأوائل في هذا الفن والذين عالجوا نشأته الأولى وبداياته وقد ذكرت ذلك كتب التراجم والتاريخ فلا مجال لإنكار جهودهم فهم قد بدأوا هذا العمل شأنهم في ذلك شأن المصنفين الأوائل في أي علم تأتي جهودهم أشبه ما تكون بالملاحظات والخواطر التي لا تلبث أن تغذوها المادة العلمية فتكون النواة للعلم ثم تنمو لتصبح دوحة وارفة يتفيأ ظلالها كل شاد في معالجة جوانبه. وإذا جاز هذا القول على العلوم الأخرى، فإنه قد لا يكون بذات الدرجة في علم القراءات لأن التصنيف فيه قد كان أكثر نضجاً منذ البداية لأنه إنما يصف قراءات ثابتة متصلة السند واضحة المعالم والتمايز إلا أن تصنيف الأوائل قد يكون أقل شمولاً وإحاطة إذ تنحصر الجهود في محيط ضيق قد لا يتجاوز المصر أو المنطقة الواحدة. أما كتابات العلماء المتأخرين من

---

(١) الفهرست لابن النديم ص٢٧٢. بتعليق الشيخ إبراهيم رمضان. نشر دار المعرفة ببيروت ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٢) المصدر السابق ص٢٢٢.

(٣) المصدر السابق ص٥٥.

(٤) ينظر في ذلك الفهرست لابن النديم ص٤٨-٥٥-٢٧٩ وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ٥١/٤.

(٥) النشر لابن الجزري ٣٣/١-٣٤.

أمثال أبي عبيد وأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ فقد جاءت واعبة متسعة تناولت عدداً كبيراً من القراء في مختلف الأمصار، حتى أن أبا عبيد القاسم بن سلام قد دون قراءات خمسة وعشرين قارئاً كما ذكر ابن الجزري.

هذا وقد كثر التصنيف في القراءات منذ بداية المائة الثالثة للهجرة بعد جهود ابن سلام، فألف القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي المتوفى سنة ٢٨٢هـ كتاباً في القراءات دوّن فيه قراءة عشرين إماماً. ثم جاء بعده الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ وألف كتاباً أسماه (الجامع) ضمنه قراءات نيِّف وعشرين إماماً، ثم أبو بكر محمد بن احمد بن عمر الداجوني المتوفى سنة ٣٢٤هـ والذي جمع كتاباً في القراءات يتضمن قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة.(١)

ولما تكاثرت أعداد الذين حملوا القراءات عن أئمة القرن الثاني الهجري وتعددت الطرق إليهم، وكان من هؤلاء المتقن للتلاوة والرواية العالم بوجوه الإعراب والقراءات واللغات وأسانيد الروايات، ومنهم من يعرف الإعراب ولا علم له باختلاف القرّاء فربما نسي بعض ما حفظ ويختلط عليه الأمر لكثرة الاختلاف في حركات الكلمات القرآنية، وأسوأ من كل هؤلاء من يعرف النحو واللغات، ولا علم له بالقراءات فربما أداه ذلك إلى أن يقرأ بحرف لم يقرأ به أحد فيصبح مبتدعاً في الدين.(٢)

ولإنقاذ الأمة وقرآنها الكريم من هذا الاضطراب فقد أصبح من الضرورة استخلاص قراءات يتبعها الناس حتى لا ينتهي بهم الأمر إلى الفوضى في قراءة القرآن الكريم.

وفي نهاية القرن الثالث الهجري قام الإمام أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن محمد بن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٤هـ ، بدراسة القراءات القرآنية ورحل لسماعها في الأمصار التي بعث إليها عثمان بن عفان رضي الله عنه بالمصاحف وهي مكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة ودمشق حتى حذق جميع قراءات الأمصار بطرقها ورواياتها الكثيرة وأجهد نفسه في اختيار سبعة من أئمة القراءات تأكد لديه أنهم اشتهروا بالضبط والأمانة وطول العمر في ملازمة القراءة مع كثرة الأخذ عنهم، والتلقي منهم، اختار على هذه الأسس من كل مصر قارئاً، فاختار من المدينة نافعاً بن أبي نعيم، ومن مكة عبد الله بن كثير ومن الشام عبد الله بن عامر ومن البصرة أبا عمرو بن العلاء ومن الكوفة عاصم بن أبي النجود ثم حمزة بن حبيب الزيات ثم علي بن حمزة الكسائي، وذلك لانفراد كل واحد من قراء الكوفة الثلاثة بمذهب في القراءة يتميز به عن الآخرين، وقد دون كل

---

(١)النشر لابن الجزري ٣٤/١.

(٢) السبعة في القراءات لأبي العباس أحمد بن موسى بن مجاهد ص٤٥-٤٦. تحقيق الدكتور شوقي ضيف. نشر دار المعارف بمصر ط٢، بدون تاريخ.

ذلك في كتابهِ "السبعة في القراءات" الذي حظي بالقبول من علماء الأمة.(١)

هذا وقد كان اختيار هؤلاء السبعة مصادفة لا علاقة له بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم، كما أنه لم يسقط قراءات الأئمة الآخرين بل اعتبرها أدنى درجة من حيث السند والرواية، وقد أجمع العلماء على هذا الاختيار واعتبروا هذه القراءات السبع متواترة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وألحقوا بها قراءات الثلاثة المكملين للعشرة وهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي وخلف بن هشام، وقد اعتبرت قراءات الأربعة التالين لهم من القراءات الشاذة(٢)، وهم: الحسن البصري، وسليمان بن مهران الأعمش، ومحمد بن عبد الرحمن بن محيصن، ويحيى بن المبارك اليزيدي، وهذا شأن بقية القراءات التي لم تتوفر لها كل شروط صحة القراءة التي أقرها علماء القراءات أو اختل بها شرط من هذه الشروط ، سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عمن هو أكبر منهم لأن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب إليه القراءة.

أما بلاد الأندلس فإنها لم تعرف التأليف في القراءات إلا في أواخر القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس عندما رحل منها بعض من درس القراءات بمصر وكان أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي(٣) أول من أدخل علم القراءات إلى الأندلس وألف كتابه الموسوم بالروضة في علم القراءات، ثم جاء بعده الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي مؤلف التبصرة، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ومشكل إعراب القرآن، وغير ذلك من الدرر في هذا المجال، ثم الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني مؤلف التيسير، وجامع البيان، وغير ذلك، وقد كانت أكثر تآليفهم في قراءات السبعة ثم تتابع التأليف في هذا الفن بعد ذلك شرقاً وغرباً حيث جمع العلماء قراءات الكثير من أئمة القراءة في مختلف الأمصار.

أشهر أئمة القراءة:

لقد اشتهر بالقراءة عدد كبير من القراء إلا أن الأمة أجمعت على قراءات السبعة المعروفين وفيما يلي تعريف موجز بهؤلاء الأئمة القراء مرتبين بحسب تاريخ الوفاة ومع كل منهم أشهر راويين من رواته وهم:

١-عبد الله بن عامر:

هو أبو عمرو عبد الله بن عامر بن يزيد بن ربيعة اليحصبي الدمشقي وهو تابعي جليل ولد سن ثمانٍ للهجرة ولقي واثلة بن الأسقع والنعمان بن بشير رضي الله عنهما، وقد أخذ القراءة عن

---

(١) انظر في ذلك جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي٢/١٩٣ ومقدمة تحقيق السبعة في القراءات للدكتور شوقي ضيف ص١٦، ١٧ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي١/٢٥٢.

(٢) إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد البنا الدمياطي١/٨٠ تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل، نشر عالم الكتب. بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٣) النشر لابن الجزري ١/٣٤.

المغيرة بن أبي شهاب المخزومي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل إنه قرأ على عثمان نفسه، كما قيل إنه قرأ على أبي الدرداء أيضا. أَمّ المسلمين بالجامع الأموي بدمشق سنين كثيرة وفي أيام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فكان يأتم به وهو أمير المؤمنين، وجمع له بين الإمامة والقضاء ومشيخة الإقراء بدمشق. توفى سنة ثمان عشرة ومائة للهجرة (١١٨هـ)(١) وأشهر من روى عنه:

أ- هشام:

هو أبو الوليد هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمي الدمشقي. ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة وأخذ القراءة عن عراك بن خالد المزي، عن يحيى بن الحارث الذماري عن ابن عامر توفى سنة خمس وأربعين ومائتين (٢٤٥هـ) بدمشق.(٢)

ب- ابن ذكوان:

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الدمشقي ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة (١٥٣هـ). أخذ القراءة عن أيوب بن تميم عن يحيى بن الحارث الذماري عن ابن عامر. توفى سنة اثنتين وأربعين ومائتين (٢٤٢هـ) بدمشق.(٣)

٢- ابن كثير:

هو أبو محمد عبد الله بن كثير بن عمر بن عبد الله بن زاذان بن فيروز بن هرمز المكي. ولد بمكة المكرمة سنة خمس وأربعين للهجرة (٤٥هـ) لقي من الصحابة عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين. كان إمام الناس في القراءة بمكة المكرمة أخذ القراءة عن مجاهد عن ابن عباس عن أُبَي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقرأ على عبد الله بن السائب المخزومي وقرأ عبد الله على أُبَي بن كعب وعمر بن الخطاب وكلاهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. توفي بمكة المكرمة سنة عشرين ومائة للهجرة (١٢٠هـ)(٤) وأشهر من روى عنه: البزي وقنبل

أ- البزي:

هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزّة. ولد بمكة المكرمة سنة سبعين ومائة (١٧٠هـ) وانتهت إليه رئاسة مشيخة الإقراء بمكة المكرمة وكان إمام المسجد الحرام ومقرئه ومؤذنه. أخذ القراءة عن عكرمة بن شبل بن عباد وإسماعيل بن عبد الله

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٨٥-٨٧ والنشر لابن الجزري١/١٤٤.

(٢) النشر١/١٤٤- إتحاف فضلاء البشر للدمياطي١/٢٤.

(٣) النشر١/١٤٥- إتحاف فضلاء البشر١/٢٤.

(٤) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٦٤-٦٥، النشر لابن الجزري١/١٢٠.

عن ابن كثير. توفى بمكة المكرمة سنة خمسين ومائتين للهجرة (٢٥٠هـ)(١).

ب- قنبل:

هو محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن محمد المخزومي بالولاء. أخذ القراءة عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن علقمة بن نافع المعروف بالقواس. وقرأ القواس على وهب بن واضح عن شبل ومعروف وكلاهما عن ابن كثير. انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز توفي بمكة المكرمة سنة إحدى وتسعين ومائتين للهجرة (٢٩١هـ)(٢).

٣- عاصم:

هو أبو بكر عاصم بن أبي النَّجود الأسدي بالولاء الكوفي، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد شيخه أبي عبد الرحمن السُّلَمي. جمع بين الفصاحة والتجويد والإتقان، أخذ القراءة عن زِرّ بن حبيش عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أخذها عن أبي عبد الرحمن السلمي عن الإمام علي بن أبي طالب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. توفي بالكوفة سنة سبع وعشرين ومائة للهجرة (١٢٧هـ)(٣) وأشهر من روى عنه حفص وشعبة.

أ- حفص:

هو أبو عمر حفص بن سليمان بن المغيرة بن داوود الأسدي بالولاء الكوفي ولد سنة تسعين للهجرة (٩٠هـ)، تزوج عاصم أمَّ حفص وتربى في حجره فهو ربيب عاصم قرأ عليه وتعلم منه فلا جرم أن كان أعلم أصحاب عاصم، تردد بين بغداد ومكة يقرئ الناس القرآن الكريم. توفى سنة ثمانين ومائة للهجرة (١٨٠هـ)(٤).

ب- شعبة:

هو أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الحناط الأسدي بالولاء النهشلي الكوفي، ولد سنة خمس وتسعين للهجرة، عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، وعلى عطاء بن السائب، كان إماماً عاملاً حجة. توفي بالكوفة سنة ثلاث وتسعين ومائة للهجرة (١٩٣هـ)(٥).

---

(١) النشر لابن الجزري١/١٢١، إتحاف فضلاء البشر للدمياطي١/٢١.

(٢) النشر لابن الجزري ١/١٢٠، إتحاف فضلاء البشر ١/٢١-٢٢.

(٣) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للإمام شمس الدين أبي عبدالله الذهبي ١/٧٣ تحقيق محمد سيد جاد الحق نشر مكتبة دار الكتب الحديثة، مصر بدون تاريخ. وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ٦٩-٧١ والنشر لابن الجزري١/١٥٥.

(٤) النشر لابن الجزري١/١٥٦، إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ١/٢٥-٢٦، معرفة القراء الكبار للذهبي ١/١١٦.

(٥) النشر لابن الجزري ١/١٥٦، معرفة القراء الكبار١/١١٠.

٤- أبو عمرو بن العلاء:

هو أبو عمرو زبّان بن العلاء بن عمار بن العريان المازني التميمي البصري، كان إمامَ البصرة ومقرئها، ولد بمكة المكرمة سنة سبعين للهجرة (٧٠هـ) ونشأ بالبصرة، ثم توجه مع أبيه إلى مكة والمدينة فقرأ على أبي جعفر يزيد بن القعقاع ، وشيبة بن نصاح، ونافع بن أبي نعيم وعبد الله بن كثير وعاصم بن أبي النَّجود وأبي العالية قال عنه ابن الجزري: (كان أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والأمانة في الدين) توفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة للهجرة (١٥٤هـ)(١) وأشهر من روى عنه: الدوري والسوسي.

أ- الدُّوري:

هو أبو عمر حفص بن عبد العزيز بن صهبان الدوري الأزدي النحوي البغدادي، كان إمام القراءة وشيخ الإقراء في عصره ثقة ضابطاً. روى عن اليزيدي عن أبي عمرو. توفي سنة ست وأربعين ومائتين (٢٤٦هـ)(٢).

ب- السوسي:

هو أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن الجارود السوسي نسبةً إلى سوس مدينة بالأهواز. كان مقرئاً ضابطاً ثقةً قرأ على اليزيدي على أبي عمرو. توفى بالرَّقة سنة إحدى وستين ومائتين (٢٦١هـ)(٣).

٥- حمزة:

هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات الكوفي، مولى عكرمة بن ربيع التميمي، كان إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم، كان حجةً قيماً بكتاب الله تعالى عارفاً بالفرائض والعربية. ولد سنة ثمانين للهجرة (٨٠هـ) وأدرك بعض الصحابة فهو من التابعين، تلقى القراءة عن أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش عن يحيى بن وثاب عن زُرّ بن حبيش عن عثمان وعلي وابن مسعود عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. توفى بحلوان بالعراق سنة ست وخمسين ومائة (١٥٦هـ) وأشهر من روى عنه: خلف وخلاّد(٤).

أ- خلف:

هو الإمام أبو محمد خلف بن هشام بن طالب بن البزّار الصلحي نسبة إلى فم الصلح من

---

(١) النشر لابن الجزري ١/١٣٤، السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٧٩-٨٥، معرفة القراء الكبار للذهبي١/٨٣. مراتب النحويين لأبي الطيب اللّغوي١٣-٢٠، طبقات النحويين واللغويين للزُّبيدي ٣٥-٤٠.

(٢) النشر لابن الجزري١/١٣٤، إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ١/٢٢-٢٣، معرفة القراء الكبار للذهبي١/١٥٧.

(٣) النشر ١/١٣٤، إتحاف فضلاء البشر للدمياطي١/٢٢-٢٣، معرفة القراء الكبار للذهبي١/١٥٩.

(٤) السبعة لابن مجاهد ص٧١-٧٧، النشر لابن الجزري١/١٧٧، معرفة القراء الكبار للذهبي١/٩٣-٩٩.

أعمال واسط. ولد سنة خمسين ومائة للهجرة (١٥٠هـ) أخذ القراءة عن سليم بن عيسى وعبد الرحمن بن حماد عن حمزة، وعن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري وعن يعقوب بن خليفة وعن أبان العطار وهم عن عاصم. اختار لنفسه قراءة انفرد بها فهو يعد أحد الأئمة العشرة. توفي ببغداد سنة تسع وعشرين ومائتين (٢٢٩هـ)(١).

ب- خلّاد:

هو أبو عيسى خلّاد بن خالد الأحول الكوفي. ولد سنة تسع عشرة وقيل سنة ثلاثين ومائة للهجرة، وأخذ القراءة عن سليم بن عيسى عن حمزة، توفى بالكوفة سنة عشرين ومائتين (٢٢٠هـ)(٢).

٦- نافع:

هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم الليثي بالولاء مولى جعونة بن شعوب الليثي، أصله من أصفهان، كان حسن الخلقة وسيم الوجه وفيه دعابة، أحد أئمة القراءة في عصره. تلقى القراءة عن سبعين من التابعين منهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع وعبد الرحمن بن هرمز وشيبة بن نصاح ومسلم بن جندب وهؤلاء تلقوا القراءة عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس وعبدالله بن عياش وهؤلاء أخذوا عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولد سنة سبعين للهجرة (٧٠هـ) وتوفى سنة تسع وستين ومائة للهجرة (١٦٩هـ) بالمدينة المنورة وقد أخذ القراءة عنه خلق كثيرون منهم الإمام مالك بن أنس والليث بن سعد وأبو عمرو بن العلاء وعيسى بن وردان وسليمان بن جماز وأشهر من روى عنه قالون وورش(٣).

أ- قالون:

هو أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان المدني النحوي مولى الزهريين، لقبه نافع بقالون لجودة قراءته. كان قالون أصم لا يسمع البوق فإذا قرئ عليه القرآن سمعه. توفي بالمدينة المنورة سنة عشرين ومائتين للهجرة (٢٢٠هـ)(٤)

ب- ورش:

هو أبو سعيد عثمان بن سعيد بن عبد الله المصري القبطي الملقب بورش لشدة بياضه، رحل إلى المدينة المنورة فقرأ على نافع أربع ختمات ورجع إلى مصر لينفرد برئاسة الإقراء

---

(١) النشر لابن الجزري١/١٩١، معرفة القراء الكبار للذهبي١/١٧١.

(٢) السبعة لابن مجاهد ص٧٧، النشر لابن الجزري١/١٦٦، معرفة القراء الكبار للذهبي١/١٧١.

(٣) السبعة لابن مجاهد ٥٣-٦٣، النشر لابن الجزري١/١١٢، معرفة القراء الكبار للذهبي١/٨٩.

(٤) النشر لابن الجزري١/١١٢-١١٣، إتحاف فضلاء البشر للدمياطي١-٢٠، معرفة القراء الكبار للذهبي١/١٢٨.

مع براعة في العربية والتجويد، قيل إنه إذا قرأ على نافع أغشي على كثير من الجلساء، ولد بمصر سنة إحدى عشرة ومائة للهجرة (١١١هـ) وتوفى بها سنة سبع وتسعين ومائة (١٩٧هـ)(١).

٧- الكسائي:

هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبدالله بن بهمن بن فيروز الكسائي النحوي الكوفي ، إمام أهل الكوفة في القراءة والعربية، مولى بني أسد وهو فارسي الأصل من تابعي التابعين، انتهت إليه الرئاسة في القراءة واللغة والنحو بالكوفة، تلقى القرآن على عدد من الأئمة منهم حمزة وابن أبي ليلى وعاصم وأبي بكر شعبة بن عياش وإسماعيل بن جعفر وكلهم متصلو السند برسول الله صلى الله عليه وسلم. توفى بإحدى قرى الرِّى في مسيره مع الرشيد إلى خراسان سنة تسع وثمانين ومائة للهجرة (١٨٩هـ). أشهر من روى عنه: الليث وحفص الدوري.(٢)

أ- الليث:

هو أبو الحارث الليث بن خالد المروزي البغدادي كان ثقة ضابطاً توفي سنة أربعين ومائتين للهجرة (٢٤٠هـ)(٣).

ب- الدوري:

هو أبو عمر حفص بن عبد العزيز الدوري وقد تقدم ذكره في ترجمة أبي عمرو بن العلاء.

---

(١) السبعة لابن مجاهد ٧٨-٧٩، النشر لابن الجزري١/١٧٢، معرفة القراء الكبار ١/١٢٦.

(٢) السبعة لابن مجاهد ٧٨-٧٩، النشر ١/١٧٢، مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ٧٤-٧٥، طبقات النحويين واللغويين للزبيدي١٢٧-١٣٠.

(٣) إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للدمياطي ١/٢٨.

الباب الأول

القراءات وعلم العربية

الفصل الأول

أثر علماء القراءات في تطور الدراسة الصوتية

المبحث الأول: نشأة الدراسة الصوتية عند الخليل وسيبويه

المبحث الثاني: تطور الدراسة الصوتية عند أبي الفتح بن جني

المبحث الثالث: الدراسة الصوتية وعلم التجويد

المبحث الرابع: دواعي التحفظ في اللفظ بالحروف

المبحث الأول

نشأة الدراسة الصوتية عند الخليل وسيبويه

يعتبر الدرس الصوتي عند العرب آصل الجوانب التي تناولوا فيها دراسة اللغة لأن أساس هذا الدرس مبنى على القراءات القرآنية التي تعتبر أصل كافة هذه الدراسات العربية والإسلامية، وإن علم الأصوات وإن جاء متأخر من حيث الوضع. عن بعض علوم العربية الأخرى كالنحو والتصريف إلا أنه كان الأسبق من حيث الواقع والعمل لأن قراءة القرآن الكريم هي التي جعلت علماء العربية الأوائل – وأكثرهم من القراء كأبي عمرو والخليل والكسائي– جعلتهم يتأملون أصوات اللغة على سبيل الملاحظة الذاتية التي أنتجت فيما بعد دراسة راقية للأصوات العربية خاصة، والإنسانية بصفة عامة.

ولعل أول شاهد يدل على سبق الملاحظات في علم الأصوات هو عمل أبي الأسود الدؤلي الذي قال لكاتبه عند نقط المصحف: (إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه إلى أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف.)(١)

لهذا يمكن أن نعتبر هذا العمل الذي يمثل أولية علم النحو ناشئاً عن ملاحظات إن لم نقل عن دراسة صوتية بصورة أو بأخرى.

بعد مضي فترة يسيرة على جهود أبي الأسود في هذا الميدان الرحب قدم الخليل بن أحمد أول تصنيف للأصوات بحسب موضع النطق أو حسب الأحياز والمخارج حيث قام بتقسيم الأصوات إلى نوعين: صحاح اصطلح عليها لاحقاً بالأصوات "الصامتة"، وهوائية اصطلح عليها لاحقاً بالأصوات "الصائتة" فيقول: (في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحاً لها أحياز ومخارج، وأربعة هوائية وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة. فأما الهمزة فسميت حرفاً هوائيا لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف..فهذه صورة الحروف التي أُلِّفَتْ منها العربية على الولاء وهي تسعة وعشرون حرفاً: ع ح هـ خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط و ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م فهذه الحروف الصحاح و ي ا ء فهذه تسعة وعشرون حرفاً منها أبنية كلام العرب.)(٢)

ولقد اعتمد الخليل في وصفه للأصوات على ما يحسه بنفسه من اختلاف في أوضاع أعضاء النطق عند إنتاج هذه الأصوات وعلى وقعها في أذن السامع، وبعد تأمل دقيق نسب

---

(١) الفهرست لابن النديم ص٦١-٦٢ (مرجع سابق)

(٢) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي١/٧٦-٧٧ . تحقيق الدكتور هادي حسن حمودي، نشر مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي- مسقط- سلطنة عمان بدون تاريخ

الحروف العربية إلى ثمانية مخارج فقال: (فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية؛ لأن مبـدأها من الحلق. والقاف والكاف لهويتان؛ لأن مبدأهما من اللهاة. والجيم والشين والضاد شـجرية؛ لان مبدأها من شجر الفم، أي مفرج الفم والصاد والسين والزاي أسلية؛ لان مبدأها من أسـلة اللسـان، وهي مستدق طرف اللسان. والطاء والتاء والدال والثاء لثوية؛ لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهـو تحديد طرفيه كذلق السنان. والفاء والباء والميم شفوية، وقال مرة: شفهية، لأن مبدأها من الشـفة. والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد؛ لأنها لا يتعلق بها شيء)(١)

هذا، وقد تأتَّى للخليل بن أحمد رصد هذه الملاحظات وتحديد هذه المخارج بتذوق الحروف ليهتدي إلى الترتيب العلمي لها لأنه كان يرى أن الترتيب الهجائي المألوف لحروف الهجاء العربية: أ ب ت ث ج ح خ...الخ لا يقوم على أساس وإنما استمده النساخ من الترتيب السامي الذي اشتهر عند الأمم السامية القديمة كالفينيقيين والعبريين وهو الترتيب الأبجدي: ا ب ج د هـ و ز ...إلخ ثم قام النساخ بوضع الحروف المتشابهة في صورتها بجوار بعضها ومن هنا جاء الترتيب الهجـائي المعروف(٢)، ولهذا سعى الخليل إلى ترتيب الحروف العربية بصورة تستند إلى منطق علمي فعمد إلى تذوقها ليتوصل إلى ذلك، يقول الليث بن المظفر: (وإنما كان ذواقه إياها أنه كـان يفـتح فـاه بالألف ثم يُظهر الحرف نحو ابْ، اتْ، اعْ اغْ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجلهـا أول الكتاب ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرتها وهو الميم.)(٣) وعلـى هـذا رتـب الخليل حروف العربية ترتيباً أساسه مخارج الأصوات فبدأ بأصوات الحلق، ثم أصوات أقصى الفم مما يلي الحلق ثم أصوات أوسط الفم ثم أدنى الفم ثم الشفتين.

ثم إن الخليل وبعد أن استغل نظرية التبادل والتوافق الرياضية في حصر كلمات العربية بعد تقليب الصيغ الأصلية لتوليد الكلمات التي يمكن أن تتشكل منها توصل بعمق نظره في الجوانب الصوتية إلى الكلمات التي يمكن أن تتألف منها مميزاً بين ما استعملته العرب وبين ما أهملته ولم تنطق به مما يعود إلى الخواص الصوتية للحروف العربية التي يتركب بعضها مع بعض، ولا يتركب بعضها مع أخرى ويتقارب بعضها من بعض، ويتباعد بعضها الآخر من بعض(٤)، وبعض هذه الحروف لا تخلو منه أكثر الكلمات العربية وهي حروف الذلاقة والحروف الشفوية التي يقول عنها الخليل:(فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذَّلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة

---

(١) العين للخليل بن أحمد ٧٧/١.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب ص١٤-١٥. نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط٣ ١٤١٦هـ-١٩٩٦.

(٣) العين للخليل بن أحمد ٦٩/١.

(٤) مقدمة لسان العرب لابن منظور ١٨/١، تحقيق عبدالله الكبير وآخرين، طبع دار المعارف بمصر بدون تاريخ.

مبتدعة، ليست من كلام العرب لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذَّلَق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر.)[1]

ويتواصل تطور الدراسة الصوتية عند سيبويه الذي توسعت بحوثه في هذا المجال فقدم دراسة أوفى وأكثر دقة حيث صنف الأصوات بحسب المخارج مع مراعاة وضع الأوتار الصوتية عند النطق بها وعدّ مخارج الحروف ستة عشر مخرجاً وتحدث عن صفات الحروف المتمثلة في الجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط إلى غير ذلك مما يحدثه تفاعل أعضاء النطق لدى الإنسان بصورة متكاملة، والأحوال التي تعتري هذه الحروف عند تجاورها مع بعضها أو افتراقها. وقد أدته بحوثه الصوتية تلك إلى استكناه أحوال حروف العربية ومعرفة ما يتولد من أصوات فرعية أصلها من الحروف التسعة والعشرين فذكر من ذلك ستة أصوات أخرى مستحسنة استخدمت في قراءة القرآن الكريم وتحدث بها العرب فيقول بعد أن ذكر حروف العربية التسعة والعشرين: (وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم يعني بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة.)[2] وقد رسمت هذه الألف واواً في المصاحف العثمانية فيما يعرف بالرسم العثماني وهو رسم حرص الصحابة رضوان الله عليهم أن يضمنوه هذه الإشارات الصوتية وأن يستجيب لمقتضيات الأحرف السبعة في كتابة القرآن الكريم.

ثم يشير سيبويه إلى تولد أصوات أخرى مستهجنة عنده وهي فروع كذلك فيقول: (وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرةٍ في لغة من تُرضي عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر، وهي:

الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء. وهذه الحروف التي تتمتها اثنين وأربعين جيّدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون، لا تُتبين إلا بالمشافهة.)[3]

وهذه الحروف الفرعية التي ذكرها سيبويه، المستحسنة منها وغير المستحسنة هي في الواقع تعود للهجات نطقت بها كثير من القبائل العربية ولا يزال بعضها مستعملاً حتى الآن فمن ذلك الكشكشة التي ينسبها بعض اللغويين لتميم[4] وينسبها بعضهم إلى ربيعة أو بكر بن وائل أو

---

(1) كتاب العين للخليل بن أحمد ٧٣/١.

(2) الكتاب لسيبويه ٤٣٢/٤، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر دار الجيل بيروت ط١/، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(3) الكتاب لسيبويه ٤٣٢/٤.

(4) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي ٥٩٥/٤. تحقيق الدكتور محمد نبيل طريفي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

أسد، ويمكن التوفيق بين هذه الروايات المختلفة بالقول بتجاور مساكن هذه القبائل التي عزيت إليها الكشكشة فالصلة بينها قائمة ولهذت تأثر بعضها ببعض(١)، ومن ذلك قول مجنون بني عامر(٢):

فعيناشِ عيناها وجيدُش جيدها ولكن عظم الساق منشِ دقيق

وقرأ بعضهم: (قد جعل ربُّشِ تحتشِ سريا)(٣) في قوله تعالى: ﴿□ □ □ □ □﴾ مريم/٢٤.

ومن ذلك الكسكسة التي ينسونها إلى هوازن وإلى بكر بن وائل(٤) وهي إلحاقهم لكاف المؤنث سيناً عند الوقوف كقولهم: اكرمتكسْ، ومن ذلك العنعنة في هذيل وهي قلب الهمزة عيناً والفحفحة(٥) لهذيل أيضاً وهي قلب الحاء عيناً، إلى غير ذلك مما يعدونه درجه أدنى في الفصاحة والبيان وقد أورد المبرد في الكامل: (أن معاوية قال يوماً: من أفصح الناس؟ فقام رجل من السماط فقال: قوم تباعدوا عن فراتية العراق، وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس فيهم غمغمة قضاعة، ولا طُمطُمانية حِمْيَرَ. فقال له معاوية: من أولئك؟ فقال: قومك(٦) يا أمير المؤمنين فقال له معاوية: من أنت؟قال: رجلٌ من جَرْمٍ. قال الأصمعي: وجَرْمٌ من فصحاء الناس)(٧).

وبعد أن ذكر سيبويه حروف العربية التسعة والعشرين وألحق بها فروعها الستة المستحسنة ثم الفروع السبعة غير المستحسنة ذهب إلى أن مخارج الحروف العربية ستة عشر مخرجاً فقال: (ولحروف العربية ستة عشر مخرجاً: فللحلق منها ثلاثة. فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف. ومن أوسط الحلق مُخرج العين والحاء. وأدناها مُخرجاً من الفم: الغين والخاء.

ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف.

---

(١) اللهجات العربية في التراث للدكتور أحمد علم الدين الجندي ١/٣٦٠، نشر الدار العربية للكتاب، طرابلس–ليبيا، ١٩٨٣.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش النحوي٩/٤٨ نشر عالم الكتب ببيروت بدون تاريخ. وانظر لسان العرب لابن منظور مادة (كشش)٥/٣٨٨٢

(٣) شرح الأشموني على القية ابن مالك وبهامشة حاشية الصبان٤/٢٨٢، نشر دار الفكر بلبنان.

(٤) كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب بشرح رضي الدين الاسترابازي٢/٣٨١. نشر دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م. وانظر خزانة الأدب للبغدادي ٤/٥٩٥.

(٥) اللهجات العربية في التراث للدكتور أحمد علم الدين الجندي ١/٣٧٠. (مرجع سابق).

(٦) يريد قريشاً.

(٧) انظر في ذلك: الكامل لأبي العباس المبرد٢/٧٦٥ بتحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي نشر مؤسسة الرسالة ببيروت. ط/٢، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، والبيان والتبين للجاحظ ٣/٨٧٢ بتحقيق حسن السندوني. نشر دار إحياء العلوم ببيروت ط/١، ١٤١٤هـ–١٩٩٣، والمفصل لابن يعيش ٩/٤٨، وخزانة الأدب للبغدادي ٤/٥٩٥.

ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف.

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.

ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون.

ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء.

ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء.

ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد.

ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء، والذال، والثاء.

ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء.

ومما بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو.

ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة.)[١]

ذلك هو المستوى الأول من مستويات دراسة الأصوات لدى سيبويه والذي تعرّف من خلاله على مخارج حروف العربية عن طريق ذوقها الذي تلقاه على يد أستاذه الخليل بن أحمد وقد توصل بذلك إلى تفصيل دقيق لهذه المخارج التي تهيأ بعدها لدراسة. المستوى الثاني من مستويات دراسة الأصوات حيث قام بتصنيف الحروف حسب أوصافها التي لا تقوم ذواتها إلا بها، فصنفها إلى مجهورة، ومهموسة، وشديدة ورخوة، ومنحرفة، ومكررة ولينة ومطبقة ومنفتحة ومن الحروف (الهاوي) الذي اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع الحروف الأخرى فيقول في ذلك: (فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومَنَعَ النَّفَسَ أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت.. وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النَّفَسُ معه وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فردَّدت الحرف مع جري النفس. ولو أردت ذلك في المجهور لم تقدر عليه.)[٢]

ويذكر المحدثون من علماء الأصوات الذين توفرت لديهم الوسائل الحديثة لدراسة الأصوات أن هذا التقسيم الذي ذكره سيبويه يعود إلى اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدم اهتزازها، فالمجهورة من الأصوات هي تلك التي تهتز معها الأوتار الصوتية وتتذبذب، والمهموسة هي تلك التي لا تهتز معها الأوتار الصوتية[٣]، ولاختبار هذه الظاهرة ومعرفتها يمكن للإنسان أن يضع إصبعه على

(١) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٣-٤٣٤- (مرجع سابق).

(٢) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٤.

(٣) المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبدالتواب صـ٣٦.

حنجرته ثم ينطق بالصوت مستقلاً عن غيره من الأصوات بحيث يكون في وضع السكون مثل (دْ) مع مراعاة ألاّ يسبقه ألف وصل، فإذا فعلنا ذلك فإننا سنشعر باهتزاز الأوتار الصوتية.

وهناك طريقة أخرى هي أن نضع أصابعنا في آذاننا ثم ننطق بالصوت المجهور وحده كما أشرت فإذا فعلنا ذلك فإننا نحس برنة الصوت المجهور في رؤوسنا يقول فندريس: (وإذا راعى الإنسان أن يسد أذنيه عند النطق فإنه عندما يصل إلى المجهورة، يسمع الرنين الذي تنشره الذبذبات الحنجرية في تجاويف الرأس.)(١)

ويمكن إجراء تجربة ثالثة هي أن نضع الكف فوق الجبهة فإذا نطقنا بالحرف المجهور فإننا نحس برنين الصوت الناتج عن أثر ذبذبة الوترين الصوتيين.

أما الأصوات المهموسة فإننا لا نجد أثراً للنطق بها على الحنجرة ولا على الجبهة كما أننا لا نسمع لها أثراً عند سد الأذنين.

والحروف المجهورة تسعة عشر حرفا. والمهموسة عشرة أحرف فالمجهورة هي: الهمزة، والألف، والعين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاي، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو.

والمهموسة هي: الهاء، والحاء، والخاء، الكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء.

ثم يتحدث عن الحرف "الشديد" فيقول: (هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه)(٢) بمعنى أنك لا تستطيع مدّ جرسه ساكناً ويمثل لذلك بقوله: (وذلك أنك لو قلت ألحج ثم مددت صوتك لم يَجرِ ذلك)(٣) أي على حرف الجيم؛ والحروف الشديدة ثمانية هي: الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء.

وهذه الحروف يصفها علماء الأصوات المحدثون بأنها انفجارية(٤) بمعنى أنها تخرج دفعة واحدة فلا تستطيع أن تمدّ منها شيئاً لأن الصوت يستكمل خروجه في هذه الدفعة الانفجارية فلا يبقى منه شيء حتى يمدُ.

وأما الحروف "الرخوة" فإنها لا تمنع الصوت أن يجري فيها وقد وصفها علماء الأصوات المحدثون بأنها احتكاكية(٥) ، ففي حالة الأصوات الشديدة يعوق مجرى الهواء الخارج من الرئتين عائق، ثم يزول هذا العائق بسرعة فيندفع الهواء الخارج بصورة انفجارية محدثاً جرس الحرف

---

(١) اللغة لفندريس صـ ٥١ ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص.

(٢) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٤.

(٣) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٤.

(٤) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس صـ ٢٤ نشر مكتبة الإنجلو المصرية ط/٤. ١٩٩٩م

(٥) السابق صـ٢٥.

الشديد. وفي حالة الحروف الرخوة يكون هنالك تضييق لمجرى الصوت إلا أنـــه يســـمح بمـــرور الهواء محدثا احتكاكاً حالة النطق بالحرف الذي يأتي تدريجياً، وهذه الصفة تمكن الناطق مـــن مـــدّ جرس هذا الحرف الرخو ساكناً، والحروف الرخوة هي: الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشـــين، والصاد، والضاد، والزاي والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء. قال سيبويه: (وذلـــك إذا قلـــت الَّطسْ وانْقَضْ، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت)(1) ما يعني انه بإمكانك أن تمـــد جـــرس السين الساكنة في آخر (الطسْ) والضاد الساكنة في آخر (انقض) إن شئت، وهنا نلاحظ أن الضـــاد التي ننطقها اليوم في السودان ومصر لا تنطبق عليها هذه الصفة فقد استحالت حرفاً انفجارياً، شديداً خالصاً. ثم يصف حرفين شديدين جرى فيهما الصوت رغم شدتها وذلك بسبب انحراف الأول وهو اللام، الذي لا يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة ولانحرافه يخرج الصـــوت مـــن ناحيتي مستدق اللسان حتى ليمكنك أن تمد الصوت فيه إن شئت.

كما يجري الصوت بسبب تكرير الثاني وهو الراء فيتجافى للصوت كالحروف الرخوة وهو شديد. ثم يصف حروف اللين: الواو والياء والألف بأنها أوسع الحروف مخرجاً وأوسعها مخـــرج الألف، وهي بهذا أخفى الحروف.(2)

أما صفتي الإطباق والانفتاح فإنه يقسم الحروف بينهما قسمين: (المطبقة) وهـــي أربعـــة: الصاد والضاد والطاء والظاء حيث ينطبق اللسان عند النطق بها إلى سقف الفم فينحصر الصـــوت فيما بين اللسان والحنك الأعلى إلى مواضع هذه الحروف الأربعة.

وأما (المنفتحة) فهي كل ما سوى هذه الحروف الأربعة من حروف العربية، ذلك انـــك لا تطبـــق لسانك إلى أعلى إلا لتلك الحروف التي يميزها هذا الإطباق عن مثيلاتها يقـــول ســـيبويه: (فهـــذه الأربعة لها موضعان من اللسان، وقد بُيِّن ذلك بحصر الصوت. ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها.)(3)

هذا التفصيل الذي بسطه سيبويه في ثنايا كتابه لصفات حروف المعجم إنمـــا يؤســـس بـــه لدراسة جوانب أخرى في شؤون الكلم وهي الأحوال التي تعرض لهذه الأصوات عند إئتلافها فـــي كلمات وجمل ومن ذلك الإدغام والفك وأحكام كل ذلك من الجواز والمنع والاستحسان والاســـتثقال وهي أمور تقود إلى مراحل أكثر تطوراً في دراسة علوم العربية، يقول سيبويه: (وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلـــك ولا يجوز فيه..)(4)

---

(1) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٥.

(2) الكتاب لسبويه ٤/٤٣٥.

(3) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٦.

(4) الكتاب لسبيويه٤/٤٣٦.

لقد عالج سيبويه موضوع الإدغام كظاهرة لغوية صوتية يلجأ إليها المتكلمون طلباً لليسر وتقليلاً للجهد العضلي والتماساً لحسن البيان، فالعرب يستثقلون توالي المتحركات في كلمة واحدة ولاسيما إذا كان عدد حروفها خمسة فصاعداً فلا بد من وجود ساكن بين هذا العدد من المتحركات ويستشهد على حسن الإدغام ههنا بأنه لا يتوالى خمسة أحرف متحركة في تأليف الشعر فكلما توالت الحركات كان الإدغام أحسن.[١]

ويتطرق سيبويه إلى استحسان الإدغام إذا التقى المثلان المتحركان وقبل الأول منهما حرف مد فيكون ذلك بمثابة حرف متحرك فتتوالى بذلك المتحركات فيحسن الإدغام مثل: رادٌّ، وتُمُودَّ الثوب، وإنّ المال لّك، وهم يظلمونِّي[٢]، وتناول مختلف الأحوال التي يحسن فيها الإدغام أو يُرجّح على الفك وتلك التي يمتنع فيها الإدغام مثل (ظلموا واقداً) و(اظلمى ياسراً) حيث الواو قبلها ضمة والياء قبلها كسرة[٣] فيمتنع الإدغام.

كما تناول مثل هذا الأحوال بين الحروف المتقاربة، ثم تحدث عن حروف لا تدغم في مقاربتها وتدغم المقاربة فيها وهي: الميم، والراء، والفاء، والشين. فالميم لا تدغم في الباء مثل قولك: أكرم به، وقد علل لذلك بأنهم يقلبون النون ميماً عند الباء مثل قولهم: العنبر، ومن بذلك وكقوله تعالى: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ النمل/٨، فلما وقع مع الباء الحرف الذي يفرون إليه من النون لم يغيروه. وأما إدغام الباء في الميم فجائز مثل قولهم: اصْطَحِمَّطراً أي اصطحب مطراً. أدغمت الباء في الميم. والفاء لا تدغم في الباء فتقول: اعرفْ بَدراً. والباء قد تدغم في الفاء للتقارب مثل: اذهب فِّي ذلك.

والراء لا تدغم في اللام ولا في النون لأنها مكررة وهي تتفشى في الفم إذا كان معها غيرها فإذا أدغمت في اللام أو النون امتنع ذلك التفشي فكان إجحافاً بها. ولهذا لا تدغم فيهما فتقول: اجْبُرْ لَبَطه، واختَرْ نَفَلاً، وقد تدغم اللام والنون مع الراء فتقول في: هل رأيت ومن رأيت: هرَّأيت ومرَّأيت.

والشين لا تدغم في الجيم فتقول: افرشْ جَبَلة. وقد تدغم الشين في الجيم فتقول في: أخرج شَبَثاً: أخرِشَّبَثاً. لأن في إدغام الشين في الجيم إجحافاً بالشين، وليس الأمر كذلك عند إدغام الجيم في الشين، لأن الشين حرف استطال مخرجه لرخاوته حتى اتصل بمخرج الطاء[٤] وليس الجيم كذلك.

---

(١) الكتاب لسبيويه٤/٤٣٧.

(٢) الكتاب لسبيويه٤/٤٣٨.

(٣) الكتاب لسبيويه٤/٤٤٢.

(٤) الكتاب لسيبويه ٤/٤٤٧-٤٤٩.

وسيبويه إذ يصف هذه الظواهر اللغوية ويعلل لها فهو إنما يؤسس لهذه القواعد التي تحكم الإدغام والتي حررها النحاة والقراء وعلماء التجويد مع غيرها من الأحكام التي تبين أصول القراءات القرآنية والتي تمايز بين اختيارات القراء من مختلف أوجه النطق المتاحة في اللغة العربية بلهجاتها وأساليبها المتعددة.

هذا وقد حمل لواء هذا العلم بعد سيبويه عدد من علماء اللغة والقراءات منهم أحمد ابن فارس وأبو الفتح عثمان بن جني وغيرهما، أما أحمد بن فارس فقد تعرض للدراسة الصوتية بمناقشة بعض هذه المسائل في كتابه الصاحبي حيث قدم إشارات يسيرة تناثرت في ثنايا حديثه عن الحروف العربية مثل وصفه لحرف الباء بأنها من حروف الشفة فيقول: (الباء من حروف الشفة، ولذلك لا تألف مع الفاء والميم، أما الفاء فلا تقارنها باء متقدمة ولا متأخرة. وأما الميم فلا تتقدم على الباء ملاصقة لها بوجه ومتأخرة كذلك، إلا في قولنا: شبم وقد يدخل بينهما دخيل في مثل عبام، وهي على كل الأحوال يقل تأليفها معها.)[1] ومن ذلك أنه تعرض لما يحدث لبعض الأصوات حين تأتلف في كلام فيقول: (ومما تختص به النون من بين سائر الحروف انقلابها في اللفظ إلى غير صورتها ضرورة. وذلك إذا كانت ساكنة وجاءت بعدها باء تنقلب ميمًا نحو: عنبر وشنباء)[2]

---

(1) الصاحبي في فقه اللغة العربية لأحمد بن فارس ص١٠٧. تحقيق الدكتور عمر فاروق الطباع. نشر مكتبة المعارف ببيروت، ط/١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(2) الصاحبي لأحمد بن فارس ص١٢١ (مرجع سابق).

المبحث الثاني

تطور الدراسة الصوتية عند أبي الفتح بن جني

لقد تطور علم الأصوات على يد أبي الفتح عثمان بن جني بصورة تعد مفخرة له ولمفكري العرب في هذا الموضوع الذي توصلوا فيه إلى حقائق مدهشة بدون الاستعانة بأية أجهزة أو آلات تعينهم على البحث والدراسة كما هو حال العلماء اليوم، ولقد عقد أبو الفتح فصولاً عديدة لدراسة الأصوات في كتابه الخصائص، كما أفرد لها جانباً كبيراً من كتابه سر صناعة الإعراب الذي أنشأه كتاباً يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم مبيناً أحوال كل حرف سواء أكان مفرداً أم منتظماً في كلام العرب ثم يقول: (.. وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها، وصحيحها ومعتلها، ومطبقها ومنفتحها، وساكنها ومتحركها، ومضغوطها ومهتوتها، ومنحرفها ومشربها، ومستويها ومكررها، ومستعليها ومنخفضها، إلى غير ذلك من أحكامها وأجناسها وأذكر فرق ما بين الحرف والحركة، وأين محل الحركة من الحرف، هل هي قبله، أو معه، أو بعده؟ وأذكر أيضاً الحروف التي هي فروع مستحسنة والحروف التي هي فروع مستقبحة، والحركات التي هي فروع متولدة عن الحركات، كتفرع الحرف عن الحرف..)(1) ثم يستفيض أبو الفتح في ذكر مجالات هذه الدراسة التي استجمع لها فكره وعقله وجهده واستعان عليها بجهود السابقين فأتى من ذلك بذخيرة دفعت بهذا العلم آفاقاً واسعة من التطور كانت محل إعجاب كثير من المتأخرين وإشادتهم.

لقد وصف العلماء قبل ابن الجني الأصوات وصنفوها بحسب مخارجها عن طريق ذواق هذه الأصوات ووقعها في أذن السامع أما هو فقد عرض لجهاز النطق فشبهه بالناي وبوتر العود ليقرب عملية إنتاج الصوت إلى الأذهان، وليتوصل بموجب ذلك إلى تقسيم الأصوات إلى أصوات صامته وأخرى صائته، الأمر الذي يشير إلى تطور هذه الدراسة عند العرب لأن مثل هذه الملاحظات تعتبر خطوة متقدمة في مجال هذه الدراسة، يقول أبو الفتح: (ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها التي هي أسباب تباين أصدائها ما شبّه بعضهم الحلق والفم بالناي فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً، كما يجري الصوت في الألف غُفْلاً بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوح بين عمله اختلفت الأصوات وسُمع لكل خرق منها صوتٌ لا يشبه صاحبه فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة.

---

(1) سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني ١/٤، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، نشر دار القلم بدمشق ط/١،١٤٠٥هـ- ١٩٨٥.

ونظير ذلك أيضاً وتر العود، فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتاً، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتاً آخر، فإن أدناها قليلاً سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة، إلا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غُفَلاً غير محصور تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور أملس مهتَزاً، ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته، وضعفه ورخاوته، فالوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق وجريان الصوت فيه غُفلاً غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا..)(١)

هذا الوصف الذي قدمه أبو الفتح من خلال هذا النص يدل على دقة الملاحظة وتمام الإحاطة بدقائق هذا العمل الذي تتبين معه كيفية إنتاج الصوت لدى الإنسان وتصنيف هذه الأصوات حسب المخارج ثم تصنيفها إلى صوامت وصوائت وهي النتيجة التي توصل إليها المحدثون بعد تحليل الأصوات اللغوية التي قسموها إلى هذين القسمين، فقد عّرفوا الأصوات الصامتة بأنها تلك الأصوات المجهورة أو المهموسة التي يحدث عند النطق بها أن يُعترض مجرى الهواء اعتراضاً كاملاً كما في حالة الباء أو اعتراضاً جزئياً يمر معه الهواء محدثاً احتكاكاً كما في حالة الثاء والفاء مثلاً.

وأما الأصوات الصائتة فإنها تلك الأصوات المجهورة التي تتكون بأن يندفع الهواء في مجرى مستمر عبر الحلق والفم ومعهما الأنف أحياناً بدون أن يكون ثمة عائق يعترض مجرى الهواء.(٢)

وقد سبق أبو الفتح في تفسير هذه الظواهر بقوله: (وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكناً لا متحركاً لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره وتجتذبه إلى جهة الحرف التي هي بعضه ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله لأن الساكن لا يمكن الابتداء به فتقول: اِكْ، اِقْ، اِجْ، وكذلك سائر الحروف إلا أن بعض الحروف أشد حصراً للصوت من بعضها ألا تراك تقول في الدال والطاء واللام: اِدْ. اِطْ. اِلْ فلا تجد للصوت منفذاً هناك، ثم تقول: اِسْ، اِصْ. اِزْ.اِثْ. اِفْ، فتجد الصوت يتبع الحرف..فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته، استمر الصوت ممتداً حتى ينفد فيفضى حسيراً إلى مخرج الهمزة فينقطع بالضرورة عندها إذ لم يجد منقطعاً فيما فوقها. والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف، ثم الياء، ثم الواو، وأوسعها وألينها الألف)(٣).

---

(١) سر صناعة الإعراب لابن جني ١/٨-٩ (مرجع سابق).

(٢) علم اللغة للدكتور محمود السعران صـ١٤٨ نشر دار الفكر العربي بمصر بدون تاريخ. والأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس صـ ٢٦-٢٧.

(٣) سر صناعة الإعراب لابن جني ٤/٦-٨.

وبعد أن ميز أبو الفتح بين الصوامت والصوائت في هذا النص نجده قد عرَّف الصوائت بأنها حركات وهو ذات الاسم الذي اصطلح عليه المحدثون لهذه الحروف، وقد ميز ابن جني بين الحركات حيث جعل منها حركات قصيرة وأخرى طويلة فقد عقد لذلك باباً في الخصائص أسماه: (باب في مضارعة الحروف للحركات، والحركات للحروف)(١) أشار فيه إلى أن الحركة حرف صغير ويدل على ذلك أنك متى أشبعت الحركة نشأ عنها حرف من جنسها ولذلك قد يلجأ الشاعر إلى إشباع الحركة لإقامة الوزن كما في قول الفرزدق(٢):

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة ** نفي الدراهيم تنقاد الصياريف

فالفرزدق احتاج لإقامة الوزن فأشبع كسرة الهاء في الدراهِم فقال: (الدراهيم) كما أشبع كسرة الراء في الصيارف فقال: (الصاريف) يقول البغدادي في خزانة الأدب: (..ولم ينكر أن يكون الجمع على غير بناء الواحد، فلذلك زاد الياء في دراهم. وقال لي علي بن سليمان: واحد الصيارف صيرف وكان يجب أن يقول صيارف.)(٣)

فالحركة إذن عند إشباعها تنشئ حرفاً من جنسها بل وقد تكون الحركة أطول في حروف المد كما أشار إلى ذلك ابن جني في كتابه سر الصناعة حيث يقول: (اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ واللّين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو. وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة. وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة، ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توامّ كوامل، قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتمَّ منهنّ في بعض، وذلك قولك: يخاف وينام، ويسير ويطير، ويقوم ويسوم، فتجد فيهنّ امتداداً واستطالة ما، فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولاً وامتداداً وذلك نحو: يشآء ويدآء، ويهوء، ويَجيء ويُضيئ، وتقول مع الإدغام: شآبّة، ودآبّة.)(٤)

وهكذا يغني أبو الفتح الدراسة الصوتية في هذا الجانب الذي عرض فيه للأصوات الصائتة وصلة ذلك بالحركات وأن هذه الحروف هي ذات الحركات المعروفة في لغة العرب لا اختلاف

---

(١) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ٣١٥/٢ تحقيق محمد علي النجار نشر دار الهدى للطباعة والنشر ببيروت ط/٢ بدون تاريخ

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ٣٩١/٤. تحقيق الدكتور محمد نبيل طريفي. نشر دار الكتب العلمية ببيروت ط/١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي(٣٩١/٤) تحقيق الدكتور محمد نبيل طريفي. نشر دار الكتب العلمية ببيروت لبنان ط/١ ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

(٤) سر صناعة الإعراب لابن جني ١٧/٤-١٨.

بينها إلا في كمية الصوت التي تزيد في حروف اللين وتقلُّ عنها في الحركات، ثم يتطرق إلى زيادة هذه الكمية أكثر في حروف المد، عندما تعرض لها ظروف المد المعروفة التي هي الهمز والسكون فحرف المد عندما يعرض له الهمز يزداد طولاً وامتداداً في نحو سمآء ويسوء ويجئ، كما يـزداد أيضا عندما يعرض له السكون كما في دآبّة، وقد كان ذلك مفتاحاً لدراسات علـم التجويـد التـي استفاضت في أنواع المدود وأحكامها ومقاديرها.

وفي ذات السياق تطرق أبو الفتح إلى مسألة عدد الحركات في العربية وهي مسألة في غاية الأهمية للدرس الصوتي، فقد نفى أن يكون عددها ثلاثاً كما هو شائع بين الناس أن الحركات ثلاث هي الضمة والكسرة والفتحة، ولكنها في الواقع أكثر من ذلك يقول أبو الفتح: (بـاب فـي كمِّيَّـة الحركات . أمّا ما في أيدي الناس في ظاهر الأمر فـثلاث. وهـي الضـمة والكسـرة والفتحـة. ومحصولها على الحقيقة ست. وذلك أن بين كل حركتين حركة. فالتي بين الفتحة والكسـرة هـي الفتحة قبل الألف الممالة، كما أن الألف التي بعدها بين الألف والياء، والتي بين الفتحة والضمة هي التي قبل ألف التفخيم، نحو فتحة لام الصلاة والزكاة والحياة. وكذلك ألف قام وعاد. والتـي بـين الكسرة والضمة، ككسرة قاف قيل وسِيء وسِيرَ، فهذه الكسرة المشمَّة ضَمّاً. ومثلها الضمة المشمَّة كسراً كضمة قاف المُنْقُرِ وضمة عين مذعور وباء ابن بور، فهذه ضمة أشربت كسراً، كما أنها في قِيل وسِير كسرة أشربت ضماً. فهما لذلك كالصوت الواحد، لكن ليس في كلامهم ضـمة مشـربة فتحة، ولا كسرة مشربة فتحة..)[1]

هذه الملاحظات التي أثبتها أبو الفتح تعالج واقعاً معتبراً في سياق الكلام العربي وهو هـذه الأصوات البينية التي تنشأ عن الإمالة، أو الفتحة التي تسبق ألف التفخيم، والتي عبر عنها الرسـم العثماني بقلب ألف الصلاة والزكاة والحياة واواً، وهي سمات لغوية يستعملها كثير من العـرب ولا تزال تستعمل إلى يومنا هذا، وإن لم تنل ما تستحقه من الدراسة والوصف والتحليل، ولعل السـبب في ذلك يرجع إلى عدم تأثيرها على الوظيفة النحوية للكلمة أو الجملة، ولكنها على كل حال سـمة من سمات اللغة جديرة بالدرس والتحميص، ولعلها تكون ذات فائدة عظيمة على الدرس اللغوي إذا ما اتخذت وسيلة لتعقُّب تاريخ الجماعات اللغوية أو محاولة لرد اللهجات العربية السائدة اليوم إلـى بيئاتها الأصلية التي نشأت فيها قبل أن تنقلها هجرة الناطقين بها إلى أماكنها الحالية.

إن الأصوات اللغوية وقد اجتهد هؤلاء العلماء في استكناه أحوال تكونهـا وميـزوا بـين خصائصها وصفاتها، لا تكون على ذات الصفات والخصائص في كل الأحوال، بل تكتسب صفات جديدة وخصائص أخرى عندما تنتظم في سياق الكلام. هذا الأثر المتبادل بين مختلف هذه الأصوات في درج الكلام قد حمل ابن جني على التأمل فيما يحدث للحروف من تغير أو تأثر أو خفاء ومـا

(1) الخصائص لابن جني ٣/١٢٠-١٢١.

ينشأ عن ذلك من ظواهر لغوية أخرى كالإدغام أو مفهوم العائلة الصوتية الذي اصطلح عليه المحدثون (بالفونيم) حيث يكون للنون مثلاً درجات مختلفة من حيث الوضوح بحسب سياقها الصوتي، فالنون في (نَهَار) من الناحية الصوتية الخالصة ليست كالنون في (إن شاء) فالأولى مُظهرة في أول الكلمة والثانية حكمها الإخفاء وهما صوتان مختلفان لذات النون في وضعين مختلفين. وبهذه الكيفية تتعدد درجات النون مكونة (عائلة صوتية) سببها مجاورة النون لأصوات أخرى في درج الكلام.

هذه الأحوال التي تتعاور الحرف في أوضاعه المختلفة في الكلام حيث لا تكون حاله أولاً كحاله حشواً أو طرفاً ولا حاله متحركاً كحاله ساكناً كل ذلك عالجه أبو الفتح علاجاً فتح له آفاقاً أخرى في سياق هذه الدراسة فيقول: (..وذلك أن العين إذا كانت ساكنة فليس سكونها كسكون اللام. وسأوضح لك حقيقة ذلك، لتعجب من لطف غموضه. وذلك أن الحرف الساكن ليست حاله إذا أدرجته إلى ما بعده كحاله لو وقفت عليه. وذلك لأن من الحروف حروفاً إذا وقفت عليها لحقها صويت ما من بعدها فإذا أدرجتها إلى ما بعدها ضعف ذلك الصويت وتضاءل للحس، نحو قولك: اِح، اِص، اِث، اِف، اِخ،اِك. فإذا قلت يَجْرِد، ويصبر ويسلَم ويثرِد ويفتح ويخرج. خفى ذلك الصويت وقل وخفّ ما كان له من الجرس عند الوقوف عليه.. وسبب ذلك عندي أنك إذا وقفت عليه ولم تتطاول إلى النطق بحرف آخر من بعده تلبثت عليه، ولم تسرع الانتقال عنه، فقدرت بتلك اللُّبثة، على إتباع ذلك الصوت إياه. فأما إذا تأهبت للنطق بما بعده، وتهيأت له ونشَّمت فيه، فقد حال ذلك بينك وبين الوقفة التي يتمكن فيها من إشباع ذلك الصويت، فيستهلك إدراجك إياه طرفا من الصوت الذي كان الوقف يقرّه عليه ويسوغك إمدادك إياه به..فإذا ثبت بذلك أن الحرف الساكن حاله في إدراجه، مخالفة لحاله في الوقوف عليه، ضارع ذلك الساكن المحشو به المتحرك، لما ذكرناه من إدراجه، لأن أصل الإدراج للمتحرك إذ كانت الحركة سبباً له، وعوناً عليه، ألا ترى أن حركته تنقصه ما يتبعه من ذلك الصويت، نحو قولك صبَر، وسَلِم، فحركة الحرف تسلبه الصوت الذي يسعفه الوقف به، كما أن تأهبك للنطق بما بعده يستهلك بعضه. فأقوى أحوال ذلك الصويت عندك أن تقف عليه، فتقول: اِصْ. فإن أنت أدرجته انتقصته بعضه فقلت: اِصْبر، فإن أنت حركته اخترمت الصوت البتة، والوقوف عليه يمكنه فيه، وإدراج الساكن يُبقي عليه بعضه. فعلمت بذلك مفارقة حال الساكن المحشو به، لحال أول الحرف وآخره فصار الساكن المتوسط لما ذكرنا كأنه لا ساكن ولا متحرك، وتلك حال تخالف حالَيْ ما قبله وما بعده..)(١)

هذه الأحوال التي أشار إليها ابن جني في هذا النص قد أدته إلى الاستفاضة في بيان وجوه التأثير التي تحدث للحروف في درج الكلام وهي كثيرة أكتفى هنا بيان وجهين منها يقومان دليلاً على مدى التطور الذي ارتقت إليه هذه الدراسة على يد أبي الفتح فمن ذلك ما بسطه في الخصائص

---

(١) الخصائص لابن الجني ١/٥٧-٥٨.

في باب أطلق عليه: (باب في هجوم الحركات على الحركات)حيث يقول: (وذلك على ضربين: أحدهما كثير مقيس، والآخر قليل غير مقيس. الأول منهما، وهو قسمان: أحدهما أن تتفق فيه الحركتان. والآخر أن تختلفا فيه، فيكون الحكم للطارئ منها على ما مضى. فالمتفقتان نحو قولك: هم يغزون ويدعون. وأصله يغزوُوْن فأسكنت الواو الأولى التي هي اللام، وحذفت لسكونها وسكون واو الضمير والجمع بعدها ونقلت تلك الضمة المحذوفة عن اللام إلى الزاي التي هي العين، فحذفت لها الضمة الأصلية في الزاي، لطروء الثانية المنقولة من اللام إليها عليها. ولابد من هذا التقدير في هجوم الثانية الحادثة على الأولى الراتبة..)(١) ويقيم لك الحجة على صحة ما ذهب إليه ههنا من هجوم الثانية الحادثة على الأولى التي كانت أصلاً في الكلمة بقوله: (..ألا تراك تقول في العين المكسورة بنقل الضمة إليها مكان كسرتها، وذلك نحو يرمون ويقضون، ألا تراك نقلت ضمة ياء يَرْمِيُون إلى ميمها فابتزت الضمة الميم كسرتها وحلت محلها فصار: يرمُون. فكما لا يُشك في أن ضمة ميم يرمُون غير كسرتها في يرمِيون لفظاً فكذلك فلنحكم على أن ضمة زاي يغزون غير ضمتها في يغزون تقديراً وحكماً.)(٢)فهذا باب واسع من وجوه التأثير هيأت إلى الانتقال بالدراسة الصوتية إلى المستوى الصرفي في دراسة اللغة.

ومن وجوه التأثير التي تعتري الصوت في اتصال الكلام ما تناوله أبو الفتح من ظاهرة تقريب الصوت من الصوت وذلك في معرض حديثة عن الإدغام الأصغر الذي يعتبره ضرباً من هذا التقريب الذي تتعدد نتائجه فيقول: (قد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت. وهو في الكلام على ضربين: أحدهما أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام، فيدّغم الأول في الآخر والأول من الحرفين في ذلك على ضربين: ساكن ومتحرك، فالمدغم الساكن الأصل كطاء قطّع وكاف سكر الأوليين والمتحرك نحو دال شدَّ ولا معتلّ.والآخر أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام فتقلب أحدهما إلى صاحبه فتدغمه فيه. وذلك مثل (ود)(٣) التميمية، وامّحَى، وامّاز، واصّبر، واثّاقل عنه. والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت.. فهذا حديث الإدغام الأكبر، وأما الإدغام الأصغر، فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير ادّغام يكون هناك. وهو ضروب فمن ذلك الإمالة، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت وذلك نحو عالم.. ألا تراك قربت فتحة العين من عالم إلى كسرة اللام منه بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء.. ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صاداً أو ضاداً أو طاءً أو ظاءً فتقلب لها تاؤه طاءً. وذلك نحو اصطبر واضطرب، واطّرد، واظطلم. فهذا تقريب من غير إدغام.. ومن ذلك أن تقع السين قبل الحرف المستعلي فتقرّب منه

---

(١) الخصائص لابن جني ١٣٦/٣.

(٢) المصدر السابق ١٣٦/٣-١٣٧.

(٣) أصلها وتد

بقلبها صاداً.. وذلك كقولهم في سقت: صقت، وفي السوق: الصوق،.. ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو شِعِير، وبِعِير، ورِغيف.. ومن التقريب قولهم: الحمدُ لُلَّه، والحمدِ لِله.. وجميع ما هذه حاله مما قرب فيه الصوت من الصوت جارٍ مجرى الإدغام بما ذكرناه من التقريب.)[1]

هذه النقلة الكبيرة التي أضفاها أبو الفتح على الدراسة الصوتية بتحليل الصوت حسب مواقعه المختلفة واستنباط مختلف المفاهيم والأحكام الناشئة عن هذا التحليل العميق قد دفعت بالدرس الصوتي إلى آفاق أخرى في خدمة النص القرآني حيث تطورت هذه الدراسة عند علماء التجويد والقراءات مفضية إلى بسط القول في أصول القراءات وما تميزت به كل قراءة من الناحية الصوتية وعلاقة ذلك بمستويات الدراسة اللغوية الأخرى.

---

(1) الخصائص لابن جني ٢/١٣٩-١٤٥.

المبحث الثالث

تطور الدراسة الصوتية وعلم التجويد

إذا كان علماء العربية الأوائل قد تناولوا دراسة الأصوات من الناحية النظرية، فإن هذه الدراسة قد تطورت لدى علماء القراءات في عصور لاحقة لتتناول مباحث علم التجويد الذي يعتبر البُعد التطبيقي لهذه الدراسة.

لقد نشأ علم التجويد على هيئة قواعد تحكم أداء قراءة القرآن الكريم حتى تستقيم حروف الذكر الحكيم ويأخذ كل حرف منها حقه فلا يتعرض لأي أثر يبعد به عن مخرجه، أو يغير شيئاً من صفاته، مما يؤدي إلى طمس معالم الكلمة مع توالى التغيير كلما ابتعدت عن أصلها السليم، أو يجر على الكلمة أثراً يعود على دلالتها المركزية أو الهامشية التي قد يكون لها صدىً في أداء المعنى المقصود.

والتجويد لغةً هو التحسين. واصطلاحاً هو إخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه ومستحقه. وحق الحرف، صفاته الذاتية اللازمة التي لا تنفك عنه ولا تقوم ذاته إلا بها فإن انفكت عنه ولو بعضها كان لحناً، كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والاستعلاء والاستفال. ومستحقه، صفاته العرضية الناشئة عن الصفات الذاتية كالتفخيم الناشئ عن الاستعلاء، والترقيق الناشئ عن الاستفال.(١)

وقد ذكر صاحب كشف الظنون أن أول من صنف في التجويد كتاباً مستقلاً، موسى بن عبدالله بن يحيى بن خاقان الخاقاني البغدادي المقرئ المتوفى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، فقد صنف في ذلك قصيدته المشهورة بالقصيدة الخاقانية التي شرحها الإمام أبو عمرو الداني في كتابه التيسير.

ثم ذكر من المؤلفات الأخرى في هذا العلم كتاب الدر اليتيم وشرحه والرعاية وغاية المراد والمقدمة الجزرية وشرحها والواضحة.(٢)

أما الدر اليتيم فقد صنفه مولانا محمد بن بير المعروف ببركلي المتوفى سنة إحدى وثمانين وتسعمائة. كتبه في أوائل جمادى الأولى سنة أربع وسبعين وتسعمائة للهجرة، وقد شرحه الشيخ احمد فائز الرومي.(٣)

---

(١) البرهان في تجويد القرآن لمحمد الصادق قمحاوي ص٧، نشر دار ابن زيدون ط/١. بيروت، لبنان، بدون تاريخ، وانظر النشر لابن الجزري١/٢١٢.

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة١/٣٥٤ نشر دار الفكر للطباعة والنشر. بدون تاريخ.

(٣) المرجع السابق ١/٧٣٧.

وأما غاية المراد في إخراج الضاد فقد صنفه الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد.[1]

وأما المقدمة الجزرية فهي منظومة للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة للهجرة[2]. ولم يذكر صاحب الكشف شيئًا عن الواضحة.

وأما كتاب (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة) فقد صنفه الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، المتوفى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة للهجرة.

والذي يبدو للباحث أن كتاب الرعاية يعتبر من أقدم الكتب التي وصلت إلينا في هذا الفن إن لم يكن أقدمها على الإطلاق، ذلك أن مؤلفه قد أشار إلى هذا الزعم بقوله: (..وإني لما رأيت هذه الحكمة البديعة والقدرة العظيمة في هذه الحروف التي نظمت ألفاظ كتاب الله –جلّ ذكره– . ووقفت على تصرفها في مخارجها وترتيبها عند خروج الصوت بها، واختلاف صفاتها وكثرة ألقابها ورأيت شرح هذا وبيانه متفرقاً في كتب المتقدمين والمتأخرين، غير مشروح للطالبين قويت نيتي في تأليف هذا الكتاب وجمعه في تفسير الحروف ومخارجها، وصفاتها وألقابها.. واتصال بعضها ببعض، ومناسبة بعضها لبعض ومباينة بعضها لبعض، ليكون الوقوف على معرفة ذلك عبرة في لطف قدرة الله الكريم، وعوناً لأهل تلاوة القرآن على تجويد ألفاظه وإحكام النطق به، وإعطاء كل حرف حقه من صفته وإخراجه من مخرجه.. وما علمت أن أحداً من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب، ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ومعانيها، ولا إلى ما اتْبَعتُ فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله تعالى والتنبيه على تجويد لفظه، والتحفظ به عند تلاوته.)[3]

فهو في هذا يبين منهجه الذي سار عليه في معالجة أمر التجويد وما ينبغي على كل من يريد أن يتلو كتاب الله تعالى من أن يأخذ نفسه به من تحقيق اللّفظ وتجويده وإعطائه حقه على ما بينه في فصول هذا المصنف الذي جاء واعباً في بابه محيطاً بكل جوانب هذا الفن، كما أنه بيّن سبْقه في هذا المجال وأن كل ما كان قبله لم يكن سوى شذرات متفرقة وجهود مشتتة لم يلتئم شملها في سفر جامع قبل كتابه هذا.

وللإمام مكي بن أبي طالب القيسي فهم عميق لطبيعة حروف العربية التي وسعت كتاب الله تبارك وتعالى، فهو يشبهها بالمخلوقات الأخرى في كثير من صفاتها موضحاً أن الله تعالى قد جعل لكل حرف منها مخرجاً لا يتعداه، ولا يخرج حرف من غير مخرجه إلا بتغير لفظه، ثم يوضح ذلك

---

(1) كشف الظنون لحاجي خليفة ١١٩٣/٢.

(2) المرجع السابق ١٧٩٩/٢-١٨٠٠.

(3) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي بن أبي طالب القيسي. ص٥٠-٥٢، تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات ط٤ نشر دار عمار- عمان- الأردن ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

بقوله: (وجعل –جلّ ذكره– منها القوى في مخرجه والضعيف كما جعل في مخلوقاته، وجعل منها المشبه لغيره من الحروف والبعيد الشبه من غيره كما فعل في مخلوقاته، فهي وما يعرض فيها من الحركات السكون كالأجسام وما يعرض فيها من الأعراض، لا تنفرد الحركة بنفسها كما لا ينفرد العَرَض بنفسه، فهذا تمثيل لها.)(١)

فهو في هذا الفهم متأثر بمن سبقه من العلماء الذين تناولوا هذا الدرس وتركوا ذخيرة كانت زاداً لمن جاء بعدهم وحافزاً للكثير منهم إلى ما يسعون إليه من غايات أجملها صاحب الرعاية بقوله: (..وإعطاء كل حرف حقه من صفته وإخراجه من مخرجه، باقياً ذلك على مرور الأزمان وتعاقب الأعصار، ينفع به المقرئ والقارئ والمبتدئ والمنتهى، ويتذكر به أهل الفهم والدراية ويتنبه به أهل الغفلة والجهالة.)(٢)

فكأنه في هذا النص يستشعر ما قد يحدث لحروف العربية من تغير على مرّ الأزمان، وما قد يعتريها من آفات قد تنحرف بها عن مخارجها وتبعدها عن صفاتها فتختل مقوماتها مما يؤثر على سلامة اللفظ بها، وذلك يؤكد أن علماء التجويد قد عولوا على دراسات علماء اللغة من أمثال الخليل وسيبويه وابن جني.

ولهذا رأى العلماء أن السبيل إلى المحافظة على سلامة النطق بالحرف هو الاجتهاد في إخراجه من مخرجه الصحيح والتحفُّظ ببيانه واستكمال صفاته لئلا تؤثر فيه العلل التي تنشأ عن مجاورة الحروف الأخرى، أو ضعف الصفات التي ينبغي أن يتصف بها.

ولعل من أبرز المهام اللازمة لتحقيق هذا الغرض أن يتم تحديد هذه الآثار التي قد تحدث للحرف بسبب المجاورة، والتنبيه إلى كيفية تجنب هذه الآثار حتى يخرج الحرف سليماً معافىً، ولا يتأتي ذلك إلا بعد إدراك هذه الصفات وإلحاق كل صفة بالحروف التي تتصف بها، وربما اجتمع للحرف صفتان وثلاث وأكثر، لأن الحروف تشترك في بعض الصفات وتفترق في بعض، والمخرج واحد، وقد تتفق في الصفات والمخرج مختلف.

صفات الحروف عند علماء التجويد:

اختلف علماء التجويد في تحديد عدد صفات الحروف على عدة مذاهب يمكن إرجاعها إلى مذهبين: **الأول:** مذهب مكي بن أبي طالب القيسي الذي وصل بصفات الحروف وألقابها إلى أربعة وأربعين لقباً حيث قال: (لم أزل أتتبع ألقاب الحروف التسعة والعشرين وصفاتها وعللها حتى وجدت من ذلك أربعة وأربعين لقباً، صفات لها وصفت بذلك على معان ولعللٍ ظاهرة فيها.)(٣)

(١) الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي صـ٥٠.

(٢) الرعاية لمكي أبي طالب صـ٥١.

(٣) الرعاية لمكي بن أبي طالب صـ١١٥.

إلا أن الصفات والألقاب التي ذكرها مكي لا يمثل أكثرها كيفيات صوتية بل يرجع بعضها إلى مخارج الحروف مثل: الحلقية واللهوية والشجرية والأسلية والنطعية واللثوية والذلقية والشفوية والجوفية والهوائية وهي ألقاب أطلقها الخليل على الحروف مردها إلى المخارج.(١)

ومن هذه الألقاب التي أطلقها مكي ما يعبر عن معنى صرفي مثل قوله: (الحروف الزوائد وهي عشرة أحرف يجمعها هجاء قولك: "سألتمونيها" أو هجاء قولك "اليوم ننساه" ومعنى تسميتهم لها بالزوائد: أنه لا يقع في كلام العرب حرف زائد في اسم ولا فعل إلا من هذه العشرة أحرف المذكورة)(٢)

وكذلك الحروف الأصلية وحروف الإبدال وحروف العلة. فهذه الألقاب التي ذكرها تعبر كلها عن خواص صرفية لهذه الحروف.

هذا وقد انتقد مكياً في مذهبه هذا كثير من علماء التجويد(٣) ولم يتابعوه في أكثر هذه الصفات بل اكتفوا بالصفات التي تعبر عن الجوانب الصوتية وهي لا تزيد عن ست عشرة صفة أو ثماني عشرة صفة على خلاف بينهم.

الثاني: مذهب أبي عمرو الداني الذي اقتصر على ست عشرة صفة فقال: (اعلموا أن أصناف هذه الحروف التي تتميز بها بعد خروجها من مواضعها التي بيناها ستة عشر صنفاً: المهموسة، والمجهورة، والشديدة، والرخوة، والمطبقة، والمنفتحة، والمستعلية،والمستفلة، وحروف المد واللين، وحروف الصفير، والمتفشي والمستطيل، والمتكرر، والمنحرف، والهاوي، وحرفا الغنة."(٤)

وقد تابع معظم علماء التجويد ما ذهب إليه الإمام الداني في عدد صفات الحروف، فمن هؤلاء أبو العلاء الهمداني العطار المتوفي سنة (٥٦٩هـ)الذي أضاف صفة التوسط ما بين الشديد والرخو وأضاف القلقلة وحذف: المنفتحة والمستفلة، كما ذهب أحمد بن أبي عمر إلى جعلها ثماني عشرة صفة كذلك، وتابع ابن الطحان المتوفى (٥٦٠هـ) الداني كذلك إلا أنه حذف الهاوي وأضاف: النفخ والقلقة، وذهب ابن الجزري إلى أن عدد صفات الحروف سبع عشرة صفة بإسقاط المتوسطة.(٥)

---

(١) انظر ص(٢٥) من هذا البحث.

(٢) الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي صـ ١٢٠-١٢١.

(٣) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد للدكتور غانم قدورى الحَمَد صـ١٩٦ نشر دار عمار بالاردن ط/١،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٤) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد للدكتور غانم قدورى الحَمَد ص١٩٧، نقلاً عن التحديد في الإتقان والتجويد للداني.

(٥) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد د.غانم قدورى الحَمَد صـ١٩٧.

والملاحظ أن ما ذهب إليه الداني وتابعه فيه جُل علماء التجويد يعبر عن الجوانب الصوتية الصرفة للحروف العربية وهو ما ينبغي أن يُعَوَّلَ عليه في هذا المستوى من الدراسة الصوتية، لاسيما وأن العلماء هدفوا من وراء ذلك إلى معالجة الخلل اللفظي من خلال الكشف عن العلل التي تصيب هذه الصفات الصوتية بسبب التأثر الناشئ بسبب المجاورة أو أية عيوب لفظية أخرى تؤثر على النطق بالحرف.

ولعل أهم ما يؤيد هذه النظرة ما ذهب إليه الحسن بن قاسم المرادي المتوفى (٧٤٩هـ) من أن صفات الحروف تنقسم إلى نوعين: مميِّزة ومحسِّنة وذلك بقوله: (اعلم وفقك الله أن هذه الصفات المذكورة لها فائدتان الأولى: تمييز الحروف المتشاركة، ولولاها لا تحدث أصواتها ولم تتميز ذواتها. قال المازني: الذي فصل بين الحروف التي ائتلف منها الكلام سبعة أشياء: الجهر والهمس، والشدة والإرخاء، والإطباق، والمد واللين، قال: فإذا همست أو جهرت، أو أطبقت أو شددت، أو مددت أو لينت اختلفت أصوات الحروف التي من مخرج واحد، ولذلك قال الرماني وغيره: لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، لأنه ليس بينهما فرق إلا الإطباق. ولصارت الظاء ذالاً ولصارت الصاد سيناً، ولخرجت الضاد من كلام العرب لأنه ليس من موضعها شيء غيرها.

فهذه إحدى فائدتي الصفات، وهي تمييز الحروف المشتركة في المخرج والفرق بين ذواتها.

ولها فائدة أخرى وهي تحسين لفظ الحروف المختلفة المخارج، فقد اتضح بهذا أن صفات الحروف قسمان: مُمَيِّزٌ ومُحَسِّنٌ)[1]

وبهذا تتضح أهمية معرفة صفات الحروف والحرص على تعلمها وتطبيقها حتى يتأتي النطق بكلمات اللغة سليمة معافاة من كل عيب ونقص.

هذا وقد اعتنى علماء التجويد عناية فائقة بظاهرة التمييز بين الأصوات عن طريق الصفات المتقابلة في مجال الأبنية وقد نصوا كثيراً على أن معنى الكلمة سيتغير إذا أزيلت صفة صوتية عن أحد الحروف ولاسيما إذا كانت من الصفات المتقابلة التي نبه العلماء الأولون إلى أنها كثيراً ما تفرق بين الحروف فقد نصوا على أنه لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً ولصارت الظاء ذالاً كما هو مذكور في النص السابق، والتفريط في مثل هذه الصفات سيؤدي حتما إلى تغير المعنى باستخدام الحرف المقابل للحرف الذي أزيلت صفته اللازمة له وفي هذا المعنى يقول مكي: (وإذا وقعت الظاء في كلمة تشبه كلمة أخرى بالذال بمعنى آخر وجب البيان للظاء لئلا ينتقل إلى معنى آخر وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَمَاكَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ الإسراء/٢٠، أي ممنوعا، فهو بالطاء، فبيّنه لئلا يشتبه في اللفظ بقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾، فهذا بالذال من الحذر)[2]

([1]) المفيد في شرح عمدة المجيد في علم التجويد للمرادي (مخطوط) نقله د. غانم قدورى الحَمَد في كتاب الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (مرجع سابق) صـ(١٩٨-١٩٩).

([2]) الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي. ص٢٢١-٢٢٢.

المبحث الرابع

دواعي التحفُّظ في اللفظ بالحروف

وحتى يتحقق التمييز بين الحروف المتشاركة، ومن ثم التحسين فقد نحا علمــاء التجويــد بالدراسة الصوتية منحىً تطبيقاً يقوم على تحديد مواطن الخلل في اللفظ، والتنبيه إلى مــا ينبغــي الأخذ به في كل حالة حتى يسلم اللفظ من العيوب التي قد تخرجه عن معناه فتضيع الفائدة أو تلبسه بغيره فيؤثر ذلك أيضاً على المعنى أو السياق وقد بينوا ذلك في كل حروف العربية.

أما الهمزة فقد ذكروا استثقال العرب لها وكثرة تغييرهم لها حتى أنه لم يؤثر عنهم استعمال همزتين محققتين من أصل كلمة ولا توجد همزة مدغمة في همزة إلا في قليل الكلام. ولهذا يجــب على القارئ ألا يتعسف في شدة إخراجها بل ينبغي أن يلفظ بها مع النفس لفظاً سهلاً لا تكلف فيه، وقد استنكر أبو بكر شعبة بن عياش أحد راويي عاصم بن أبي النجود الكوفي على شيخه شدة النبر بالهمز فقال: (كان إمامُنا يهمز (مؤصدة) فأشتهي أن أسدّ أذني إذا سمعته يهمزها)[1]

يريد أنه كان يتعسف في اللفظ بالهمز ويتكلف شدة النبر فيقبح لفظه بها. هذا، ويجب على القارئ التحفُّظ في إخراج الهمزة إذا لينت (بين بين) فيخرجها بين الهمزة المحققة والحرف الــذي يجئ بها إليه نحو الهمزة الثانية في قوله تعالى: (قــل أؤنبــئكم)[2] و(أؤلقــي) و(أئِــذا) و(أإفكــاً) و(أأنذرتهم) و(جاءَ أحدهم).

وإذا انضمت الهمزة مفردة أو انكسرت وجب على القارئ أن يتحفَّظ بإظهارها نحو قولــه تعــالى: (والأرضُ أُعدت) و(إلى بارِئكم).

وإذا تطرفت الهمزة وكانت ساكنة بالوقوف مثلاً وجب التكلف بإظهارهــا نحــو (أســوأ) و(يستهزئ) وذلك خوفا عليها من النقص لبُعد مخرجها وتطرفها وذهاب حركتها فكل ذلــك ممــا يضعفها ويعرضها للنقص.

فإذا كان ما قبلها ساكناً كان طلب الهمزة أصعب في الوقوف ولهــذا يجــب الــتحفظ فــي إظهارها نحو ﴿مِّلْءُ﴾ آل عمران/٩١، و﴿دِفْءٌ﴾ النحل/٥، و﴿شَيْءٍ﴾ البقرة/٢٠، و﴿سُوٓءَ﴾ البقرة/٤٩.

وكذلك إذا كانت الهمزة مكسورة وقبلها حرفان مشددان، فيجب التحفظ ببيانها لأن المشــدد ثقيل وتكراره ثقيل والهمزة ثقيلة والكسرة ثقيلة لاسيما إذا كان المشدد حرف علة مثل قوله تعــالى: ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّيِ﴾ فاطر/٤٣.

([1]) الرعاية لمكي لبن طالب القيس صـــ٢٢٢،٢٢١.

([2]) السابق ص.

فإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها حرف لين مشدد وقبله حرف آخر مشدد وبعد الهمزة همزة أخرى كان ذلك أثقل، فتشتد الحاجة إلى بيان الهمزة الأولى وتخفيف الثانية نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ فاطر/٤٣، يجب حينئذ الإتيان بالمشددين قبل الهمزة متمكنين ظاهرين، ثم يأتي بالهمزة المضمومة محققة، ثم يأتي بعد ذلك بهمزة ملينة بين الهمزة المكسورة والياء الساكنة أو بين الهمزة المكسورة والواو الساكنة.(١)

وأما الهاء فهي حرف خفي ضعيف وذلك بسبب صفات الهمس والرخاوة فيه، ولذلك وجب التحفُّظ بلفظها مرققة ولاسيما إذا تكررت في كلمتين مثل (فيه هدى) البقرة/٢، و(الله هو السميع العليم) المائدة/٧٦.

فإذا اجتمعت هاءان في كلمة وسكنت الأولى وجب إظهار الإدغام والتشديد وبيان الهاء المشددة ولاسيما إذا سبقها حرف مشدد مجهور مثل قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ﴾ النحل/٧٦.

فإذا كانت الساكنة من كلمة أخرى وذلك في موضع واحد في القرآن الكريم فإنهم اختاروا السكتُ على الهاء الأولى بنية الوقف عليها وعدم إدغامها في الهاء الثانية حتى تظهر وذلك في قوله تعالى: ﴿مَالِيَهْ ۜ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ﴾ الحاقة/٢٨-٢٩، وإذا وقعت الهاء قبل الحاء أو بعدها وجب إظهار الهاء لئلا تصير حاءً وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ الإنسان/٢٦، وقوله: ﴿فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ﴾ الطور/٤٩، وكذلك إذا وقعت بين ألفين مثل: ﴿بَنَىٰهَا﴾ الشمس/٥، أو لاصقها عين مثل: ﴿كَٱلْعِهْنِ﴾القارعة/٥، و﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ الممتحنة/١٢، ففي كل هذه الأحوال ربما تخفى الهاء حتى تصير حرفاً آخر إذا لم يُتحفّظ بلفظها.

وأما الألف فإنه حرف يهوي في الفم حتى ينقطع مخرجه في الحلق فنسب في المخرج إلى الحلق وهو حرف شديد الخفاء ليس للسان عمل في خروجه حيث يتسع مخرجه في هواء الفم فسمى هاوياً أو هوائياً فإذا لاصقته همزة فإنه يجب تمكينه بالمد، وكذلك يمد إذا كان بعده ساكن مشدد أو غير مشدد، والألف ساكن أبداً وما قبله مفتوح أبداً لذا ينبغي أن يُلزم في لفظه التوسط من غير تفخيم ولا إمالة إلا برواية.

والعين حرف مجهور رخو يقال إنّ فيه بعض الشدة، فهو حرف قوي والعين مؤاخية للهمزة، ولهذا تبدل بعض القبائل العربية من الهمزة عيناً ومن العين همزة فيقولون: استأدى واستعدى، وموت ذعاف وذؤاف. ولهذا وجب التحفظ بلفظ العين وإعطاؤها حقها من الحلق لاسيما إذا تكررت مثل: ﴿فُزِّعَ عَن﴾ سبأ/٢٣، و﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ الأعراف/١٠٠، أو إذا وقع بعد العين الساكنة غين نحو قوله تعالى: (أسمع غير مسمع). فإذا سكنت العين وأتت بعدها هاء وجب تحري

(١) انظر الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي ١٤٥-١٥٣.

إظهار العين حتى لا تقرب من لفظ الحاء فتدغم فيها الهاء فتصير كأنها حاء مشددة كما يقول بعض الناس في (معهم) (محهم) بإبدال العين حاءً وإدغام الهاء فيها على إدغام الثاني في الأول لأن الحاء مؤاخية للهاء في الهمس ومخرجاهما متقاربان، لهذا وجب التحفُّظ بلفظ العين حتى لا يحدث مثل هذا الخلل، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ يس/٦٠، و﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ الجاثية/١٨، و﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾ العلق/١٩، و﴿فَبَايِعْهُنَّ ﴾الممتحنة/١٢، في كل ذلك يجب الاجتهاد في إظهار لفظ العين.(١)

وأما الحاء فإنها تخرج من مخرج العين، وهي حرف مهموس رخو والعين حرف مجهور رخو ولولا الجهر الذي تتصف به العين لصارت حاءً. وقال الخليل بن أحمد: (لولا بحة في الحاء لا شبهت العين)(٢)، فالمخرج واحد والصفات متقاربة ولهذه العلة لا تأتلف العين مع الحاء في كلمة واحدة إلا أن يشتق فعل من جمعٍ بين كلمتين كما قال الخليل(٣) مثل (حيّ على) كقوله الشاعر:

فبات خيال طيفك لي عنيقاً ... إلى أن حيعلَ الداعي الفلاحاً

أو مصدر كما في قوله الآخر(٤):

أقول لها ودمع العين جار ... ألم يحزنك حيعلة المنادى

على الرغم من ذلك لا تجتمع العين والحاء إلا بحاجز بينهما. فإذا تجاورتا وجب التحفُّظ بلفظ العين.

وإذا سكنت الحاء قبل العين وجب التحفُّظ ببيانها لأنها حينئذٍ تكون قريبة من الإدغام وذلك نحو ذلك: ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ ﴾ الزخرف/٨٩.

كما يجب بيان الحاء إذا لقيت حاءً مثلها وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ ﴾ وينبغي كذلك بيان الحاء الساكنة إذا أتت بعدها الهاء لئلا تندغم الهاء فيها لقرب المخرجين ولأن الحاء أقوى من الهاء فهي تجذب الهاء وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾ ق/٤٠، وقوله: ﴿ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ الإنسان/٢٦، والملاحظ أن الهاء التي اجتمعت مع الحاء هنا ليست من أصل الكلمة وإنما هي ضمير.

أما الخاء فإنها حرف مهموس رخو إلا أنها من حروف الاستعلاء وذلك يوجب على القارئ أن يلفظ بها مفخمة مغلظة إذا كان بعدها ألف مثل (الخاسرون) و (خالق) و(خائفين).

---

(١) يراجع في ذلك الرعاية لمكي بن أبي طالب ص ١٥٥-١٦٣ وسر صناعة الإعراب لابن جنى ٢٢٩/١.

(٢) العين للخليل ٥٧/١.

(٣) السابق ٧٩/١.

(٤) السابق ٧٩/١.

وأما الغين فإنها تخرج من مخرج الخاء وبعدها وهي حرف مجهور(١) فهي إذن أقوى من الخاء لأنها مهموسة، وكلاهما رخو، ولولا الجهر في الغين لكانت خاءً لاتحاد المخرج وتقارب الصفات، لذا يجب النطق بالغين مفخمة إذا وقع بعدها ألف نحو (غافر) و (الغافرين) فإذا وقع بعد الغين عين أو قاف وجب بيانها لئلا يلتبس اللفظ بالإخفاء أو الإدغام نحو قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ آل عمران/٨، وقوله تعالى: ﴿ كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ التوبة/١١٧، و﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ البقرة/٢٥٠، كما يجب بيانها إذا تكررت نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ آل عمران/٨٥، وإذا وقع بعد الغين الساكنة شين وجب بيان الغين لئلا تقترب من لفظ الخاء وذلك لاشتراك الخاء والشين في الهمس والرخاوة وبُعد الغين عن الشين في الصفة وذلك مثل: ﴿ يَغْشَىٰ طَآئِفَةً ﴾ آل عمران/١٥٤، و﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ إبراهيم/٥٠، فإذا لم تبين الغين في مثل هذه المواضع صارت خاءً أو قربت من ذلك.(٢)

وأما القاف فإنه حرف متمكن قوي، لأنه من الحروف المجهورة الشديدة المستعلية وهو من حروف القلقلة. لذا يجب تفخيم القاف إذا أتت بعدها ألف مثل (قالوا) (قاموا) أو إذا انفردت مفتوحة أو مضمومة نحو: (قليلاً)، (قدمنا)، قدوة)، (قولوا).

وإذا وقعت الكاف قبلها أو بعدها وجب بيانها لئلا يشوبها شيء من لفظ الكاف لقربها منها أو يشوب الكاف شيء من لفظ القاف مثل: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الأنعام١٠٢، و﴿ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ﴾ الشعراء/٦٣، و﴿ وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾ الجمعة/١١، و﴿ خَلَقَكُمْ ﴾ البقرة/٢١، أما إذا سكنت القاف قبل الكاف فيجب إدغامها في الكاف لقرب المخرجين مع الإبقاء على صفة الاستعلاء الذي في القاف ظاهراً كإظهار الغنة في (من يؤمن) والإطباق في (أحطت) وذلك مثل: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم ﴾ المرسلات/٢٠.

وإذا تكررت القاف وجب إظهارها مثل: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ ﴾ النساء/١١٥، و(طرائق قددا).(٣)

أما الكاف فإنه يخرج من المخرج الثاني من مخارج الفم بعد القاف، وهو حرف مهموس شديد مستفل، ولولا الجهر والاستعلاء اللذان في القاف لكانت كافاً. ولهذا السبب لا يأتلف القاف والكاف في كلمة إلا بحاجز بينهما فلا تلاصق القاف كافاً من أصلٍ في كلمة، ولاستغلالها يجب أن يلفظ بها غير مفخمة ولا مغلّظة، وإذا تكررت الكاف فيجب التحفظ بإظهار الكافين حتى لا يقترب اللفظ من إدغامهما مثل: (مناسككم) و(ما سلككم) و(نسبحك كثيرا، ونذكرك كثيرا).

---

(١) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٣-٤٣٤.

(٢) الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي صـ١٧٠.

(٣) السابق ١٧١-١٧٢.

وإذا وقعت القاف بعد الكاف وجب بيان الكاف مثل (عرشُكِ قالت) وإذا وقعت الكاف في موضع يجوز إبدالها فيه قافاً وجب يبينها مثل قوله تعالى: (وإذا السماء كشطت) وذلك حتى لا يخرج اللفظ بها من لغة إلى لغة، قال الفراء: (وفي قراءة عبدالله: "قشطت" بالقاف وهما لغتان).[1]

أما الشين فحرف مهموس رخو متفشٍّ فإذا وقعت بعدها جيم وجب بيان الشين حتى لا تقترب من لفظ الجيم وذلك مثل قوله تعالى: (فيما شجر بينهم)[2]

وأما الجيم فإنه حرف قوي بسبب الشدة والجهر فيه، فإذا سكنت الجيم وجاء بعدها زاي وجب بيان الجيم حتى لا تدغم في الزاي التي بعدها، والسبب في ذلك أن الزاي حرف رخو فإذا جاء بعد الجيم مال اللسان نحوه وأشبهت الجيم الزاي وأدغم الزاي في الزاي وذلك مثل قوله تعالى: ﴿رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وقوله: ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ﴾ ويكون بيان الجيم ههنا بقلقلتها حتى تتضح ساكنة.

وإذا سكنت الجيم وأتت بعدها تاءٌ وجب بيان الجيم والتحفظ بإخراجها حتى لا يخالط لفظ الجيم لفظ الشين، والسبب في ذلك بُعد ما بين مخرجي الجيم والتاء، وتباعدهما في الصفات كذلك، فالجيم حرف شديد مجهور فهو قوي بهذه الصفة، والتاء حرف مهموس فيه ضعف، والشين أخت الجيم ومن مخرجها فهي أقرب إلى التاء في الصفة لأنها مهموسة كالتاء، لهذا فاللسان يسارع إلى اللفظ بالشين في موضع الجيم إذا لم يتم التحفُّظ بإخراج الجيم بقلقلتها وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ﴾ وقوله: ﴿يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ و ﴿إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ﴾ و﴿ٱجۡتُثَّتۡ﴾ ففي مثل هذه المواضع تتحول الجيم شيناً إذا لم يتحفظ بإخراجها وبيانها.

ولذات الأسباب يجب بيان الجيم إذا وقعت بعدها دال مثل قوله تعالى: ﴿مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ و﴿مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ فإذا لم تُبيَّن خالطها لفظ الشين. كذلك يجب بيان الجيم إذا تكررت، مثل قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ﴾ أو أتت مشددة مثل قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾ فإذا أتى بعدها حرف مشدد خفي وجب بيانهما معاً حتى لا يخفى الحرف الخفي بعد الجيم[3] وذلك مثل قوله تعالى: ﴿أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ﴾.

وأما الياء فإنها تخرج من المخرج الثالث للفم، وهو مخرج الجيم والشين وهي من حروف المد واللين والعلة وفيها خفاء وثقل، فإذا وقع بعدها ألف وجب اللفظ بها مرققة كما يلفظ بها في أي كلمة أخرى وفي أي وضع.

---

(1) معاني القرآن للفراء ٢٤١/٣ نشر عالم الكتب ببيروت ط/٣ سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م. وانظر سر صناعة الاعراب لابن جني ٢٧٧/١.

(2) الرعاية لمكي بن أبي طالب صـ١٧٥.

(3) الرعاية لمكي بن أبي طالب صـ١٧٦-١٧٨.

فإذا كانت مشددة متطرفة أو متوسطة وجب بيانها وبيان لتشديد فيها مثـــل: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ و(صيِّب) و﴿ وَلِيٍّ ﴾ و﴿ شَقِيٌّ ﴾.

أما إذا كانت متطرقة ووقفت عليها من غير روم، وهو عبارة عن النطق ببعض حركتهـــا، فهي للبيان أحوج منها إليه في الوصل لأن الوقف يخفي فيه المشدد إذا كان آخراً وذلـــك لاجتمـــاع ساكنين غير منفصلين، الساكن الأول، وسكون الوقف، وذلك مثل: (من طرف خفـــيّ) و (العلـــيّ) و(الحيّ).

وأما إذا كانت مشددة وقبلها حرف مشدد كانت حاجتها للبيان آكد وأشد مثل (ربّيّون كثيـــر) و(من ذرِّيَّته)، فإذا تكررت وسكن ما قبل الأولى والثانية ساكنة وجـــب بيانهـــا وإظهارهـــا مثـــل (يستَحيِي منكم) و (ثم يحييكم) وإذا تكررت الياء في كلمة أو في كلمتين وكانت إحدى الياءين مشددة مكسورة وجب بيان ذلك بيانا ظاهراً بحيث يتضح الحرفان حتى لا يسقط حرف من التلاوة وذلـــك مثل: (إن وليِّي الله) وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ﴾ فإذا اجتمع ياءان الأولـــى منهما ساكنة وقبلها كسرة وجب بيان الأولى لئلا تندغم في الثانية مثل قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ وقوله (في يوسف)(1).

وأما الضاد فإنها تخرج من المخرج الرابع من مخارج الفم، من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس(2)، وهو حرف مجهور مطبق من حروف الاستعلاء والاستطالة، ولفظه يشبه لفـــظ الظاء لأنها من حروف الإطباق المستعلية المجهورة، ولولا اختلاف المخرجين وما في الضاد مـــن استطالة لكان لفظه ولفظ الظاء واحداً لا يختلفان في السمع(3) لذا لابد للقـــارئ أن يلفـــظ بالضـــاد مستعلية منطبقة مستطيلة فيظهر صوت خروج الهواء عند ضغط حافة اللســـان بمـــا يليـــه مـــن الأضراس(4) ومتى فرط في ذلك أتى بلفظ الظاء أو بلفظ الذال فيكون مبدلاً ومغيراً.

والضاد أصعب الحروف تكلفاً في المخرج وأشدها صعوبة على اللافظ فمتى لـــم يتكلـــف القارئ إخراجها على وجهها أتى بغير لفظها وأخلّ بقراءته، ومن تكلف ذلك صـــار لـــه التجويـــد بلفظها عادة وطبعاً وسجية.

وإذا أتى بعد الضاد حرف إطباق وجب التحفُّظ بلفظ الضاد لئلا يسبق اللسان إلى مـــا هـــو أخف عليه وهو الإدغام مثل قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ ﴾ و﴿ ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ و ﴿ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾.

---

(1) الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي صـــ١٧٩-١٨٣.

(2) الكتاب لسيبويه ٤٣٣/٤، وانظر سر صناعة الإعراب لابن جني ٤٧/١ و ٢١٣/١.

(3) الرعاية لمكي بن أبي طالب صـــ ١٨٤.

(4) سر صناعة الإعراب لابن جني ٦٣/١.

وكذلك إذا كان الحرف الثاني مشدداً وجب التحفُّظ بلفظ الضاد لئلا يلفظ بالضاد كاللفظ بالثاني مثل: ﴿ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ ﴾ و ﴿ بَعْضَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ وذلك لتقارب التشابه بين الضاد والظاء.

وإذا تكررت الضاد وجب بيانها[1] مثل قوله تعالى: ﴿ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ ﴾، ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾.

وإذا سكنت الياء قبل الضاد أو بعدها وجب التحفُّظ بإظهار الضاد فربما ضعف لفظ الضاد لضعف الياء أو ربما خفيت الياء لقوة الضاد وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ ﴾ و ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾. وإذا سكنت الضاد وأتت بعدها تاء وجب بيان الضاد حتى لا تندغم في التاء لسكونها ورخاوتها وشدة التاء[2] مثل قوله تعالى: ﴿ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ البقرة/٢٣٥، وقوله: ﴿ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ البقرة/٢٣٧.

ولا شك أن هذه المعالجة التي بينها علماء التجويد للأوضاع التي تعرض لحرف الضاد وما ينبغي على اللافظ أو القارئ أخذ نفسه به حتى يخرج الضاد سليماً، لا يصلح شيء منها للفظ الضاد الذي ننطقه اليوم في السودان ومصر. ذلك أن هذا الضاد قد اختلف مخرجاً وصفة. فالضاد التي ننطقها اليوم لا تخرج من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس كما قرر سيبويه ومن بعده أبو الفتح عثمان بن جني[3] وإنما تخرج من بين طرف اللسان وأصول الثنايا وهي المقابل المطبق للدال إذا اختبرنا ذلك، والذي يظهر للباحث أن هذه الضاد هي في واقع الأمر الطاء القديمة التي نطق بها العرب قديما والدليل على ذلك ما ذكره غير واحد من أولئك العلماء من أنه لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً لأنه ليس بينهما فرق إلا الإطباق، ولصارت الظاء ذالاً ولصارت الصاد سيناً ولخرجت الضاد من كلام العرب لأنه ليس من موضعها شيء غيرها[4] ثم إن الضاد القديمة حرف رخو[5] يسمح بمرور الهواء حال اللفظ به كالظاء والذال والسين والثاء. أما الضاد التي ننطقها اليوم فإنه حرف شديد انفجاري يخرج دفعة واحدة ولا يسمح بمرور الهواء شأنه في ذلك شأن الدال والباء وغيرهما من الحروف الشديدة.

لهذا لا بد من إصلاح شأن النطق بالضاد بدءاً وإخراج هذا الحرف من مخرجه الصحيح ثم تطبيق صفاته ومن ثم الاجتهاد في التحفظ بلفظه حال إدراجه في الكلام حتى لا يتأثر بما يجاوره من أصوات.

---

(١) النشر لابن الجزري ٢٢٠/١.

(٢) الرعاية لمكي ابن طالب ١٨٧-١٨٦.

(٣) الكتاب لسيبويه ٤٣٣/٤، وسر صناعة الإعراب لابن جني ٤٧/١.

(٤) انظر ص (٤٨) من هذا البحث.

(٥) سر صناعة الإعراب لابن جني ٦١/١ (مرجع سابق).

وأما اللام فإنه يخرج من المخرج الخامس من مخارج الفم بعد مخرج الضاد من أدنى حافة اللسان إلى منتهى طرفه. وهو حرف مجهور رخو منحرف. وأكثر ما يقع مرققاً.

فإذا سكنت اللام وأتت بعدها نون، وجب التحفظ بلفظ اللام لئلا تندغم في النون بسبب التقارب حيث يسرع اللسان إلى مثل هذا الإدغام وهذا دأب كثير من الناس، لذا يجب الاجتهاد في إظهار اللام الساكنة في جوار النون مثل: ﴿أَرْسَلْنَهُ﴾، ﴿أَنزَلْنَهُ﴾، ﴿أَغْفَلْنَا﴾، ﴿وَذَلَّلْنَهَا﴾، ﴿فَزَيَّلْنَا﴾.

وإذا وقع اللام قبل لام مفخمة (وهي لام لفظ الجلالة إذا تقدمها فتح أو ضم) أو وقع قبل حرف من حروف الإطباقة فإنه يجب المحافظة على ترقيق اللام، وقد انفرد ورش بتفخيم اللام قبل حروف الإطباق[١] في بعض المواضع، أما ما عليه جمهور القراء فهو ترقيقها قبل اللام المفخمة أو حروف الإطباق مثل: ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ و﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ﴾ و﴿رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ و﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ و﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ و(من يتولى الله) و﴿مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ و﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ و﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ فاللام الواقعة قبل لفظ الجلالة أو حروف الإطباق في هذه الكلمات وأمثالها ينبغي التحفظ بترقيقها.

فإذا تكررت اللامات وجب بيانها مرققة مثل (قالَ لَهم) أو أكثر من ذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فهذه في الوصل ست لامات يجب بيانها مرققة، ومثل قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ﴾ فيه خمس لامات في الوصل. ومثل قوله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فيه أربع لامات في حالة الوصل ينبغي بيان جميع ذلك مع الترقيق.[٢]

وأما النون فإنها تخرج من المخرج السادس من مخارج الفم فوق اللام قليلاً من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا.[٣] وهي مؤاخية للام لقرب مخرجيهما. والنون حرف مجهور، رخو، متوسط القوة، فيها غنة إذا سكنت، فإذا تكررت وجب إظهارها لئلا يميل بها اللسان إلى الإخفاء أو الإدغام لاجتماع المثلين مثل قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ﴾ و﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾، و﴿أَتَعِدَانِنِيٓ﴾ و﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾.

وكذلك إذا كانت الأولى مشددة نحو ﴿إِنَّنَا نَخَافُ﴾، و﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾. كل هذه الأحوال يجب فيها إظهار النون حتى لا يشوبها شيء من الإخفاء.

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي ٢١٩/١. تحقيق الدكتور محي الدين رمضان. نشر مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان ط/٥ سنة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(٢) الرعاية لمكي بن أبي طالب ص١٨٨-١٩٢.

(٣) سر صناعة الإعراب لابن جني ٤٧/١.

وأما الراء فإنها تخرج من المخرج السابع من مخارج الفم، من مخرج النون غير أنها أدخل إلى ظهر اللسان قليلاً.(1) والراء حرف قوي مجهور منحرف عن مخرج النون إلى مخرج اللام فهو بهذا منحرف عن الرخاوة إلى الشدة لكنه..يجري معه النفس لانحرافه إلى اللام وللتكرير الذي فيه.

وللراء أحوال فهي تنطق تارة مرققة وطوراً مفخمة، فهي ترقق إذا جاءت مكسورة مثل: (رِزقاً) و(الرِّقاب) أو كانت ساكنة إثر كسر لازم ولم يأت بعدها حرف من حروف الاستعلاء مثل: (فِرْعون) و(مِرْية) وتفخم إذا كانت مفتوحة مثل (رَبنا) (رَؤوف) (رَحيم) أو مضمومة مثل (يحاورُ)(رُؤوس) أو كانت ساكنة إثر فتح أو ضم.أو إذا ولي الراء الساكنة كسرة عارضة نحو ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ﴾أو وقع بعدها حرف استعلاء مثل﴿قِرْطَاسٍ﴾وإذا تكررت الراء وكانت الأولى مشددة أو مفخمة فإنه ينبغي إظهارها نحو﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ و﴿بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾و﴿مُحَرَّرًا﴾كما يجب إخفاء التكرير.(2)

والطاء تخرج من طرف اللسان بينه وبين أصول الثنايا وهي من أقوى الحروف فقد اجتمع لهذا الحرف أربع من صفات القوة هي: الجهر والشدة والإطباق والاستعلاء.(3)

وأما الطاء التي نستعملها اليوم فإننا إذا اختبرناها وجدناها مخالفة لهذا الوصف في أول صفة من صفاته وهي الجهر، لأن هذه الطاء التي ننطقها مهموسة، وهي المقابل المطبق للتاء. والذي يراه الباحث أن الطاء الموصوفة في المصادر العربية تنطبق مخرجاً وصفة على الحرف الذي نسميه اليوم (ضاداً) وهو الذي يُنطق الآن في السودان ومصر ولا تزال بعض القبائل العربية في اليمن ينطقون الطاء المجهورة بصفاتها التي ذكرها العلماء، فيقرءون: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ كأنها (لتركبن ضبقاً عن ضبق)، وينطقون بكلمة مطر (مَضَر).

والطاء بوصفها المذكور يجب على القارئ أن يلفظ بها مفخمة لاسيما إذا جاء بعدها ألف مثل قوله تعالى: ﴿مَا طَابَ لَكُم﴾ وقوله: ﴿طَالُوتَ﴾. وإذا تكررت الطاء كان التحفُّظ ببيانها آكد نحو قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ وقوله: ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾.

كما يجب بيان الطاء إذا وقعت بعد صاد أو ضاد لأنها لا تكون في هذا الوضع إلا مبدلة من تاء الافتعال وهي تاء زائدة فيخاف عليها حينئذٍ أن يميل بها اللسان نحو التاء فيلزم بيانها مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ وقوله: ﴿ٱصْطَفَىٰ﴾ لأن الأصل اضتر واصتفى.

وإذا وقعت الطاء مدغمة في تاء بعدها وجب أن يبين التشديد متوسطاً ويبين الإدغام ويظهر الإطباق الذي كان في الطاء لئلا تذهب الطاء في الإدغام ويذهب إطباقها معها، تماماً كما تظهر

---

(1) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٣.

(2) الرعاية لمكي بن أبي طالب ص١٩٥-١٩٧.

(3) سر صناعة الإعراب لابن جني ١/٦٠-٦٢ والرعاية لمكي بن أبي طالب ص١٩٨.

الغنة عندما تدغم النون الساكنة مع أحد حروف (ينمو) فإدغام الطاء في التاء مثل قوله تعالى: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ ﴾ و﴿ فَقَالَ أَحَطتُ ﴾ و﴿ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾ و﴿ فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ تدغم الطاء في التاء ولكن يبقى لفظ الإطباق ظاهراً كما يبقى صوت الغنة عند إدغام النون الساكنة أو التنوين في حروف الإدغام بغنة.[1]

والدال تخرج من مخرج الطاء، والدال حرف قوى لأنه مجهور، وشديد[2]، فإذا جاء بعده ألف يلفظ مرققاً. فإذا سكن الدال وأتت بعده نون وجب بيان الدال لئلا تخفى عند النون لسكونه واشتراكهما في الجهر وتقارب مخرجيهما وذلك نحو (أدنى) و(واعدنا) و(فوجدناها) (وأمددناكم)، وبيان الدال ههنا يكون بالقلقلة فإذا لم يبين بهذه الكيفية فإنه يوشك أن يكون تاءً.

وإذا تكررت الدال وكانت غير مشددة فإنها يجب أن تبيَّن مثل: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ ﴾ و﴿ جُدَدٌۢ بِيضٌ ﴾ و﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ ﴾ فالبيان لازم حتى لا يشوب اللفظ إخفاء أو إدغام. وإذا كانت الدال بدلاً عن التاء وجب إظهارها وبيانها لئلا يميل بها اللسان إلى أصلها وهو التاء مثل: ﴿ مُزْدَجَرٌ ﴾ و﴿ وَٱزْدُجِرَ ﴾ لأن الأصل: مزتجر بزنة (مُفتَعل) من (زجر) وازتُجر بزنة (افتُعِل) من زجر.

وأما التاء فإنها تخرج من مخرج الطاء والدال[3] وهو المخرج الثامن من مخارج الفم، وهي حرف متوسط من حيث القوة والضعف لأنه مهموس شديد ولولا الهمس لكانت التاء دالاً. وقد اشتركت مع الدال في الشدة والاستفال والانفتاح. لهذا ينبغي أن تنطق مرققة خاصة إذا أتى بعدها ألف مثل (تآمرون) و﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا ﴾.

وإذا لقيت التاء ساكنة طاءً أبدلت منها طاءً وأدغمت في الطاء، لهذا يجب على اللافظ بها في هذه الحالة إظهار الإدغام والتشديد والإطباق والاستعلاء وذلك مثل ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ ﴾ و﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ ﴾.

وإذا لقيت التاء ساكنة تاءً أخرى وجب أن يبين الإدغام والتشديد مثل: ﴿ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ ﴾ و﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾، ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ وإذا تكررت التاء في كلمة أو في كلمتين وجب بيان التاءين مثل ﴿ تَوَفَّتْهُمُ ﴾ ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾ ﴿ كُنتَ تَرْجُوٓا۟ ﴾ و﴿ ٱلرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾.

وإذا وقعت التاء متحركة قبل طاء وجب التحفظ ببيان التاء لئلا يقرب لفظها من لفظ الطاء لقوة الطاء مثل: (يستطيع) و(يستطيعون) فيجب أن تُلفظ التاء مرققة لكي تظهر من لفظ الطاء،

---

(1) الرعاية لمكي بن أبي طالب ١٩٨-٢٠٠ والنشر لابن الجزري ٢٢٠/١.

(2) سر صناعة الإعراب لابن جني ٤٧/١ و ٦٠-٦١.

(3) سر صناعة الإعراب لابن جني ٤٧/١ و٦٠/١-٦١.

وكذلك يجب تبيين التاء المتحركة قبل الطاء وإن حال بينهما حرف نحو (اختلط) وكذلك إذا وقعت قبل دال وهي متحركة، وجب بيانها لئلا تصير دالاً مثل ﴿أَعْتَدْنَا﴾ و﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ﴾ ولما كان الدال أقوى من التاء وكلاهما من مخرج واحد وجب بيان التاء.(١)

ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا يخرج الزاي(٢)، ومن عوامل قوته أنه حرف مجهور ومن أحرف الصفير(٣)، يكون اللفظ بـه مرققاً مثـل: ﴿زَبُورًا﴾ ، ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ و﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ ، وإذا تكرر الزاي وجب بيانه وذلك في قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.

وإذا وقعت الزاي قبل الجيم أو بعدها، وجب التحفظ ببيان الزاي تجنباً لخفائه في جوار الجيم لرخاوة الزاي وشدة الجيم وربما مال اللسان بلفظ الزاي إلى لفظ السين لأنها أضعف من الزاي وهي أختها في المخرج وذلك مثل: ﴿مُّزْجَىٰةٍ﴾ و﴿يُزْجِى لَكُمُ﴾ و﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ وإذا أتى بعد الزاي الساكنة دال أو تاء وجب أن يُبين لفظ الزاي لئلا يقرب كذلك من لفظ السين وذلك لأن السين مؤاخية للتاء في الهمس ومؤاخية للزاي في المخرج والصفير كما أن الدال من مخرج التاء فالبيان للزاي واجب في كل هذه الحالات وذلك مثل: (هذا ما كنزتم) و(تزدري) و(ازدادوا)(٤).

وأما السين فإنها تخرج كذلك من مخارج الزاي، وهي أختها في المخرج والصفير وتشترك معها في الرخاوة والانفتاح والاستفال ويختلفان فقط في الجهر والهمس إذ الزاي حرف مجهور والسين حرف مهموس ولولا الجهر الذي في الزاي لصارت سيناً ولولا الهمس الذي في السين لصارت زاياً.

كما تشترك السين مع الصاد في المخرج والصفير والهمس والرخاوة وتختلف عنها في الإطباق والاستعلاء اللذين في الصاد فالسين تتميز عن الصاد بالتسفل والانفتاح، ولولا ذلك لكانت صاداً ولولا الإطباق والانفتاح اللذين في الصاد لكانت هي الأخرى سيناً.(٥)

لهذا يتوجب التحفظ ببيان لفظ السين حيث وقعت بإظهار صفيرها. وكذلك إعطاء الصاد حقها في الإطباق. والصفير هو الجرس الذي يخرج بقوة مع الريح من طرف اللسان مما بين الثنايا تسمع له حساً ظاهراً في السمع. وإذا وقعت السين بعد حرف من حروف الإطباق وجبت المحافظة عليها بإظهار صفيرها لئلا يخالطها لفظ الإطباق فتصير صاداً وذلك مثل قوله تعالى: ﴿أُمَّةً

---

(١) الرعاية لمكي بن أبي طالب ص٢٠٤-٢٠٨.

(٢) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٣.

(٣) سر صناعة الإعراب لابن جني ١/٦٠-٦١.

(٤) الرعاية لمكي بن أبي طالب ٢٠٩-٢١٠.

(٥) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٦، وسر صناعة الإعراب لابن جني ١/٦٠-٦١.

﴿ وَسَطًا ﴾ و﴿ يَبْسُطُ ﴾ و(تقسطون) و﴿ بِبَاسِطٍ ﴾ و﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ و﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ و﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ يجب في كل هذه الأحوال وأمثالها التحفظ فإظهار لفظ السين مستفلة حتى لا تصير صاداً.

وكذلك إذا وقعت السين قبل لفظ إطباق متبقٍّ من حرف أدغم مع ما بعده وبقى إطباقه فإنه يجب التحفظ بإظهار لفظ السين حتى لا تتأثر بلفظ الإطباق وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ ﴾.

كما ينبغي إظهار لفظ السين حتى إذا حال بينها وبين حرف الإطباق حائل مثل (يستطيعون) و(يستصرخه)، وذلك لأن حرف الإطباق حرف قوي لا يؤثر الحائل في قوته فإذا لم يُتحفظ بإظهار لفظ السين طغا عليها لفظ الإطباق فصارت صاداً ومثل ذلك كثير في الكلام.

وإذا سكنت السين وبعدها جيم وجب إظهار السين لئلا يذهب بها اللفظ إلى الزاي لأن الزاي أشبه بالجيم من حيث إنه حرف مجهور فاللفظ يبادر إلى الزاي في موضع السين لاتفاقها مع الجيم في الجهر ولأنها من موضع السين وذلك مثل (أسجد) ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ﴾ ﴿ ٱلْمَسْجُورِ ﴾.

وإذا تشابه لفظان لمعنيين مختلفين، أحدهما بالسين والآخر بالصاد وجب البيان للسين بالصفير والاستفال والبعد عن الإطباق الذي يميز الصاد وذلك مثل: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ﴾ و﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ يُبين لفظ السين لئلا يصير إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ﴾ كذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ لئلا تصير إلى لفظ (تصير الأمور)(١).

أما الصاد فإنها تخرج من المخرج التاسع مخرج الزاي والسين. والصاد حرف قوي لأنه مطبق مستعلٍ فيه صفير وهو مهموس(٢)، لهذا يجب أن يُلفظ به مفخماً مطبقاً مستعلياً ليبتعد عن أي شبه بالسين. وإذا سكنت الصاد وأتت بعدها دال، وجب المحافظة على لفظ الصاد لئلا يخالطها لفظ الزاي، لأن الزاي من مخرج الصاد وهو في الصفة أقرب إلى الدال وذلك مثل ﴿ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ ﴾، ﴿ وَتَصْدِيَةً ﴾، ﴿ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾.

وإذا وقع بعد الصاد تاء المتكلم أو المخاطب وجب بيان لفظ الصاد لئلا يبادر اللسان إلى لفظ السين لأن السين أقرب إلى التاء من الصاد فيجب أن يبين الإطباق في الصاد إذا أتت في مثل هذه الظروف الصوتية مثل: ﴿ حَرَصْتُمْ ﴾، ﴿ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.(٣)

---

(١) الرعاية لمكي بن أبي طالب ص ٢١٢-٢١٤.

(٢) الكتاب سيبويه ٤/٤٣٣ وانظر سر صناعة الإعراب لابن جني ١/٦٠، ٦١.

(٣) الرعاية لمكي بن أبي طالب ص٢١٥-٢١٩.

والظاء تخرج مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، وهي حرف مطبق مستعلٍ مجهور قوي فيه رخاوة(١)، والظاء تشبه الضاد، ولولا اختلاف المخرجين بينهما وزيادة الاستطالة التي في الضاد لكانت الظاء ضاداً. لهذا ينبغي بيان الظاء.

والظاء هي المقابل المطبق لحرف الذال، لأنهما من مخرج واحد فلولا الإطباق والاستعلاء اللذان في الظاء لصارت ذالاً.

فإذا وقعت الظاء بعد الضاد وجب إظهارها وبيانها مثل: ﴿أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ و ﴿يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾، وإذا وقعت الظاء في كلمة تشبه أخرى بالذال في معنى آخر وجب بيان الظاء لئلا يلتبس اللفظ مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ أي ممنوعا، فهي تشبه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ من الحذر.

وإذا وقعت الظاء ساكنة بعد تاء الخطاب وجب بيانها لئلا يقترب بها اللفظ من الإدغام مثل: ﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾.(٢)

وأما الثاء فإنها تخرج مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا. وهي حرف ضعيف لأنه مهموس وفيه بعض الشدة فإذا وقع بعدها ألف وجب أن يلفظ بها مرققة. وإذا تكررت وجب بيانها مراعاة لضعفها وحتى لا يدخلها إخفاء مثل: ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ ، و﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾.

وكذلك إذا وقعت ساكنة قبل الخاء فيجب بيانها لضعفها ولقوة الخاء مثل: ﴿إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ و﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.(٣)

والذال تخرج من مخرج الظاء والثاء وهو المخرج العاشر من مخارج الفم. والذال أقوى من الثاء لأنه حرف مجهور والثاء مهموسة وإذا أتى بعد الذال ألف وجب أن تُنطق مرققة مثل: "ذلك" " ذاق" فإذا جاء بعدها قاف وجب التحفظ بترقيقها لئلا يؤثر عليها الاستعلاء الذي في القاف فتصير أقرب إلى لفظ الضاد أو الظاء وذلك مثل: (ذاق)، (ذاقوا) و(إلى الأذقان).

وكذلك يجب اللفظ بالذال مرققة إذا وقع قبلها أو بعدها حرف مفخم مثل الراء في: ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ و﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ و﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ أو اللام في قوله تعالى: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ فينبغي التحفظ بترقيق الذال حتى لا يسبق اللسان إلى التفخيم، وعليه كلفة أن يتبع الترقيق التفخيم. كما يجب بيان الذال إذا تكررت في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾.(٤)

---

(١) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/٦٠، ٦١.

(٢) الرعاية لمكي بن أبي طالب ص٢٢٠-٢٢٢.

(٣) الرعاية لمكي بن أبي طالب ص٢٢٣.

(٤) السابق، ص٢٢٤-٢٢٦.

وأما الفاء فإنها تخرج من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا(1).وهي حرف مهموس رخو فيه تفشٍّ كالشين(2)، والتفشي هو الريح التي تخرج بشدة عند النطق بالشين والفاء.

والفاء ينبغي أن تلفظ مرققة مثل: ﴿فَارِضٌ﴾ ، ﴿فَاقِعٌ﴾ و﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ فإذا تكررت في كلمة وجب بيانها مثل: ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ و﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ و﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ وإن تكررت في كلمتين كان البيان آكد خوفاً من الإدغام مثل: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ﴾ و﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ و﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾.(3)

والباء تخرج مما بين الشفتين، وهي حرف قوي لأنه مجهور وشديد(4) وهي مؤاخيه للميم فالمخرج واحد وكذلك الصفات غير أن الميم فيها غنة، ولأجل هذا التقارب فقد أبدلت العرب إحداهما من الأخرى فقالوا: مكة وبكة وقالوا: أرمد وأربد للون الأغبر.

وإذا وقع بعد الباء ألف وجب ترقيقها مثل: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾و﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾و ﴿بَٰسِطٌ﴾ و﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ وإذا تكررت وجب بيانها خوف اقتراب اللفظ من الإدغام مثل: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ و﴿ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ و﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾.

وكذلك إذا تكررت في كلمة واحدة وجب بيانها مثل: ﴿سَبَبًا﴾ و﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ﴾ وإذا تكررت في كلمتين وكانت الأولى ساكنة لم يكن بد من الإدغام نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾. وقد أدغم أبو عمرو في الإدغام الكبير المتحركين من كلمتين مثل: ﴿بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ﴾ و﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ (5).

وأما الميم فإنها تخرج من ذات مخرج الباء(6) كما تقدم، وهي أختها في الجهر والشدة غير أن الميم فيها غنة إذا سكنت تخرج من الخيشوم مع نفس يجرى فشابهت بذلك الحروف الرخوة من هذه الجهة.

وإذا سكنت الميم عند التقائها مع الفاء أو الواو أو الباء فيجب أن يتحفظ بإظهارها ساكنة مثل: ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ و﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ و﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾ و﴿أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ﴾ و﴿فَٱحْكُم

---

(1) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٣.

(2) سر صناعة الإعراب لابن جني ١/٦٠و٦١.

(3) الرعاية لمكي بن أبي طالب ص٢٢٧، ٢٢٨.

(4) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٣.

(5) الرعاية لمكي بن أبي طالب ص٢٢٩-٢٣١.

(6) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٣.

﴿ بَيْنَهُم ﴾ و﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ لابد من بيان الميم ساكنة في مثل هذه المواضع كلها خوفا من الإخفاء أو الإدغام لقرب مخرج الميم من مخرج الفاء ومشاركتها الباء و الواو في نفس المخرج لأنهن كلهن يخرجن مما بين الشفتين.

وإذا التقت ميمان أولا هما ساكنة وجب الإدغام مع التشديد المتوسط وإظهار الغنة وذلك في الميم الأولى الساكنة مثل: ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ و﴿ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ وإنما كان التشديد في هذا النوع غير مشبع لبقاء الغنة وإظهارها.

وإذا تكررت الميم مدغمة أو غير مدغمة وجب بيان التكرير بيانا ظاهرا وما كان فيه من تشديد يكون متوسطاً مع إظهار الغنة في كل ميم ساكنة وذلك مثل: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ ﴾ ست ميمات مع الوصل و﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ﴾ أربع ميمات مع الوصل. و﴿ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ فيه ثماني ميمات إلى آخر معك.

وكذلك يظهر التكرير للميم وإن لم يكن فيه إدغام مثل: (يعلم ما) و﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ ﴾ و﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ و﴿ وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾.(1)

وتخرج الواو من مخرج الباء والميم وهو المخرج الثاني عشر من مخارج الفم مما بين الشفتين(2) وهي مجهورة(3) وفيها مدّ ولين إذا سكنت وانضم ما قبلها.

والواو ثقيلة إذا تحركت، فإذا كانت حركتها ضمة ازدادت ثقلاً، وإذا كانت الحركة كسرة فذلك أثقل عليها من الضمة لأن الضمة مؤاخية للواو والكسرة مباينة لها لأنها ليست منها.

فإذا وقعت الواو مضمومة أو مكسورة وجب بيانها وبيان حركتها، لأن بعض العرب يبدلها همزة حينئذٍ ولكن القراءة سنة متبعة فلا بد من بيان الواو وحركتها لئلا يخالطها لفظ من غيرها وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ قوله: ﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ و﴿ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ و﴿ مِّن وُجْدِكُمْ ﴾، وكذلك تبين إذا انضمت لالتقاء الساكنين نحو قوله تعالى: ﴿ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾، ﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾، ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾.

فإذا انضمت الواو وأتت بعدها واو أخرى كان البيان آكد مثل قوله تعالى: ﴿ مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا ﴾ وكذلك إذا انضمت وقبلها واو ساكنة مثل قوله تعالى: ﴿ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ ﴾.

وإذا سكنت الواو المفتوح ما قبلها، وأتت بعدها واو أخرى وجب الإدغام، وإظهار التشديد لاجتماع مثلين الأول منهما ساكن مثل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾، ﴿ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ﴾ وإذا تكررت الواو بإدغام وتشديد وجب بيان ذلك لاجتماع التكرير والتشديد

---

(1) الرعاية لمكي بن أبي طالب ص٢٣٢-٢٣٤.

(2) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٣.

(3) سر صناعة الإعراب لابن جني ١/٦٠، ٦١.

والاستثقال نحو قوله تعالى: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وذلك في حالة الوصل، وكذلك إذا تكررت الواو غير مشددة، الأولى متحركة والثانية ساكنة وجب بيان الواو مثل قوله تعالى: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم﴾ و﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾، وكذلك إذا تكررت الواو مخففة متحركة من كلمة أو كلمتين كان البيان واجباً نحو: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾، ﴿إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ﴾، ﴿هُوَ وَجُنُودُهُ﴾، والواو التي قبلها حركة أحوج للبيان من التي قبلها ساكن، وإذا وقعت الواو مفردة مشددة مكسورة وجب بيانها وبيان تشديدها نحو ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾، ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ وإذا تكررت الواو والأولى ساكنة قبلها ضمة وجب بيانها خوف الإخفاء أو الإدغام نحو ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾، ﴿اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾.(١)

وأما الغنة فإنها نون ساكنة خفيفة تخرج من الخياشيم(٢)، وهي تكون تابعة للنون الساكنة الأصلية التي تتحرك مرة وتسكن مرة، وللتنوين والميم الساكنة.

والغنة تظهر عند إدغام النون الساكنة والتنوين في أحد حروف كلمة (ينمو) وهي حروف الإدغام بغنة، ويجوز إدغام النون في الياء والواو فلا تظهر، والغنة حرف مجهور شديد.

فهذه الضوابط التي بيّنها العلماء لابد من الأخذ بها حال تلاوة القرآن الكريم وإلا اضطرب اللفظ واختلطت بعض الحروف ببعض كما تمت الإشارة إليه في مواضعه. على أن معظم قضايا النطق التي أفضت بمرور الزمن إلى ضياع بعض الحروف وطمس بعضها الآخر إنما يعود إلى ضعف التزام المتكلمين بهذه الضوابط.

---

(١) الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي ص٢٣٥-٢٣٩.

(٢) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٤.

الفصل الثاني

الدراسة الصوتية وأصول القراءات

المبحث الأول: الإدغام

المبحث الثاني: المد والقصر

المبحث الثالث: أحكام الهمز

المبحث الرابع: الفتح والإمالة

المبحث الخامس: التفخيم والترقيق

المبحث السادس: الياءات الزوائد وياءات الإضافة

الفصل الثاني

الدراسة الصوتية وأصول القراءات

تعتبر أصول القراءات القرآنية مظهراً من مظاهر التنوع في الأداء اللغوي الذي اعتبره الإمام أبو الفضل الرازي واحداً من مكونات الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم(١)، والتي اختلفت تبعاً لها كيفيات القراءة بعد أن أمر الله تبارك وتعالى نبيه الكريم أن تقرأ أمته القرآن على سبعة أحرف على سبيل التيسير والتخفيف، ذلك أن هذه الأصول تعود في الغالب إلى خصائص لهجية واعتبارات صوتية يختلف بها نطق بعض الكلمات عن بعض وقد تميزت قراءة كل قارئ بمنحى معين في أداء الألفاظ التي تشملها هذه الأصول، وذلك مثل أصل ورش في نقل حركة همزة القطع إلى الساكن قبلها الملاصق لها فيتحرك الساكن بحركة الهمزة وتسقط الهمزة بشرط ألا يكون الساكن حرف مد وذلك مثل: ﴿قَدَ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ حيث نُقلت حركة همزة القطع من أفلح إلى الدال الساكن قبلها فتحرك الدال بحركتها وأُسقطت همزة القطع من أفلح، ومثل ذلك (الاَرض) حيث يتحرك لام (ال) بحركة الهمزة وتسقط الهمزة، وذلك أصل يتكرر في كل كلمة مماثلة في القرآن الكريم ولا يقتصر على كلمة واحدة كما هو الشأن في فرش الحروف.

وأصول القراءة تتمثل في أحكام الهمز والإدغام وأنواع الإمالات والمدود وكيفيات الوقف والروم والإشمام وغير ذلك.

لهذا يكون اختلاف القراء حول الأصول اختلافاً على كيفيات الأداء التي يتبعونها في كثير من كلمات القرآن الكريم.

وعلى الرغم من أن هذه الأصول تمثل قواعد عامة لكيفيات الأداء إلا أن كثيراً من القراء قد خالفوا أصولهم في بعض كلمات القرآن الكريم، مما يؤكد أن القراءة سنة متبعة لا يحكمها قياس لغوي وإنما تحكمها الرواية وصحة السند الذي يصل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذا وقد توفر علماء القراءات على دراسة هذه الأصول فأغنوا الدرس اللغوي بذخيرة ما كانت لتتوفر من غير هذا الرافد الذي حفظ لنا كثيراً من سمات العربية ولهجاتها وكان بمثابة الرئة التي ظلت تمد هذه اللغة بأسباب الحياة على مدار الزمن، وتتمثل هذه الأصول في المباحث التالية:

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٧/١ .

المبحث الأول

الإدغـــــام

الإدغام لغة هو الإدخال تقول: دغم الغيث الأرض يدغمها، وأدغمها إذا غشيها وقهرهـــا. والإدغام إدخال اللجام في أفواه الدواب. قال الأزهري: وإدغام الحرف في الحرف مأخوذة من هذا، والإدغام إدخال حرف في حرف، يقال: أدغمت الحرف وأدَغمته على افتعلته[١].

والإدغام في اصطلاح النحويين هو: (أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد يرتفع اللسان عنهمـــا رفعــة واحدة شديدة)[٢]

والإدغام عند القراء هو: (اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً)[٣] ويلاحظ أن تعريف القراء للإدغام أكثر دقة وأوعب معنىً لأنه يستغرق جميع أصناف الحروف المدغمة سواء أكانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة.

وهو ينقسم عندهم إلى قسمين:

(١)-كبير: وهو ما كان أول الحرفين فيه متحركاً سواء أكانا مثلين أم جنسين أم متقاربين، وسمى كبيراً لكثرة العمل فيه وهو تسكين الحرف الأول، ثم إدغامه في الثاني، ثانيا.

(٢)-صغير: وهو ما كان أول الحرفين فيه ساكناً وسمى صغيراً لقلة العمل فيـــه وهـــو الإدغـــام مباشرة.

ونلاحظ من هذا التقسيم أن تعريف القراء للإدغام قد اشتمل على عمليات الحذف والقلـــب والإدغام.ففي حالة الإدغام الكبير وهو ما كان الأول فيه متحركاً فإنه لا بد من حذف الحركـــة لان الإدغام لا يتم إلا إذا سكن الأول وتحرك الثاني.

ثم لابد من قلب الأول إلى مثل الثاني حتى يتم النطق به كالثاني مشدداً، وذلك إذا كانا جنسين وهما ما اتفقا مخرجاً واختلف صفة كالذال في الثاء أو الثاء في الظاء، أو كانا متقاربين، وهما ما تقاربـــا مخرجاً أو صفة أو مخرجاً وصفة كالتاء في السين.

ضوابط الإدغام:

حدد القراء للإدغام ثلاثة ضوابط فذكروا أن له سبباً وشرطاً ومانعاً.

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (دغم) ١٣٩١/٢.

(٢) المفصل لابن يعيش ١٢١/١٠

(٣) النشر لابن الجزري ٢٧٤/١.

أما سبب الإدغام فهو الوضع الصوتي الذي ينشأ عنه إدغام حرفين معينين وينحصر ذلك في التماثل والتجانس والتقارب.

وأما شرط الإدغام فهو الحال التي ينبغي أن يكون عليها التماثل أو التجانس أو التقارب ويتمثل ذلك فيما يلي:

(١)- ألا يفصل بين الحرفين ما يجعل النطق بهما من موضع واحد متعذراً وذلك بأن يلتقي الحرفان خطاً سواء ألتقيا لفظاً أم لا فيدخل بهذا القيد نحو (إنه وهو) حيث لا تمنع الصلة في المدغم، ويخرج نحو (أنا نذير)[١].

(٢)- أن يكون المدغم فيه أكثر من حرف إن كان الإدغام في كلمة واحدة نحو (خلقكم) فأما (خلقك) فلا إدغام فيها لأن المدغم فيه حرف واحد[٢].

وأما موانع الإدغام فإنها نوعان: عام متفق عليه بين جميع القراء وخاص مختلف فيه.

فالعام يشمل أموراً ثلاثة:

(١)- إذا كان الحرف الأول تاء ضمير للمتكلم أو المخاطب نحو ﴿كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ و﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ﴾ و﴿جِئۡتَ شَيۡـٔٗا إِمۡرٗا﴾ و ﴿خَلَقۡتَ طِينٗا﴾.

(٢)- إذا كان الحرف الأول مشددا نحو ﴿رَبِّ بِمَآ﴾ و ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ لأن الحرف المشدد ينطق صوتين من موضع واحد فلا يضاف إليهما ثالث بالإدغام.

(٣)- إذا كان الحرف الأول منوناً نحو ﴿وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ و﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ﴾.

وأما الخاص فيشمل أموراً منها:

(١)- الجزم، وهو أن يكون الحرف الأول في محل جزم مثل: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ﴾ و﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا﴾ و ﴿وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ﴾ و ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾. وهو مذهب أبي بكر ابن مجاهد وأصحابه وذهب آخرون إلى عدم الاعتداد بالجزم مانعاً من الإدغام وهو مذهب ابن شنبوذ وأبي بكر الداجوني. قال ابن الجزري: (والمشهور الاعتداد به في المتقاربين وإجراء الوجهين في غيره ما لم يكن مفتوحاً بعد ساكن.)[٣]

(٢)- توالى الإعلال: وذلك مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓ﴾ لقمان/٢٣، اختُلف عن أبي عمرو في إدغام الكاف في هذه الآية فانفرد بالإدغام الخزاعي عن الشذائي عن ابن شنبوذ عن القاسم عن عبد الوارث عن الإمام الدوري.[٤]

---

(١) إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ١١١/١ والنشر ٢٧٨/١.

(٢) النشر لابن الجزري ٢٧٨/١ وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي ١١١/١.

(٣) النشر لابن الجزري ٢٧٩/١.

(٤) النشر لابن الجزري ١٨١/١.

وذهب جماعة إلى الإظهار وهو الأرجح في رأي الجمهور، وحجتهم أن النون مخفاة قبل الكاف الأولى فلو أدغمت الكاف الأولى في الثانية لوالى القارئ بين إعلالين كما نص عليه ابن الجزري[1]، الذي أطلق لفظة (إعلال) على كل من الإخفاء والإدغام وهو يعني بها ما يحدث من تأثير صوتي وذلك غير الإعلال الاصطلاحي المعروف لدى علماء التصريف.

(٣)- قلة الحروف. وذلك كما في قوله تعالى: (آل لوط..) اختلف في الإدغام في هذه الآية، فروي إدغام اللام في اللام من أربع طرق عن الدوري، ومن طريق واحدة عن السوسي. والجميع عن اليزيدي عن شجاع عن أبي عمرو. وروى إظهاره سائر الجماعة، وهو اختيار ابن مجاهد واختلف المظهرون في مانع إدغامه، فروى ابن مجاهد عن عصمة بن عروة الفقيمي عن أبي عمرو أنه قال: (لا أدغمها لقلة حروفها)[2] وقد ردّ الإمام الداني هذا الزعم بإجماعهم على إدغام ﴿لَكَ كَيْدًا﴾ لأن (لك) أقل حروفاً من (آل) عند التحليل فهي على وزن (قال) وإن كان رسمها بحرفين اختصاراً ورجح الداني أن يكون الإعلال الذي حدث في (آل) بالبدل من الهاء على مذهب البصريين والأصل (أهل) ومن الواو على رأي الكوفيين والأصل (أول) هو السبب في عدم الإدغام، وليس قلة الحروف. وبذلك يكون المانع من الإدغام عدم الرغبة في إحداث إعلالين في كلمة واحدة في حالة الإدغام، بيد أن ابن الجزري حاول أن يفسر عبارة أبي عمرو (قلة الحروف) بمعنى أنها قليلة الدَّور في القرآن الكريم قال: (فإن قلة الدَّور وكثرته معتبر)[3].

(٤)- مصيره إلى حرف مد. وذلك فيما قبل الواو فيه مضموم نحو ﴿هُوَ وَٱلَّذِينَ﴾ و﴿هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ و﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ اختلف في إدغامه فروى إدغامه جماعة عن الدوري عن اليزيدي عن أبي عمرو. وروى إظهاره سائر البغداديين وهو اختيار ابن مجاهد وأكثر أصحابه، وعللوا الإظهار بأن الواو والأولى إذا سكنت للإدغام فتصبح حرف مد ولين كالتي في قوله تعالى: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهي لا تدغم إجماعاً بسبب المد.[4]

(٥)- خفة الفتحة بعد السكون، وذلك في المتقاربين مثل قوله تعالى: ﴿ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ﴾ و﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ﴾ فقد اختلف عن أبي عمرو في إدغامهما، فروى إدغامهما للتقارب ابن حبش من طريقي الدوري والسوسي وبذلك قرأ الداني وروى أصحاب ابن مجاهد عنه الإظهار لخفة الفتحة بعد السكون والإظهار اختيار ابن مجاهد.

---

(١) السابق ٢٨١/١.

(٢) السابق ٢٨٢/١.

(٣) النشر لابن الجزري ٢٨٢/١.

(٤) السابق ٢٨٢/١-٢٨٣.

هذا وقد تباينت مذاهب القراء في الإدغام فمنهم من يدغم كل ما تتوفر فيه شروط الإدغام المذكورة ومنهم من لا يكاد يدغم إلا ما كان إظهاره خروجاً من كلام العرب.

أبو عمرو بن العلاء ورواية الإدغام الكبير:

اشتهر أبو عمرو من بين القراء برواية الإدغام الكبير قال ابن الجزري: (..فالمشهور به والمنسوب إليه والمختص به من الأئمة العشرة هو أبو عمرو بن العلاء وليس بمنفرد به.. ووجهه طلب التخفيف. قال أبو عمرو بن العلاء: الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يحسنون غيره.)(١) وسبب الإدغام هو التماثل والتجانس والتقارب ويحدث في كلمة وفي كلمتين.

أما إدغام المتماثلين في كلمة فإن أبا عمرو لم يدغم منه إلا في موضعين أحدهما في سورة البقرة الآية (٢٠٠) ﴿مَّنَٰسِكَكُمۡ﴾. حيث أدغم الكاف في الكاف. والآخر في سورة المدثر الآية (٤٢) ﴿مَا سَلَكَكُمۡ﴾ وأظهر ما عدا ذلك.

وأما المتماثلان إذا كانا من كلمتين فإنه كان يدغم الأول في الثاني سواء أسكن ما قبل الأول أم تحرك وذلك في جميع القرآن باعتبار أن ذلك أصل من أصول قراءته(٢)، على أنه لم يكن يدغم ما توفرت فيه موانع الإدغام المتفق عليها وهي ما كان الأول فيه مشدداً مثل ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ أو تاء ضمير مثل ﴿كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ أو كان منوناً مثل ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

أما موانع الإدغام المختلف حولها فقد اختلف أهل الأداء في إدغامها وإظهارها عنه، كما مرت الإشارة إليه سابقاً.(٣)

وأما إدغام المتقاربين في كلمة فإنه لم يدغم منه إلا القاف في الكاف التي تكون في ضمير جمع المذكرين في حالة ما إذا تحرك ما قبل القاف وذلك مثل: ﴿خَلَقَكُمۡ﴾ و﴿رَزَقَكُمُ﴾ و﴿يَرۡزُقُكُم﴾ و﴿وَاثَقَكُم﴾ ومثل ذلك، وأظهر ما عداه مما قبل القاف فيه ساكن مثل ﴿مِيثَٰقَكُمۡ﴾ أو مما لم تكن الكاف فيه جزءاً من ضمير جمع مثل ﴿خَلَقَكَ﴾ و(يرزقك). وأما إدغام المتقاربين من كلمتين فقد أدغم من ذلك ستة عشر حرفاً هي:

١- الحاء في العين مثل: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾.

٢- القاف في الكاف مثل: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾.

٣- الكاف في القاف مثل: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا﴾.

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٧٥/١.

(٢) التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ص٢٨، تحقيق أوتويرتزل، نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة ط١، سنة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٣) ص٦٤ من هذا البحث.

٤- الجيم في الشين مثل: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ ، والجيم في التاء مثل: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ تَعْرُجُ﴾.

٥- الشين في السين ﴿إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾.

٦- الضاد في الشين ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾.

٧- السين في الزاي ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ، والسين في الشين: ﴿ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾.

٨- الدال في التاء ﴿فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ﴾ ، والدال في الذال ﴿وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ﴾ والدال في السين ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ والدال في الشين ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ والدال في الصاد ﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾.

٩- التاء في الطاء ﴿ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ﴾ وفي الذال ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾ وفي الثاء ﴿حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ﴾ وفي الظاء ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ﴾ وفي الضاد ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ وفي الشين ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ وفي الجيم ﴿مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ وفي السين ﴿بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ وفي الصاد ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ وفي الزاي ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾.

١٠- الذال في السين ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾ وفي الصاد ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً﴾.

١١- الثاء في الذال ﴿وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ﴾ وفي التاء ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ وفي الشين ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ حيث وقع في القرآن. وفي السين ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ﴾ وفي الضاد ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

١٢- الراء في اللام ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ﴾ وذلك إذا تحرك ما قبل الراء.

١٣- اللام في الراء ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ﴾ إذا تحرك ما قبل اللام أيضاً.

١٤- النون، يدغمها إذا تحرك ما قبلها في اللام ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ وفي الراء ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ هذا عن النون المتحركة أما النون الساكنة فبابها الإدغام الصغير.

١٥- الميم، أخفاها إذا تحرك ما قبلها عند الباء ﴿بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ فإذا سكن ما قبلها لم يخفها ﴿إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ﴾ والإخفاء حالة متوسطة بين الإظهار والإدغام.

١٦- وأما الباء فقد أدغمها في الميم في قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ حيث وقع.

هذه أصول الإدغام الكبير عند أبي عمرو بن العلاء حيث أدغم كل ما جاء على شاكلة ما ذكر[١]، وقد اختص أبو عمرو بهذا الإدغام الكبير دون بقية القراء السبعة بل والعشرة كما ذكر ابن الجزري، وقد وردت رواية هذا الإدغام عن بعض القراء مما بعد العشرة كالحسن البصري وابن محيصن والأعمش وطلحة بن مصرف وعيسى بن عمر ومسلمة بن عبدالله الفهري ومسلمة بن محارب السدوسي ويعقوب الحضرمي وغيرهم.[٢]

---

(١) التيسير للداني ١٩-٢٨. (مرجع سابق).

(٢) النشر لابن الجزري ١/٢٧٥.

الإدغام الصغير ومذاهب القراء فيه:

وهو الذي يكون الحرف الأول فيه ساكناً ويأتي في نوعين:

الأول: الحروف السواكن وهي: ذال (إذْ) ودال (قدْ) وتاء التأنيث ولام (هلْ) و(بلْ).

الثاني: النون الساكنة والتنوين.

أما ذال (إذ) فقد اختلف حوله أهل الأداء عند ستة أحرف هي: الجيم مثل (فإذ جعنا) والزاي ﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ ﴾ والسين ﴿إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ﴾ والصاد ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ﴾ والتاء ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ﴾ والدال ﴿إِذۡ دَخَلُواْ﴾.

أما نافع وابن كثير وعاصم، فكانوا يظهرون الذال فيها جميعاً.

وأما أبو عمرو وهشام عن ابن عامر فقد أدغما الذال فيها جميعاً.

وأدغم ابن ذكوان عن ابن عامر في الدال وحدها. وأدغم خلف عن حمزة في الدال والتاء. وأظهر الكسائي وخلاد عن حمزة عند الجيم فقط.(١)

وأما دال (قد) فقد اختلفوا فيها عند ثمانية أحرف هي: الجيم ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ﴾ والسين ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ﴾ والشين ﴿قَدۡ شَغَفَهَا﴾ والصاد ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾ والذال ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا﴾ والزاي ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا﴾ والضاد ﴿فَقَدۡ ضَلَّ﴾ والظاء ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ﴾.

فأظهر ابن كثير وعاصم وقالون عن نافع الدال عند الأحرف الثمانية.

وأظهر هشام عن ابن عامر الدال في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ﴾ فقط وأدغم ما تبقى وأدغم ورش عن نافع في الضاد فقط.

وأدغم أبو عمرو، وحمزة والكسائي الدال في الأحرف الثمانية.(٢)

واختلف القراء على إدغام تاء التأنيث المتصلة بالفعل عند ستة أحرف هي: الجيم مثل ﴿نَضِجَتۡ جُلُودُهُم﴾ والسين ﴿أُنزِلَتۡ سُورَةٌ﴾ والصاد ﴿حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ والزاي ﴿خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ﴾ والثاء ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ﴾ والظاء ﴿كَانَتۡ ظَالِمَةً﴾.

فأظهر التاء عند هذه الأحرف الستة ابن كثير وعاصم وقالون عن نافع وأدغم ورش عن نافع في الطاء فقط وأظهر البقية.

وأظهر ابن عامر عند الجيم والسين والزاي واختلف راوياه هشام وابن ذكوان في قوله تعالى: ﴿لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ﴾ فأدغم ابن ذكوان وأظهر هشام.

---

(١) التيسير للداني ص٤٢.

(٢) التيسير للداني ص ٤٢.

وأدغم أبو عمرو وحمزة والكسائي تاء التأنيث عند الأحرف الستة.

واختلفوا على إدغام لام (هل) و (بل) عند ثمانية أحرف هي التاء ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ﴾ والثاء ﴿هَلۡ ثُوِّبَ﴾ والسين ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ﴾ والزاي ﴿بَلۡ زُيِّنَ﴾ والطاء ﴿بَلۡ طَبَعَ﴾ والظاء ﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ﴾ والضاد ﴿بَلۡ ضَلُّواْ﴾ والنون ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ﴾.

فأظهر نافع وابن كثير وعاصم وابن ذكوان اللام عند الأحرف الثمانية. وأظهر هشام عن ابن عامر عند النون والضاد والتاء في قوله تعالى: ﴿أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي﴾ وأدغم أبو عمرو ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ و ﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم﴾ فقط.(1)

وأدغم حمزة في التاء والثاء والسين فقط. وأدغم الكسائي لام (هل) و(بل) في الأحرف الثمانية.(2)

كما أدغم أبو عمرو والكسائي وخلاد عن حمزة الباء الساكنة في الفاء حيث وقع مثل ﴿أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ﴾ و ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾.

وأظهر ذلك بقية القراء السبعة.(3)

وأظهر نافع وابن كثير وعاصم الثاء في (لبثتَ) و (لبثْتُ) و(لبثتُم) حيث وقع وأدغم ذلك أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي.(4)

كما أدغم أبو عمرو الراء الساكنة في اللام في ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾، و﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ وشبهه وأظهر ذلك بقية القراء السبعة.(5)

أما النون الساكنة والتنوين فقد جعل القراء إدغامها نوعين:

الأول: إدغام كامل، بلا غنة وذلك في اللام والراء.

الثاني: إدغام ناقص وهو الإدغام بغنة حيث يظهر جزء من النون الساكنة وهو صوت الغنة وذلك عند أربعة أحرف تجمعها كلمة (ينمو).

وقد أجمع القراء على إدغام النون الساكنة والتنوين –وهو نون ساكنة– في اللام والراء، بغير غنة، كما أجمعوا على إدغامهما في الميم والنون بغنة واختلفوا عند الياء والواو. فقرأ خلف

---

(1) إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ١٣٥/١

(2) التيسير للداني ص٤٣.

(3) التيسير للداني ص٤٤

(4) التيسير للداني ص٤٤.

(5) التيسير للداني ص ٤٥.

بإدغامهما فيهما بغير غنة نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ﴾ و﴿مِن وَالٍ﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ و﴿يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ وبقية القراء يدغمونهما فيهما بغنة.

كما أجمع القراء على إظهارهما مع حروف الحلق وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء. وورش يلقى حركة الهمزة عليهما.

ثم أجمع القراء على قلبهما مع الباء ميماً. وإخفائهما مع باقي حروف المعجم، والإخفاء حالة متوسطة بين الإدغام والإظهار من غير تشديد.(١)

---

(١) التيسير للداني ص٤٥ و النشر لابن الجزري ٢/٢٢-٢٧.

المبحث الثاني

المد والقصر

المد هو عبارة عن زيادة مط حرف المد عن المستوى الطبيعي وهو الذي لا تقوم ذات الحرف إلا به.

والقصر عبارة عن ترك تلك الزيادة وإبقاء المد الطبيعي على حاله.(١)

وحروف المد هي حروف الجوف وهي: (الألف) ولا تكون إلا ساكنة ولا يكون ما قلبها إلا مفتوحاً.

و(الواو) الساكنة المضموم ما قبلها. و(الياء) الساكنة المكسورة ما قبلها وذلك مثل: (قال) (يقُول) (قِيل).

والزيادة التي تلحق حرف المد تكون بسبب إما لفظي أو معنوي. فالسبب اللفظي إما همز أو سكون. أي إذا لقي حرف المد همز أو سكون فإنه يمد زيادة عن المد الطبيعي. والسبب المعنوي هو قصد المبالغة في نفي الألوهية عن سوى الله في (لا إله إلا الله).(٢)

أما الهمزة فإما أن تكون قبل حرف المد مثل: آدم وأوتي وإيمان ويسمى هذا مد البدل.

وإما أن تكون بعد حرف المد وذلك على قسمين:

الأول: المد المتصل، وهو أن يكون حرف المد والهمزة في كلمة واحدة مثل: ٱلسَّمَآءِ، لَتَنُوٓأُ، سِيٓـَٔتۡ

الثاني: المد المنفصل،وهو أن يكون حرف المد آخر كلمة والهمزة أول الكلمة التالية لها مثل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾ و﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ و ﴿ فِيٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾.

وأما السكون فإما أن يكون لازماً، وإما أن يكون عارضاً.

فالساكن اللازم إما أن يكون مثقلاً أو مخففاً، في كلمة أو حرف فالساكن اللازم المثقل في كلمة مثل: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ و﴿ دَآبَّةٍ ﴾ والساكن اللازم المثقل في حرف مثل: ﴿ الٓمٓ ﴾ والساكن اللازم المخفف في كلمة مثل: ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ ﴾ والساكن اللازم المخفف في حرف ﴿ صٓ ﴾ و﴿ نٓ ﴾ وأما الساكن العرض فإنه سكون يعرض للوقوف مثل: ﴿ نَسۡتَعِينُ ﴾ ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ ﴿ ٱلۡعِبَادِ ﴾ و﴿ ٱلۡمِهَادُ ﴾.

---

(١) النشر لابن الجزري ١/٣١٣-٣١٤.

(٢) إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ١/١٦٧-١٦٨.

وقد أجمع الأئمة القراء على وجوب مد المتصل مثل ﴿جَآءَ﴾ و﴿ٱلسَّمَآءِ﴾(1) ووجوب المد اللازم مثل ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ و﴿دَآبَّةٍ﴾ مع اختلاف آراء أهل الأداء حول مقدار ذلك المد. قال ابن الجزري: (فوجب ألا يعتقد أن قصر المتصل جائز عند أحد من القراء وقد تتبعته فلم أجده في قراءة صحيحة ولا شاذة..)(2) ويؤيد ما ذهب إليه ابن الجزري ما رواه الطبراني من حديث عبدالله بن مسعود يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يقرئ رجلاً فقرأ الرجل (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) مرسلة فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: أقرأنيها: إنما الصدقات للفقرآء والمساكين. فمدوها.)

قال ابن الجزري: (هذا حيث جليل حجة ونص في هذا الباب رجال اسناده ثقات). (3)

أما وجه المد فإنه يكون لزيادة تمكين حرف المد حتى يتم النطق بالهمز الذي يخرج من أقصى الحلق، ويتم تمكين حرف المد كذلك ليتم النطق بالساكن وكل ذلك خشية ضياع حرف المد إذا لم يتم التلبث به في مثل هذه الأحوال

أما مراتب المد التي وردت عن أهل الأداء فهي خمس كما يلي:

الأولى: القصر. ومقداره حركتان.

الثانية: فوق القصر. ومقداره ثلاث حركات

الثالثة: التوسط. ومقداره أربع حركات

الرابعة: فوق التوسط ومقداره خمس حركات

الخامسة: الإشباع. ومقداره ست حركات.

ويقدر علماء القراءات الحركة بزمن قبض الأصبع أو بسطه وهي مسألة نسبية لا يتأتى ضبطها فقد شاهدت تصويراً صوتياً لقراءة الشيخ محمود خليل الحصري برواية حفص عن عاصم في معمل اللغة حيث تم تصوير عدد من المدود المتصلة فلم تكن نتائجها متشابهة إذ زادت بعض المدود عن بعض.

اختلاف القراء حول مراتب المد للهمز:

١- مذهب نافع وابن كثير وأبو عمرو:

روى ابن مجاهد عن أحمد بن يزيد عن قالون عن نافع أنه كان لا يمد حرفاً لحرف وكان يمكن الياء الساكنة التي بعدها همزة وقبلها كسرة مثلك ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ والألف التي بعدها همزة

---

(1) النشر لابن الجزري ٣١٤/١.

(2) النشر لابن الجزري ٣١٥/١.

(3) النشر لابن الجزري ٣١٦/١.

مثل ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ والواو الساكنة التي بعدها همزة وقبلها ضمة مثل ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ حتى يتم الياء والواو والألف من غير مد. فإذا كانت الهمزة من الكلمة مثل: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ و﴿سِيٓـَٔتۡ﴾ و﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ وما أشبه ذلك مد الحرف مداً وسطاً بين المد والقصر ولا يهمز همزاً شديداً. قال ابن مجاهد: (وكذلك كان مذهب ابن كثير وأبي عمرو). (١)

وخلاصة حديث ابن مجاهد أن هؤلاء الأئمة الثلاثة كانوا يقصرون المنفصل ويمدون المتصل مداً متوسطاً وهي المرتبة الثالثة من مراتب المد.

مذهب عاصم:

أما عاصم فقد كان يمد المتصل والمنفصل مداً مشبعاً وقد ورد عن ابن مجاهد أنه كان يمدُّ مداً واحداً في كل الحروف، بمعنى أن درجة المد التي يقرأ بها في كلا النوعين: المتصل والمنفصل كانت واحدة، هي الإشباع، كما أنه كان يحقق الهمز بنبر شديد. وقد روى أبو بكر شعبة بن عياش عن عاصم السكت بين المد والهمز. فقد كان شعبة يسكت سكتة خفيفة بعد المد وقبل الهمز. (٢)

مذهب حمزة:

كان حمزة يميز في المد بين الهمزتين المتفقتين المرفوعتين والمفتوحتين والمخفوضتين، وقد روى خلف أن أطول المد عند حمزة ما كان مثل ﴿تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ﴾ و﴿جَآءَ أَحَدَهُمُ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ والمد الذي دون ذلك ﴿خَآئِفِينَ﴾ وأقصر المد مثل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾. (٣)

مذهب الكسائي وابن عامر:

ومذهب الكسائي التوسط في كل المد متصلاً كان أو منفصلاً ولا يسكت على المد قبل الهمز. وكذلك كان ابن عامر. (٤)

وأما المد اللازم فهو كالمد المتصل أجمع القراء على مده قال ابن الجزري: (فإن القراء مجمعون على مده مشبعاً قدراً واحداً من غير إفراط ولا أعلم بينهم في ذلك خلافاً). (٥)

---

(١) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص١٣٤. تحقيق الدكتور شوقي ضيف. نشر دار المعارف بمصر ط/٣ بدون تاريخ.

(٢) السبعة لابن مجاهد ١٣٤-١٣٥.

(٣) السابق ص١٣٥.

(٤) السابق ص١٣٦.

(٥) النشر لابن الجزري ٣١٧/١.

أما مد البدل الذي يكون فيه الهمز قبل حرف المد مثل ﴿ءَامَنَ﴾ و﴿ءَادَمَ﴾ و(إيمان) و﴿أُوتُوا﴾ فإن القراء فيه على مرتبتين:

الأولى: القصر لجميع القراء.

الثانية: القصر والتوسط والإشباع لورش من طريق الأزرق.(١)

هاء الكناية:

وهي عبارة عن هاء الضمير التي يكنى بها عن المفرد المذكر الغائب وتأتي في صورتين: الأولى: قبل متحرك والثانية: قبل ساكن.

فالتي تقع قبل متحرك إن تقدمها فتح أو ضم فإنها توصل بواو عند جميع القراء مثل: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ البقرة/٣٧، و﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ وإن كان المتحرك قبلها كسراً فإنها توصل بياء عند جميع القراء مثل ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾و (في ربِّه إذ قال).

أما التي تأتي قبل ساكن فإن تقدم هذا الساكن كسرة أو ياء ساكنة فالأصل عند جميع القراء أن تكسر الهاء من غير صلة مثل ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الكهف/١، و(عليهِ الله).

وإن تقدمها فتح أو ضم أو ساكن غير الياء فالأصل عند جميع القراء ضم الهاء من غير صلة مثل: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ التوبة/٤٠، و(يعلمْهُ الله).

أما ابن كثير فإنه كان يصل الهاء إن تقدمها ساكن وهي قبل متحرك، بياء إن كان الساكن قبلها ياءً مثل (فيه هدى) و (عليه آية) ويصلها بواو إن تقدمها ساكن غير الياء مثل: (منه آيات) و(هدَاه إلى).

وأما حفص فقد ضمها في موضعين هما: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ الكهف/٦٣، و﴿عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ الفتح/١٠.

وبقية القراء يكسرونها بعد الياء ويضمونها بعد غيرها من غير صلة. وهذه الصلة هي عبارة عن حرف علة ينشأ عند إشباع الحركة قبلها وهو من جنسها على أي حال، وتسمى صلة كبرى لمدها إن كانت قبل همزة، وصغرى إن كانت قبل أي حرف آخر.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر لابن البنا الدمياطي ١/١٦١.

المبحث الثالث

أحكام الهمز

الهمزة أول الحروف خروجاً فهي تخرج من أقصى الحلق مما يلي الصدر وهي حرف مجهور شديد اجتمع فيها صفتان من صفات القوة هما الجهر والشدة. وهي حرف صامت إنفجاري يخرج دفعة واحدة، وذلك بأن تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين بانطباقهما تماماً، ثم يضغط الهواء فيما دون الحنجرة فينفرج الوتران لينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثاً صوتاً إنفجارياً.(١)

وبسبب هذه الصفات استثقل العرب الهمزة فهي حرف بعيد المخرج جلد صعب على اللافظ به مع ما فيها من الجهر والشدة والقوة ولذلك استعمل العرب في اللفظ بالهمزة ما لم يستعملوا في غيرها من الحروف فقد استعملوا فيها التحقيق، والتخفيف، وإلقاء حركتها على الساكن قبلها، وإبدالها بغيرها من الحروف، وحذفها أحياناً، وذلك كله بسبب استثقالهم لها ولم يستعملوا ذلك في شيء من الحروف الأخرى.

ولما كانت اختيارات القراء تدور على التيسير في قراءة الذكر الحكيم على الأغلب فقد كانت لهم مذاهب في النطق بالهمزة كما يلي:

كان نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يهمزون مثل قوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ وما أشبه ذلك مثل ﴿يَأۡكُلُونَ﴾ و﴿يَأۡمُرُونَ﴾ و﴿يُؤۡتُونَ﴾ سواء أكانت الهمزة ساكنة كما سبق أم متحركة مثل ﴿وَيُؤَخِّرَكُمۡ﴾ و﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ وقد كان عاصم بن أبي النجود أكثر القراء تحقيقاً للهمز حتى إن تلميذه أبا بكر شعبة بن عياش استنكر ذلك فقال: (كان إمامُنا يهمز ﴿مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ فأشتهي أن أسد أذُنَيَّ إذا سمعته يهمزها) فهو يريد أن عاصماً كان يتكلف شدة النبر(٢).

كان هؤلاء القراء يحققون الهمزة في الوصل والوقف. أما حمزة فقد كان يحققها وصلاً، وإذا وقف ترك الهمز.(٣)

وقد روى ورش عن نافع تسهيل الهمزة المفردة سواء أسكنت أم تحركت إذا كانت فاءً للكلمة، فالساكنة نحو ﴿يَأۡخُذُ﴾ و﴿يَأۡكُلُ﴾ و﴿يَأۡلَمُونَ﴾ و﴿لِقَآءَنَا ٱئۡتِ﴾ و﴿يُؤۡمِنُ﴾

---

(١) الرعاية لمكي بن أبي طالب ص١٤٥. سر صناعة الإعراب لابن جني ٦٩/١. وانظر القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة، الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين ص٢٤ نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة بدون تاريخ.

(٢) الرعاية لمكي بن أبي طالب ص١٤٧.

(٣) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص١٣٢.

و﴿ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ و﴿ وَيُؤۡثِرُونَ ﴾ و﴿ يُؤۡتُونَ ﴾ و﴿ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِ ﴾ و﴿ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ ﴾ و﴿ ٱلَّذِى ٱؤۡتُمِنَ ﴾ و﴿ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي ﴾ وشبهه والمتحركة مثل (يُؤاخذنا) وما كان مثله.

واستثنى من ذلك الهمزات الواردة في باب الإيواء مثل: ﴿ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾ و﴿ مَأۡوَىٰهُمۡ ﴾ و(فأووا) لأن تخفيفها سيؤدي إلى التثقيل ففي مثل (تُؤْوِي) يثقل وجود واوين قبلهما ضمة والثانية مكسورة، ولهذا لزم الأصل. كما استثنى من المتحركة ﴿ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ ﴾ و﴿ تَؤُزُّهُمۡ ﴾ و﴿ مَـَٔابًا ﴾ و﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ و﴿ فَأَذَّنَ ﴾ لأن التسهيل في كل ذلك يؤدي إلى الثقل فالتزام الأصل في التحقيق أولى.(1)

وأما أبو عمرو فقد كان له بالنسبة للهمز موقفان:

١- موقف تحقيق الهمز عند التلاوة المفصلة فهو حينئذٍ ينطق بالهمزة محققة دون إبدال أو نقل.

٢- موقف تخفيف الهمز وذلك إذا قرأ في الصلاة أو قرأ بالحدر أو بالإدغام، فهذه الأحوال الثلاث كان يسقط فيها الهمزة ويقلبها إلى حرف علة، فقد كان عند هذه الصور السريعة من القراءة يستشعر ثقل الهمزة فيسقطها بالإبدال حتى يشيع الانسجام في قراءته(2)

لذا كان أبو عمرو يبدل الهمزة المفردة الساكنة حرف علة سواء أكانت فاءً أو عيناً أو لاماً وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ يُؤۡمِنُونَ ﴾، ﴿ يُؤۡفَكُونَ ﴾، ﴿ يُؤۡلُونَ ﴾، ﴿ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ ﴾ ﴿ بِئۡسَمَا ﴾، ﴿ ٱلذِّئۡبُ ﴾، ﴿ مَأۡمُونٍ ﴾، ﴿ كَدَأۡبِ ﴾، ﴿ ٱلرُّءۡيَا ﴾، ﴿ جِئۡتَ ﴾، ﴿ جِئۡتُمۡ ﴾ وما أشبه ذلك فكان ينطق مكان الهمزة في هذه المواضع حرف علة من جنس حركة ما قبلها، وقد استثنى من ذلك خمسة أنواع:

١- ما كان سكونه علامة جزم مثل ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا ﴾ و﴿ تَسُؤۡهُمۡ ﴾ و﴿ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ و﴿ وَيُهَيِّئۡ لَكُم ﴾.

٢- ما كان سكونه للبناء وذلك في فعل الأمر مثل ﴿ أَنۢبِئۡهُم ﴾ ﴿ أَرۡجِهۡ ﴾.

٣- ما كان همزة أخف من تسهيله مثل (يؤوي إليك) و﴿ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴾ فلو خفف لاجتمع واوان وذلك أثقل من الهمز.

٤- ما يؤدي إلى الالتباس وذلك في موضع واحد هو ﴿ أَثَٰثًا وَرِءۡيًا ﴾ فلو ترك الهمز لأشبه الري من الشرب، وهو عنده من الرواء الذي هو المنظر الحسن.

٥- ما يخرج بتسهيله من لغة إلى لغة أخرى وهو﴿ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴾ فهي عنده من (أصدتُ) إذا أطبقت فهذا أصل في الهمز لا من أوصدت من وصد وهما لغتان أصد الباب: أطبقه كأوصده إذا أغلقه.(3)

---

(1) التيسير للإمام الداني ص٣٤، ٣٥.

(2) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي- عبد الصبور شاهين ص١٠٨-١٠٩.

(3) لسان العرب لابن منظور مادة (أصد) ٨٦/١ ومادة (وصد) ٤٨٤٨/٦.

أما الهمزة المتحركة سواء أكانت بعد ساكن مثل: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ﴾ و﴿ٱلْأَرْضِ﴾ و﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ أم كانت بعد متحرك مثل ﴿يُؤَلِّفُ﴾ و﴿يُؤَخِّرُهُمْ﴾ وشبهه فإنه يحققها بلا خلاف.(١)

نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها: كان ورش يخفف الهمزة المتحركة بعد ساكن بإلقاء حركة الهمزة على الساكن قبلها فيتحرك بحركتها وتسقط الهمزة من اللفظ وذلك إذا كان هذا الساكن غير حرف مد ولين وكان آخر كلمة والهمزة أول الكلمة التالية لها. ويأتي الساكن على ثلاثة أنواع:

الأول: أن يكون تنويناً مثل قوله تعالى: ﴿مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ﴾ ﴿كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ﴿مُّبِينٌ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ نوح/١-٢. وشبهه فبدل أن ينطق بالتنوين نوناً ساكنة، تتحرك النون بحركة الهمزة وتسقط الهمزة.

الثاني:أن يكون لام المعرفة وذلك وإن كان في كلمة واحدة متصلاً مع الهمزة في الخط إلا أنه يجري عند القراء مجرى المنفصل في كلمتين مثل ﴿ٱلْأَرْضِ﴾، ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾، ﴿ٱلْآزِفَةِ﴾، ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾، ﴿ٱلْـَٰٔنَ﴾، فتُحرك اللام بحركة الهمزة وتسقط الهمزة.

الثالث: بقية الحروف مثل ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ ، ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾، ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ﴾ وشبهه واستثنى من ذلك ﴿كِتَٰبِيَهْ إِنِّي ظَنَنتُ﴾.

وقرأ بقية القراء بتحقيق الهمزة في جميع ما تقدم مع تخليص الساكن قبلها.(٢)

مذهب حمزة وهشام في الوقوف على الهمزة:

كان حمزة وهشام يسهلان الهمزة المتطرفة سواء أكانت ساكنة أم متحركة في حالة الوقوف، ويحققانها في حالة الوصل. ويكون التسهيل في هذه الأحوال بإبدالها حرف علة من جنس حركة ما قبلها.

فإذا سهلا المتحركة المضموم ما قبلها أبدلاها واواً، ولم تأت ساكنة سكوناً لازماً ومضموم ما قبلها في القرآن الكريم(٣) والساكن العارض المضموم ما قبله مثل: ﴿لُؤْلُؤًا﴾ و﴿إِنِ ٱمْرُؤٌاْ﴾ حيث ينطقان مثل هذه الهمزة واواً منونة بحركة الهمزة.

وإذا سهلا المكسور ما قبلها أبدلاها في حالتي الحركة والسكون ياءً، ففي حالة الحركة مثل: ﴿مِن شَٰطِيِٕ﴾ و﴿تُبَوِّئُ﴾، وفي حالة السكون مثل: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾ و﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ﴾.

---

(١) التيسير للداني ص٣٨، والنشر لابن الجزري ٣٩٢/١، ٣٩٣، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي ٢٠٠/١-٢٠١.

(٢) التيسير للداني ٣٥-٣٦، والنشر لابن الجزري ٤٠٨/١-٤١١، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي ٢١٣/١-٢١٧.

(٣) النشر لابن الجزري ٤٣٠/١ والتيسير للداني ٣٧، ٣٨.

وإذا سهلا المفتوح ما قبلها أبدلاها في الحالين ألفاً مثل قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ﴾ و﴿وَيُسْتَهْزَأُ﴾.

أما إذا سكن ما قبل الهمزة المتطرفة وسهلاها عند الوقف فإنهما يلقيان حركتها على الساكن قبلها ويسقطانها وذلك إن كان الساكن أصلياً غير ألف مثل قوله تعالى: ﴿دِفْءٌ﴾ و﴿ٱلْخَبْءَ﴾ و﴿سِيٓءَ﴾ و﴿وَجِاْيٓءَ﴾ و﴿عَن سُوٓءٍ﴾ و﴿يُضِيٓءُ﴾.

فإذا كان الساكن زائداً وكان حرف مد ياءً أو واواً أبدلا الهمزة مع الياء ياءً ومع الواو واواً وأدغما ما قبلها فيها نحو قوله تعالى: ﴿بَرِيٓءٌ﴾ و﴿ٱلنَّسِيٓءُ﴾ و﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾.

ويجوز الروم والإشمام في الحرف المتحرك بحركة الهمزة وفي المبدل منها غير الألف في حالة الضم، ويجوز الروم فقط في حالة الكسر، ولا يجوز إلا الإسكان في حالة الفتح.

وإن كان الساكن ألفاً سواء أكانت مبدلة من حرف أصلي أم كانت زائدة أبدلت الهمزة بعدها ألفاً بأي حركة تحركت ثم حذفت إحدى الألفين لالتقاء الساكنين أو زيد في المد والتمكين للفصل بينهما بدون حذف إحداهما. وذلك مثل ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ و﴿إِذَا جَآءَ﴾ و﴿مِّن مَّآءٍ﴾ و﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ و﴿مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾.(١)

مذهب حمزة في السكوت على الساكن قبل الهمزة:

روى خلف عن حمزة بن حبيب الزيات أنه كان يسكت سكتة لطيفة من غير قطع على الساكن الذي يكون آخر كلمة ولم يكن حرف مد وأتت الهمزة بعده، وذلك بياناً للهمزة، مثل: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ و﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ و﴿عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ﴾ و﴿نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ و﴿خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ و﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ و﴿ٱلْأَخِرَةِ﴾ و﴿ٱلْأَرْضِ﴾و﴿ٱلْأَزِفَةِ﴾و﴿ٱلْـَٔنَ﴾.

فإذا كان الساكن مع الهمزة في كلمة لم يسكت على الساكن إلا في أصل مطّرد وهو لفظ ﴿شَيْءٍ﴾ و﴿شَيْـًٔا﴾ وقد روى الإمام الداني عن أبي الحسن السكوت على لام المعرفة وعلى ﴿شَيْءٍ﴾ و﴿شَيْـًٔا﴾ حيث وقعا.

وقرأ باقي القراء بوصل الساكن مع الهمزة من غير سكت.(٢)

الهمزتان المجتمعتان في كلمة:

إذا اجتمعت همزتان في كلمة واتفقتا بالفتح مثل قوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ و﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ و﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ﴾ و﴿ءَأَسْجُدُ﴾ فإن نافعا وابن كثير وأبا عمرو وهشاماً يسهلون الثانية منهما، قال ابن مجاهد: (بهمزة مطولة ثم همزة مخففة) وكذلك ما أشبه في كل القرآن.

---

(١) التيسير للداني ص ٣٨، ٣٩.

(٢) التيسير للداني ص٦٢.

أما ابن كثير فإنه لا يدخل ألفاً بين الهمزتين. وأما أبو عمرو وقالون وهشام فإنهم يدخلون ألفاً بينهما مثل ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾ و ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ وورش يبدل الثانية ألفاً[1].

وقرأ باقي القراء كل ذلك بتحقيق الهمزتين.

وإذا اختلفت الهمزتان بالفتح والكسر مثل قوله تعالى: ﴿ أَءِذَا كُنَّا ﴾ و﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ و﴿ أَئِنَّ لَنَا ﴾ فنافع وابن كثير وأبو عمرو يسهلون الثانية مثل (أاِذا كنا) و(أاِنّ لنا).

وقالون عن نافع وأبو عمرو يدخلون بينهما ألفا مثل (أااِذا كنا) و(أااِنّ لنا).

والباقون يحققون الهمزتين في جميع ذلك.[2]

وإن اختلفتا بالفتح والضم وذلك في ثلاثة مواضع في آل عمران قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم ﴾ وفي ص﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ﴾ وفي القمر ﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ ﴾ فنافع وابن كثير وأبو عمرو يسهلون الثانية، وقالون عن نافع يدخل بينهما ألفاً. وقرأ هشام عن ابن عامر بتحقيق الهمزتين من غير ألف بينهما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم ﴾ ، ويسهل الثانية ويدخل بينهما ألفاً في الآيتين الأُخريين.

والباقون يحققون الهمزتين في جميع ذلك[3].

قال ابن الجزري: (وتأتي الأولى منهما همزة زائدة للاستفهام، ولغيره ولا تكون همزة الاستفهام إلا مفتوحة)[4]

الهمزتان المجمعتان في كلمتين:

إذا اجتمعت الهمزتان أولاهما في آخر كلمة والأخرى من أول الثانية واتفقتا بالكسر مثل قوله تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ و﴿ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا ﴾ فقنبل وورش يحققان الأولى ويجعلان الثانية كالياء الساكنة[5].

وقالون والبزي يجعلان الأولى كالياء المكسورة ويحققان الثانية.

وأما أبو عمرو فإنه يسقط إحدى الهمزتين ويحقق الأخرى، والخلاف قائم حول أيٍّ من الهمزتين قد حذف فجمهور أهل الأداء على أنها الأولى. وذهب سيبويه وأبو الطيب وابن غلبون

---

(1) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ١٣٦ والتيسير للداني ص ٣١، ٣٢.

(2) التيسير للداني ٣١، ٣٢.

(3) السبعة لابن مجاهد ص١٣٦، ١٣٧ والتيسير للداني ص٣٢.

(4) النشر لابن الجزري ٣٦٢/١.

(5) التيسير للداني ص٣٣.

إلى أنها الثانية[1]، وتظهر ثمرة هذا الخلاف في المد فمن قال بحذف الأولى كان المد عنده من قبيل المنفصل ومن قال بحذف الثانية كان المد عنده متصلاً.[2]

وأما بقية القراء فإنهم يحققون الهمزتين معاً.[3]

وإذا اتفقت الهمزتان بالضم، وذلك في موضع واحد في القرآن الكريم وهو قوله تعالى: (أولياءُ أُولئك) فورش وقنبل يحققان الأولى ويجعلان الثانية كالواو الساكنة.

وقالون والبزي يجعلان الأولى كالواو المضمومة ويحققان الثانية.

وأبو عمرو يسقط الأولى ويحقق الثانية.

وبقية القراء يحققونهما معاً.[4]

فإذا اتفقت الهمزتان بالفتح مثل: (جاءَ أَجلهم) و(شاءَ أَنشره) فورش وقنبل يحققان الأولى ويجعلان الثانية كالمدة. وقالون والبزي وأبو عمرو يسقطون الأولى ويحققون الثانية.

وبقية القراء يحققونهما معاً.

أما إذا اختلفت الهمزتان على أي حال كان نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ ﴾ البقرة/١٣، و﴿ مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا ﴾ الأعراف/٥٠، و﴿ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ ﴾ البقرة/١٣٣، و﴿ مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ البقرة/١٤٢، و﴿ جَآءَ أُمَّةً ﴾ المؤمنون/٤٤، وشبهه فنافع وابن كثير وأبو عمرو يحققون الأولى ويسهلون الثانية. وبقية القراء يحققونهما معا.

قال الإمام الداني: (والتسهيل لإحدى الهمزتين في هذا الباب يكون في حال الوصل لا غير لكون التلاصق فيه.)[5]

أما تسهيل إحدى الهمزتين المتفقتين فإنه يكون بجعلها بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها.

وأما إذا كانت الهمزة الثانية المسهلة مفتوحة وانكسر ما قبلها أو انضم فإنها تبدل مع الكسرة ياءً ومع الضمة واواً وتحركان بالفتح.

وإذا كانت الثانية المسهلة مكسورة وما قبلها مضمومة فإنها تسهل على وجهين: إما أن تبدل واواً مكسورة، أو تجعل بين الهمزة والياء على حركتها[6].

---

(١) التيسير للداني ص٣٣.

(٢) إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ١/١٩٥.

(٣) التيسير للداني ٣٣.

(٤) السابق ص٣٣.

(٥) التيسير للداني ص٣٤.

(٦) السابق ص٣٤.

المبحث الرابع

الفتح والإمالة

الفتح والإمالة من الظواهر اللغوية التي كانت فاشية بين القبائل العربية منذ زمن بعيد قبل الإسلام.

والمراد بالفتح أن يفتح المتكلم فاه بلفظ الحرف.

وأما الإمالة فهي لغة من مال يميل ميلاً إذا عدل، ماله يَميله ميلاً وأماله يُميله إمالةً.(١)

واصطلاحاً هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء.(٢)

وتنقسم الإمالة إلى قسمين:

كبرى: وهي أن تقترب بلفظ الفتحة من الكسرة وبلفظ الألف من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه. وهي الإمالة المحضة ويقال لها الإضجاع والبطح.

صغرى: وهي اللفظ بين الفتح والإمالة الكبرى، ويقال لها (بين بين).

ولا يمكن للإنسان أن يحسن النطق بالإمالة كيفما كانت إلا بالتلقي والمشافهة.

والفتح والإمالة صوتان من أصوات اللين سواءٌ أكانا قصيرين أم طويلين وأصوات اللين في الاصطلاح الحديث هي ما كان يسميه القدماء بالحركات. أما أصوات اللين الطويلة فهي ما كانوا يسمونه حروف المد وهي الألف والياء المكسور ما قبلها والواو المضموم ما قبلها. ولا فرق بين الحركات وحروف المد إلا في كمية الصوت. فمخرج الفتحة ووضع اللسان معها هو نفسه مخرج ألف المد ووضع اللسان معها والفرق في الكمية. ولا فرق بين أن تمال الفتحة أو أن تمال الألف لأن العملية العضوية في كلا الحالين واحدة. واللسان مع الفتح يكاد يكون مستوياً في قاع الفم فإذا أخذ في الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذٍ في الوضع الذي يسمى بالإمالة، وأقصى ما يصل إليه أول اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى هو ذلك المقياس الذي يسمى عادة بالكسرة طويلة كانت أو قصيرة، فهنالك إذن مراحل بين الفتح والكسر ولهذا قسم العلماء الأوائل الإمالة إلى نوعين: صغرى وكبرى.(٣)

حروف الإمالة:

الأحرف التي تمال ثلاثة هي: الألف والراء وهاء التأنيث.

---

(١) تاج العروس لمحمد بن مرتضى الزبيدي ١٢٢/٨ طبع المطبعة الخيرية بجمالية مصر ١٣٠٦هـ.

(٢) النشر لابن الجزري ٣٠/٢ ط المكتبة التجارية بمصر بدون تاريخ.

(٣) في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ص٦٤، ٦٥ ط/٦ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٤م.

أما الألف وهاء التأنيث فلا تمكن إمالتهما إلا بإمالة الحرف الذي يكون قبلهما. وهاء التأنيث لا تمال إلا في حالة الوقف. والألف والراء يمالان وقفاً ووصلاً. والألف وهاء التأنيث يمالان في نفسيها، ويمال ما قبلهما لأجلهما. أما الراء فإنما يمال ما قبلها إذا انكسرت وكان قبلها ألف مثل (عقبي الدار) وتمال هي من أجل غيرها مثل (ترى) و(اشترى) و(الذكرى).(١)

أسباب الإمالة:

تتعدد أسباب الإمالة ولكنها ترجع بعامة إلى ثلاثة أسباب هي: الكسرة، والياء، والإمالة لأجل الإمالة.

١- الإمالة بسبب الكسرة:

وتكون بسبب كسرة متقدمة على الألف أو متأخرة عنه. فالمتقدمة لا بد أن يقع بينها وبين الألف الممالة حرف مفتوح، مثل كتاب وحساب، لأن الألف لا تثبت إلا بعد فتحه. وقد يكون الفاصل بين الكسرة والألف الممالة حرفين بشرط أن يكون أولهما ساكناً، أو يكونا مفتوحين والثاني منهما هاء نحو: إنسان ويضربها. لخفة الهاء وكون الساكن حاجزاً غير حصين.

وأما الإمالة لأجل الكسرة المتأخرة عن الألف الممالة فإنها قد تكون كسرة في بنية الكلمة نحو عابد وعالم. وقد تكون كسرة عارضة مثل: (من الناس) و(في النار) لأن حركة الإعراب غير لازمة.

وقد تكون الكسرة عارضة في بعض تصاريف الكلمة مثل (جاء) و(شاء) (طاب)، (زاد) وذلك لان فاء الكلمة تكسر إذا اتصل بالفعل ضمير رفع مثل تاء المتكلم والمخاطب ونو النسوة: (جئتُ) و(شئتَ) و(طبن) وقد تكون الكسرة مقدرة في المحل الممال، نحو (خاف) أصله (خوِف) بكسر عين الكلمة وهي الواو التي قلبت ألفاً لنحركها وانفتاح ما قبلها.(٢)

٢- الإمالة بسبب الياء:

وتكون الإمالة بسبب الياء في أحوال منها أن تأتي متقدمة ملاصقة للألف مثل (أياما) و(الحياة)، وقد يفصل بينهما حرف مثل (شيبان) أو حرفان احدهما الهاء مثل (يدها) فإذا انفصلت الياء بحرفين ليس أحدهما الهاء امتنعت الإمالة.(٣)

وقد تكون الألف الممالة منقلبة عن ياء، وهي العلة التي تجري عليها أكثر الإمالات فهي في الأفعال نحو (أتى) و(تعالى) و(رمى) و(سعى) و(اصطفى) و(استوى) و(استقى) و(استعلى) و(نادى) و(طغى) و(تتوفاهم).

---

(١) الرعاية لمكي بن أبي طالب ص١٢٩-١٣٠.

(٢) حاشية الصبان علي الأشموني ٢٢٤/٤.

(٣) حاشية الصبان علي الأشموني ٢٢٥/٤.

وفي الأسماء نحو (الهدى) و(الهوى) و(القربى) و(فتى) و(يحيى) و(منتهى)[1] وقد تكون الألف زائدة رابعة أو أكثر فيجري عليها حكم ما أصله ياء مثل (كسالى) وقد تكون الألف للتأنيث مثل (الحسنى).

وقد تكون الألف مما يمكن أن تنقلب ياء في بعض تصاريف الكلمة مثل (تلا) و(غزا) فالألف هنا منقلبة عن واو التلاوة والغزو فإذا بنيت الفعل للمجهول انقلبت ياءً مثل تُلِيَ وغزيِ.

وقد تكون الإمالة لأجل الفرق بين الاسم والحرف. وذلك لان الحروف لا تمال لان ألفها لا تكون منقلبة عن ياء ولا تجاور كسرة، فإذا جعلت أسماء لما يلفظ به مثل (باء) و(تاء) أو الحروف التي في فواتح السور مثل: ﴿الٓر﴾ والطاء والحاء والهاء فإنها تمال لأنها أسماء أصوات وليست مثل (ما) و(لا) وغيرها من الحروف المبنية على السكون، ولما كانت هذه الحروف أسماء أصوات أرادوا بالإمالة الإشعار بأنها قد صارت في حيز الأسماء التي لا تمنع فيها الإمالة.[2]

وقد تكون الإمالة للإمالة، أو الإمالة لمجاورة الممال والغرض منها التناسب وذلك مثل الألف المبدلة عن التنوين في (رأيت عمادا) فقد أميلت هذه الألف الثانية لمناسبة الألف الأولى الممالة لأجل الكسرة. أو أن تقع وسط أو أواخر آيات ممالة مثل ألف (تلا) في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ فإنها أميلت لمناسبة ما بعدها مما ألفه منقلبة عن ياء وهي (جلاها) و(يغشاها) وكإمالة (سجى) مع إمالة (الضحى) لأن (سجى) مثل (تلا)[3]

موانع الإمالة:

تمنع الإمالة ثمانية أحرف هي حروف الاستعلاء السبعة: الخاء والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والقاف. والحرف الثامن هو الراء غير المكسورة فهي تمنع إمالة الألف وتكف تأثير سببها إذا كان كسرة ظاهرة قال ابن مالك:

وحرف الاستعلا يكفُّ مظهرا   من كسر أو ياء وكذا تكف را

وعلة ذلك أن حروف الاستعلاء تستعلي باللسان إلى الحنك الأعلى فلا تمال الألف معها طلباً للمجانسة. وأما الراء غير المكسورة فقد شبهت بالمستعلية لأنها مكررة.

وأما سبب الإمالة إذا كان معنوياً فإنها لا تمنعه، فلا يمنع حرف الاستعلاء إمالة الألف في نحو (قاضي) و(ماضي) ولا إمالة باب (خاف) و(طاب)[4]

---

(1) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/١٧٧-١٧٩.

(2) النشر لابن الجزري ٢/٣٥- حاشية الصبان علي شرح الأشموني ٤/٢٣٢، ٢٣٣.

(3) حاشية الصبان علي شرح الأشموني ٤/٢٣٠، ٢٣١.

(4) السابق ٤/٢٢٦.

مذاهب القراء في الإمالة:

أمال حمزة والكسائي وخلف كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن الكريم سواءٌ أكانت في اسم مثل (الهدى) و(العمى) و(الزنا) و(طوبى) و(الأزكى) و(الأشقى) أم كانت في فعل مثل: (أتى) و(أبى) و(سعى) و(يخشى) و(فسوى).

كما كانوا يميلون كل ألف تأنيث جاءت من فَعلى مفتوح الفاء أو مضمومها أو مكسورها مثل (التقوى) و(السلوى) و(طوبى) و(بُشرى) و(القربى) و(ذكرى) و(ضيزى). كما أمالوا كل ما كان على وزن فعالى مثل (سكارى) (فرادى) (يتامى) و(نصارى). كما أمالوا كل ما رسم في المصحف بالياء مثل (رمى) و(بلى) و(يا أسفى) و(أنىّ) التي للاستفهام واستثنوا من ذلك (حتى)، و(إلى) و(على) و(لدى) و(ما زكى) فلم يميلوه.[١]

كما أمالوا مما أصله الواو وكان مكسور الأول أو مضمومة مثل (الربا) و(الضحى) و(القوى) وقد ذهب مكي بن أبي طالب في تفسير ذلك بأن مذهب الكوفيين على تثنية ما كان من ذوات الواو مضموم الأول أو مكسوره بالياء. وقال ابن الجزري: (وقوى هذا السبب سبب آخر هو الكسرة قبل الألف في الربا وكون (الضحى) و(العلى) و(القوى) رؤوس آي فأميل للتناسب).[٢]

وأمال أبو عمرو كل ألف بعدها راء مكسورة كسرة إعراب وهي في موضع اللام سواء أتكررت اللام أم لم تتكرر وقع قبلها حرف استعلاء أم غيره مثل (القهار) و(النهار) و(الأبرار) و(أبصارهم) و(ديارهم) و(أوبارها) و(أشعارها) واستثنى من ذلك (الجار) في موضعين بالنساء.

أما إذا كانت الكسرة للبناء فلا إمالة عنده مثل (جبارين) في المائدة والشعراء و(الجوار) في الشورى والرحمن والتكوير. ومما أمالَهُ كلمة (هارٍ) لأن الكسرة فيه ليست للبناء بل هي مثيلة لكسرة رامٍ وغازٍ عارضة.

كما أمال كل ألف في نهاية الكلمة منقلبة عن ياء سواء أكانت الألف لام الكلمة أم كانت للتأنيث وسواء أتصل بالكلمة ضمير أم لا مثل: (نرى) و(يرى) و(اشترى) و(مجراها) و(تتمارى) و(يفترى) والتي للتأنيث مثل: (الشعرى)، (الأخرى)، (أسارى)، (سكارى) (بشراكم).

وأما (أعمى) في قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ فقد أمال أبو عمرو ألف (أعمى) الأولى وقرأ الثانية بالفتح لأن (أعمى) الأولى وصف، والثانية للتفضيل فهي بمرتبة المصدر. وأمال أبو عمرو ألف (الكافرين) إذا وقعت جمعاً منصوباً أو مجروراً فإن كانت مفرداً أو مرفوعة فلا إمالة عنده فيها. كما أمال ألف (الناس) إذا كانت مجرورة لا غير.[٣]

([١]) التيسير للداني ص٤٦.

([٢]) النشر لابن الجزري ٢/٣٧.

([٣]) التيسير للداني ص٥٢.

فإذا لقيت الألف المنقلبة عن ياء ساكناً فقد اختلف الرواة فيه عن أبي عمرو فروى الدوري فتح الألف لسقوط موجب الإمالة، وروى السوسي إمالته إلا إن كان منوناً فإنه يفتحه مثل (مفترىً) (قرىً) ومثال مالقى ساكناً (رأى الشمس) و(النصارى المسيح) و(ونرى الله).

وما كان من جميع ذلك رأس آية في سورة أواخر آيها على ياء أو هاء أو كان على وزن فَعلى بفتح الفاء نحو (المَوتى) و(السلوى) و(مرضى) أو(فِعلى) بكسر الفاء نحو (سيماهم) و(إحدى) أو فُعلى بضم الفاء مثل (الرؤيا) و(طوبى) ولم يكن فيه راء فإنه يقرؤه بين بين وما كانت فيه راء بعدها ياء فإنه يقرؤه بالإمالة المحضة. وما عدا ذلك بالفتح.(١)

وقرأ ورش جميع ذلك بين بين، واختلف عنه فيما كان من رؤوس الآي على لفظ (ها) وذلك في النازعات والشمس مثل (بناها) (ضحاها) و(سواها) و(دحاها) وتلاها) و(جلاها) و(أرساها) سواء أكان واويا أو يائيا فقد روى عنه أهل الأداء الفتح وروى عنه آخرون الإمالة بين بين.(٢)

وأمال أبو بكر شعبة بن عياش (رمى) و(أعمى). وأمال حفص (مجراها) في هود لا غير. وقرأ باقي السبعة جميع ما تقدم بإخلاص الفتح.(٣)

الوقوف على هاء التأنيث بين الإمالة والفتح:

كان الكسائي يقف على هاء التأنيث بالإمالة نحو: (جنة) (ربوة) (نعمة) (هُمزة) (لُمزة) و(القيامة) إلا أن يقع قبل الهاء حرف من عشرة أحرف هي: أحرف الاستعلاء السبعة التي تجمعها كلمة (خص ضغط قظ) والحاء والألف والعين (حاع) وذلك نحو (بسطه) (موعظة) (خصاصة) (قبضة) (الصاخة) (البالغة) (الحاقة) (الصلاة) (النطيحة) (القارعة).

وكذلك إذا وقع قبل الهاء راء مفتوح ما قبلها أو مضموم. أو همزة مفتوح ما قبلها أو كان ألفاً. أو إذا وقعت هاء وكان ما قبلها ألف أو كاف انضم ما قبلها أو انفتح.

فالراء نحو: (غمرة) و(سورة) و(عمارة).

والهمزة نحو: (امرأة) و(براءة) و(النشأة).

والهاء مثل: (سفاهة).

والكاف مثل: (التهلكة) و(الشوكة) وشبه ذلك. فإن أهل الأداء لا يرون إمالة الهاء حسبما ورد عن ابن مجاهد وأصحابه.

وقرأ باقي القراء السبعة جميع ذلك الفتح.(٤)

---

(١) التيسير للداني ص٤٧.

(٢) التيسير للداني ص٢٧ والنشر لابن الجزري ٤٨/٢.

(٣) التيسير للداني ص٤٨.

(٤) السابق ص٥٤-٥٥ وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي ٢٩١/١-٢٩٤.

مذهب ورش في إمالة الراءات:

إذا وقعت الراء بعد كسرة لازمة، أو ساكن قبله كسرة أو ياء ساكنة فإن ورشاً كان يميل فتحة هذه الراء قليلاً بين يين. سواء ألحقها تنوين أم لم يلحقها.

مثال ما سبقتها كسرة لازمة:(الآخرة) (باسرة) (ناضرة) (تبصرة) ومثال ما سبقها ساكن قبله كسر: (الشعر) (الذكر) (السحر).

ومثال ما سبقتها ياء ساكنة سواء أكان ما قبلها مفتوحاً أو مكسوراً: (الخيرات) (المغيرات) (الفقير) (نضيراً) (نذيراً).

وقد خالف ورش هذا الأصل من أصول قراءته في قوله تعالى: (الصراط) و(صراط) حيث وقعا فقد اخلص فتح الراء فيها.

كما فتح الراء بسبب حرف الاستعلاء مثل (الفراق) (الإشراق) و(إعراضا) وكذلك بسبب تكرير الراء مثل (مدرارا) و(ضرارا) و(اسرارا). وبسبب العجمة مثل (إبراهيم) (إسرائيل) (عمران).

كما فتح الراء إذا كانت الكسرة غير لازمة مثل (برسول) و(لربك) و(برؤوسكم) وأمال فتحة الراء في (بشرر) لأجل جرة الراء الثانية. وفتح راء (أولى الضرر) لأجل الضاد قبلها.

وقرأ باقي القراء بإخلاص الفتح في جميع ما تقدم.[١]

الوقف على أواخر الكلمات:

الأصل في الوقف على أواخر الكلمات المتحركة في القرآن الكريم واللغة عموماً أن يكون بالسكون.

وقد وردت الرواية عن أبي عمرو والكوفيين بالوقف على ذلك بالإشارة إلى الحركة سواء أكانت إعراباً أم بناءً. والإشارة تكون بالروم أو الإشمام ولم يُرْوَ من ذلك شيء عن بقية القراء السبعة.

أما الرَّوم فهو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها فيسمع لها صويت خفيف يدركه الأعمى بحاسة السمع. ويكون الروم في الرفع والضم والخفض والكسر، ولا يستعملونه في النصب والفتح لخفة الفتحة لأنه إذا خرج جزء منها خرج سائرها.

وأما الإشمام فهو ضم الشفتين بعد سكون الحرف أصلاً. فيراه المبصر ولا يدركه الأعمى ويكون في الرفع والضم لا غير.[٢]

---

(١) التيسير للداني ص٥٥-٥٦، إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ١/٢٦٠-٢٦١.

(٢) التيسير للداني ص٥٨-٥٩.

المبحث الخامس

التفخيـــم والترقيـــق

أحكام الراء:

أجمع القراء على تفخيم الراء إذا سبقتها فتحة أو ضمة أو سبقها ساكن قبله فتح أو ضم وتحركت هي بالفتح أو الضم، أو كانت ساكنة اثر فتح أو ضم، مثل (حَـذَرَ المـوت) (يُـرَدون) (العُسْرة) (مَرْجعكم) (كُرْسيه) وشبهه.

وكذلك تفخم الراء بإجماع القراء إذا كانت اثر كسرة عارضة أو وقع بعدها حرف استعلاء مثل قوله تعالى: (أمِ ارتابوا) (ارصادا) و(فِرقه) و(قِرطاس) و(مرصاد).

أما إذا سكنت الراء إثر كسرة لازمة، ولم يقع بعدها حرف استعلاء فهي مرققة بإجماع القراء مثل: (مِرْية) (شِرْعة) (فِرعون) (الأربة) وشبهه.

وكذلك إذا كانت الراء مكسورة سواء أكانت كسرتها لازمة أم عارضة وسطاً أم طرفاً منونة أم غير منونة فلا خلاف في ترقيقها في حالة الوصل مثل (رِزقـا) و(الغـارِمين) و(أمـرٍ مرِيج).

والراء المفتوحة والمضمومة والساكنة إذا وقعت طرفاً فالوقف عليها كالوصل تفخيماً أو ترقيقاً سواء أُشير إلى حركة المضموم بالروم أو الإشمام أم لم يُشر.

وأما الراء المكسورة فإن رُمت حركتها رققتها كالوصل مثل (ليلة القـدرِ) وإن وقفت بالسكون فخمتها.

فإن وقع قبل الراء كسر أو ياء ساكنة مثل (منهمِرْ) و(نذير) أو كسرة ممالة نحو (بشـرَرَ) فإنها ترقق في الحالين.[1]

أحكام اللام:

اللام حرف يتعاوره التفخيم والترقيق شأنه في ذلك شان الراء لمشاركته إياها في المخرج. فاللام تفخم للتعظيم في لفظ الجلالة إذا سبقها فتح أو ضم بإجماع القراء.

وينفرد بتفخيم اللام ورش لدى بعض حروف الإطباق وهي الطاء والصاد والظاء مثل: (ظلموا) (ومن أظلم) (الصلاة) (مصلى) (الطلاق) (طلقتم) كل ذلك وشبهه قرأه ورش وحده بالتفخيم وقرأ باقي السبعة كل ذلك بترقيق اللام. أما إذا انكسرت اللام أو انضمت أو سكنت أو انضمت

---

(1) التيسير للداني ص٥٧، إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ١/٢٩٥-٣٠٢.

الطاء أو الظاء فإنه يرقق اللام كسائر القراء وذلك مثل (لظلُوم) (فظَلَّ) (ويصلُّون) (ومن يظلِم) و(فظلْتم) و(ظلمات).

فالتفخيم عنده للاّم المفتوحة، لأن الفتحة مؤاخية للتفخيم ولأنها من الألف ولأنها مستعلية في المخرج كحروف الاستعلاء والتفخيم ولهذا يعمل اللسان عملاً واحداً.

واللام إذا فخمت في الوصل لورش بسبب حروف الإطباق وكانت متطرفة فإنه يقف عليها بالوجهين: التفخيم كالوصل لأن الوقف عارض. والترقيق لسكون اللام في الوقف.

أما اللام المفتوحة المفخمة بعد الصاد إذا وقعت رأس آية فإن ورشاً يرققها لأنه يقرؤها بين الفتح والإمالة نحو (عبداً إذا صلى) (وذكر اسم ربه فصلى) لأنه عندما يقرأ الألف بين اللفظين فإنه يقربها من الياء فتقترب فتحة اللام من الكسرة فيمتنع التفخيم.[١]

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/٢١٨-٢٢٣.

المبحث السادس

الياءات الزوائد وياءات الإضافة

الياءات الزوائد:

هذه الياءات كلها زوائد على خط المصحف وقد اختلف القراء حولها بين الحذف والإثبات وهي على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ياءات الضمائر التي تصحبها النون عند اتصالها بالأفعال مثل: (هداني) و(اتقوني) و(اخشوني)، وأصلها الزيادة.

القسم الثاني: ياءات الضمائر التي لا تصحبها النون وذلك عند اتصالها بالأسماء مثل: (وعيدي) و(نكيري) و(نذيري)، وأصلها الزيادة كذلك.

القسم الثالث: ياءات أصلية تكون لام الكلمة مثل: (الداعي) و(الهادي) و(الوادي) وشبهه وقد حذفت منها الياءات تخفيفاً لدلالة الكسرة عليها[1].

قال أبو عمرو الداني: (اعلم أن جملة المختلف فيه من ذلك إحدى وستون ياءً لا غير.)[2]

أثبت نافع في رواية ورش منهن وصلاً دون الوقف سبعاً وأربعين. وأثبت منهن في رواية قالون عشرين. واختلف عن قالون في اثنتين وهما (التلاق) غافر/١٥، و(التناد) غافر/٣٢.

وأثبت ابن كثير منهن في روايتيه في الوصل والوقف إحدى وعشرين.

وأثبت أبو عمرو من ذلك في الوصل خاصة أربعاً وثلاثين وخيَّر في اثنتين (أكرمن) الفجر/١٥، و(أهانن) الفجر/١٢، والمأخوذ له به فيهما الحذف لأنهما رأسا آيتين، وذلك يناسب الوقف.

وأثبت الكسائي من ذلك في الوصل ياءين (يوم يأت) هود/١٠٥، و﴿ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾الكهف/٦٤، لا غير.

وأثبت حمزة الياء في الوصل خاصة في قوله تعالى: (وتقبل دعاء) إبراهيم/٤٠. وأثبتها في الحالين في قوله تعالى: (أتمدونن) النحل/٣٦.

وحذف عاصم كل ياءات الزوائد في الحالين وصلاً ووقفاً واختلف عنه في ياءين إحداهما ﴿ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ﴾النمل/٣٦، فتحها حفص في الوصل وأثبتها ساكنة في الوقف وحذفها شعبة في

([1]) الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٣١/١.

([2]) التيسير للداني ٦٠/٦١.

الحالين. والأخرى ﴿ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ ﴾ الزخرف/٦٨، فتحها أبو بكر شعبة في الوصل وأثبتها ساكنة في الوقف وحذفها حفص في الحالين.

وأثبت ابن عامر في رواية هشام الياء في الحالين في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كِيدُونِ ﴾الأعراف/١٩٥، وحذف الياء في رواية ابن ذكوان في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِي ﴾الكهف/٧٠.

ياءات الإضافة:

ياء الإضافة هي عبارة عن ياء المتكلم وتتصل بالاسم والفعل والحرف. فتكون مع الاسم في موضع جر بالإضافة نحو (نفسي) وتكون مع الفعل في موضع نصب مثل (فطرني) ومع الحرف في موضع جر (لي) وفي موضع نصب نحو (إني). وتكون ياء الإضافة زائدة على الكلمة فلا تكون لاماً للكلمة فيخرج بهذا القيد نحو (إن أدرى) وعلامتها أنه يمكن إحلال الكاف أو الهاء محلها فتقول في (فطرني): فطرك وفطره.[1]

ويدور اختلاف القراء في ياءات الإضافة بين الفتح والإسكان، وهي تأتي في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما أجمع القراء على إسكانه وهو الأكثر لمجيئه على الأصل مثل: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ ﴾ ﴿ وَٱشْكُرُواْ لِي ﴾ و﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ و﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾.

النوع الثاني: ما أجمع القراء على فتحه وذلك لسبب، إما أن يكون بعد الياء ساكن مثل لام التعريف أو شبهه أو قبل الياء ساكن ألف أو ياء، فالتي بعدها ساكن مثل: ﴿ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ ﴾ ﴿ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾ ﴿ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ﴾ والتي قبلها ساكن مثل: (هداي)و(إياي) و(يا بُنَيَّ).

النوع الثالث: ما اختلفوا في إسكانه وفتحه وذلك بحسب الحرف الواقع بعدها وهو كما يلي:

١- إذا وقعت بعد الياء همزة مفتوحة مثل: ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ ﴾ و﴿ أَنِّيٓ أَخْلُقُ ﴾ و﴿ لِيٓ أَنْ أَقُولَ ﴾ وشبهه.

٢- إذا وقعت بعد الياء همزة مكسورة مثل: ﴿ مِنِّيٓ إِلَّا ﴾ و﴿ مِنِّيٓ إِنَّكَ ﴾ و﴿ رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ ﴾ وشبهه.

٣- إذا وقعت بعد الياء همزة قطع مضمومة مثل: ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا ﴾ و﴿ إِنِّيٓ أُمِرْتُ ﴾.

٤- إذا وقعت بعد الياء همزة وصل مع لام التعريف مثل ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ و﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ﴾.

٥- إذا وقعت بعد الياء همزة وصل مجردة عن لام التعريف مثل: ﴿ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ ﴾ و﴿ أَخِي ٱشْدُدْ ﴾.

---

[1] النشر لابن الجزري ٢/١٦١.

٦- إذا وقع بعد الياء أي حرف من حروف المعجم سوى همزة القطع أو الوصل وذلك مثل ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

فهذه الأنواع الستة اختلف حولها القراء بين الفتح والإسكان.[١] والفتح والإسكان في ياءات الإضافة من التغييرات الصوتية. ذلك أن المقاطع الصوتية نوعان: متحرك وساكن. فالمتحرك هو ما ينتهي بصوت لين قصير أو طويل أما الساكن فهو الذي ينتهي بصوت مغلق.[٢]

(١) يراجع في ذلك النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/١٦١-١٧١.

(٢) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص١٣١.

الفصل الثالث

أثر علماء القراءات في تطور الدراسة الصرفية

المبحث الأول: نشأة علم التصريف

المبحث الثاني: الخليل ودراسة بنية الكلمة

المبحث الثالث: سيبويه والتدوين في علم التصريف

المبحث الرابع: تطور الدراسة الصرفية على يد المازني وتلاميذه

المبحث الخامس: مساهمة الكوفيين في تطوير علم التصريف

المبحث السادس: تكامل الدراسة الصرفية لدى المدرسة البغدادية

المبحث الأول

نشأة علم التصريـــف

لقد سبق النحو قسيمه الصرف إلى اهتمام العلماء الذين نهضوا بمهمة صون اللسان العربـــي عن اللحن في كتاب الله تعالى وذلك لأسباب موضوعية بررت ذلك وأهمها فشو اللحن في الإعراب بعد اختلاط العرب بالعجم عند اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول الناس في دين الله أفواجا .

وثمة سبب آخر أشار إليه أبو الفتح عثمان بن جني بعد أن وصف التصريف بأنه إنما نشـــأ لمعرفة أنفس الكلم الثابتة والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، فقال: (وإذا كان ذلك كذلك فقــد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفــة ذات الشـــيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة، إلا أن هذا الضرب من العلم لما كـــان عويصـــاً صعباً بُدئ قبله بمعرفة النحو، ثم جئ به بعد، ليكون الارتياض في النحو موطئـــاً للـــدخول فيـــه، ومعيناً على معرفة أغراضه ومعانيه)[1].

والذي يراه الباحث أن الحاجة هي التي دعت أولاً إلى نشأة النحو لمعالجة اللَّحن في إعراب الكلمات، حيث لم يكن هذا الداء قد امتد إلى الأبنية بعد، كما تؤيد ذلك وقائع التاريخ، وليس الأمـــر كما ذهب إليه أبو الفتح رحمه الله .

لقد عنيت مباحث رجال الطبقة الأولى من نحاة البصرة بأحوال أواخر الكلمـــات، وتوالـــت جهود العلماء في التأصيل لعلم النحو إلى عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي وأبي جعفر محمـــد بـــن الحسن الرؤاسي بالكوفة حيث تبلور الاتجاه إلى بحث أحوال الأبنية التي أخذ اللحن يدب إليها، مـــا حمل هؤلاء العلماء على هذه الدراسة، ومنذ ذلك الحين ظهرت مباحث علم التصريف في طي كتب النحو وشغلت منها فراغاً، وقد عم الأمرين اسم النحو واستمر هذا الاندماج طويلا حتى امتد إلـــى كتب المتأخرين الذين عرّف بعضهم النحو بأنه علم يعرف به أحوال الكلم العربية إفراداً وتركيبـــاً ليشمل الأمرين معاً [2].

ذكر الإمام السيوطي أن واضع علم التصريف هو معاذ بن مسلم الهرّاء الكوفي وذلك استناداً إلى رواية أوردها أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي في كتابه : طبقات النحويين واللغويين[3] يذكر

---

(1) المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني ١/٤-٥ تحقيق إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين نشر إدارة إحياء التراث القديم بمصر ط/١ سنة ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م .

(2) يراجع في ذلك نشأة النحـــو للشيخ محمد الطنطاوي ص٤٠-٤٣ نشر دار المعارف بمصر ط٢ بدون تاريخ .

(3) طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي ص ١٢٦ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم نشر دار المعارف بمصر ط/٢ بدون تاريخ .

فيها أن أبا مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان قد جلس إلى معاذ بن مسلم الهراء النحوي (المتوفى سنة ١٨٧هـ) فسمعه يناظر رجلاً في النحو فقال له معاذ : كيف تقول من ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ مريم/٨٣، يا فاعل افعل وصلها بيا فاعل افعل من ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ التكوير/٨، قال السيوطي: (ومن هنا لمحت أن أول من وضع التصريف معاذ هذا)(١).

وقد استنكف الدكتور شوقي ضيف أن يكون هذا الخبر كافياً لنسبة وضع علم التصريف إلى معاذ الهرّاء، فوصف الخبر بأنه : (لا يسنده كتاب وضعه في هذا العلم وهو لا يعدو معرفته بالتصريف، وكتاب سيبويه زاخر به وبما لا يكاد يحصى من أمثلته وأبنيته ومنه خلصها المازني ووضع فيها كتابه "التصريف" . ومما يؤكد وهم السيوطي فيما ادعاه أنه ليس لمعاذ في كتب التصريف آراء تنسب إليه ذات قيمة وكأن علمه بالصرف مثل علم الرؤاسي في النحو كان علماً محدوداً لا غناء فيه ولا شيء يميزه من علم البصرة)(٢).

وقد حاول محققا كتاب المنصف لابن جني ترجيح ما ذهب إليه الإمام السيوطي بعقد مقارنة تاريخية بين زمن معاذ الهرّاء وزمن تأليف كتاب سيبويه إلا أن ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف يعتبر – في نظري– الأقوى والأظهر لأن ما جاء في كتاب سيبويه لم يكن من بنات أفكاره وإنما كان تراكماً علمياً رصيناً وثمار جهود العلماء قبله منذ عبدالله بن أبي إسحاق تـ (١١٧هـ) وعيسى بن عمر الثقفي تـ (١٤٩هـ) وأبي عمرو بن العلاء تـ(١٥٤هـ)، تلك الجهود التي تلقاها الخليل بن أحمد الفراهيدي ونمّاها وأضاف إليها الشيء الكثير حتى غدت علماً راقياً متكاملاً منظماً دوّنه سيبويه في كتابه نقلاً مما أملاه عليه أساتذته الخليل، ويونس وغيرهما .

وعلى نحو ما تكونت الملاحظات الأولى في علم النحو لدى أولئك القراء من رواد علم العربية في البصرة، تكونت في مرحلة تالية بدايات علم التصريف ولعل من أوائل من أُثر عنهم ذلك عبدالله بن أبي إسحاق الذي يقول عنه أبو الطيب اللغوي: (فرّع عبدالله بن أبي إسحاق النحو وقام وتكلم في الهمز حتى عمل فيه كتاب مما أملاه)(٣) ويبدو أنه عالج فيه مسألة رسمها حين توصل وحين تقطع وحين تسهّل وحين تدخل على همزة أخرى وحين تتصل بحروف العلة (٤). ثم تواصلت جهود ابن أبي إسحاق لدى تلميذه عيسى بن عمر الثقفي وأبي عمرو بن العلاء أحد القرّاء

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للإمام جلال الدين السيوطي ٢٩١/٢ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم نشر المكتبة العصرية – بيروت، بدون تاريخ .

(٢) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص ١٥٤، نشر دار المعارف بمصر ط/٥ بدون تاريخ.

(٣) مراتب النحويين واللغويين لأبي الطيب اللغوي ص١٢ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم نشر مكتبة نهضة مصر ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م .

(٤) المدارس النحوية د. شوقي ضيف ص ٢٥ .

السبعة [1] وإمام العربية الذي قال عنه ابن جني : "كان ممن نظروا في النحو والتصريف وتدربوا وقاسوا)[2] ولا أدلّ على قول ابن جني من دقة اختيارات أبي عمرو التي تنم عن ثاقب فكرة في علوم العربية عامة وفي فن التصريف بخاصة، ولا أدلّ على ضبطه مما أورده الحافظ بن الجزري حول رواية اختلاس فتحة الهاء في قوله تعالى : ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ يونس/٣٥، من رواية اليزيدي وغيره: (قال ابن رومي قال العباس : قرأته على أبي عمرو خمسين مرة فيقول : قاربت ولم تصنع شيئاً . قال ابن رومي : فقلت للعباس خذه أنت على لفظ أبي عمرو فقرأته مرة واحدة فقال : أصبت)[3].

([1]) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للإمام شمس الدين أبي عبدالله الذهبي ٨٦/١ تحقيق محمد سيد جاد الحق نشر –مطبعة دار التأليف بمصر ط/ ١ بدون تاريخ .

([2]) الخصائص لابن جني ٢٤٩/١ .

([3]) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٨٣/٢

المبحث الثاني
الخليل ودراسة بنية الكلمة

يعتبر الخليل بن أحمد أول من توفر على دراسة الأصوات من اللغويين العرب القدامى إذ لم تذكر الأسفار في التراجم والسير والأخبار عالماً نظر في هذا العلم قبله، يقول المستشرق برجستراسر: (لم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق، وهما أهل الهند -يعني البراهمة- والعرب، وأول من وضع أصول هذا العلم من العرب الخليل بن أحمد).[1]

لقد كان الخليل ذا معرفة واسعة بحضارات الأمم الأخرى كالهنود واليونانيين وقد اطلع على كثير من معارفهم، ومن ضمنها آثارهم في علم الأصوات، فقد وضع اليونانيون اللبنات الأولى لهذا العلم وقد كانوا يعنون بدراسة الظواهر الصوتية دون النظر إلى مخارج الحروف، ثم قام الهنود فيما بعد بتطوير هذه الدراسة التي تناولها الخليل وخطا بها خطوات واسعة حتى جعل منها منطلقاً لدراسات لغوية عديدة تشمل علم الأصوات ومخارج الحروف وصفاتها إلى دراسة بنية الكلمة وما يعتريها من أحوال تصريفية مختلفة مثل الإعلال والإبدال والقلب وأحكام الهمز وما إلى ذلك مما يعتبر فتحاً في فهم أسرار اللغة ودقائقها.

درس الخليل أصوات اللغة في حال إفرادها وتركيبها وتأمل خصائصها وصفاتها فقاده ذلك إلى معرفة ما يمكن أن يتجاور منها وما لا يمكن وأسباب ذلك كما تطرق إلى تأثيرات بعضها على بعض سواء في النطق من الناحية الصوتية أو التركيب من الناحية الصرفية، ما مكنه من التوصل إلى جمع كلمات اللغة ومعرفة المستعمل والمهمل، ففي بعض ملاحظاته يقول: (ولولا بُحّة في الحاء لأشبهت العين، فلذلك لم تأتلفا في كلمة واحدة، وكذلك الهاء، ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكل واحدة منهما معنىً على حدة نحو قولهم: حيّها، وقول الآخر: حيّهاوة، حيّهلا، فحيّ كلمة معناها: هلمّ، وهلا: حثيثاً [وفي الحديث فحيّ هلا بعمر] وقال الخليل: سمعنا كلمة شنعاء (الهعخع) فأنكرنا تأليفها، وسئل أعرابي عن ناقته، فقال: تركتها ترعى الهعخع، فسألنا الثقات من علمائهم فأنكروا ذلك وقالوا: نعرف الخعخع فهذا أقرب إلى التأليف)[2]، وقد أصاب الخليل في ملاحظته حول كلمة (الخعخع) حيث ردّ هذا الأمر إلى من هم أدرى باللغة في بيئة الأعرابي الذي نطق بها فقالوا: نعرف (الخعخع) وتأكد لديه ما كان يراه من هذا الأمر.

ومن خلال دراسته العميقة الواعية يلتمس الخليل تفسير مثل هذه الظواهر اللغوية فيقرر أن هذا التنافر بين بعض الحروف قد يكون بسبب تباعد مخارجها جداً، أو بسبب تقاربها وفي كلا الحالين يعسر النطق فيشبه الطفرة في حال التباعد، والمشي في القيد في حال التقارب[3]، وكلاهما مما يعيب ويعجز عن الحركة.

---

(1) التطور النحوي للغة العربية لبرجستراسر ص١١. نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط/٤ سنة ٢٠٠٣م.

(2) المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي ١/١٩٢-١٩٣ تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين نشر دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابلي الحلبي بدون تاريخ.

(3) المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي ١/١٩٣.

كيفية بناء الكلمة:

يرى الخليل أن الكلمات تتألف بضم بعض الأصوات الساكنة إلى بعض ولا يُتوصل إلى النطق بها إلا بحروف اللين أو بالحركات التي هي أبعاض حروف اللين وفي هذا يقول سيبويه: (وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهنّ يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به. والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه. فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو. فكل واحد شيء مما ذكرت لك.)[١]

هذا وقد كان يرى أن أبنية الكلمات ثلاثية ورباعية وخماسية، لا تقل عن ثلاثة أحرف: (حرف يُبتدأ به، وحرف يُحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه. فهذه ثلاثة أحرف مثل سَعْد، وعمر ونحوهما من الأسماء بُدئ بالعين وحشيت الكلمة بالميم ووقف على الراء.)[٢] على أنه يقرر أن كلام العرب يتضمن الثنائي كذلك فيقول: (فإذا صيرت الثنائي مثل هَلْ، وقَدْ، ولَوْ، اسماً أدخلت عليه التشديد فقلت: هذه لوٌّ مكتوبة وهذه قدٌّ حسنة الكتبة، زدت واواً على واو ودالاً على دال: ثم أدغمت وشددت.)[٣].

ولقد أفاد الخليل من خبرته الرياضية فاستخدم نظرية التبادل والتوافق وتوصل إلى إحصاء ما يمكن بناؤه من كلمات اللغة وذلك عن طريق تقليب الأبنية ومن تحديد المستعمل منها وترك المهمل وجمع ذلك في كتابه (العين) الذي يعتبر أول معجم في اللغة العربية يقول الخليل: (اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين نحو: قد، ودق، شد، دش، والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه وتسمى مسدوسة وهي نحو: ضرب، ضبر، برض، بضر، رضب، ربض. والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجهاً وذلك أن حروفها وهي أربعة تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح، وهي ستة، فتصير أربعة وعشرين وجهاً يكتب مستعملها ويلغي مهملها.. والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجهاً وذلك أن حروفها وهي خمسة أحرف تضرب في وجوه الرباعي وهي أربعة وعشرون وجهاً فتصير مائة وعشرين وجهاً يستعمل أقله ويلغى أكثره.)[٤] وبهذه الكيفية توصل إلى جل ما تكلمت به العرب من ذلك.

ولقد أدته بحوثه الواسعة في بنية الكلمة والنظر في طبيعة حروفها إلى تقسم الكلمات إلى مجردة ومزيدة حيث لاحظ من خلال ما تكوّن لديه أن الكلمة المجردة –اسماً كانت أم فعلاً– لا تزيد على خمسة أحرف ولا تقل عن ثلاثة فيقول: (كلام العرب مبني على أربعة أصناف: على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، فالثنائي على حرفين نحو قد ولم، ..والثلاثي من الأفعال نحو قولك:

---

(١) الكتاب لسيبويه ٤/٢٤١–٢٤٢.

(٢) العين للخليل بن أحمد ١/٧١ تحقيق الدكتور هادي حسن حمودي– مكتبة السيد محمد بن أحمد، سلطنة عمان.

(٣) السابق ١/٧١.

(٤) العين للخليل ١/٧٧–٧٨.

ضرب، خرج..والرباعي من الأفعال نحو دحرج، هملج، قرطس، مبني على أربعة أحرف، ومن الأسماء نحو عبقر وعقرب..والخماسي من الأفعال نحو اسحنكك واقشعرّ.. ومن الأسماء نحو سفرجل وهمرجل وسمردل وكنهبل وعقنقل.

وليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم فاعلم أنها زائدة في البناء، وليست من أصل الكلمة.)(١)

ففي هذا النص يتحدث الخليل عن الأبنية، المجرد والمزيد منها، ثم عن حروفها الأصلي والزائد، ما قاده إلى إرساء عدد من أهم دعائم علم التصريف، والتي تنبني عليها العديد من جوانب هذه الدراسة.

فمن هذه الدعائم باب المجرد والمزيد، ثم معرفة الأصلي والزائد ثم الميزان الصرفي الذي وضعه الخليل لمعرفة الأصلي والزائد وهو شديد الصلة بميزانه العروضي مما يؤكد أنه هو الذي وضعه.

هذا وقد جعل الخليل صيغة الثلاثي المجرد أصلاً وهي (فَعَلَ) ثم أضاف إليها لاماً في وزن الرباعي المجرد مثل خردل وجعفر فذلك وزنه (فعلل) وأضاف لامين في وزن الخماسي المجرد مثل سفرجل بزنة (فَعَلَّل) أو (فَعْلَلِلْ) في مثل (جَحْمِرِش).(٢)

فهذه هي صيغ المجرد ثلاثياً كان أم رباعياً أم خماسياً وما زاد على ذلك فإنه يعتبر زائداً وتكون الكلمة حينئذٍ مزيدة، وقد رأى الخليل أن يوضع هذا الزائد كما هو في الميزان الصرفي. وقد لاحظ أن حروف الزيادة عشرة يجمعها قولك: (سألتمونيها) وتكون الزيادة في كل الأحوال لمعنى محدد لأنهم قالوا: إن زيادة المبنى تفيد زيادة المعنى وعلى هذا يكون وزن (أَجْلَسَ) (أَفْعَلَ) لأن الهمزة زيدت ههنا للتعدية فالفعل (جَلَس) فعل لازم أصوله ثلاثة بزنة (ف ع ل) فلما زدنا عليه الهمزة أصبح بزنة (أ ف ع ل) فيكون فعلاً متعدياً بهذه الهمزة بعد أن كان لازماً وعلى ذات المنوال نقول في (تكرّم) أنها على وزن (تفعّل) بزيادة التاء وتضعيف العين، و(اقتطف) وزنها (افتعل) بزيادة الهمزة والتاء وانكسر،وزنها (انفعل) واستكمل وزنها (استفعل) واستكمال وزنها (استفعال) و(مِفتاح)، وزنها (مِفعال) زدنا ميماً مكسورة وهمزة للدلالة على اسم الآلة فنضعهما كما هما ميماً مكسورة وهمزة بالميزان الصرفي.

ثم إن الزيادة تكون على نوعين:

أحدهما: ما يكون بتكرير حرف أصلي مثل (فرّح) تكررت الراء وأدغمت الراء في الراء. ومثل (عقنقل) بزنة (فعنعل) حيث تكررت القاف وفصل بين القافين فاصل هو النون الساكنة وكل من الراء والقاف عين الفعل الأصلي بزنة (فعل). ومثل ذلك جلبب بزنة فعلل.

---

(١) السابق ١/٧٠.

(٢) يراجع في ذلك باب الأصلي والزائد من كتاب المنصف لابن جني ١/١١ وما بعدها.

ثانيهما: ما لا يكون بتكرير حرف أصلي بل بزيادة حرف أو حرفين أو ثلاثة أو أربعة من حروف الزيادة المجموعة في كلمة (سألتمونيها) وذلك مثل (أكرم) حيث زيد حرف واحد هو (الهمزة) و(أُدافع) حيث زيد حرفان هما (الهمزة والألف) و(تماثيل) حيث زيدت ثلاثة أحرف هي: (التاء والألف والياء) و(احميرار) حيث زيدت أربعة أحرف هي: (الهمزة والياء والألف وكرر حرف أصلي هو الراء).

الإعلال والإبدال:

ومما لاحظه الخليل وقعّد له، ما قد يحدث في الكلمة من إعلال أو إبدال أو قلب يحدث لسبب أو لآخر فيؤثر على بنية الكلمة ووزنها ويضفي عليها أحكاماً جديدة تبعاً لما آل إليه حالها، والذي لفته إلى ذلك أن كلمة (أشياء) وردت في الذكر الحكيم ممنوعة من الصرف وأن الذي يتبادر إلى الذهن أنها على وزن (أفعال) وهذه الصيغة ليست ممنوعة من الصرف فقد وردت عليها كلمات كثيرة مصروفة مثل أثقال في قوله تعالى: ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾.

ومن ذلك أقوال وأفعال وهكذا، ومن أجل ذلك ذهب الخليل إلى أنه حدث فيها قلب حوّلها من صيغتها الأصلية التي تمنعها من الصرف وهي صيغة (فعلاء).

ومن خلال تحليل الكلمة اهتدى إلى أنها ليست جمع (شيء) على (أشياء) كجمع (بيت) على (أبيات) إذ لو كانت كذلك لصرفت، ولكن العرب منعوها من الصرف، فلابد من أن يكون وزنها (فعلاء) الممنوع من الصرف مثل خضراء الممنوعة بعلة ألف التأنيث الممدودة، فالكلمة على هذا اسم جمع لا جمع فهي إذن (شيئاء) على وزن (فعلاء) ثم حدث فيها قلب مكاني حيث قدمت الهمزة التي هي لام الكلمة على فائها فأصبحت (لفعاء) وظلت بهذا الاعتبار ممنوعة من الصرف وقد حدث فيها هذا القلب كراهة اجتماع همزتين بينهما حاجز غير حصين هو الألف.

وقد استدل الخليل على صحة ما ذهب إليه بأن أشياء تجمع على (أشاوى) كما تجمع صحراء التي هي على وزن (فعلاء) على صحارى فيتشابه الجمعان والأصل عنده (أشايا) ثم قلبت الياء واواً قال سيبويه: (وسألته عن مسائية فقال: هي مقلوبة وكذلك أشياء وأشاوي.. وكان أصل أشياء شيئاء فكرهوا منها مع الهمزة مثل ما كره من الواو وكذلك أشاوى أصلها أشايا كأنك جمعت عليها إشاوة وكان أصل إشاوة شيئاء ولكنهم قلبوا الهمزة قبل الشين وأبدلوا مكان الياء الواو كما قالوا: أتيته أتوةً، وجبيته جباوة).[1]

ففي هذا النص يذكر سيبويه رأى أستاذ الخليل في أصل هذه الكلمة ويشير إلى علة ما حدث فيها من قلب.

---

(1) الكتاب لسيبويه ٤/٣٨٠-٣٨١.

وحول ذات الكلمة يقول أبو الفتح بن جني: (اعلم أنه إنما ذهب الخليل وأبو الحسن في (أشياء) إلى ما ذهبا إليه، وتركا أن يحملاها على ظاهر لفظها فيقولا إنها (افعال) لأنهما رأياها نكرة غير مصروفة نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ المائدة/١٠١، فلما رأياها نكرة غير مصروفة في حال التنكير ذهبا إلى أن الهمزة فيها للتأنيث فقال الخليل: هي (فعلاء) منقولة إلى (لفعاء) وقال أبو الحسن هي (أفعلاء) وقول الخليل فيها أقوى.)[1]

فذلك وأمثاله من استنباط قواعد علم التصريف إنما يدل على سعة إدراك الخليل لأسرار هذه اللغة ومقدرته على استنباط أحكامها من خلال استقراء مختلف أساليبها وربط كل هذه الأمور بعضها ببعض لاستخلاص هذه القواعد. ولعله من خلال استماعه للأعراب ومحاوراته معهم أدرك أنهم يستثقلون الهمزة الواحدة فلا يحققونها فضلاً عن الهمزتين إذا اجتمعتا في كلمة أو في كلمتين فأداه ذلك إلى التفكير في مسألة القلب المكاني الذي ربما لجأ إليه العربي لتفادي ثقل اجتماع الهمزتين أو حتى النطق بهمزة واحدة في سياق معين.

وقد تبين له أن القلب المكاني قياسي في ثلاثة مواضع بعلة كراهة اجتماع الهمزتين وهي:

١- اسم الفاعل من الأجوف المهموز اللام نحو جاءٍ وشاءٍ من جاء وشاء أصلها (جايئ) و(شايئ) وذلك لأن اسم الفاعل من الفعل الأجوف الثلاثي تقلب عينه همزة مثل (سائل) فلو لم تقدم الياء لأدى ذلك إلى انقلابها همزة وأن تجتمع همزتان في كلمة واحدة وذلك شيء تكرهه العرب ولذلك قدّر حدوث قلب مكاني أصبحت بموجبه (جايئ) (جائى) على وزن (فالع) [2] و(شايئ) (شائى) فأهّلهما ذلك إلى ان تُعلاَّ إعلال كلمة قاضٍ فاصبحتا (جاءٍ) و(شاءٍ) واستدل على ذلك بقياس كلمة (جاءٍ) على (شاكٍ) في قول طريف بن تميم العنبري[3]

فتعرّفوني أنني أنا ذاكمُ شاكٍ سلاحي في الحوادث مُعْلِم

حيث قدم الكاف على الهمزة في الصيغة الأصلية لكلمة (شاكٍ) وأصلها (شائك) فأصبحت (شاكئ) ثم أعلت فأصبحت (شاكى) مثل (قاضي) فاعلت إعلاله وصارت شاكٍ على وزن (فالع) شأنها في ذلك شأن (جاءٍ) و(شاءٍ).

قال ابن جني: (رأيت أبا علي يذهب إلى قوة قول الخليل في هذا الباب. قال: لأنه لا يجمع على الكلمة إعلالين، إنما هو إعلال واحد وهو تقديم اللام، وتأخير العين. قال: ومن قال إنه ليس بمقلوب فقد جمع على الكلمة إعلالين: قلب العين همزة وقلب اللام ياءً.

---

(1) المنصف لابن جني ٢/٩٤-٩٥. وانظر شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي ١/٢٩ تحقيق محمد نور الحسن وآخرين ط دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

(2) أساس البلاغة للزمخشري مادة (ج ي ء) ١/١٤٦ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.

(3) الكتاب لسيبويه ٣/٤٦٦، وانظر شرح شواهد الشافية ص٣٧٠.

قال: وإذا كانوا قد قلبوا في: (شاكٍ ولاثٍ) مع أنه ليس فيه اجتماع همزتين، ومع أنهم لو لم يقلبوا لما جمعوا على الكلمة إعلالين، فهم بأن يقلبوا فيما لو لم يقلبوه للزمهم إعلالان – وهو باب "ساءٍ، وشاءٍ، وجاءٍ"– أولى).(1)

فهذا التحليل الذي أوصل أبا علي إلى ترجيح رأى الخليل بن أحمد علي القائلين بعدم القلب في مثل هذه الصيغ ليؤكد ريادته في هذا الفن وسعة إدراكه لدقائق هذه اللغة.

٢- جمع ما كان بوزن فعيلة مهموز اللام نحو (خطيئة) على (خطايا) حيث جمعت على (فعائل) مثل قبائل وسفائن، وحيث إن اللام من خطيئة مهموز فستجمع على (خطائئ) حيث تجمتع همزتان فقلبت الثانية ياءً فصارت (خطائي)، ثم أبدلت مكان الياء ألفاً فصارت (خطاءا) فكأنه اجتمع ثلاث ألفات فقلبت الهمزة ياء فصارت (خطايا)(2).

٣- ما كان بوزن (فعلاء) مهموز اللام نحو (أشياء) وهي في الأصل عنده (شيئاء) كما سبق.

فالخليل إذن يقول باطراد القلب المكاني في كل موضع يؤدي فيه ترك القلب إلى اجتماع همزتين(3).

على أن الكوفيين وقد لاحظوا كذلك استثقال الهمزة والسعي نحو تخفيفها بتسهيلها أو حذفها أو إبدالها إلاّ أنهم لا يرون تعميم ذلك وقد سمعوا كثيراً من العرب يحققون الهمزة ومنهم من يميل إلى تخفيفها فأجازوا اللغتين وجعلوهما قياساً(4). وبذلك قرأ الكوفيون وابن عامر "أئمة" وسهل الثانية بقية القراء السبعة(5).

النحت:

إن ملاحظات الخليل على استعمالات اللغة لا تكاد تغفل شيئاً، وقد أذكى لديه هذه المقدرة على التأمل والملاحظة مشافهته الأعراب بأودية الحجاز ونجد وتهامة فمن ذلك ما ذهب إليه من أن الكلمة قد تكون استخلصت من كلمتين على سبيل النحت فمن ذلك اسم الفعل "هلمّ" فقد كان يرى أنها مكونة من "ها" التي للتنبيه وفعل "لُمّ" أي لُمّ بنا، قال أبو الفتح: (قال الخليل: هي مركبة وأصلها عنده "ها" للتنبيه، ثم قال: "لُمّ" أي لُمّ بنا، ثم كثر استعمالها فحذفت الألف تخفيفاً، ولأن اللام بعدها، وإن كانت متحركة فإنها في حكم السكون، ألا ترى أن الأصل وأقوى اللغتين –وهي الحجازية– أن

---

(1) المنصف لابن جني ٥٣/٢.

(2) المنصف لابن جني٥٤/٢-٥٥.

(3) يراجع في ذلك المنصف لابن جني ٥٢/٢-٥٥ و ٩٥/٢-٩٦.

(4) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو للدكتور مهدي المخزومي ص١٨٠، ط دار الرائد العربي- بيروت –لبنان، ط/٣، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(5) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي ١٦٧/٤-١٦٨.، تحقيق بدر الدين قهوجي وآخرين، نشر دار المأمون للتراث، دمشق-سوريا، ط/١ سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

تقول فيها: الْمُمْ بنا، فلما كانت لام "هلُمّ" في تقدير السكون حذف لها ألف "ها"، كما تحذف لالتقاء الساكنين، فصارت هَلُمَّ.)[١] فالخليل بهذا يقدم تفسيراً لكيفية تكوّن اسم الفعل "هلُمّ" وهو اجتهاد أصّل لأحد الجوانب المهمة في تكوين الكلمة وهو النحت الذي تكوّن على وَفقه الكلمة من كلمتين لكل منهما أثر واضح في معنى الكلمة الناشئة منهما.

ومن ذلك أيضاً تحليله للفظة "مهما" التي سأله عنها تلميذه سيبويه بقوله: (وسألت الخليل عن مهما فقال: هي (ما) أدخلت معها (ما) لغواً بمنزلتها مع متى إذا قلت: متى ما تأتي آتك وبمنزلتها مع إنْ إذا قات: إن ما تأتني آتك، وبمنزلتها مع أين كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ النساء/٧٨، وبمنزلتها مع أيّ إذا قلت: ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الإسراء/١١٠، ولكنهم استقبحوا أن يكرروا لفظاً واحداً فيقولوا: ماما، فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى. وقد يجوز أن يكون مه كإذ ضم إليها ما)[٢] فانظر إلى هذا التحليل البديع الذي يقدم تفسيراً منطقياً راقياً لظاهرة لغوية وهكذا يعزو استعمال مهما الشرطية إلى تنوع أساليب العربية في التعبير ويعاملها معاملة أخواتها من أدوات الشرط التي تكوين أكثرها عن طريق النحت من معنى أولي ثم إضافة (ما) لكي تضفي عليه معنى الشرط.

ومن ذلك (لن) الناصبة للمضارع فأصلها عنده (لا أن)[٣] فحذفت الهمزة تخفيفاً لكثرة دوران اللفظة في كلامهم. قال أبو الفتح: (ومنه قولهم: لن في قول الخليل. وذلك أن أصلها عنده (لا أن) فحذفت الهمزة عنده تخفيفاً لكثرته في الكلام، ثم حذفت الألف لسكونها وسكون النون بعدها)[٤].

ففي هذه الصيغ وغيرها نجد الخليل يحللها ويسجل ملاحظاته حول احتمالات تركيبها وعملها ما قاده إلى إرساء كثير من دعائم علم التصريف الذي كان له القدح المعلىّ والسهم الربيح في إقامة صرحه وتشكيل صورته.

---

(١) الخصائص لابن جني ٣/٣٥.

(٢) الكتاب لسيبويه ٣/٥٩-٦٠.

(٣) الكتاب لسيبويه ٣/٥.

(٤) الخصائص لابن جني ٣/١٥١.

المبحث الثالث

سيبويه والتدوين في علم التصريف

لم يؤثر عن الخليل أثر مكتوب في علم التصريف، وإنما كان يكتفي بما يملى على تلاميذه وما يلقيه في حلقة درسه وقد كان سيبويه أشهر تلاميذ الخليل وآثرهم عنده، فقد لزم أستاذه الخليل واختص به وأخذ جل ما عنده في الدراسات النحوية والصرفية فقد روى الزبيدي عن أحمد بن معاوية بن بكر العليمي قال: (ذُكر سيبويه النحوي عند أبي فقال: عمرو بن عثمان قد رأيته، وكان حدث السن، كنت أسمع في ذلك العصر أنه أثبتَ من حمل عن الخليل بن أحمد)(1).

كان سيبويه لا يكتفي بما يدونه في حلقة الدرس بين يدي الخليل بل كان يستزيده عن طريق السؤال والاستفسار حيث كان يثبت كل إجابة وكل رأي يدلي به الخليل في أي مسألة من المسائل وكل شاهد يرويه عن العرب، وقد كان الخليل حفياً به شأن كل عالم حريص على نشر العلم مع كل تلميذ طموح فقد روى ابن النطّاح قال: (كنت عند الخليل بن احمد فأقبل سيبويه فقال الخليل: مرحباً بزائر لا يُمل. قال أبو عمرو المخزومي: وكان كثير المجالسة للخليل.)(2)

هذا وقد وجدت دروس النحو والتصريف كل العناية أثناء هذه المحاورات التي تدور بين الخليل وتلميذه سيبويه، وقد كان الخليل دؤوباً على تطوير علم العربية والارتقاء به حتى استوت فروعه واضحة المعالم محددة الأبواب والمباحث وقد ظهرت في كتاب سيبويه أغلب المصطلحات التي تدور بين أهل هذا العلم إلى اليوم مثل: النحو والصرف والمبتدأ والخبر وكان وإن وأخواتهما والأفعال اللازمة والمتعدية إلى مفعول به واحد، أو مفعولين، أو مفاعيل، والفاعل، والمفاعيل، والحال، والتمييز، والنعت، والتوابع، والنداء، والندبة والاستغاثة، والترخيم، والممنوع من الصرف، وتصريف الأفعال، والمقصور والمدود، والمهموز، والمعرب، والمبني، والإمالة والفتح والإدغام والإعلال والإبدال والقلب وغير ذلك من مصطلحات النحو والتصريف التي حفل بها كتاب سيبويه وكان منهلاً لكل من جاء بعده.

والذي يتضح أن سيبويه قد جمع مادة علمية هائلة حتى إذا توفي الخليل أكبّ على تدوين هذه المادة العلمية العظيمة يصوغها ويؤلف منها كتابه الذي لم يكن جمعاً لأقول العلماء الذين أخذ عنهم وحسب وإنما كان عملاً منظماً على أعلى درجات التنظيم، مبوباً، محدد المباحث وقد حشاه بما توفر لديه من مادة علمية وما تكوّن لديه من ثقافة واسعة مردها إلى ما تلقاه من أساتذته وما سمعه بنفسه من العرب والرواة وفصحاء العرب وما حفظه من القرآن الكريم فقد وردت في

---

(1) طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزُّبيدي ص٦٦-٦٧.

(2) السابق ص٦٧.

تضاعيف كتابه عبارات مثل: (سمعنا بعض العرب يقول) و(سمعنا من العرب) و(قال قوم من العرب ترضى عربيتهم) و(سمعنا من العرب من يوثق بعربيته) وكل ذلك جعل لديه ذخيرة هائلة من اللغة واستعمالاتها وأساليب العرب في ذلك ما أهله إلى الموازنة بين أقوال العلماء من أساتذته وغيرهم والترجيح بين أقوالهم فمن ذلك قوله: (وسألت الخليل عن القاضي في النداء فقال: اختار يا قاضي، لأنه ليس بمنوّن، كما أختار هذا القاضي. وأما يونس فقال: يا قاضْ. وقول يونس أقوى، لأنه لما كان من كلامهم أن يحذفوا في غير النداء كانوا في النداء أجدر لأن النداء موضع حذف، يحذفون التنوين ويقولون يا حارِ ويا صاح ويا غلامُ أقبل.)(١) ففي هذا النص لا يكتفي سيبويه بأخذ أقوال أهل العلم ونقلها كما هي ولكنه يوازن بينها ويرجح ولكن بحجة وبرهان كما هو واضح من خلال النص حيث اختار قول يونس وذلك بناءً على ما سمعه من العرب وما تأكد لديه أنه موقف راجح.

يعتبر كتاب سيبويه أول كتاب جامع في قواعد النحو والتصريف، وقد كان ظهوره حدثاً فريداً في ذلك الزمان لروعة تأليفه وحسن ترتيبه ودقة منهجه الذي بهر أهل عصره ومن جاء بعدهم فنوهوا به وأثنوا عليه ثناءً عاطراً حتى أن أبا عثمان المازني قال عنه: (من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحيي)(٢)

وقال أبو الطيب اللغوي: (هو عمرو بن قنبر وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل وألف كتابه الذي سماه الناس قرآن النحو.)(٣) ويقول صاعد بن أحمد الأندلسي: (لا أعرف كتاباً ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها، اشتمل على جميع العلم، وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب، أحدها المجسطي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك، والثاني كتاب ارسطاليس في علم المنطق والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي، فإن كل واحد من هذه لم يشذّ عنه من أصول فنه إلا ما لا خطر له.)(٤) والكتاب لا يزال يتلقاه الناس إلى يوم الناس هذا بالإجلال والدهشة باعتباره عملاً عبقرياً وجهداً جباراً.

وعلى الرغم من كل ما حظي به كتاب سيبويه من التقدير والإعجاب إلا أن أسلوبه لا يخلو من شيء من الغموض في مواضع كثيرة منه، ولعل مرد ذلك إلى أن سيبويه كان يضع قوانين

---

(١) الكتاب لسيبويه ١٨٤/٤.

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ٣٤٦/٢-٣٦٠، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الفكر بالقاهرة ط١٤٠٦/١هـ-١٩٨٦م. وانظر الفهرست لابن النديم ص٧٤، تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان، نشر دار المعرفة، بيروت ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٣) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص٦٥، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ١٣٧٥-١٩٥٥م.

(٤) نقله الدكتور الدكتور شوقي ضيف في كتاب المدارس النحوية ص٦٠ (مرجع سابق)

النحو والتصريف بأكملها وضعاً مفصلاً وهو في منأىً عن أستاذه الخليل الذي كان يفزع إليه في كل كبيرة وصغيرة قبل وفاته، أما وقد توفي الأستاذ فلا بد من أن يظهر أثر ذلك، ولا بد من أن يَشُق التعبير على سيبويه لبيان كل هذا الكم من التفاصيل العلمية الدقيقة، وكثيراً ما يوجز في موضع يقتضي التفصيل والبسط والإطالة للتوضيح ولا أدل على ذلك من عبارة ظلت مستغلقة على أفهام العلماء المعاصرين له وتلاميذهم ردحاً من الزمن حتى جاء زمن أبي إسحاق الزجاج تلميذ المبرد الذي وفق إلى تفسيرها فقد ذكر ابن قتيبة عن المازني قال: (سألت الأخفش عن حرف رواه سيبويه عن الخليل في "باب من الابتداء يضمر فيه ما يُبنى على الابتداء"[١] وهو قوله: "ما أغفله عنك شيئاً، أي دع الشك" ما معناه؟ قال الأخفش: أنا منذ ولدت أسأل عن هذا. وقال المازني: سألت الأصمعي وأبا زيد وأبا مالك عنه فقالوا: ما ندري ما هو.)[٢]

وقال السيرافي: (هذا الحرف ما فسره من مضى، إلى أن مات المبرد، وفسره الزجاج بعد ذلك فقال: معناه على كلام تقدم، كأن قائلاً قال: زيد ليس بغافل عني. فقال المجيب: بلى ما أغفله عنك، انظر شيئاً، أي تفقد أمرك. فاحتج به على الحذف يريد حذف انظر الناصب شيئاً)[٣]

فمن خلال هذه النصوص يتبين لنا أن الغموض الذي ران على بعض جوانب الكتاب لم يواجه المتأخرين من النحاة والدارسين بل واجه حتى زعماء المدرسة البصرية في عصرها الزاهر من أمثال الأخفش سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه وزميله في حلقات الخليل ويونس وكذلك المازني تلميذ الأخفش والمبرد تلميذ المازني، والسبب في ذلك الغموض كما أسلفت هو وعورة المهمة التي نهض بها سيبويه في تقعيد القواعد، كما أن الكتاب نفسه لم يقرأه سيبويه على أحد ولا قراه أحد على سيبويه[٤]، الذي عاجلته المنية قبل أن يستكمل عمله فيه أو ينقحه ليتدارك ما لاحظه أهل العلم عليه لاحقاً.

وعلى الرغم مما وجد في أسلوب الكتاب من غموض أو إبهام هنا وهناك إلا أن الخدمة التي قدمها سيبويه لعلم العربية في هذا السفر الجليل لا يقاس إليها شيء آخر، وعلى الرغم من تداخل أبواب العلمين: النحو والتصريف، إلا أن سيبويه قد وفق إلى حد كبير في التمييز بينهما ذلك أنه ألف كتابه في قسمين كبيرين خصص الأول منهما وبداية القسم الثاني لعلم النحو الذي عالج فيه مباحثه معالجة تتعدى مسألة التقعيد إلى محاولة إصلاح ملكة اللغة وهو أسلوب لا يكاد يوجد في

---

(١) الكتاب لسيبويه ١٢٩/٢.

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة (عقل) ٣٠٥٠/٤.

(٣) نقله الأستاذ عبد السلام هارون في حاشية الكتاب ١٢٩/٢.

(٤) نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء لأبي البركات بن الأنباري ص١٠٨، تحقيق الدكتور إبراهيم السمرائي. نشر مكتبة المنار بالأردن، ط/٣ سنة ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.

سفر آخر، ثم عالج مباحث علم التصريف في القسم الثاني من الكتاب مضيفاً إليها شيئاً من الدراسة الصوتية كالإمالة والروم والإشمام والإشباع وكيفيات الوقف.

لقد اعتمد سيبويه في تأليفه طريقة التحليل والتأمل في أساليب اللغة وطرق التعبير بها فهو لا يكتفي بتسجيل القواعد وحسب واستخراجها من كلام العرب، ولكنه يفكر كأستاذه الخليل في العبارات ويتأمل أساليب تأليفها ونظمها ويستنبط خواصها ومعانيها وظلالها بحس مرهف وبصيرة نافذة ما يؤكد أنه لم يهدف من وراء تأليف كتابه إلى صياغة قوانين النحو والصرف وقواعدهما وحسب بل سعى إلى ما هو أكثر من ذلك وأبعد مدى في الإصلاح والإفادة حيث سعى إلى نقل روح اللغة ومهارات نظمها وجماليات أساليبها إلى المتلقي، وقد تبدّى ذلك كثيراً أثناء معالجاته لمباحث النحو ولم تخلُ منها كذلك مباحث الصرف حيث تجده يحلل الصيغ لينفذ إلى مرامي الكلام مما يثبته في نفس القارئ فيقول مثلاً: (هذا باب ما جاء من الأدواء على مثال وَجِعَ يَوجَع وَجَعاً وهو وَجِعٌ لتقارب المعاني –وذلك حَبِط يَحْبَط حَبَطاً وهو حَبِطٌ. وحَبِجَ يَحْبَجُ حَبَجاً وهو حَبِجٌ وقد يجيء الاسم فعيلاً نحو مَرِض يَمْرَضُ مَرَضاً وهو مريضٌ، وقالوا: سَقِمَ يَسقَمُ سَقَماً وهو سَقِيمٌ، وقال بعض العرب سَقُم، كما قالوا: كرُم كَرَماً وهو كريمٌ، وعَسُر عُسراً وهو عسير. وقالوا: السُّقْمُ كما قالوا: الحُزْنُ. وقالوا حَزِن حَزَناً وهو حزين، جعلوه بمنزلة المرض لأنه داءٌ. وقالوا الحُزْنُ كما قالوا السُّقْمُ.)(١)

فهو كما يتضح يحلل هذه الصيغ فلا يكتفي بأن يقول: إنّ هذه الكلمات جاءت بزنة (فعيل) أو (فَعِل) بل يربط بين المعاني والأوزان، وما يجمع بين المعاني والأوزان المتشابهة حتى يثير في نفس المتلقي داعياً للتأمل يرسخ القاعدة في ذهنه، بل ويقوى ملكته اللغوية بتحريضه على مثل هذا التأمل والتحليل واستدعاء الروابط بين أبنية اللغة المتشابهة ومعانيها وما تدل عليه.

ومن ذلك قوله: (وقد يجيء المصدر على فِعَل، وذلك الصِّغَر والكِبَر والقِدَم والعِظَم والضِّخَم.. وقد يقال للإنسان قليلٌ كما يقال قصير، فقد وافق ضده وهو العظيم، ألا ترى أن ضد الصغير وضد القليل الكثير، فقد وافق ضدُّ الكثير ضدَّ العظيم في البناء. فهذا يدلك على أنه نحو الطويل والقصير، ونحو العظيم والصغير. والطول في البناء كالقبح، وهو نحوه في المعنى، لأنه زيادة ونقصان.)(٢)فها هو يربط بين مختلف تصاريف الكلمة فعلها واسمها ومصدرها ثم يأخذ بيد القارئ والمتعلم ليتأمل كيف بنيت هذه المعاني المختلفة على وزن واحد، وذلك لسبب يجمع بينهما جميعاً وإن اختلفت معانيها الأساسية، والسياق العام الذي جمع بين الكلمات التي عالجها في هذا النص هو الزيادة والنقصان.

---

(١) الكتاب لسيبويه ١٧/٤.

(٢) الكتاب لسيبويه ٣٠/٤-٣١.

سيبويه والتمارين الصرفية:

لقد بذل سيبويه جهداً عظيماً في حصر أبنية الأسماء والأفعال في اللغة العربية حتى أورد لها ثمانية وثلاثمائة[1] مثال، وهو في كل مثال يبحث عن نظائره في اللغة كما مر أنفاً، فإن لم يجد لكلمة مثالاً أو وزناً ردها إلى مثال آخر يقيسها عليه لأن القاعدة عنده لا توضع لمثال واحد شاذ وإنما توضع لأمثلة كثيرة.

ولغرض إثراء الدراسة الصرفية، فقد فتح الخليل وسيبويه باب التمارين الصرفية غير العلمية واتّسعا في ذلك كأنهما يهدفان إلى محاولة تدريب الناشئة والمتعلمين على الدقة في تطبيق قواعد الصرف والنحو فمن ذلك أن سيبويه سأل أستاذه الخليل قائلاً: (كيف ينبغي له أن يقول: أفعلتُ في القياس من اليوم على من قال: أطولت وأجودت؟ فقال: أيمتُ، فتقلب الواو ههنا كما قلبتها في أيام.

كذلك تقلبها في كل موضع تصح فيه ياء أيقنت. فإذا قلت أُفْعِلَ ومُفْعَلٌ ويُفْعَل قلت: أُووِم ويُوْوَمُ وموْوَمٌ، لأن الياء لا يلزمها أن تكون بعدها ياء كفعَّلتُ من بعتُ، وقد تقع وحدها. فكما أجريت فَيْعَلْتُ وفَوْعَلْتُ مجرى بَيْطَرتُ وصَوْمَعْتُ، كذلك جرى هذا مجرى أيقنتُ. وإذا قلت أفْعَلُ من اليوم قلت أيَّم كما قلت أيامٌ. فإذا كسَّرتَ على الجمع همزت فقلت أيائمُ، لأنها اعتلت ههنا كما اعتلت في سَيِّد. والياء قد تستثقل مع الواو.)[2]

ففي هذا النص يطرح على أستاذه سؤالاً يتخذ منه الأستاذ موضوعاً يستفيض فيه ويستطرد حول مختلف عمليات التصريف وما يعرض للكلمة من إعلال وإبدال وما ينبغي له أن يفعل في كل هذه الأحوال على هدى ما بينه أستاذه، والخليل يُعلل ويقيس في كل ذلك حتى ترسخ القاعدة وتتضح في ذهن المتلقي.

وعلى ذات النهج الذي سلكه سيبويه مع الخليل باستحداث المواضيع واقتراح الدروس الصرفية والتمارين مضى سيبويه يستحدث أبنية مظنونة أو مقترحة في الصرف حتى ليعقد لها في بعض الأحيان فصولاً كاملة لا يكتفي منها بأمثلة يسيرة بل تتولد هذه الصيغ في خياله أرسالاً متلاحقة وذلك على نحو ما بسطه في باب سماه: (هذا باب ما قيس من المعتل من بنات الياء والواو ولم يجيء في الكلام إلا نظيره من غير المعتل.)[3] ففي هذا الباب الذي يعتبر من أطول أبواب الكتاب أخذ سيبويه يعرض صيغاً من بنات أفكاره لم تأت في كلام العرب كما قرر هو بنفسه، ثم أخذ يقيسها على صيغ معروفة فمن ذلك قوله: (تقول في مثل حَمَصِيْصَةٍ من رَمَيْتُ: رَمَوِيَّةٌ، وإنما

---

(1) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ٢/٤.

(2) الكتاب لسيبويه ٤/٣٧٤.

(3) الكتاب لسيبويه ٤/٤٠٦.

أصلها: رَمَيِيَّةٌ، ولكنهم كرهوا ههنا ما كرهوا في رَحَيَىٌ حيث نسبوا إلى رَحَى فقالوا رَحَـوِيٌّ لأن الياء التي بعد الميم لو لم يكن بعدها شيء كانت كياء رحى في الاعتلال. فلما كانت كذلك تعتلُ، ويكون البدل أخف عليهم، وكرهوها وهي واحدة –كانوا لها في توالي الياءات والكسرة فيها أكـره، فرفضوها. فإنما أمرها كأمر رَحىً في الإضافة. وكذلك مثلُ الصَّمَكيك تقول: رَمَوِيٌ. وكذلك مثـل الحَلَكوك تقول: رَمَوِيٌ تقلب الواو ياءً فتصير إلى مثل حال فَعَلِيل.)[1]

ففي هذا النص يقترح أبنية من المعتل يقيسها على ما جاء في الكلام مـن غيـر المعتـل ويجتهد في تصريفها مبيناً ما حدث للواو أو الياء من إبدال أو إعلال في مثل هذه الأحوال وذلـك ضَرْبٌ من ترويض العقل على ما قد يستجد من مسائل أو أبنية لمسميات جديدة لم تكن معروفة من قبل وذلك على نحو ما كان علماء الفقه الإسلامي يفترضون مسائل وقضايا لم تكن واقعة ويضعون لها الحلول ولا يخفى ما يعود من مثل هذه التمارين من ثمرات وثراء على الدراسة الصرفية وتنوع في مباحثها.

وفي مثال آخر مما يمكن أن يدور حول الفعل (رميت) يقول سيبويه: (وأما فُعْلُولٌ منها نحو بُهْلولٍ فتقول: رُمْيىٌّ، وكان أصلها رُمْيُوىٌّ، ولكنك قلبت الواو التي قبل الياء لأنها سـاكنة وبعـدها ياء. وتثبت الياء الأولى لأنك لو أضفت إلى ظَبْيٍ قلت ظَبْيِيٌّ وإلى رَمْيٍ قلت رَمْيىٌّ فلم تغيره فكأنك أضفت إلى رُمْى. وكذلك فِعْلِيل، إلا أنك تكسر أول الحرف، تقول: رِمْيِيٌّ. ومن غزوت: غِـزْوِىٌّ تقلب الواو ياءً لأن قبلها ياءً ساكنة. كما أنك تقول في فَعِيل: غَزِيٌّ تقلب للياء التي قبل الواو. وأما فُعْلُول منها، فَغُزْوِىٌّ، وأصلها غُزْوُوٌّ، فلما كانوا يستثقلون الواوين في عُتِيٍّ ومَعْدِيٍّ أُلزم هذا بـدل الياء حيث اجتمعت ثلاث واوات مع الضمتين في فُعْلُول فألزم هذا التغيير كما ألزم مثل مَحْنِيةٍ البدل إذ غيرت في ثِيرة، والسِّياط ونحوهما)[2].

ففي هذا النص يقترح سيبويه بناءً يشرح من خلال تصريفه كيفية استحداث صيغة منه على قياس كلمة أخرى ثم يحلل الكلمة مستعرضاً ما جرى من خطوات أو صلت إلى البنـاء المطلـوب ومبيناً ما حدث من إعلال والأسباب الداعية لذلك بقوله: (فلما كانوا يستثقلون الواوين فـي عُتِـيٍّ ومَعْدِيٍّ ألزم هذا بدل الياء، حيث اجتمعت ثلاث واوات مع الضمتين في فُعْلُولَ) فكان هذا السـبب علة لإحداث هذا التغيير الذي أصبح قاعدة تحكم كل الحالات المماثلة.

وتتواصل في الكتاب مثل هذه التمارين الصرفية بطرح المزيد من الأبينة المقترحـة فـي محاولة لاستقصاء ما يمكن صياغته من بنات الواو والياء على أمثلة مختلفة وما يستتبعه ذلك مـن إعلال وإبدال وقلب فيقول: (وتقول في مثل كَوَأْلَلْ من رميت: رَوَمْياً، ومن غزوت غَوَزْوَاً، وتقول

([1]) الكتاب لسيبويه ٤/٤٠٦.

([2]) الكتاب لسيبويه ٤/٤٠٧.

من قَوِيتُ قَوَوًّا، ومن حَيِيتُ حَوَيًّا، ومن شَوَيْتُ: شَوَياًّ، وحَدها شَوَوْياً ولكنك قلبت الواو إذ كانت ساكنة.

وتقول في فِعْوَلٍ من غزوت غِزْوَوٌ، ولا تجعلها ياءً والتي قبلها مفتوحة. ألا تراهم لم يقولوا في فَعَلٍ غَزَىٌ للفتحة كما قالوا عُتِيٌّ. ولو قالوا فَعَلٌ من صُمْتُ لم يقولوا: صَيَّمٌ كما قالوا صُيَّمٌ.

وكعِثْولٍ من قَوِيت: قِيَّوٌ والأصل قِيوَوٌ، ولكنك قلبت الواو ياءً كما قلبتها في سيِّد، وهي من شويت شِيَّيٌ والأصل شِيْوَىٌ ولكنك قلبت الواو.)[1]

ولا يشك من يطلع على هذه الأمثلة والتمارين في أن سيبويه ربما كا يهدف إلى ثلاث غايات هي: تعليم القواعد، ثم التدريب الذي يساعد على ترسيخ هذه القواعد، وذلك بطريقة موفقة تُزكي مَلَكَة القارئ اللغوية ثم فتح باب لتطوير اللغة بزيادة طاقتها على استيعاب كل حادث والتعبير عنه.

وعلى ذات المنوال يقترح باباً آخر في الدراسة يسميه: (هذا ما قيس من المضاعف الذي عينه ولامه من موضع واحد، ولم يجيء في الكلام إلا نظير من غيره) ثم يتخذ من هذا النظير مثالاً يقيس عليه فيتيح للملتقى مجالات رحبة للرياضة العقلية فيقول: (تقول في فُعَلٍ من رَدَدْتُ رُدَدٌ، كما أخرجت فِعَلاً على الأصل، لأنه لا يكون فِعْلاً. وتقول في فَعَلانٍ: رَدَدَانٌ، وفُعَلاَنٍ: رُدَدَانٌ، يجري المصدر في هذا مجراه لو لم تكن بعده زيادة، ألا تراهم قالوا: خُشَشَاءُ. وتقول في فَعُلانٍ: رَدَّانٌ، وفَعِلانٍ: ردَّانُ، أجريتهما على مجراهما وهما على ثلاثة أحرف ليس بعدها شيء، كما فعلت ذلك بِفَعُلٍ وفَعِلٍ. وتقول في فَعَلُولٍ من رددت: رَدَدُودٌ، وفَعَلِيلٍ: رَدَدِيدٌ كما فعلت ذلك بفعلان.. وتقول في افْعَلَلْتُ من رَدَدْتُ: ارْدَدَدْتُ، وتجري الدالين الآخرين مجرى راء احمررت، وتكون الأولى بمنزلة الميم. والمصدر ارْدِدَاداً. ومن قال في الاقْتِتَال قِتَّالاً فأدغم أدغم هذا فقال: الرِّدَّاد.

وتقول في افْعَالَلْتُ ارْدَادَدْتُ وتجريه مجرى اشهَابَبْتُ، وتكون الأولى بمنزلة الهاء. وتقول في مثل عَثَوْثَلٍ: رَدَوْدَدٌ لأنه ملحق بسفرجلٍ."[2]

وهكذا تتوالى بحوث سيبويه في بنية الكلمة لتطال كل مظنون وكل صيغة ممكنة في تناول مدعّم بالأقيسة والعلل والأمثلة المستفيضة بما يتجاوز مهمة تعليم النحو والصرف إلى محاولة إذكاء الملكة اللغوية وإرهاف الحس اللغوي لدى الملتقي.

---

(1) الكتاب لسيبويه ٤/٤١٣.

(2) الكتاب لسيبويه ٤/٤٢٧-٤٢٨.

المبحث الرابع

تطور الدراسة الصرفية على يد المازني وتلاميذه

يعتبر أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني من زعماء المدرسة البصرية في النحو والتصريف، وقد آلت إليه رياسة هذه المدرسة بعد وفاة أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش والجرمي. قال أبو الطيب اللغوي: (وكان المازني من فضلاء الناس وعظمائهم ورواتهم وثقاتهم وكان من أهل القرآن. حدثنا غير واحد عن المبرد قال: حدثنا المازني قال: قرأت على يعقوب الحضرمي القرآن. فلما ختمت رمى إليَّ بخاتمة وقال: خذه ليس لك مثل).(١)

فالمازني إذن تحمل القراءة عن يعقوب الحضرمي شيخ البصرة وأحد القراء العشرة المشهورين. ثم أكبّ منذ صباه الباكر على حلقات النحاة واللغويين فدرس الكتاب على الأخفش هو وصديقه الجرمي، ثم تصدر لتدريس كتاب سيبويه وصنف في تفسيره وله كتاب في قراءات القرآن وآخر في علل النحو، وما تلحن فيه العامة، والألف واللام، ثم ألّف كتابه (التصريف) الذي استخرجه من كتاب سيبويه والذي شرحه أبو الفتح عثمان بن جني في كتابه (المنصف) ثم ألّف المازني كتاب الديباج في جوامع كتاب سيبويه وصنّف في العروض والقوافي.(٢)

عُني المازني بالنحو في دراساته ومناظراته التي كان يبذُّ فيها أقرانه ولكن عنايته بالتصريف كانت أكثر وأقوى، فقد كان يوماً عند الواثق الذي جمع له عدداً من نحويي الكوفة وطلب إليه مناظرتهم فبادرهم المازني: (ما تقولون في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ مريم/٢٨، لِمَ لم يقُل "بغيّة" وهي صفة لمؤنث؟ فأجابوا إجابات خاطئة ولما عيّوا بالإجابة قال لهم: لو كان " بغي" على تقدير "فعيل" بمعنى فاعلة للحقتها الهاء مثل كريمة وظريفة، وإنما تحذف الهاء إذا كانت في معنى " مفعولة" نحو امرأة قتيل وكفٌّ خضيب و"بغي" ههنا ليس بفعيل، إنما هو "فعول" لا تلحقه الهاء في وصف التأنيث نحو امرأة شكور، وبئر شطون وهي البئر العميقة بعيدة الرشاء. وتقدير "بغي" بغوي قلبت الواو ياءً ثم أدغمت الياء في الياء فصارت "بغيّ" بياء ثقيلة وذلك مثل سيّد وميت)(٣)

ولعل ما أدلى به المازني في هذه القضية، يُعد ثمرة من ثمار التدريب المحكم والرياضة العقلية التي وفرها كتاب سيبويه الذي درسه على شيخه الأخفش سعيد بن مسعدة.

---

(١) مراتب النحويين واللغويين لأبي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ص٧٧، ط مكتبة نهضة مصر ١٣٧٥هـ–١٩٥٥م.

(٢) بغية الوعاة للسيوطي ٤٦٥/١

(٣) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص٨٩.

هذا وقد طلب إليه الواثق يوماً أن يسأل ابن السكيت فقال له: ما وزن (نكتل) من قول الله عز وجل في سورة يوسف: ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ يوسف/٦٣، فقال ابن السكيت: وزنها (نفعل) فقال الواثق: غلطت، ثم قال المازني: نكتل تقديره (نفتعل) من (كيل) (نكتيل) ثم انقلبت الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها فصار لفظها (نكتال) ثم حذفت الألف وهي عين الفعل لسكون الجزم لوقوعه في جواب الطلب فأصبحت (نكتل) على وزن (نفتل).[1]

وعلى غرار ذلك كانت تدور مناظراته التي تدل على فطنته وذكائه، وقد سلط عقله الخصب على مسائل التصريف التي عُني بها وعمل على فصلها من النحو بعد أن كانا مختلطين زمناً طويلاً، فعمد إلى الكتاب وخلصها منه ونظمها ورتبها وأقامها علماً منفصلاً مستقلاً بأبنيته وأقيسته وتمارينه الكثيرة وألّف فيه كتابه (المنصف) الذي يعتبر موئل علم التصريف ومأرِزه ومعينه الذي امتاح منه كل من جاء بعده من العلماء الذين أثروا دراسة التصريف بآثارهم ومصنفاتهم.

وهكذا جعل أبو عثمان المازني من كتابه (التصريف) مبدأً حقيقياً لهذا العلم بما احتواه من المسائل التي أحاطت بكل جوانب هذا العلم وقد عالجها معالجة محكمة وبسط فيها القول، كما عمل على استقراء وتحليل الأبنية. يقول المازني: (وإنما كتبت لك في صدر هذا الكتاب هذه الأمثلة لتعلم كيف مذاهب العرب فيما بنت من الأسماء والأفعال، فإذا سئلت عن مسألة فانظر: هل بنت العرب مثالها؟ فإن كانت بنت فابن مثل ما بنت وإن كان الذي سئلت عنه ليس من أبنية العرب فلا تبنه لأنك إنما تريد أمثلتهم وعليها تقيس.. وسأضع لك من كل شيء من هذا الباب رسماً تقيس عليه ما كان مثله فإنه ليس شيء من مسائله إلا وفي ظاهره ما يبين لك مجرى غامضه ولا قوة إلا بالله).[2]

فهو في هذا النص يدعو إلى التأمل في كلام العرب وإعمال الفكر في كيفية نظمه وتأليفه واستجلاء غامضه والقياس عليه واتّباع مذاهبه.

ولعل منهج التفكير الذي يتبعه أبو عثمان المازني إزاء كثير من القضايا التي تعرض له يكون ترجمة صادقة لما عبر عنه في هذا النص فهو عندما سأل مناظريه عن بناء كلمة "بغيا" لماذا لم تلحقها تاء التأنيث وهي صفة المؤنث؟ عند ذلك كان يستحضر أوزان الأبنية التي لا تلحقها تاء التأنيث رغم دلالتها على المؤنث ثم يقيس عليها، وهو ذات الأسلوب الذي اتبعه الخليل عندما أدرك أن وراء عدم صرف "أشياء" سبباً يتصل ببنائها وكيفية وزنها.

لقد كان المازني شديد التمسك بالقياس يردُّ ما لا يطّرد معه حتى ولو كان آية قرآنية متواترة لها نظائر في كلام العرب، ولا أدل على ذلك من موقفه المتشدد إزاء قراءة نافع بالهمز في

---

(1) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص٨٩.

(2) المنصف لابن جني ١/٩٥-٩٦.

"معايش" من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾الأعراف/١٠.

فقد قرأ نافع في رواية خارجة بن مصعب (معائش) بالهمز[1]. وقد استنكر أبو عثمان المازني هذه القراءة لعدم موافقتها القياس فقال: (فأما قراءة من قرأ من أهل المدينة "معائش" بالهمز فهي خطأ فلا يلتفت إليها، وإنما أخذت عن نافع بن أبي نعيم ولم يكن يدري ما العربية، وله أحرف يقرؤها لحناً نحواً من هذا. وقد قالت العرب: "مصائب" فهمزوا، وهو غلط.. وكأنهم توهموا أن مصيبة فعيلة فهمزوها حين جمعوها كما همزوا جمع سفينة: سفائن، وإنما مصيبة: مُفْعِلَة من "أصاب يصيب" وأصلها " مُصْوِبة" فألقوا حركة الواو على الصاد فانكسرت الصاد وبعدها واو ساكنة فأُبدلت ياءً للكسرة قبلها..وأكثر العرب يقول: "مصاوب" فيجيء بها على القياس وما ينبغي)[2]

والذي يمنع جمع معيشة من الهمز على "معائش" هو أن عينها متحركة لأنها "مَعْيِشَةٌ" بسكون العين وهي فاء الكلمة وكسر الياء وهي عينها. قال أبو الفتح: (وإذا كان الأمر كذلك فحق" معاش ومَعْيِش ومَعْيِشَة" ألاّ تهمز في الجمع لأنه قد كانت عينها متحركة في الأصل فإذا احتاج إلى حركتها في الجمع حركها ولم يقلبها واحتملت الحركة لأنها قوية وهي من الأصل، وقد كانت متحركة في الواحد، وإنما يهمز في الجمع حروف المد واللين التي لاحظّ لها في الحركة في الواحد نحو ألف "رسالة" وياء "صحيفة" وواو "عجوز" إذا قلت: رسائل وصحائف وعجائز" فأما قول العرب "مصائب" فغلط لأن الياء في "مصيبة" عين الفعل وهي منقلبة عن واو وأصلها "مُصْوِبة" وأصلها الحركة وقياسها "مصاوب")[3]

ولم يكتف المازني بجمع آثار أسلافه من نحاة البصرة وترتيبها وتنظيمها وإعادة صياغتها وحسب، بل كانت له آراؤه العلمية الرصينة في كل ما ورثه من علم في النحو والتصريف، ولم يكن يتحرّج من مخالفة آراء أولئك العلماء إذا رأى الحق في غيرها، فمن ذلك أنه خالف الخليل وسيبويه في زيادة الميم في وزن (دُلامص) وهو الأملس البرّاق[4] إذ يرى الخليل أن دُلامصاً بزنة، (فُعامل) بزيادة الميم على حروفها الأصلية لأن العرب تقول: دليص ودلاص، قال المازني: (وزعم الخليل أن "دُلامصاً" الميم فيه زائدة وهو فُعامل والدليل على ذلك قولهم: "دِلاص ودَليص" في معنى

(1) إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ٤٤/٢ وانظر مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ص٢٦٧، تحقيق ياسين محمد السواس. نشر دار اليمامة للطباعة والنشر، بيروت، ط/٣ سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، وانظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٧١/٤، نشر دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ط/٢ سنة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

(2) المنصف لابن جني ٣٠٧/١-٣٠٨.

(3) السابق ٣٠٩/١.

(4) لسان العرب لابن منظور مادة (دلص) ١٤٠٩/٢.

دُلامص. ولو قال قائل إن دُلامصاً من الأربعة معناه دَليص وليس بمشتقٍ من الثلاثة قال قولا قوياً.)[١] فهو بهذا يرى أن دلامص بزنة (فعالل) أي أنه من ذوات الأربعة وأن الميم فيه أصلية، غير أن أبا الفتح عثمان بن جني شايع الخليل فيما ذهب إليه واعتبره أوجه وأوضح من زعم المازني قال أبو الفتح: (ومذهب الخليل في هذا أكشف وأوجه من مذهب أبي عثمان وذلك أنه لما رأى "دُلامصاً" بمعنى دليص ووجد الميم قد زيدت غير أول في زُرْقُم وسُتْهُم وبابهما.. ذهب إلى زيادة الميم في دلامص فهذا قول واضح كما تراه والذي ذهب إليه أبو عثمان أغمض من هذا.. وقال الأصمعي: إنهم قالوا للأسد هِرْمَاسٌ لأنه الهرس. فهرماس على هذا القول عنده (فِعْمَالٌ) وهو نظير قول الخليل. ويحتمل أن يكون عنده من معنى الهرس وإن كان رباعياً كما ذهب إليه أبو عثمان والقول الأول أظهر ولهذا نظائر.)[٢]

وهكذا يقرر أبو عثمان ما يراه صواباً، وعلى الرغم من وضوح مذهب الخليل وموافقة أبي الفتح له إلا أن أبا الفتح ترك الباب مفتوحا أمام احتمال صحة قول المازني.

ومما استدرك أبو عثمان المازني على العلماء قبله ما أجمعوا عليه من كيفية إلحاق الثلاثي بالخماسي عن طريق تكرير اللام في صيغة "فعل" وقد رد ذلك لعدم سماعه من العرب، وقد قاس على ما سمعه فقال: (وإن قيل لك كيف تبني من الثلاثة: ضرب وأخواته مثل السفرجل؟ فإن النحويين كلهم مجمعون على تكرير اللام فيقولون "ضَرَبَّبٌ" ومن عَلِمَ " عَلَمَّمٌ" ومن ظَرُفَ "ظَرَفَّفٌ" ولم أسمع من كلام العرب شيئاً من الثلاثة بُلغ به الخمسة من موضع اللام.. ولكن قد ألحقوا الثلاثة بالخمسة في "عَفَنْجَج" فالنون ثالثة وكرروا اللام، وألحقوا بغير ذلك فقالوا: "حبنطىً، وعَلَنْدىً، وسرندىً، ودَلَنْظىً، وسَبَنْدىً، وسَبَنْتىً" وهذا صالح قد كثر حتى لو جعله جاعل باباً كان مصيباً. فإذا سئلت عن الثلاثة، كيف تلحقها بالخمسة؟ قلت فيها من ضرب "ضَرَنبى" ومن علم "عَلَنْمىً" ومن ظَرُفَ "ظَرَنْفىً". وقد ألحقت الثلاثة بالخمسة بأن كرروا العين واللام فقالوا" صمحمح، وبرهرهة، وجُلَعْلَعٌ، ودَمَكْمَك" وأحرفاً كثيرة على هذا المثال تعادل باب حَبَنْطىً في الكثرة أو أكثر منها فاجعلهما قياساً في إلحاق الثلاثة بالخمسة، فأما الإلحاق من موضع اللام فلم أسمعه في شيء من كلام العرب)[٣]

فهو في هذا النص يستدرك على العلماء قبله إلحاق الثلاثة بالخمسة بتكرير اللام اتباعاً لما جاء في الميزان الصرفي من أن بناء الثلاثي (فعل) والرباعي (فعلل) والخماسي (فَعَلّل) ولعل الخليل إنما وضع (فعلل) لبناء مثل جعفر و(فَعَلّل) لمثل سفرجل وعرندس.

---

(١) المنصف لابن جني ١/١٥١-١٥٢.

(٢) السابق ١/١٥٢-١٥٣.

(٣) المنصف لابن جني ١/١٧٥-١٧٦.

وقد تعقب أبو الفتح بن جني ما ذهب إليه المازني فلم يقر كل ما جاء فيه فقال: (قد ذكر أبو عثمان العلة في امتناعه من إلحاق الثلاثة بالخمسة بتكرير اللام، وذلك أنه لم يسمعه. فلما لم يسمعه لم يقسه، وهذا مستقيم. ألا ترى أنهم قد سمعوا نحو "خيفق ، وكوثر، وجَهْوَر" ولم يقيسوه لقلته، فإذا كان ما سمع غير مقيسٍ لقلته، فما لم يُسمع على وجه من الوجوه أحرى ألا يجوز بناءٌ مثله.

ولكن هذا جائز على مذهب أبي الحسن، لأنه كان يبني جميع ما يسأل عنه ويقول: مسألتك ليست بخطأ، وتمثيلي عليها صواب. قال: فإن أبى صاحبك فقل له: فلوجاء، كيف ينبغي أن يكون؟ فإنه لا يجد بداً من الرجوع إليك.. وقد ألحقت الثلاثة بالخمسة من غير ما ذكر أبو عثمان قالوا: "عقنقل وعصنصر".. وقالوا: حبوتن ومثاله "فعولل" فزادوا الواو وكرروا اللام.. فهذا ونحوه مما لم أذكره، لا يقاس عليه لقلته. ولذلك لم يذكره أبو عثمان، فأما"جُلَعْلَعٌ" فليس ملحقاً بسفرجل، لضم الجيم. ألا ترى أنه ليس في الكلام مثل "سُفَرْجلٍ" بضم السين، فيلحق هذا به.)(١)

وعلى الرغم من استدراك أبي الفتح، إلا أن المازني قد أرسى قياساً بناه على الكثرة المطردة في إلحاق الثلاثي بالخماسي مما سمعه مستفيضاً في كلام العرب.

ويختلف المازني مع الخليل حول وزن جمع (خطيئة) و(رزيئة) وما ترتب عليه من إعلال وقلب، فالخليل يرى أن (خطايا) و (رزايا) قلبت لامها في مفردها والتي هي همزة إلى موضع ياء (فعيلة) فكان جمعها في الأصل (خطايئ) فجعلت الهمزة في موضع الياء فصارت (خطائي) وأبدلت الكسرة فتحة ثم أعلت الياء لسكونها بعد الفتح فقلبت ألفاً فصارت (خطاءا) ثم قلبت الهمزة ياءً فصارت خطايا على وزن (فَعَالى)(٢).

أما المازني فقد ذهب إلى أن خطايا ورزايا وما يشاكلهما على وزن (فعائل) وقد عقد لذلك باباً في كتاب التصريف سماه: (جمع خطيئة ورزيئة على فعائل)(٣) وذلك لأنك حين تجمع خطيئة ورزيئة فإنك تقلب ياء المفرد فيهما إلى همزة كما تقلب ياء (سفينة) و(قبيلة) فتقول: (سفائن) و(قبائل) وكذلك تقلب ياء (خطيئة) و(رزيئة)، وحيث إن لام خطيئة ورزيئة همزة فتجتمع همزتان في الجمع فتكون (خطائئ) و(رزائئ) ثم تقلب الهمزة الثانية ياءً فتكون: خطائي ثم تبدل مكان الياء ألفاً فتصير خطاءا، والهمزة قريبة المخرج من الألف فكأنه اجتمعت ثلاث ألفات فتبدل الهمزة ياءً فتصير خطايا على وزن (فعائل)(٤).

---

(١) المنصف لابن جني ١/١٧٥-١٧٨.

(٢) المرجع السابق ٢/٥٦.

(٣) السابق ٢/٥٤.

(٤) السابق ٢/٥٤-٥٥.

ويكثر تعقب المازني لآراء العلماء السابقين فيقرّ ما يراه قياساً صحيحاً ويقتدي به، وما يراه غير ذلك يخالفه ويحتج لرأيه إن وجد إلى ذلك سبيلا، فمن ذلك أنه خالف سيبويه حول صيغة "فَعْلَلْ" الخماسية فسيبويه يرى أنها لا تكون إلا صفة حيث يقول: (.. ويكون على مثال فَعْلَلِلْ في الصفة، قالوا: قَمْبَلِسْ، وجَحْمَرِش، وصَهْصَلِق. ولا نعلمه جاء اسماً. وما لحقه من الأربعة هَمَّرِش)[1].

أما أبو عثمان فيرى أن هذه الصيغة تكون اسماً وصفة، ويقول في ذلك: (فالأسماء من بنات الخمسة نحو "سفرجل، وهَمَرْجَل، وجِرْدَحْل، وحِتْرَقر وجحمرش وقُذَعْمِلة" وتكون هذه الخمسة أسماءً وصفات.)[2]

كما أنه خالف ما ذهب إليه سيبويه من قياس اسم التفضيل من صيغة الفعل الماضي المصوغ من (أفعل) مثل: أكرم فيقال: هو أكرم لي من زيد. أما المازني فقد ذهب إلى عدم جواز ذلك في القياس حتى لا تلتبس صيغة اسم التفضيل المشتقة من الفعل الثلاثي (كَرُم) بصيغته من الفعل الرباعي (أَكْرَمَ)، (فأكرمُ من) عند مشتقة من (كرُم) الثلاثي. أما التفضيل من (أكرم) الرباعي فتطبق عليه طريقة صياغة أفعل التفضيل من الفعل المزيد إذ يؤتى بمصدره مسبوقاً بلفظ أكثر مثلا، فيقال: هو أكثر إكراماً لي من زيد.

وقد وافق ابن يعيش ما ذهب إليه المازني واحتج له فقال: (فكما لا يكون أفعل في التعجب مما زاد على الثلاثة فكذلك لا يكون هذا في باب "أفعل من هذا" لاستحالة أن يكون هذا البناء مما زاد على الثلاثة لأن ذلك إنما يكون بهمزة زائدة أولاً وثلاثة أحرف أصول بعدها فلو رمت بناء مثل ذلك مما زاد على الثلاثة لزمك أن تحذف منه شيئاً فيكون حينئذٍ هدماً لا بناء.)[3]

وبالجملة فإن أبا عثمان المازني، قد جعل من الدراسة الصرفية التي كانت مختلطة بالنحو في كتاب سيبويه وجهود من سبقوه علماً مستقلاً بعد أن فصله في كتاب خاص به يعتبر إماماً في هذا الباب شأنه في ذلك شأن كتاب سيبويه الذي نال إمامة النحو، ولا ريب أن كل من جاء بعد المازني قد أفاد من كتابه "التصريف" الذي ذلل به شوارد هذا العلم ويسر به مباحثه ووطّدَ به أركانه بأبنيته وأقيسته وتمارينه الكثيرة، وتعقبه لكل رأي سابق يقتضي التقويم والتهذيب، ولقد استكمل ما صنعه الخليل وسيبويه في صياغة قواعد علم التصريف ورسم صورته العامة.

ويستمر عطاء المدرسة البصرية في إثراء الدراسة الصرفية من خلال جهود تلاميذ أبي عثمان المازني وأوفرهم حظاً في ذلك محمد بن يزيد المبرد، الذي خلف شيخه المازني على رئاسة

---

(1) الكتاب لسيبويه ٣٠٢/٤.

(2) المنصف لابن جني ٣٠/١

(3) المفصل لابن يعيش ٩١/٦-٩٢.

هذه المدرسة بعد وفاته في سنة ٢٤٩هـ، فلمع نجمه وذاع صيته فاستدعاه المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان إلى (سرّ من رأى) فأقام بها يعلم الناس، ويفتي في اللغة حتى إذا توفي المتوكل ووزيره الفتح سنة ٢٤٧هـ استقر ببغداد يعلم الناس بها اللغة والنحو والصرف إلى أن توفي سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة.

وللمبرد مصنفات كثيرة في الأدب واللغة والنحو والتصريف ومعاني القرآن والبلاغة منها: المقتضب في النحو، ومعاني القرآن، وكتاب التصريف، وكتاب الاشتقاق، وشرح شواهد الكتاب، وإعراب القرآن، والكامل في اللغة والأدب، وغيرها كثير، منها ما وصل وطبع في العصر الحاضر ومنها ما سقط من يد الزمن ولكنه مذكور في كتب اللغة والنحو والأدب والتراجم والأخبار.(١)

وللمبرد كثير من الآراء في النحو والصرف منها أنه كان يرى قياس صيغة (فَعَّال) في النسبة إلى بعض المهن مثل: خبَّاز وبزّار وقزّاز وسقّاء وبنّاء وخيّاط ونجار، وكذلك صيغة فاعل مثل: حائك وشاعر وطاعم وفارس، وذلك بسبب كثرة استعمال العرب لهما وجريانهما على ألسنتهم مستغنيين بهما عن ياء النسب، وقد كان سيبويه يرى أن الصيغتين موقوفتان على السماع وقاسهما المبرد لكثرة استعمالهما (٢)

ومما كثر عن العرب حذف الياء، في النسب إلى فَعيل وفُعَيل مثل ثقيف وثقفى وقريش وقرشي وهُذيل وهُذلى، وعلى الرغم من ذلك كان سيبويه يرى أن القياس إثبات الياء فيقال في ثقيف ثقيفي وفي قريش قريشي إلا أن المبرد قد رأى قياس حذف الياء من كل ذلك مستنداً إلى كثرة وروده عن العرب (٣).

وكان القياس في فَعيلة أن تحذف ياؤها في النسب فيقال في حنيفة حنفي، وفي قبيلة قبلي. وقد ألحق سيبويه (فَعُوله) بذلك فكان يرى أن القياس إسقاط الواو في النسب إلى شنوءة فيقال فيها شنئ، إلا أن المبرد حكم بشذوذ ذلك، وقال : بل ينسب إليها على لفظها فيقال في شنوءة شنوئي لأن الياء إنما حذفها العرب من فعيلة تخفيفاً من كثرة الياءات والكسرات لأنك إذا تركت الياء في حنيفة فقلت حَنِيفِي فقد أكثرت الياءات والكسرات ولهذا حذفوا ياءها. وأما شنوءة فإن النسبة إليها لا تؤدي إلى ذلك فيترك الواو. وقال: (إن مما يؤكد ذلك أنهم نسبوا إلى علي فحذفوا ياءً وقلبوا الثانية واواً فقالوا: علوى خشية الثقل وهو ما لا يحدث في فعول).(٤)

---

(١) انظر إنباه الرواة للقفطي ٣/٢٤١-٢٥٢ وبغية الوعاة للسيوطي ٢٩٦/١ وطبقات النحويين واللغوين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي ص١٠١.

(٢) همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية للإمام جلال الدين السيوطي ١٩٨/٢، تحقيق السيد محمد بدر الدين النعساني، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت– بدون تاريخ.

(٣) السابق ١٩٥/٢.

(٤) المفصل لابن يعيش ١٤٦/٥-١٤٧.

ويعضد هذا الرأي أن العرب لما نسبوا إلى (عَدِي) قالوا: عَدَوِي وإلى (عَدُوّ) فقالوا عَدُوّيّ، فغيروا الياء وتركوا الواو على حالها. كما أنهم لما نسبوا إلى نَمِر بكسر الميم فتحوها في النسب فقالوا: (نَمَرِي)، ولكنهم لما نسبوا إلى سَمُرَة بضم الميم لم يغيروا حركة الحرف الثاني، بل تركوا الضمة وقالوا: (سَمُرِي)، لأن المستثقل اجتماع الياءات والكسرات، فلما خالفت الضمة الكسرة في نَمِر وسَمُرَة، والواو الياء في عدى وعدو، وجب أن تخالف الياء في فعيلة، الواو في فعولة. قال ابن يعيش: (وقول أبي العباس متين من جهة القياس وقول سيبويه أشد من جهة السماع).[١] وذلك لورود شنئ عن العرب.

وقد حفلت كثير من كتب الصرف بآراء معتبرة للمبرد منها كذلك أن القياس البصري أن تحذف واو مفعول إذا جاءت مشتقة من فعل أجوف مثل قال وباع فيقال: مقول، ومبيع. إلا أن المبرد خالف هذا القياس ورأى أن تثبت الواو في مثل هذه الصيغ وذلك لورود السماع بإثبات الواو عن بن تميم كثيراً حيث يقولون مَقْوُول ومَبْيُوع فجعل ذلك قياساً مطّرداً.[٢]

وقد اشتهر عدد من تلاميذ المبرد بإسهاماتهم الكثيرة في دراسة اللغة والنحو والتصريف، وقد حفلت الكتب بآرائهم القيمة، ومن هؤلاء: ابن دريد وابن درستويه، والزجاج والأخفش الصغير علي بن سليمان ومحمد بن علي المعروف بمبرمان وغيرهم.

---

(١) السابق ١٤٧/٥.

(٢) همع الهوامع للسيوطي ٢٤٤/٢.

المبحث الخامس

مساهمة الكوفيين في تطوير علم التصريف

لم تكن الكوفة في بادئ الأمر مشغولة بأمر النحو والتصريف وإنما كان اهتمامها منصرفاً إلى دراسة القراءات القرآنية والفقه وأصوله، إلى جانب عنايتها بالشعر والرواية. ولعل أبا جعفر محمداً بن الحسن الرؤاسي، ومعاذ بن مسلم الهرّاء هما أول من نظر في دراسة النحو والتصريف من أهل الكوفة.

أما أبو جعفر الرؤاسي فقد أخذ النحو عن عيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء وعاد إلى الكوفة، وتتلمذ على يديه قوم منهم الكسائي، وقد ألف كتاباً في النحو سماه الفيصل.(١) وقد كان يعاصره عمه معاذ بن مسلم الهرّاء الذي اختلف إلى علماء البصرة فأخذ عنهم النحو ثم عاد إلى الكوفة للتدريس وقد أخذ عنه أناس منهم الفراء.(٢)

ولم تذكر كتب الطبقات آثاراً علمية للرجلين أو آراء في علم العربية، بل لقد ذكر أبو الطيب اللغوي أن أبا جعفر الرؤاسي كان مطروح العلم وليس بشيء(٣)، وأما معاذ بن مسلم الهرّاء فقد قال عنه القفطي: أنه (كان صالح العلم بالعربية ولكنه ليس من أعلام النحاة) كما أنه لم يؤلف كتاباً في هذا العلم كما ذكر ابن النديم في كتاب الفهرست(٤).

على أن تلاميذ الرجلين قد أسسوا مدرسة في النحو والتصريف لها طابعها المميز وإسهاماتها التي لا تنكر. ومما يستدل به البعض على عناية أهل الكوفة بالتصريف ما ذكره ابن هشام في خبر المسألة الزنبورية حيث قال: (.. فلما حضر سيبويه تقدم إليه الفراء وخلف، فسأله خلف عن مسألة فأجاب فيها، فقال له: أخطأت، ثم سأله ثانية وثالثة، وهو يجيبه، ويقول له: أخطأت، فقال له سيبويه هذا سوء أدب، فأقبل عليه الفراء فقال له: إن في هذا الرجل حدة وعجلة، ولكن ما تقول فيمن قال: "هؤلاء أبون ومررت بأبين" كيف تقول على مثال ذلك من وَأَيْتُ أو أَوَيْتُ، فأجابه فقال: أعد النظر، فقال: لست أكلمكما حتى يحضر صاحبكما.. واما سؤال الفراء فجوابه أن أبُون جمع أب، وأبٌ فَعَلٌ بفتحتين وأصله أَبَوٌ، فإذا بنينا مثله من أَوَى أو من وَأَى قلنا أَوىً كهوىً أو قلنا وَأىً كهوىً أيضاً، ثم تجمعه بالواو والنون فتحذف الألف كما تحذف ألف مصطفى وتبقي الفتحة دليلاً عليه فتقول: أَوَوْن أو وَأَوْن رفعاً، وأَوَيْن أو وَأَيْن جراً ونصباً كما تقول في جمع عَصاً وقَفاً

---

(١) بغية الوعاة للسيوطي ١/٨٢-٨٣.

(٢) السابق ٢/٢٩٠-٢٩٣.

(٣) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص٢٤.

(٤) الفهرست لابن نديم ص٩٠.

اسم رجل عَصَوْن وقَفَوْن وعَصَيْن وقَفَيْن، وليس هذا مما يخفى على سيبويه ولا على أصاغر الطلبة ولكنه كما قال أبو عثمان المازني: دخلت بغداد فأُلقيت عليّ مسائل فكنت أجيب فيها على مذهبي ويخطِّئونني على مذاهبهم.)[١]

فمثل هذه الرواية تدل بلا ريب على عناية الكوفيين بأمر التصريف والتمرُّن على مسائله منذ فترة مبكرة وإن كانت لا تدل على سبق لأهل الكوفة إلى هذا الفن الذي ذلله البصريون ودونوا فيه وأصّلوا أصوله.

وعلى الرغم من أن الكوفة قد سعت بدافع التميُّز عن البصرة إلى أن تختط لنفسها مذهباً خاصاً بها كما يرى بعض أهل العلم[٢] الذين اشتط بعضهم فلم يقر بوجود مذهب كوفي واضح المعالم كما ذهب إلى ذلك المستشرق فايل الناشر الأول لكتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات بن الأنباري الذي يزعم في مقدمته التي صنعها لهذا الكتاب أن الكوفة لم تؤسس لنفسها مدرسة نحوية خاصة، بالنظر إلى كثرة الخلافات بين أئمتها وكأنهم لا يؤلفون جبهة علمية موحدة وأن خلافاتهم مع الخليل وسيبويه إنما هو امتداد لما سمعوه من أستاذهم البصري يونس بن حبيب الذي درس عليه الكسائي والفراء.[٣]

وعلى الرغم من ذلك فإن الباحث يرى أن المدرسة الكوفية قد أسهمت إسهامات واضحة في تطوير هذه الدراسة لاسيما وأنه لا ينكر منصف أنّ لهذه المدرسة منهجاً يميزها عن البصرة. بحيث إن أئمتها توسعوا في مسائل الرواية والقياس والأخذ عن جميع العرب بدوهم وحضرهم، ولم يتشددوا في القياس فقاسوا حتى الشاهد الواحد وقد دلت التجارب على صدق هذا التوجه الذي أيدته الكثير من القراءات القرآنية الثابتة المتواترة، لاسيما وأن مسألة الكثرة والقلة من الأمور النسبية التي لا يتيسر ضبطها، وقد ألجأ التشدد فيها نحاة البصرة إلى التماس التأويلات والخروج بالدراسة اللغوية إلى ميادين الفلسفة والمنطق، كما أدخل ذلك النحاة في مواجهات حامية مع مختلف طبقات المجتمع وأهمهم جميعاً قرّاء القراءات القرآنية الذين كانوا أكثر دقة وضبطاً في رواياهم التي ينمو بها السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطّؤوا كثيراً من تلك القراءات لتعارضها مع قياسهم المتشدد، وليس الأمر كذلك بالنسبة للمذهب الكوفي ولذلك قلّ فيه ما كثر في المذهب البصري من التأويل والشذوذ والاضطرار والاستنكار.

وعلى الرغم من أن أئمة المذهب الكوفي لم يأتوا بجديد في المسائل العامة والقواعد الكلية والأصول، وقد انحصرت مساهماتهم في بعض المسائل الفرعية والتدريبات على تطبيق القواعد العامة مثل الميزان الصرفي وقواعد الإعلال والإبدال التي ظلت كما وضعت، إلا أنهم أثروا هذه

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ١/١٠٣-١٠٦، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. ط المطبعة العصرية ببيروت سنة ١٤١١هـ_١٩٩١م.

(٢) انظر نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوي ص١٣٤ ط/٢ ، دار المعارف بمصر بدون تاريخ.

(٣) انظر المدراس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص١٥٥-١٥٦، ط/٥ دار المعارف بمصر.

الدراسة بما تبنوا من آراء ومواقف، ومن ذلك: أنهم كانوا يرون أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه نحو ضرب ضرباً، وقام قياماً. وذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه.

أما الكوفيون فقد احتجوا لزعمهم بأن المصدر يصح لصحة فعله ويعتل لاعتلاله وذلك مثل: قَاوَمَ قِوَاماً حيث صحّ المصدر لصحة فعله، وقام قياماً حيث اعتل المصدر لاعتلال الفعل، فلما صحّ لصحته واعتل لاعتلاله دلّ على أنه فرع عليه.

وأما البصريون فقد احتجوا بأن المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل على زمان معين، فكما أن المطلق أصل للمقيد فكذلك المصدر أصل للفعل.(١)

ومن ذلك أنهم ذهبوا إلى أن الاسم مشتق من الوسم، وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو وهو العلو.

وقد احتج الكوفيون بأن الوسم في اللغة هو العلامة والاسم وَسمٌ على المسمى وعلامة له يعرف بها، فصار كالوسم عليه. والأصل في اسم: وسم إلاّ أنه حذفت منه الفاء التي هي الواو، وزيدت همزة الوصل في أوله عِوضاً عن المحذوف فوزنه (إعْلٌ).

وأما البصريون فاحتجوا بأن السمو هو العلو وأن الاسم يعلو على المسمى ويدل على ما تحته من معنى، والأصل فيه (سِمْوٌ) على وزن (فِعْلٌ) بكسر الفاء وسكون العين، فحذفت اللام التي هي الواو وجعلت الهمزة عِوضاً عنها فصار وزنه (إفْعٌ) لحذف اللام.(٢)

هذا وقد جمع الإمام أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري أكثر المسائل التي اختلف حولها النحويون البصريون والكوفيون في النحو والتصريف في نحو إحدى وعشرين ومائة مسألة ضمنها كتابه الموسوم بالإنصاف في مسائل الخلاف، وهي تعتبر من عوامل إثراء الدراسة النحوية والصرفية بما اشتملت عليه من آراء وحجج ومناقشات علمية قيّمة.

كما قام أبو البقاء العكبري كذلك بتصنيف كتاب التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين وبين الكوفيين وهو أيضاً جهد أفاد منه الدارسون كثيراً.

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري ١/٢٣٥-٢٣٧. بتحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ط المطبعة العصرية ببيروت ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

(٢) المصدر السابق ١/٦-٨.

المبحث السادس

تكامل الدراسة الصرفية لدى المدرسة البغدادية

لقد تهيأت الدراسة الصرفية لبلوغ طور الاكتمال بجهود علماء المدرسة البغدادية، وهم جيل من العلماء نشأ في بغداد أثناء القرن الرابع الهجري على أثر تلاقح أفكار المدرستين البصرية والكوفية بعد تلاقي آخر زعماء المدرستين من أمثال أبي العباس محمد بن يزيد المبرد إمام المدرسة البصرية في عصره وتلاميذه، وأبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب زعيم المدرسة الكوفية وتلاميذه فنشأ على أثر ذلك جيل جديد من العلماء شكّل نواة المدرسة البغدادية التي اتبع علماؤها نهجاً جديداً في دراساتهم ومصنفاتهم يقوم على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية، ومن ثم ترجيح أقوى الآراء.

هذا وقد كان فريق من البغداديين تغلب عليهم النزعة الكوفية وأشهرهم أبو الحسن بن كيسان، وأبو بكر بن شقير، وأبو بكر بن الخياط، قال الزجاجي: (من علماء الكوفيين الذين أخذت عنهم أبو الحسن بن كيسان وأبو بكر بن شقير وأبو بكر بن الخياط لأن هؤلاء قدوة وأعلام في علم الكوفيين، وكان أول اعتمادهم عليه ثم درسوا علم البصريين بعد ذلك فجمعوا بين العلمين.)(1)

وهناك فريق آخر ذو نزعة بصرية قوية مثل عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي تلميذ أبي إسحاق إبراهيم الزجاج الذي كان تلميذاً لثعلب الكوفي ثم تركه واتبع أبا العباس المبرد البصري، ويأتي بعده أبو علي الفارسي، ثم تلميذه أبو الفتح عثمان بن جني اللذان كانا أشد نزوعاً إلى المدرسة البصرية حتى أنهما كانا ينسبان نفسيهما إلى البصرة، ويظهر ذلك كثيراً في مصنفات ابن جني الذي يطلق كلمة (أصحابنا) ويعني بها البصريين.

ومن أبرز إسهامات هذه المدرسة في الدراسة الصرفية، مصنفات أبي القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧هـ وأهمها كتاب الجمل الذي أفرده لقواعد النحو والتصريف، والذي نال شهرة واسعة ولاسيما في المغرب العربي حتى قالوا: إن شروحه في العصور الوسطى بلغت مائة وعشرين شرحاً.(2) حيث عكف عليه العلماء بالدرس والشرح والتعليق، وقد اشتهر أبو القاسم الزجاجي بوضوح عبارته التي لا تزال قريبة المأخذ إلى اليوم، أكثر من كل مصنفات السابقين، وقد كان في آرائه أكثر ميلاً إلى المدرسة البصرية.

---

(1) الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي ص٧٩، تحقيق الدكتور مازن المبارك. نشر دار النفائس ببيروت ط/٥ سنة ١٤٠٦-١٩٨٦.

(2) مقدمة تحقيق شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الأشبيلي ٤٥/١ تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح.

ومن إسهامات هذه المدرسة جهود أبي علي الفارسي الذي درس على عدد من العلماء البصريين مثل ابن السراج والأخفش الصغير وابن دريد والزجاج ونفطوية ومبرمان، كما اختلف إلى حلقات البغداديين مثل ابن الخياط وأبي بكر بن مجاهد شيخ القراء في عصره. وقد برع الفارسي في علم العربية حتى قال قوم من تلاميذه: هو فوق المبرد وأعلم[1]، وقد صنف عدداً من الكتب منها: الإيضاح والتكملة، والعوامل المائة، والمقصور والممدود. وأهم مصنفاته كتاب الحجة للقراء السبعة الذي احتج فيه لكل قراءة من قراءاتهم، وقد أفادت الدراسة الصرفية من هذه المصنفات علماً غزيراً، ولعل أهم إسهاماته ما أملاه على تلميذه أبي الفتح عثمان بن جني الذي وجد فيه كنزاً ثميناً ونبعاً فياضاً بمسائل النحو والتصريف وعلوم اللغة التي نهل منها ابن جني، وصاغها في كتابه الخصائص، ومن ذلك حديثه عن (السلب) وهو معنى لطيف من معاني علم التصريف يقول أبو الفتح: (نبهنا أبو علي رحمه الله من هذا الموضع على ما أذكره وأبسطه لتتعجب من حسن الصنعة فيه. اعلم أن كل فعل أو اسم مأخوذ من الفعل أو فيه معنى الفعل، فإن وضع ذلك في كلامهم على إثبات معناه لا سلبهم إياه. وذلك قولهم قام، فهذا لإثبات القيام.. ثم إنهم مع هذا قد استعملوا ألفاظاً من كلامهم من الأفعال ومن الأسماء الضامنة لمعانيها، في سلب تلك المعاني لا إثباتها. ألا ترى أن تصريف " ع ج م " أين وقعت في كلامهم إنما هو للإبهام وضد البيان. ومن ذلك العَجَم لأنهم لا يفصحون.. ثم أنهم قالوا: أعجمت الكتاب إذا بيّنته وأوضحته. فهو إذاً لسلب معنى الاستبهام لا إثباته.)[2]

ويستفيض ابن جني في شرح هذا المعنى الذي نبهه إليه أستاذه أبو علي الفارسي وهو معنىً من المعاني التي تؤديها بعض حروف الزيادة على الفعل مثل الهمزة أو التضعيف في بعض حروف الفعل الأصلية مثل مرّضت الرجل أي داويته وعالجته من مَرَضِه فهذا للسلب.

ومن ذلك قذّيت عينه، إذا أزلت عنها القذى. فالفعل من هذه الأفعال يدل بلفظه الأساسي على إثبات معناه الذي وضع له أصلاً فإذا زدت عليه الهمزة مثلاً سلبت عنه المعنى الذي وضع من أجله ومن ذلك: شكى وأشكى، وعجم وأعجم، وابن جني يذكر ان هذا المعنى مما نبه عليه أستاذه أبو علي الفارسي كإثراء لدراسة التصريف.

ومما نقله عن أستاذه الفارسي باب الاشتقاق الأكبر حيث يقول: (هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي رحمه الله كان يستعين به ويُخلد إليه.. وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنىً واحداً تجتمع التراكيب الستة

---

(1) إنباه الرواة للقفطي ٣٠٨/١ (مصدر سابق).

(2) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ٧٥/٣-٧٦ تحقيق محمد علي النجار طبع دار الهدى للطباعة والنشر ببيروت ط/٢ بدون تاريخ.

وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه.)[١]

ويتحدث أبو الفتح في هذا النص ناسباً هذه الفكرة إلى شيخه أبي علي وهي أن أي أصل من الأصول يرتبط مع كافة الكلمات التي تنشأ عن تقليبه برباط يجمعه بها جميعاً فهنالك مثلاً الأصل الثلاثي: (ك ل م) ينتج عنه: (كلم) و(كمل) و(مكل) و(ملك) و(لكم) و(لمك) فهذه الكلمات الستة التي نشأت عن تقليب هذا الأصل الثلاثي يجمع بينها جميعاً معنى مشترك هو أنها تدل على القوة والشدة، فكل كلمة منها لو نظرت فيها تجد أن لها علاقة بالشدة والقوة حتى وإن تباعد هذا المعنى يمكنك أن تصله بها بالتأويل ولطف الصنعة كما ذكر أبو الفتح ومن ذلك أنه أرجع تقاليب مادة (ق س و) ومشتقاتها جميعاً إلى معنى القوة والاجتماع كما أرجع تقاليب مادة (س ل م) ومشتقاتها إلى معنى الإصحاب والملاينة وقد مضى يستقصي أمثلة كثيرة في الخصائص منبهاً إلى وجود المعنى الذي ترجع إليه كل مادة في جميع اشتقاقاتها وتقاليبها ليتوصل إلى قانون مطّرد في هذا الباب.[٢]

وذلك ملحظ يدل على إسهام هذا العالم الجليل في إثراء الدراسة الصرفية لاسيما وأن السابقين لم يشيروا إليه كما قال أبو الفتح.

وأبو علي الفارسي يتوسع في القياس حتى يثير دهشة تلميذه أبي الفتح الذي نقل عنه ما قاله في الإلحاق باللام حيث يقول فيما يرويه عن شيخه: (لو شاء شاعر، أو ساجع، أو متسع أن يبني بإلحاق اللام اسماً، وفعلاً، وصفة، لجاز له، ولكان ذلك من كلام العرب، وذلك نحو قولك: خَرجَجٌ أكرمُ من دَخْلَلٍ، وضَرَبْبَ زيدٌ عَمراً، ومَرَرْتُ بِرجُلٍ ضَرَبْبٍ وكَرْمَمٍ ونحو ذلك. قلت له: أفتَرتَجِل اللغة ارتجالاً؟ قال: ليس بارتجال، لكنه مقيس على كلامهم، فهو إذن من كلامهم. قال: ألا ترى أنك تقول: طاب الخُشْكُنانُ، فتجعله من كلام العرب، وإن لم تكن العرب تكلمت به. هكذا قال، فبرفعك إياه كرفعها ما صار لذلك محمولاً على كلامها ومنسوباً إلى لغتها)[٣].

وقد أفاد أبو الفتح من مثل هذه المحاورات مع شيخه الفارسي كثيراً ما هيأه إلى استكمال بناء صرح هذا العلم من خلال دراساته وبحوثه الثرة.

هذا وقد خلف أبو الفتح ابن جني شيخه أبا علي الفارسي على تدريس النحو والتصريف ببغداد بعد وفاته سنة سبع وسبعين وثلاثمائة[٤] (٣٧٧ هـ) بعد أن لزمه شطراً من عمره، فقد كان أبو الفتح صغير السن عندما جلس يُقرئ النحو بجامع الموصل وقد مرّ به أبو علي الفارسي وبين

---

(١) الخصائص لابن جني ٣/٧٥-٧٦.

(٢) الخصائص لابن جني ٢/١٣٣ وما بعدها.

(٣) الخصائص لابن جني ١/٣٥٨.

(٤) إنباه الرواه للقفطي ١/٣٠٩.

يديه طالب وهو يكلمه في قلب الواو ألفاً في مثل قام وقال فاعترض عليه أبو علي فوجده مقصراً فقال له: زببت قبل أن تحصرم فلزمه ابن جني في حله وترحاله وجاب معه البلاد وتتلمذ عليه أربعين سنة حتى ورث علمه وأربى عليه بل لقد بذّه في علم التصريف خاصة كما يفهم من أقوال كل من ترجم لأبي الفتح.

يقول ابن الأنباري: (وأما أبو الفتح عثمان بن جني النحوي، فإنه كان من حذاق أهل الأدب وأعلمهم بعلم النحو والتصريف.. ولم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف، فإنه لم يصنف أحد في التصريف، ولا تكلم فيه أحسن ولا أدق كلاماً منه.. وكان تبحّر ابن جني في علم التصريف لأن السبب في صحبته أبا علي وتغربه عن وطنه، ومفارقة أهله مسألة تصريفية، فحمله ذلك على التبحر والتدقيق فيه.)[1]

وكما كانت تخطئة حمّاد بن سلمة لسيبويه في مسألة نحوية دافعاً له على التبحر في علم النحو وسبباً في إخراج كتابه الذي يعتبر نادرة الزمان كذلك كانت تخطئة أبي علي الفارسي لابن جني في هذه المسألة التصريفية دافعاً له إلى التبحر في علم التصريف وسبباً في أن يصل بهذا العلم إلى القمة التي ليس بعدها مرتقى بما أخرج فيه من مصنفات تضمنت أصوله وحددت معالمه مثل الخصائص، والمنصف، وسر صناعة الإعراب، والتصريف الملوكي، وغيرها.

ولعل من أهم ما قدم في هذا المجال شرحه المستفيض لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني الذي ناقش مادته بإسهاب مفصلاً مجمله ومبيناً غامضه ومضيفاً إليه ما لا يحصى من ملاحظات طريفة لم تسبق الإشارة إليها في أعمال المتقدمين كملاحظته أن الأفعال قد تشتق من أسماء الأعيان فيقول: إنه لو اشتق فعل من سفرجل لقيل: سَفْرَج يُسَفْرِج سَفْرَجَةً فهو مُسَفرِجٌ[2]، وملاحظته أن الأفعال قد تشتق من الحروف وفي ذلك يقول: (.. إلا أنهم لما أعربوها وعطفوها فقالوا: قافٌ وكافٌ ودالٌ اشتقوا منها أفعالاً كما يشتق من الأسماء الصريحة فقالوا: قوّفتُ قافاً وكوّفتُ كافاً ودَوّلتُ دالاً، وقالوا: لوّيتُ لاءً حسنةً فجعلوها من الواو لأن الإمالة لم تسمع فيها.)[3]

وإذا كان ابن جني قد ذلل مسالك تصريف المازني بكتابه المنصف فإنه قد أثرى هذه الدراسة بكتابه الموسوم بالتصريف الملوكي الذي تناول فيه مختلف جوانب هذا العلم وتحدث فيه عن المجرد والمزيد والإبدال والتغيير بالحركة والسكون والحذف والإعلال مع تدريبات صرفية كثيرة على كل هذه الأبواب، التي قدم لها بفذلكة أجمل فيها مرامي هذا العلم بقوله: (.. فمعنى التصريف هو ما أريناك من التلعُّب بالحروف الأصول لِما يراد فيها من المعاني المفادة منها وغير

---

(1) نزهة الأنباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري ص٢٤٤-٢٤٥.

(2) المنصف لابن جني ٣٣/١.

(3) المنصف لابن جني ١٥٤/٢.

ذلك. فإذ قد ثبت ما قدمناه فليُعلم أن التصريف ينقسم إلى خمسة أضرب: زيادة، بدل، حذف، تغيير حركة أو سكون، إدغام.)[1]

على أن أهم آثار ابن جني في علم التصريف هو كتابه الخصائص كما ذهب إلى ذلك أكثر أهل العلم قديماً وحديثاً، فقد عمل في هذا الكتاب على وضع القوانين الكلية لعلم التصريف مما أفاده من ملاحظات واستقصاءات للأمثلة وتصاريف الأبنية مستخلصاً منها مزيدا من القوانين النحوية والصرفية كما هو الحال في بابي الاشتقاق الأكبر، والتضمين وهو أن تشرب لفظاً معنى لفظ آخر فتعامله معاملة الآخر في حالة التعدية مثلاً إذا كان فعلاً أو مصدراً، فإذا كان الذي حملته عليه يتعدى بحرف عديته بذات الحرف للإشعار بأنه محمول على معنى ذلك اللفظ وفي ذلك يقول ابن جني: (اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه وذلك كقول الله عز اسمه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ البقرة/١٨٧، وأنت لا تقول رفثت إلى المرأة، وإنما تقول: رفثت بها، أو معها، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء، وكنت تعدي أفضيت بـ" إلى" كقولك: أفضيتُ إلى المرأة، جئت بـ" إلى" مع الرفث، إيذاناً أو إشعاراً أنه بمعناه.. وكذلك قول الله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ آل عمران/٥٢، أي مع الله، وأنت لا تقول: سرتُ إلى زيد أي معه لكنه إنما جاء ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لما كان معناه من ينضاف في نصرتي إلى الله، فجاز في ذلك أن تأتي هنا إلى.)[2] وهو يكثر من الشواهد التي يحدث فيها التضمين مثل قول الفرزدق[3]:

قد قتل الله زياداً عني.

عداه بعن لأن معنى قتل الله زياداً عني أي صرفه عني. ومن ذلك قول القحيف العقيلي[4]:

إذا رضيت عليّ بنو قشير   لعمر الله أعجبني رضاها

كان ينبغي أن يقول: رضيت "عني" ولكنها إذا رضيت عنه أحبته وأقبلت عليه فلذلك استعمل "على" مع هذا الفعل بمعنى "عن" لأنه أُشرب معنى الإقبال.

---

(١) التصريف الملوكي. لأبي الفتح عثمان ابن جني. ص١٣، تحقيق الدكتور ديزيره سقال. نشر دار الفكر العربي ببيروت. ط/١ سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٢) الخصائص لابن جني ٣٠٨/٢-٣٠٩.

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، ٧٩٢/٢.

(٤) النوادر في اللغة لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري ص١٧٦، نشر دار الكتاب العربي- بيروت، ط/٢، سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

وقد أشار ابن جني إلى أن أوائل النحاة كسيبويه والكسائي وأستاذه أبي علي قد تناولوا هذا الموضوع. ولكنه هو الذي فصل فيه وثبته وقعّد له.[1] والذي يتأمل كتاب الخصائص يجد أن أبا الفتح بن جني قد قدم به سفراً نفيساً في التأصيل ووضع القواعد الكلية لعلم التصريف والنحو مستفيداً في ذلك من ثقافته المتنوعة في الفقه وأصوله وعلم الكلام وقد عقد أبواباً لهذه الأصول مثل الاطّراد والشذوذ، وتعارض السماع والقياس، والاستحسان وغير ذلك من الأصول، فمن ذلك قوله في باب تعارض السماع والقياس: (واعلم أنك إذا أداك القياس إلى شيء ما ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه.)[2] ثم تجده يتحدث عن حمل الفرع على الأصل، في الباب الذي عقده في مقاييس العربية فيقول: (واعلم أن العرب تؤثر من التجانس والتشابه وحمل الفرع على الأصل، ما إذا تأملته عرفت منه قوة عنايتها بهذا الشأن، وأنه منها على أقوى باب.)[3] ثم يذكر في هذا السياق أنهم لما أعربوا بالحروف في التثنية والجمع أعطوا الرفع في التثنية الألف، والرفع في الجمع الواو، والجر فيهما الياء، وبقي النصب بدون حرف يميزه فجذبوه إلى الجر فحملوه عليه.[4] قال الأشموني: (ولم يحمل على الرفع لمناسبة النصب للجر لأن كلاً منهما فضلة، ومن حيث المخرج لأن الفتح من أقصى الحلق والكسر من وسط الفم والضم من الشفتين.)[5] ويورد لذلك أمثلة عديدة في النحو والتصريف ثم يتحدث عن حمل الأصل على الفرع فيقول: (نعم وقد دعاهم إيثارهم لتشبيه الأشياء بعضها ببعض أن حملوا الأصل على الفرع ألا تراهم يُعِلّونَ المصدر لإعلال فعله، ويصححونه لصحته، وذلك نحو قولك قمت قياماً وقاومت قواماً. فإذا حملوا الأصل الذي هو المصدر على الفرع الذي هو الفعل، فهل بقي في وضوح الدلالة على إيثارهم تشبيه الأشياء المتقاربة بعضها ببعض شبهة.)[6]

ثم يتناول جانباً آخر من أصول التصريف ويعقد باباً يتحدث فيه عن الاستحسان، وهي قاعدة أصولية استخدمها علماء أصول الفقه في مقابل القياس عندهم، فيجيزون بناءً عليها ما لا يجيزه القياس وذلك إذا دعت الحاجة إليه.

وقد استخدم أبو الفتح هذه القاعدة في معالجة أحوال علم التصريف فقال: (..وجِماعُه أن علته ضعيفة غير مستحكمة إلا أن فيه ضرباً من الاتساع والتصرف، من ذلك تركك الأخف إلى الأثقل من غير ضرورة نحو قولهم: الفتوى، والبقوى، والتقوى، والشروى ونحو ذلك. ألا ترى أنهم

---

(1) الخصائص لابن جني ٣١١/٢.

(2) الخصائص لابن جني ١٢٥/١.

(3) الخصائص لابن جني ١١١/١.

(4) السابق ١١١/١.

(5) حاشية الصبان علي الأشموني ٨٨/١.

(6) الخصائص لابن جني ١١٣/١.

قلبوا الياء هنا واواً من غير استحكام علة، أكثر من أنهم أرادوا الفرق بين الاسم والصفة وهذه ليست علة معتدة.)[1] فمعنى الاستحسان الفقهي ينطبق على ما أورده ابن جني في هذا النص ذلك أن كلمة "الفتوى" مثلا كان المتبادر ألاّ يجري فيها إعلال بقلب يائها واواً فيقال: الفُتيا، ولكن عارض هذا الأمر الجلي الداعي إلى التصحيح أمر يدعو إلى الإعلال وهو إرادة الفرق بين الاسم والصفة وعمل العرب بهذا الأمر المعارض من قبيل الاستحسان فأعلت الكلمة لإرادة التفريق بين الاسم والصفة.

والأمثلة على تأثر أبي الفتح بأصول الفقهاء والمتكلمين في وضع أصول علم التصريف والنحو أكثر من أن تحصى في اقتضاب، وقد بسطها في كتابه الخصائص الذي جاء متمماً لكل الجهود السابقة في مجال الدراسة الصرفية.

---

(1) الخصائص لابن جني ١/١٣٤.

الفصل الرابع

أثر جهود علماء القراءات في تطور الدراسة النحوية

المبحث الأول: نشأة النحو تحت ظلال القرآن الكريم

المبحث الثاني: البصرة تضع النحو

المبحث الثالث: الخليل وتأصيل قواعد النحو

المبحث الرابع: سيبويه وتطور التدوين في النحو

المبحث الخامس: نشأة المذهب الكوفي في النحو وسماته العامة

المبحث الأول

نشأة النحو تحت ظلال القرآن الكريم

مع بزوغ فجر الإسلام، وانتشار دعوته في البلاد حول الجزيرة العربية وفد إليها الكثير من الأعاجم الذين دخلوا في دين الله أفواجا فاختلط العرب بغيرهم من المسلمين من الشعوب الأخرى فظهر إذ ذاك شيء من الاختلال في السليقة العربية أفضى إلى لحن بدأ يستشري بين الناس حتى خشي العلماء على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أن يصيبها أثره، ولهذا سعوا إلى تقويم اللسان عن الخطأ والزيغ في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لأنهما قِوام الدين الحنيف.

قال أبو الطيب اللغوي: (واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب فأحوج إلى التعلم الإعرابُ، لأن اللّحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقد روينا أن رجلاً لحن بحضرته فقال: " أرشدوا أخاكم" وقال أبو بكر رضي الله عنه: لأن أقرأ فأسقط أحبّ إليّ من أن أقرأ فألحن.)[1]

فاللّحن كما يفهم من هذا النص كان موجوداً منذ فترة مبكرة من تاريخ الإسلام ولكنه استشرى فيما بعد حتى أثّر بالفعل على ملكة اللغة ما دعى العلماء إلى تحديد عصر الاحتجاج اللغوي بمنتصف القرن الثاني الهجري في الحواضر، ونهاية القرن الرابع في البوادي.[2]

ولعل الخطر الداهم بظهور اللّحن في قراءة القرآن الكريم هو ما حدا بالعلماء إلى العمل على درء هذه المفسدة، فقد رُوي أن أعرابياً قدم المدينة المنورة في خلافة أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه والتمس من يعلمه شيئاً من القرآن فأقرأه رجل من سورة براءة قوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ التوبة/٣، بالجر في (رسولِه) فقال الأعرابي: أوقد برئ الله تعالى من رسوله؟ فبلغ ذلك عمر فدعاه وقال له: ليس هكذا يا أعرابي. فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ التوبة/٣، بالرفع فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم، فأمر عمر رضي الله عنه ألاّ يقرئ القرآن إلا عالم باللغة.[3]

كل ذلك وأمثاله دعا العلماء إلى اتخاذ عمل يصون الألسن عن اللحن في كتاب الله تعالى فنهض أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي في زعم كثير من أهل العلم بوضع ما أدركه عقله ونفذ

---

(١) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي. ص٥، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة نهضة مصر، ١٣٧هـ-١٩٥٥م.

(٢) الرواية والاستشهاد باللغة للدكتور محمد عيد. ص١٥٠، طبعة عالم الكتب بالقاهرة، ١٩٧٦م.

(٣) انظر نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء لأبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري. ص١٤-٢٠. تحقيق الدكتور إبراهيم السمرائي. نشر مكتبة المنار بالأردن، ط/٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

إليه تفكيره من أحكام في النحو وقد أقره على ذلك الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكـــرم الله وجهه.(١)

وتضطرب الروايات حول وضع أبي الأسود للنحو فمنها ما يجعل ذلك من عملـــه وحـــده ومنها ما يصعد به إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إذ يروون ذلك عن أبـــي الأســـود نفسه أنه دخل على الإمام علي بالعراق فرآه مطرقاً، فسأله: فيمَ يفكر؟ فقال له: سمعت ببلدكم لحناً فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية، وأتاه بعد أيام فألقى إليه صحيفة فيها: (بسم الله الـــرحمن الرحيم. الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما انبأ عن المسمى، والفعل مـــا أنبـــأ عـــن حركـــة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس بإسم ولا فعل)(٢)

ويقول القفطي المتوفى سنة ستٍ وأربعين وستمائة للهجرة: (رأيت بمصر في زمن الطلـــب بأيدي الوارقين جزءاً فيه أبواب من النحو يجمعون على أنها مقدمة علي بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي.)(٣)

ومهما يكن من أمر الاختلاف حول الواضع الأول للنحو، فإن ما أجمع عليه الرواة هو أن النحو ظهر شيئاً فشيئاً على أيدي قرّاء القرآن الكريم بدءاً بالإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو منتهى سند أكثر القرّاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تأتي جهود أبي الأسود الدؤلي تلميذ الإمام علي، ثم نصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز وهما من تلاميذ أبي الأسود.

وكيفما كانت الخطوات الأولى في طريق النحو فإنّ المُجمع عليه هو أن أولـــى الخطـــوات كانت عبارة عن نقط الإعراب الذي أبدعه أبو الأسود في محاولة لضبط كلمات القرآن الكريم وفق النطق الصحيح والذي يستند بدوره إلى قواعد النحو العربي وإن لم تكـــن معروفـــة كمصـــطلحات علمية آنذاك.

---

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص١٨.

(٢) إنباه الرواة للقفطي ٤/١.

(٣) المرجع السابق ٥/١.

المبحث الثاني

البصرة تضع النحو

كان عمل أبي الأسود باعثاً للناس على التساؤل عن أسباب هذا الإعراب وتفسير ظـواهره مما هيأ لظهور بعض الأفكار النحوية البسيطة. فقد كان طبيعياً بعد أن قام نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بنقط الإعجام لتحديد الحروف المعجمة من بين أخواتها المهملة، أن يطلقوا على نقط أبـي الأسود نقط الإعراب تمييزاً له عن نقط الإعجام، كما كان طبيعياً أن يطلقوا على علامـات الـنقط الخاصة بالإعراب أسماءً للتفريق بينها. وقد اشتقوا هذه الأسماء من كلمات أبي الأسود لكاتبه حين قال له: إذا رأيتني قد فتحت شفتيَّ بالحرف فأنقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت شفتيَّ فـأنقط نقطة بين يدي الحرف وإن كسرت شفتيَّ فاجعل النقطة من تحت الحرف.(١)

واستناداً إلى تعبير أبي الأسود أطلقوا على هذا النقط على التوالي: نقـط الفتحـة، ونقـط الضمة، ونقط الكسرة. وقد كان ذلك مدعاة لهم إلى ملاحظة اخـتلاف إعـراب الأسـماء حسـب مواضعها من الكلام، فهي إذا ابتدأ بها المتكلم لزمها الرفع، إلا إذا تقدمها أحد الحروف التي تعمـل فيها النصب، وإذا جاءت تاليةً لفعل من الأفعال فهي إما مرفوعة أو منصوبة، فتطور الأمـر إلـى وضع مصطلحات كالمبتدأ والفاعل والمفعول به، ثم لابد أن يكون الناس قد لاحظوا أن من كلمـات اللغة ما يقبل الحركات الثلاث وأن منها ما يلزم حالة واحدة، فتبع ذلك تقسيم الأسماء إلى معربـة ومبنية، وهكذا كانت البدايات الأولى التي قام عليها صرح هذا العلم الشامخ كغيره من العلوم التـي تنشأ عادة من جملة ملاحظات يقود بعضها إلى بعض حتى تستوي علماً قائماً منظماً تتكامـل فيـه جهود العلماء عبر مراحل نشأته وتطوره.(٢)

وهكذا بدأت جهود هؤلاء الأعلام الأوائل من العلماء في البصرة الـذين مهـدوا السـبيل ووضعوا اللبنات الأولى لعلم العربية بما أحدثوا من أعمال لصيانة كتاب الله تعـالى مـن اللحـن والتحريف، أخذت تؤتي أكلها وتظهر ثمارها فبدأت الملاحظات البسيطة الأولى تأخذ منحىً آخـر وتتجه نحو تقعيد القواعد وبسط القياس وتعليل الأحكام، وقد وجدت طلائع هذه الأعمال عند عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧هـ والذي أخذ بواكير هذا العلم عن نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر، وجدّ في هذا العلم حتى وصف بأنه أول نحوي بصري بـالمعنى الـدقيق لهـذا الكلمة(٣)، فهو أول من فرّع النحو وطرد القياس.

---

(١) انظر نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء لأبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري. ص٢٠، تحقيق د. إبراهيم السمرائي. مكتبة المنار بالأردن، ط/٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٢) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص٢٢، نشر دار المعارف بمصر، ط/٥ بدون تاريخ.

(٣) المرجع السابق ص٢٢.

يقول عنه ابن سلام: (كان أول من بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل)[1] وهو بهذا يجعله الواضع الأول لعلم النحو. ويقول أبو الطيب اللغوي: (وكان يقال: عبد الله أعلم أهل البصرة وأعقلهم ففرّع النحو وقاسه وتكلم في الهمز حتى عُمل فيه كتاب مما أملاه)[2] فهذا دليل على أنه قام بأعمال كبيرة تجاوزت الفكرة والتأسيس إلى مستوى التأليف والإملاء والإقراء ما يعتبر طوراً متقدماً في هذا المجال.

وحول ذلك يقول القفطي: (عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي مولاهم المقرئ النحوي العلامة، في علم العربية، بصري وهو أول الطبقة الرابعة من النحاة لأنه أقدم أخذاً فيمن شاركه في الطبقة وأقدمهم موتاً.. أخذ قراءته عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم.. وسئل يونس بن حبيب عن ابن أبي إسحاق وعلمه فقال: هو والنحو سواء أي هو الغاية.)[3]

وحتى تسلم قواعد هذا العلم فإنه لابد من اطّرادها وأن تقوم على استقراء دقيق وشامل، ولهذا رحل نحاة البصرة إلى البوادي يجمعون اللغة من ينابيعها الصافية التي لم تفسدها المدنية ولا الاختلاط بالشعوب الأخرى، حيث لا تزال القبائل البادية محتفظة بسليقتها اللغوية الصحيحة مثل قبائل تميم وقيس وأسد وطئ وهذيل وبعض عشائر كنانة.[4]

إلى ذلك أخذ العلماء عن بعض الأعراب الكاتِبين الذين وفدوا من البادية واحترفوا التعليم والكتابة وهم كثر، منهم على سبيل المثال لا الحصر، أبو البيداء أسعد بن عصمة الرباحي الذي نزل البصرة وكان يعلم الصبيان، وأبو مالك عمرو بن كركرة، وأبو زياد يزيد بن عبدالله بن الحر الكلابي، وكان شاعراً من بني عامر بن كلاب وله من الكتب: كتاب النوادر، وكتاب الفرق، وكتاب الإبل، وكتاب خلق الإنسان. ومنهم أبو سوار الغنوي وأبو الجاموس ثور بن يزيد الذي كان يفد إلى البصرة على آل سليمان بن علي وعنه أخذ عبدالله بن المقفع الفصاحة ومنهم أبو محلم محمد بن سعد الشيباني وأبو عدنان ورد بن حكيم، وشبيل بن عرعرة الصنبعي وأبو ثوابة الأسدي وأبو خيرة نهشل بن زيد العدوي صاحب كتاب الحشرات وأبو عثمان سعيد بن ضمضم الكلابي وأبو العميثل عبدالله بن خليد وأبو ثروان العُكَلي وغيرهم ممن أفاد منهم العلماء وقد ذكرهم ابن النديم فقال: (اقتضى ذكرهم في هذا الموضع مع اختلاف أصقاعهم وتباين أوقاتها أن العلماء عنهم أخذوا، فذكرتهم على غير ترتيب.)[5]

---

(1) إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ٢/١٠٥. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. نشر دار الفكر العربي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(2) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص١٢.

(3) إنباه الرواة للقفطي ٢/١٠٤-١٠٥.

(4) المزهر للسيوطي ١/٢١١.

(5) يراجع في ذلك الفهرست لابن النديم ص٦٦-٧٢.

هؤلاء الأعراب كانوا يمثلون مصدراً من المصادر التي استقى عنها العلماء اللغة وأفـــادوا منهم في وضع القواعد.

وقد كان القرآن الكريم بقراءاته المتعددة معيناً لا ينضب لهذه القواعد، وقد توقف نفر مـــن العلماء إزاء أحرف من هذه القراءات وجدوها لا تطّرد مع أقيستهم بينما تطّرد معها قراءات أخرى آثروها، وأوّلوا ما لا يطّرد مع أقيستهم بتأويلات شتى.

هذا، ولم يحتجوا بالحديث النبوي لأنه روي بالمعنى ودخل في روايته كثير من الأعـــاجم وفي ذلك يقول أبو حيان في شرح التسهيل: (على أن الواضعين الأولين لعلم النحـــو المســـتقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه، مـــن أئمـــة البصريين. والكسائي والفراء وعلي بن مبارك الأحمر، وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك.. وقد جرى الكلام في ذلك مع بعض المتأخرين الأذكياء فقال: إنما ترك العلماء ذلـــك لعـــدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم إذ لو وثقوا بذلك، لجرى مجرى القرآن في إثبات القواعد الكلية وإنما كان ذلك لأمرين:

أحدهما: أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى..

الأمر الثاني: أنه وقع اللحن كثيراً فيما رُوي من الحديث، لأن كثيراً من الرواة كانوا غيـــر عرب.)[1]

وبعد أن وطّأ رجال الطبقة البصرية الأولى سبيل النحو، جاء رجال الطبقة الثانية وعلـــى رأسهم عبدالله بن أبي إسحاق الذي نشط للقياس وأعمل فكره فيه، واتجه للعلل فوافق في كثير ممـــا ذهب إليه عيسى بن عمر الثقفي الذي ألف في النحو كتابين ذكرهما الخليل بن أحمد وأثنى عليهمـــا وهما الجامع والإكمال اللذين قال فيهما الخليل[2]:

ذهب النحو جميعاً كله	غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع	فهما للنـــاس شمـــس وقمـــر

ثم أضاف أبو عمرو بن العلاء إلى هذه الجهود أعمالاً ذكرها بعض المؤرخين الذين أشاروا إلى أنه صنف في النحو عدداً من الكتب إلا أنه أتلفها آخر حياته.[3]

وبعد أن وضعت البصرة أسس النحو منذ جهود أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه مـــن رجـــال الطبقة الأولى وتلاميذهم في الطبقات التالية تأتي بعد ذلك مرحلة نمو الدراسة النحويـــة وارتقائهـــا

(1) الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ص٥٢-٥٣. تحقيق د. أحمد محمد قاسم. نشر أدب الحوزة.

(2) نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء للأنباري ص٢٩-٣٠.

(3) معرفة القراء الكبار للإمام شمس الدين أبي عبدالله الذهبي ٨٦/١ (مرجع سابق).

حيث بدأ اشتراك البصرة والكوفة في النهوض بهذا العلم فتلاقت جهود رجال الطبقة البصرية الثالثة بزعامة الخليل بن أحمد الفراهيدي، والطبقة الكوفية الأولى بزعامة الرؤاسي الذي تلقى مع الخليل بن أحمد عن رجال الطبقة البصرية الثانية فأخذ النحو عن أبي عمرو بن العلاء ثم عاد إلى الكوفة واشتغل بالنحو حتى صنف فيه كتاباً سماه الفيصل وقد روى عنه ابن النديم حول ذلك : (وقال الرؤاسي: بعث الخليل إليَّ يطلب كتابي فبعثت به إليه فقرأه، وكل ما في كتاب سيبويه وقال الكوفي كذا فإنما يعني الرؤاسي)(١)

هذا وقد نشطت دراسة النحو في هذه المرحلة التي شهدت التنافس بين البصرة التي أرست دعائم علم النحو وبين الكوفة التي تسعى لنيل نصيبها من شرف خدمته وتطويره. فالخليل بعد أن جاب بوادي الحجاز ونجد وتهامة مواجهاً الأعراب والقبائل في مضاربها يعود إلى البصرة ليستجمع ما سمع وما دون ويشحذ ذهنه الوقاد لاستكمال بناء صرح النحو وتحديد ملامحه العامة وما زال به حتى أصّل أصوله وحدّ حدوده وفرّع تفاريعه وضم كل شيء إلى لفقه وساق الشواهد وعلل الأحكام وبلغ في ذلك غاية لم يدركها كل من سبقه من العلماء بيد أنه اكتفى عن تدوين موسوعة في النحو بما يملي على طلبته الذي تلقوا عنه وأفادوا كذلك من يونس بن حبيب.

ولعل تعهد الخليل للنحو في أطوار نشأته الأولى قد عجَّل بنضجه وكماله، فللخليل فضل النهوض بالنحو كما لأبي الأسود فضل تكوينه وبدايته، وعن الخليل يقول الأنباري: (..سيد أهل الأدب قاطبة في علمه وزهده، والغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله. وكان من تلامذة أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه سيبويه، وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل.)(٢)

---

(١) الفهرست لابن النديم، الفن الثاني من المقالة الثانية ص.٨٩، وانظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٢٢/١٨ دار إحياء التراث العربي ببيروت- بدون تاريخ.

(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري ص٤٥.

المبحث الثالث

الخليل وتأصيل قواعد النحو

إن المتتبع لجهود الخليل يدرك تماماً أنه هو الذي نهض بعلم العربية نهضة تجعل من الخليل أمة في هذا المجال إن جاز التعبير فقد عبر عن ملاحظاته الدقيقة على لغة العرب بصورة نفذ من خلالها إلى إرساء كثير من القواعد الأساسية في اللغة والنحو والتصريف. ولعلنا لا نجافي الحقيقة إذا قلنا إن جمهور ما ذكره سيبويه في كتابه من أصول النحو والتصريف وقواعدهما إنما هو من صنيع أستاذه الخليل، يتضح ذلك في محاوراتهما التي لا تكاد تنتهي والتي تدور فيها مصطلحات النحو والصرف، وتتحدد تبعاً لذلك أبوابهما ومباحثهما.

هذا وقد فرّق الخليل بين ألقاب الإعراب وألقاب البناء فسمى علامات الإعراب باسم الرفع والنصب والخفض، كما سمى حركات البناء باسم الضم والفتح والكسر، أما سكونها فسماه الوقف وسمى الكسرة غير المنونة في مثل: مررت بعبدِ الله باسم الجر. كما سمى السكون الذي يقع في أواخر الأفعال المضارعة المجزومة باسم الجزم(١).

وكان يرى أن الألف والياء والواو في التثنية وجمع المذكر السالم هي نفس حروف الإعراب(٢). كما كان يرى أن أسماء الأفعال مبنية لا محل لها من الإعراب شأنها في ذلك شأن ضمير الفصل.

هذا وقد لاحظ الخليل أنه لابد مع كل رفع لكلمة أو نصب أو خفض من عامل يعمل ذلك في الأسماء والأفعال المعربة، وكذلك الأسماء المبنية. والعامل عادة يكون لفظياً مثل المبتدأ الذي يعمل الرفع في الخبر والفعل الذي يرفع الفاعل وينصب المفعول. وقد يكون العامل معنوياً كالابتداء الذي يرتفع به المبتدأ.(٣)

والعوامل منها أدوات وحروف، ومنها ما يجزم الفعل مثل (لم) وإنْ الشرطية وأخواتها. ومنها ما يعمل النصب والرفع فيما بعده كالفعل وهو إنَّ وأخواتها، يقول سيبويه: (وكذلك هذه الحروف، منزلتها من الأفعال. وهي إنّ، وأن، ولكنّ، وليت، ولعلّ، وكأن.

وذلك قولك: إنّ زيداً منطلقٌ، وإنّ عمراً مسافرٌ، وإنّ زيداً أخوك، وكذلك أخواتها. وزعم الخليل أنها عَمِلت عملين: الرفعَ والنصبَ كما عملت كان الرفع والنصبَ حين قلت: كان اخاك زيدٌ. إلا أنه ليس لك أن تقول: كأن أخوك عبدَالله، تريد كأن عبدَالله أخوك، لأنها لا تتصرف تصرُّف

---

(١) المفصل لابن يعيش ٧٢/١-٧٣.

(٢) الإيضاح في علل النحو للزجاجي ص١٣١

(٣) الكتاب لسيبويه ١٢٨/٢-١٢٩.

الأفعال، ولا يُضمر فيها المرفوع كما يضمر في كان. فمن ثم فرّقوا بينهما كما فرّقوا بين ليس وما، فلم يجروها مجراها، ولكن قيل هي بمنزلة الأفعال فيما بعدها وليست بأفعال.)[1]

فهو في هذا النص يؤصل لنظرية العامل في النحو ودور هذا العامل في إحداث هذه التغيرات التي تطرأ على أواخر الكلم ثم يبين مكانة الأفعال في إحداث هذا التغيير ومدى تصرفها حتى عندما يتقدم أحد معمولاتها أو يتأخر عن موقعه من الجملة، وذلك على غير مكانة هذه الحروف التي يوضح أنها عملت عمل الأفعال ولكن تبين من خلال استقراء النصوص أنها لم تحظَ بدرجة الأفعال في التصرف بحيث لا يمكنك تقديم بعض معمولاتها على بعض كما هو الشأن في الأفعال، فهي عملت عمل الأفعال وليست بأفعال.

وقد لاحظ الخليل أن هذه العوامل قد يُلغى عملها أحياناً إذا وليتها (ما) التي تعتبر كافة لهذه الأدوات عن العمل فإذا دخلت (ما) على إنّ وأخواتها كفتها عن العمل أو ألغت عملها إلا (ليت) فإنه يجوز معها الإلغاء والإعمال. يقول سيبويه: (وأما ليتما زيد منطلقٌ فإن الإلغاء فيه حسنٌ، وقد كان رؤبة بن العجاج ينشد هذا البيت رفعاً، وهو قول النابغة الذبياني:[2]

قالت ألا لَيتَما هذا الحمامُ لنا إلى حمامتِنا ونصفُه فقد

فرفعه على وجهين: على أن يكون بمنزلة قول من قال: ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ البقرة/٢٦، أو يكون بمنزلة قوله: "إنما زيدٌ منطلقٌ")[3] فأحد وجهي الرفع هنا كما قال السيرافي أن تجعل (ما) بمنزلة الذي كأنه قال: ألا ليت الذي هو هذا الحمام لنا وكذلك: مثلاً الذي هو بعوضةٌ. والوجه الآخر أن تجعل(ما) كافة للعامل، مثل: إنما زيدٌ منطلقٌ[4]، وأما إنما فقد ذكر الخليل أنها لا تعمل فيما بعدها باعتبار أن (ما) تكف (إن) عن عملها، وفي كل هذا ما يؤكد أن الخليل هو صاحب فكرة الإعمال والإهمال في العوامل، التي لا تقتصر على هذه الحروف وحدها بل أشار إليها أيضا في باب (ظن) وأخواتها وغيرها يقول سيبويه: (هذا باب الأفعال التي تستعمل وتلغى. فهي ظننتُ، وحسِبتُ، وخِلتُ، وأُريتُ، ورأيتُ، وزعمتُ وما يتصرف من أفعالهن.

فإذا جاءت مستعملة فهي بمنزلة رأيتُ وضربتُ وأعطيتُ في الإعمال والبناء على الأول، في الخبر والاستفهام وفي كل شيء. وذلك قولك: أظن زيداً منطلقاً، وأظن عمراً ذاهباً، وزيداً أظن أخاكَ، وعمراً زعمت أباك.

---

(1) الكتاب لسيبويه ٢/١٣١.

(2) ديوان النابغة الذبياني ص٣٤. تحقيق الدكتور علي أبو ملحم. نشر دار ومكتبة الهلال ببيروت، ط/١ سنة ١٩٩١م.

(3) الكتاب لسيبويه ٢/١٣٧-١٣٨.

(4) أورده الأستاذ عبد السلام هارون بحاشية كتاب سيبويه ٢/١٣٨.

وتقول: أظنُ عمراً منطلقاً، وبكراً أظنه خارجاً، كما قلتَ: ضربتُ زيداً وعمراً كلمتهُ، وإن شئت رفعت على الرفع في هذا.

فإن ألغيتَ قُلتَ: عبدُالله أظنُّ ذاهبٌ، وهذا إخال أخوك. وفيها أُرى أبوكَ. وكلما أردتَ الإلغاء فالتأخير أقوى وكلٌ عربي جيد)[1].

فهذه الأفعال يلغى عملها إذا كانت لغواً أو زائدة كما أشار إلى ذلك سيبويه بقوله: (وقال الخليل: إنما لا تعمل فيما بعدها، كما أنّ أُرى إذا كانت لغواً لم تعمل، فجعلوا هذا نظيرها من الفعل كما كان نظير إنّ من الفعل ما يعمل.)[2]

هذا وقد أشار الخليل إلى بعض الحروف التي تعمل عملاً لفظياً فيما بعدها، في الوقت الذي يتعين فيه ملاحظة موقعه من الإعراب بالنسبة للعوامل التي تطلبه وتعمل فيه فاتحاً بذلك باب مباحث حروف الجر الزائدة مثل الباء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ الإسراء/٩٦، فيقرر أنما هي: كفى الله شهيداً، ولكنك لما أدخلتَ الباء عملت[3] عملاً لفظياً فقط ذلك أن كفى فعل ماضٍ والباء حرف جر زائد ولفظ الجلالة مجرور بالباء لفظاً وهو فاعل كفى محلاً وشهيداً تمييز، فحرف الجر الزائد وإن عمل عملاً لفظياً إلا أن ما دخل عليه ظل مطلوباً لعامله وهو (كفى).

ولا يكاد الخليل يترك شيئاً من العلاقات الوظيفية للنحو لفظاً أو تقديراً إلا وتحدث عنه حديث العارف الخبير ببواطن الأمور، فمن ذلك أنه يذهب إلى أنّ (إنْ) الجازمة تجزم جواب الشرط كما تجزم فعله وكان يعتبرها أمَّ الباب وذلك لملاحظة لطيفة هي أنّ (إنْ) الشرطية هذه لا تخرج عن بابها بينما يخرج غيرها من أخواتها أدوات الشرط الأخرى قال سيبويه: (وزعم الخليل أنّ إنْ هي أمّ حروف الجزاء، فسألته: لمَ قلت ذلك؟ فقال: من قِبَل أنّي أرى حروف الجزاء قد يتصرفنَ فيكُنَّ استفهاماً ومنها ما يفارقه (ما) فلا يكون فيه الجزاء، وهذه على حال واحدة أبداً لا تفارق المجازاة.)[4]

بهذا الفهم العميق لاستعمالات اللغة كان الخليل يحلل الأساليب المختلفة فيستخلص منها القواعد فيقرر على سبيل المثال أن جواب الشرط لا يكون إلا بفعل أو بالفاء، فالجواب بالفعل مثل: إن تزرعْ تحصدْ وإن تضربْ أضربْ والجواب بالفاء يكون عندما يأتي الجزاء جملة اسمية فهي حينئذ تحتاج إلى رابط هو الفاء مثل: إن تأتِني فأنا صاحبك، ومثل قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ

---

(1) الكتاب لسيبويه ١/١١٨-١١٩.

(2) المرجع السابق ٢/١٣٨.

(3) المرجع السابق ١/٩٢.

(4) الكتاب لسيبويه ٣/٦٣.

عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ المائدة/١١٨، كما لاحظ أن إذا الفجائية قد تسدُّ مسدَّ الرابط وهو الفاء مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴾ الروم/٣٦، وقد سأل سيبويه أستاذه الخليل عما ينجزم من الأفعال في جواب الطلب مثل: إئتني آتِك أو النهي مثل: لا تفعلْ يكنْ خيراً لك، وبالاستفهام مثل: ألا تأتيني أحدثْك وبالتمني مثل: ألا ماءَ أشربْه، وبالعرض مثل: ألا تنزلُ تصبْ خيراً قال الخليل: إن كل هذه الصيغ فيها معنى إنْ الشرطية لأن القائل إذا قال: إئتني آتِك فإن معنى كلامه: إن يكن منك إتيان آتِك.(1) وهكذا بقية الأنواع الأخرى.

ويقرر الخليل أن العوامل تعمل ظاهرة أو محذوفة فكثيراً ما يحذف المبتدأ مثلاً طلباً للإيجاز، كما قد يحذف الفعل الناصب للمفعول ففي قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ النساء/١٦٢، فإن الخليل يرى أن (المقيمين الصلاة) منصوبة بفعل محذوف قصداً للثناء والتعظيم كأنه قيل: أذكر أهل ذاك وأذكر المقيمين الصلاة(2) ولو كانت معطوفة على ما قبلها لكان حقها الرفع. وقد شبه الخليل النصب هنا بالنصب في الاختصاص فقال: (وهذا شبيه بقوله: إنَّا بني فلان نفعل كذا لأنه لا يريد أن يخبر من لا يدري أنه من بني فلان ولكنه ذكر ذلك افتخاراً وابتهاءً.)(3)

أسس تقعيد القواعد عند الخليل:

استند الخليل في تأصيله لقواعد النحو العربي على أمور ثلاثة هي:

أولاً: السماع: وهو النبع الصافي الذي ارتوى منه الخليل وتضلع من نمير هذه اللغة حتى استقرت سليقة العربية في نفسه استقراراً مكنه من ضبط قواعدها وفهم شواردها وكيفيات استعمالاتها وأسرار نظمها، والسماع عند الخليل كان يعني مصدرين هما:

أ- النقل عن قرّاء الذكر الحكيم الذي كان هو وشيوخه من قرّائه وحملته وقد تلقى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء الذي كان أحد القراء السبعة الذين تلقت الأمة قراءاتهم بالقبول، وقد سمع القراءة عن قراء الحجاز والعراق وكانت له اختيارات تدل على أُفُقِهِ الواسع في فهم العربية والمعرفة بلهجات العرب ولغاتهم.

ب- الأخذ عن أفواه العرب الخُلَّص الموثوق بفصاحتهم والذين رحل إليهم في بوادي الحجاز ونجد وتهامة يشافههم ويأخذ عنهم الشعر واللغة والحكم والأمثال والنوادر، ولعل المتأمل في كتاب سيبويه يستطيع أن يدرك مدى سعة المادة اللغوية التي يزخر بها صدر الخليل،

---

(1) يراجع في ذلك المصدر السابق ٣/٩٣—٩٤ وما بعدهما.

(2) الكتاب لسيبويه ٢/٦٦.

(3) المرجع السابق ٢/٦٦.

ذلك أن سيبويه لا يسجل قاعدة نحوية أو صرفية أو حكماً إلا وروى معه سيلاً من الشواهد المتمثلة في الأشعار والحكم والنوادر والأمثال إلى جانب القراءات القرآنية وكل شاهد من هذه الشواهد يقوم دليلاً على ما يستنبطه من أصول النحو وقواعده فالأحكام لا يلقيها الخليل إلقاءً وحسب وإنما يلقي كل حكم ومعه شواهده التي تؤيده وتعضده من كلام العرب الموثوق بهم.

أما القبائل التي وثقها نحاة البصرة وأخذوا عنها أكثر ما أخذوا فإنها قبائل قيس وتميم وأسد، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين[١]. وإلى جانب هذه القبائل وثق العلماء نفراً من الأعراب الذين وفدوا على البصرة من بوادي نجد واحترفوا التعليم والكتابة[٢]. وهنالك قبائل أخرى نزل القرآن بلغاتها، قال الإمام السيوطي: (روى أبو عبيد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن وهم الذين يقال لهم عليا هوازن، وهم خمس قبائل أو أربع منها: سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف. قال أبو عبيدة: وأحسب أفصح هؤلاء بني سعد بن بكر وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وأني نشأت في بني سعد بن بكر. وكان مسترضعاً فيهم، قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم.)[٣]

عن هذه القبائل أخذ نحاة البصرة اللغة وعنهم استقى الخليل ما مكنه من فهم دقائق اللغة وفي مراجعات سيبويه العديدة له ما ينبئ عن هذا التمكن من ناحية اللغة، فمن ذلك محاورة سيبويه له حول منع العلم من الصرف إذا كان على وزن (فعلان) مثلث الفاء، والنون فيه زائده مثل عثمان وغطفان، قال سيبويه: (وسألته عن رجل يسمى دِهقان فقال: إن سميته من التَّدَهْقُن فهو مصروف. وكذلك شيطان إن أخذته من التَّشَيطُن. فالنون عندنا في مثل هذا من نفس الحرف إذا كان له فعل يثبت فيه النون. وإن جعلت دهقان من الدَّهْق، وشيطان من شَيَّط لم تصرفه، وسألت الخليل عن رجل يسمى مُرّاناً فقال: أصرفُه، لأن المرّان إنما سمي للينه، فهو فُعَّال كما يسمى الحمَّاض لحموضته. وإنما المرَّانة اللين.

وسألته: عن رجل يسمى فيناناً فقال: مصروف، لأنه فيعال، وإنما يريد أن يقول لشعره فنونٌ كأفنان الشجر.

وسألته عن ديوانٍ، فقال: بمنزلة قيراطٍ، لأنه من دونت. ومن قال: دَيْوان فهو بمنزلة بَيْطار.

وسألته عن رُمَّان فقال: لا أصرفه، وأحمله على الأكثر إذا لم يكن له معنى يعرف. وسألته عن سعدان والمرْجان، فقال: لا أشك في أن هذه النون زائدة، لأنه ليس في الكلام مثل: سَرْدَاحٍ ولا فَعْلالٌ إلا مضعّفاً.)[٤]

---

(١) المزهر للسيوطي ٢١١/١.

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٦٦.

(٣) المزهر للسيوطي ٢١٠/١-٢١١.

(٤) الكتاب لسيبويه ٢١٧/٣-٢١٨.

هذا وقد قال السيرافي إنه إذا كان في آخر الاسم ألف ونون وقبلهما ثلاثة أحرف حكم عليهما بالزيادة حتى يقوم الدليل من اشتقاق أو غيره، أن النون أصلية. ولهذا السبب حكم الخليل بأن النون في رمّان زائدة وإن لم يُعرف اشتقاقه لأن الأكثر هكذا وأنه لا يعرف لكلمة (رَمَنَ) معنى.(١)

وذلك وغيره الكثير في كتاب سيبويه يدل على مدى سعة معرفة الخليل بهذه اللغة وأسرارها.

ثانياً: التعليل: كان الخليل يؤيد ما يستنبطه من القواعد والأحكام النحوية بالعلل والبراهين التي تصور إلى أي مدى كان يُعمل فكره لاقتناص الحكمة وراء كل حكم أو قاعدة حتى تكون كل قاعدة مستندة إلى سبب منطقي يصدق عليها بصورة مطردة، يقول الزبيدي: (وكان الخليل ذكياً فطناً شاعراً، واستنبط من العروض ومن علل النحو ما لم يستنبط أحد، وما لم يسبقه إلى مثله سابق)(٢) وقد سأله عن هذه العلل أحد معاصريه إن كان أخذ هذه العلل عن العرب أم أنه اخترعها من نفسه فقال الخليل: (إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها. وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه. فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست، وإن تكن هناك علة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام، وقد صحت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا. سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الرجل الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أنّ ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك. فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها.)(٣)

فمن العلل التي عنَّت للخليل على سبيل المثال أنه يذهب إلى أن الإعراب أصل في الأسماء. وأن البناء أصل في الأفعال والحروف. وأن كلاًّ منها لا يخرج عن أصله إلا لعلة.

فأما الأسماء فإنها قد تخرج عن أصلها فتبنى حين تعترضها علة شبهها بالحروف كالشبه الوضعي في الضمائر أو المعنوي في (متى) و(هنا) كما قال ابن مالك وأما الأفعال فقد تخرج عن أصلها فتعرب إذا أشبهت الأسماء على نحو ما أعرب المضارع لشبهه باسم الفاعل من حيث الحركات والسكون مثل أَكْتُبُ وكَاتِبٌ. وقد ظلت الحروف مبنية لأن شيئاً منها لا يشبه الاسم. وكل ذلك من علل الخليل وسيبويه وجميع البصريين.

---

(١) أورده الأستاذ عبدالسلام هارون في حاشية كتاب سيبويه ٢١٨/٣.

(٢) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص٤٧، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط/٢ دار المعارف بمصر بدون تاريخ.

(٣) الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي ص٦٥-٦٦، تحقيق الدكتور مازن المبارك. طبعة دار النفائس ببيروت ط/٥، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

وبناءً على ذلك فكل اسم إذا جاء معرباً فهو على أصله. وإذا جاء غير معرب فهو خارج عن أصله. وكل فعلٍ مبنيٌ فهو على أصله. وكل فعل معرب فقد خرج عن أصله.(١)

ويعلل الخليل لكثير من الأحكام النحوية والقواعد فمن ذلك أنه يعلل لعدم دخول الألف واللام على المنادي، إذ لا يصح أن يقال (يا الحارث) مثلاً إلا أن يتوصل إلى ذلك بأي فيقال: (يا أيها الحارث) فيقول: (إن الألف واللام إنما منعهما أن يدخلا في النداء من قِبَل أن كل اسم في النداء مرفوع معرفة وذلك أنه إذا قال يا رجلُ ويا فاسقُ، فمعناه كمعنى يا أيها الفاسقُ ويا أيها الرجلُ وصار معرفة لأنك أشرت إليه وقصدت قصده واكتفيت بهذا عن الألف واللام وصار كالأسماء التي هي للإشارة نحو هذا وما أشبه ذلك وصار معرفة بغير ألف ولام، لأنك إنما قصدت قصد شيء بعينه، وصار هذا بدلاً في النداء من الألف واللام واستغني به عنهما كما استغنيت بقولك: [اضربْ] عن [لتضربْ] وكما صار المجرور [بالكسرة] بدلاً من التنوين [أي في حالة الإضافة] وكما صار الكاف في رأَيتُكَ بدلاً من رأيت إياك. وإنما يدخلون الألف واللام ليُعَرِّفوك شيئاً بعينه قد رأيته أو سمعت به، فإذا قصدوا قصد الشيء بعينه دون غيره وعنوه، ولم يجعلوه واحداً من أمةٍ فقد استغنوا عن الألف واللام فمن ثم لم يُدخلوهما في هذا [أي في اسم الإشارة] ولا في النداء. ومما يدلك على أن يا فاسقُ معرفةُ قولك: يا خباثِ ويا لكاعِ ويا فساقِ، تريد يا فاسقة ويا خبيثة ويا لكعاء، فصار هذا اسماً لهذا.. كما صارت حَذامِ ورَقاشِ اسما للمرأة.)(٢)

ومن تعليلات الخليل، أنه لا يجيز أن يندب المنكّر مثل رجل ولا المبهم مثل مَنْ وهذا، ويعلل لذلك بما رواه سيبويه في قوله: (وذلك قولك: وارجلاه ويا رجلاه.. وقال الخليل رحمه الله: إنما قبح لأنك أبهمت. ألا ترى أنك لو قلت واهذاه، كان قبيحاً، لأنك إذا ندبت فإنما ينبغي لك أن تَفجَّع بأعرف الأسماءِ، وأن تخص ولا تُبْهِم، لأن الندبة على البيان ولو جاز هذا لجاز يا رجلاً ظريفاً، فكنت نادباً نكرة. وإنما كرهوا ذلك أنه تفاحش عندهم أن يتفجَّعوا على غير معروف، فكذلك تفاحش عندهم في المبهم لإبهامه، لأنك إذا ندبت تخبر أنك قد وقعت في عظيم، وأصابك جسيم من الأمر، فلا ينبغي لك أن تُبهم، وكذلك: وامن في الداراه، في القبح.

وزعم أنه لا يستقبح وامَن حفر بئر زمزماه، لأن هذا معروف بعينه، وكأن التبيين في النُّدبة عذرٌ للتفجُّع، فعلى هذا جرت الندبة في كلام العرب.)(٣) فهو إذ يستقبح أن يندب المُنكَّر والمبهم يوضح في هذا النص مدار هذه القضية وأن الندبة التي هي ناشئة عن التفجُّع والحزن لابد أن ترتبط بالبيان، بيان المندوب وعدم إبهامه لأن الإنسان إنما يحزن على ما هو معلوم له ولا يحزن على شيءٍ مبهم.

---

(١) يراجع في ذلك الإيضاح في علل النحو للزجاجي ص٧٧.

(٢) الكتاب لسيبويه ٢/١٩٧-١٩٨.

(٣) المصدر السابق ٢/٢٢٧-٢٢٨.

وعلى ذات السياق لا يجيز الخليل العطف على المضمر المجرور إلا بإعادة الخافض فلا يجوز عنده: مررت به ومحمدٍ بل لابد أن يقال: مررت به وبمحمدٍ وعلل لذلك بأن الضمير شبيه بالتنوين، لذلك لا يجوز العطف عليه حتى لو أُكِّد فلا يجوز: مررت به هو ومحمدٍ وكأن اتصال الضمير المجرور بخافضه أشد من اتصال الفاعل المضمر بفعله. يقول سيبويه: (ومما يقبح أن يَشْركه المظهَر علامةُ المضمر المجرور وذلك قولك: مررتُ بك وزيدٍ وهذا أبوك وعمرو، كرهوا أن يشرك المُظهَر مضمراً داخلاً فيما قبله، لأن هذه العلامة الداخلة فيما قبلها جمعت أنها لا يُتكلم بها إلا معتمِدةً على ما قبلها، وأنها بدلٌ من اللفظ بالتنوين، فصارت عندهم بمنزلة التنوين، فلما ضعفت عندهم كرهوا أن يتبعوها الاسم، ولم يجز أيضاً أن يتبعوها إياه وإن وصفوا، لا يحسن لك أن تقول: مررت بك أنتَ وزيدٍ كما جاز فيما أضمرت في الفعل [نحو قمت أنت وزيدٌ] لأن ذلك وإن كان قد أنزل منزلة آخر الفعل، فليس من الفعل ولا من تمامه.)(1) والواقع أن الخليل بعمله هذا إنما يلتمس تفسيراً لظاهرة لغوية يعتبرها حكماً عاماً وإن سُمع خلافها عن العرب كما هو الحال في قراءة حمزة لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامِ﴾النساء/١، بجر الأرحام عطفاً على الضمير بدون إعادة الخافض ولعل الشواهد من كلام العرب قد كثرت لدى الخليل حتى صحّ لديه الاطّراد وجعلها قاعدة عامة فالتمس لها هذا التعليل.

ثالثاً: القياس:

وعلى نحو ما كان الخليل يعلل لقواعد النحو كان كذلك يقيس عليها وكان يبني قياسه على الكثرة المطّردة من كلام العرب مع إشارته لما يخالفه، ومحاولة إيجاد تأويل له. والقياس في أبسط معانيه هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه، كما ذهب إلى ذلك أبو البركات بن الأنباري(2) وعليه فقد جعلوا للقياس أركاناً أربعة(3) هي:

أ- أصل: وهو المقيس عليه.

ب-فرع: وهو المقيس.

ج- حكم.

د- علة جامعة.

ولبيان علاقات هذه الأركان يقول ابن الأنباري: (وذلك مثل أن تركب قياساً في الدلالة على رفع ما لم يسمّ فاعله. فتقول: اسم أسند الفعل إليه مقدماً عليه، فوجب أن يكون مرفوعاً، قياساً على الفاعل. فالأصل: هو الفاعل، والفرع: هو ما لم يسمّ فاعله، والحكم: هو الرفع. والعلة الجامعة

---

(1) الكتاب لسيبويه ٣٨١/٢.

(2) الاقتراح في علم أصول النحو للإمام جلال الدين السيوطي ص٩٤. تحقيق الدكتور أحمد محمد قاسم. نشر أدب الحوزة-إيران. بدون تاريخ.

(3) المصدر السابق ص٩٦.

هي الإسناد. والأصل في الرفع أن يكون للأصل الذي هو الفاعل وإنما جرى على الفرع الذي هو ما لم يسمّ فاعله بالعلة الجامعة التي هي الإسناد.)(١)

على ذات الفهم مدّ الخليل القياس الذي كان منهلاً لكثير من أحكام النحو وقواعده فنراه على سبيل المثال يستخدم القياس في استنباط العديد من أحكام المنادى حيث يقول سيبويه: (وزعم الخليل أنهم نصبوا المضاف نحو يا عبدَ الله ويا أخانا والنكرة حين قالوا: يا رجلاً صالحاً حين طال الكلام كما نصبوا: هو قبلَك، وهو بعدَك. ورفعوا المفرد كما رفعوا قبلُ وبعدُ وموضعهما واحد، وذلك قولك: يا زيدُ ويا عمرو. وتركوا التنوين في المفرد كما تركوه في قبلُ. قلت: أرأيت قولهم يا زيدُ الطويلَ عَلامَ نصبوا الطويل؟ قال: نُصب لأنه صفة لمنصوب. وقال: وإن شئت كان نصباً على أعني. فقلت: أرأيت الرفع على أي شيء هو إذا قال يا زيدُ الطويلُ؟ قال: هو صفة لمرفوع. قلت ألست قد زعمت أن هذا المرفوع في موضع نصب، فلِمَ لا يكون كقوله لقيته أمسِ الأحدثَ؟

قال: من قِبَل أن كل اسم مفرد في النداء مرفوع أبداً، وليس كلُّ اسم في موضع أمسِ يكون مجروراً، فلما اطّرد الرفع في كل مفرد في النداء صار عندهم بمنزلة ما يرتفع بالابتداء أو بالفعل، فجعلوا وصفه إذا كان مفرداً بمنزلته.

قلت: أفرأيت قول العرب كلِّهم:

أزيدُ أخا ورقاء إن كنت ثائراً ... فقد عَرَضَتْ أحناءُ حقٍّ فخاصم(٢)

لأي شيء لم يجز فيه الرفع كما جاز في الطويل؟

قال: لأن المنادى إذا وصف بالمضاف فهو بمنزلته إذا كان في موضعه، ولو جاز هذا لقلتَ يا أخونا، تريد أن تجعله في موضع المفرد، وهذا لحنٌ.

فالمضاف إذا وصف به المنادى فهو بمنزلته إذا ناديته، لأنه هنا وصف لمنادى في موضع نصب، كما انتصب حيث كان منادى لأنه في موضع نصب، ولم يكن فيه ما كان في الطويل لطوله.

وقال الخليل رحمه الله: كأنهم لما أضافوا ردّوه إلى الأصل، كقولك: إن امسَك قد مضى.. وسألته عن يا زيد نفسَه ويا تميم كلَّكم ويا قيس كلَّهم، فقال: هذا كلُّه نصب، كقولك: يا زيدُ ذا الجُمَّةِ. وأما يا تميم أجمعون فأنت فيه بالخيار، إن شئت قلت أجمعون، وإن شئت قلت أجمعين، ولا ينتصب على أعني، من قبل أنه محال أن تقول أعني أجمعين.)(٣)

---

(١) نقله الإمام السيوطي في الاقتراح (مرجع سابق) ص٩٦.

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة (حنا) ١٠٣٣/٢، وانظر المفصل لابن يعيش ٤/٢.

(٣) الكتاب لسيبويه ١٨٣/٢-١٨٤.

ففي هذا الحوار نجد الخليل يقيس المنادى على (قبل وبعد) للمشابهة بينهما فالمنادى يشبههما ويأخذ لذلك حكمهما فهو إذا كان مفرداً رُفع ومُنع من التنوين مثل (قبلُ وبعدُ) اللتين تبنيان على الضم في حال إفرادهما. وإذا طال، إما بالإضافة أو بأنه نكرة موصوفة نُصب كما تنصب (قبلُ وبعدُ) في حال إضافتهما في قولك: (قبلَك وبعدَك). وإذا نعت المنادى المفرد بمفرد جاز في النعت النصب لاعتبار محل المنادى، وجاز فيه الرفع لاعتبار لفظ المنادى. أما إذا وصف المنادى المفرد بنعت مضاف فإنه يتحتم فيه النصب ولا يجوز الرفع لأنه بمنزلته لو كان منادى والمنادى المضاف حقه النصب.

هذا وقد يحاول الخليل أن يجد تأويلاً لما يخالف قياسه من كلام العرب فمن ذلك أن القياس عنده عدم تصغير الفعل، ولكن جاء عن العرب من أساليب التعجب: (ما أُمَيلحه) قال سيبويه: (وسألت الخليل عن قول العرب: ما أُميلحه. فقال: لم يكن ينبغي أن يكون في القياس، لأن الفعل لا يُحقَّر، وإنما تُحقَّر الأسماء لأنها توصف بما يعظِّم ويهوِّن، والأفعال لا توصف، فكرهوا أن تكون الأفعال كالأسماء لمخالفتها إياها في أشياء كثيرة، ولكنهم حقروا هذا اللفظ، وإنما يعنون الذي تصفه بالمِلْحِ كأنك قلتَ: مُلَيِّح، شبهوه بالشيء الذي تلفظ به وأنت تعني شيئاً آخر نحو قولك: يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان. ونحو هذا كثير في الكلام.

وليس شيء من الفعل ولا شيء مما سمي به الفعل يحقر إلا هذا وحده وما أشبهه من قولك ما أفعله.)[١]

وقد شرح السيرافي عبارة (يطؤهم الطريق) بأنهم يريدون: يطؤهم أهل الطريق الذي يمرون فيه، فحذف أهلاً وأقام الطريق مقامهم. ومعناه أن بيوتهم على الطريق فمن جاز فيه رآهم، وقوله: صيد عليه يومان معناه صيد عليه الصيد في يومين.[٢]

---

(١) الكتاب لسيبويه ٣/٤٧٧-٤٧٨.

(٢) هامش الكتاب لسيبويه ٣/٤٧٨.

المبحث الرابع

سيبويه وتطور التدوين في النحو

ويتواصل عطاء البصرة في إقامة صرح النحو العربي بجهود الطبقات المتعاقبة لهذه المدرسة والتي لمع فيها نجم سيبويه تلميذ الخليل بن أحمد الذي حمل لواء هذا العلم بعد وفاة أستاذه.

لقد التمس سيبويه علم العربية منذ صباه الباكر فلزم حلقات النحويين واللغويين في البصرة وفي مقدمتهم عيسى بن عمر والأخفش الأكبر ويونس بن حبيب ثم اختص بالخليل بن أحمد وأكثر مجالسته والاختلاف إليه والأخذ عنه عن طريق الاستملاء، ثم الاستفسار والسؤال والمحاورة حيث كان يدون كل ما يدلي به الخليل في أي مسألة من المسائل لم يفته رأي ولا شاهد ولم يُبقِ شاردة ولا واردة إلا سأل الخليل عنها وأفاض عليه الخليل فيها، ثم توفر على صياغة هذه المادة العلمية الغزيرة التي جناها من حلقات الخليل وعلماء البصرة الآخرين وأعمل فيها فكره فأخرج منها كتابه الذي سبق به كل من كان قبله وأعجز كل من جاء بعده أن يضيف عليه شيئاً ذا بال، فقد جمع فيه سيبويه جهود علماء البصرة الذين أسسوا علم النحو وشادوا بنيانه وأكثر من النقل عن شيخه الخليل حتى لتكاد الأفكار في الكتاب أن تنسب إلى الخليل والتأليف لسيبويه وقد بلغ الكتاب منزلة عظيمة في عصره والعصور التالية وعن سيبويه، يقول أبو الطيب اللغوي: (هو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل وألف كتابه الذي سماه الناس قرآن النحو، وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل)[1] ذلك أن سيبويه قد أكثر من قوله: سألت الخليل، وزعم الخليل، وقال الخليل كما مرّ، كما نقل عن يونس بن حبيب كثيراً من الآراء إلى درجة أنه نقل أبواباً برمتها عنه، فقد نقل عنه فصلين من التصغير وذيّل ذلك بقوله: (وجميع ما ذكرت لك في هذا الباب وما أذكره في الباب الذي يليه من قول يونس)[2]

هذا ولم يكن التأليف على زمان سيبويه وسابقيه بهذا المستوى المحكم الذي ظهر به الكتاب على الرغم من أنه لم يستكمل عمله به ولم ينقحه، إلا أنه جاء على سمت لم يكن معهوداً من قبل من حيث حشدُ المادة العلمية وترتيبُها وتبويبُها ومراعاة أقصى ما تقتضيه الأمانة العلمية من دقة النقل وعزو المعلومة إلى مصدرها كما اتبع منهجاً تحليلياً في محاوراته مع أستاذه الخليل خاصة ومن ثم يوازن بين ما توفر لديه من معلومات وأقوال لينفذ من ذلك إلى ما يراه صواباً بعد التأمل والدراسة فمن ذلك ما جاء في باب تحقير بنات الياء والواو عند الكلام على تصغير أحوى فيقول: (وأما عيسى فكان يقول أحيٌّ ويصرف.. وهذا خطأ.. وأما أبو عمرو فكان يقول: أحيٍّ.. وأما يونس فيقول: هذا أُحَيُّ كما ترى وهو القياس والصواب)[3] واختيار سيبويه من بين هذه الأقوال لابد أن يكون مبنياً على معرفة واسعة باللغة واستعمالاتها.

---

(1) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص٦٥.

(2) الكتاب لسيبويه ٢/١٠٩.

(3) الكتاب لسيبويه ٣/٤٧٢.

هذا وقد عُني سيبويه بالشواهد لتثبيت الأحكام وتعضيد القواعد، ومصادر هذه الشواهد هي: القرآن الكريم وأشعار العرب ومنثورهم من الحِكَم والأمثال، وقد كان استشهاده بالحديث النبوي قليلاً، شأن أسلافه ومعاصريه من علماء البصرة وذلك لعدم ثقتهم في نقل الحديث الشريف بلفظه الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لتصريح العلماء بجواز الرواية بالمعنى. وقد بلغت شواهد الكتاب من القرآن الكريم نحواً من ثلاثمائة آية ما جعل أبا عثمان المازني يعتذر عن تعليم الذميّ كتاب سيبويه مقابل أجر كبير هو في أمسّ الحاجة إليه، فاعتذر بقوله: (إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا آية من كتاب الله عز وجل ولست أرى أن أمكّن منها ذمياً.)[1]

أما الشواهد النثرية من كلام فكثيرة وكذلك الشعرية فقد ذكروا أن في الكتاب ألفاً وخمسين بيتاً، إلا أنه لم يُعن بنسبة هذا الشعر إلى قائليه في كثير من الأحيان، وقد تطلع العلماء بعده إلى معرفة الشعراء الذين نقل عنهم، قال الجرمي: (نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً فأما ألف بيت فعرفت أسماء قائليها فأثبتها، وأما خمسون فلم أعرف أسماء قائليها.)[2] ورواية الجرمي هذه تدل على أن نسبة الأبيات الموجودة في كتاب سيبويه حادثة بعده.

وتكثر التعليلات في كتاب سيبويه سواء للقواعد المطردة أو للأمثلة الشاذة وكأنما لا يوجد أسلوب ولا توجد قاعدة بدون علة. فهو مثلاً يعلل لعدم جزم الأسماء فيقول: (وليس في الأسماء جزم لتمكنها وللحاق التنوين، فإذا ذهب التنوين لم يجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب الحركة.)[3] ثم يتعرض لإعراب المضارع وأنه يرفع وينصب ويجزم مع أدوات الجزم ويلاحظ أنه لا يُجر، فيعلل لذلك فيقول: (وليس في الأفعال المضارعة جرٌّ، كما أنه ليس في الأسماء جزمٌ، لأن المجرور داخل في المضاف إليه معاقب للتنوين، وليس ذلك في هذه الأفعال.)[4] كما أنه يعلل لمسألة إعراب الفعل المضارع دون غيره من قسيميه الماضي والأمر، بأنه ضارع اسم الفاعل من حيث معناه ووقوعه موقعه فيقول: (.. وإنما ضارعت أسماء الفاعلين أنك تقول: إن عبد الله ليفعل، فيوافق قولك: لفاعل.. وتلحقه هذه اللام كما لحقت الاسم.)[5] فهو يشير في هذا النص إلى أن الأفعال المضارعة قد أعربت لعلة مشابهتها لاسم الفاعل من حيث البناء وإفادة المعنى وأنه تلحقها هذه اللام المتزحلقة لأحد معمولي إنّ كما في المثال الذي أورده وهذه اللام يمنع دخولها على الأفعال الماضية، وبهذا كله استحق الفعل المضارع أن يعرب وأن يدخل على آخره الرفع والنصب والجزم، ثم يسترسل سيبويه فيعلل لفتح آخر الفعل الماضي مشيراً إلى أنه كان ينبغي أن يكون

---

(1) نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء لأبي البركات بن الأنباري ص١٤١.

(2) طبقات النحويين واللغويين للزُبيدي ص٧٥.

(3) الكتاب لسيبويه ١/١٤.

(4) الكتاب لسيبويه ١/١٤.

(5) الكتاب لسيبويه ١/١٤

ساكناً على الأصل في الأفعال أن تكون ساكنة الآخر ولكن الماضي فيه بعض المضـــارعة للاسـم لأنه يمكن أن يقع موقع اسم الفاعل والمضارع جميعاً إذ تقول: (هذا رجل ضرب محمــداً) كمـا تقول: (هذا رجل ضارب محمداً) وتقول: إن فعل فعلتُ كما تقول: إن يفعلْ أفعلْ، ولــذلك فــارق الماضي السكون إلى الفتح ولم يعرب إعراباً كاملاً لأن مضارعته ناقصة، إذ لا تــدخل عليــه لام الابتداء.[١]

فالأفعال عنده ثلاثة أقسام: قسم ضارع الاسم مضارعة تامة فأُعرب وهو الفعل المضارع. وقسم ضارعها مضارعة ناقصة فبُني على الفتح وهو الماضي. وقسم ثالث بقي على أصــله مــن السكون وهو فعل الأمر.

ثم يمضي سيبويه فيعلل لدخول التنوين على الأسماء المتمكنـــة دون الأفعـــال المضـــارعة وغيرها من الأفعال فيقول: (واعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقل من الأسماء، لأن الأسماء هي الأولى، وهي أشدُّ تمكناً، فمن ثَمَّ لم يلحقها تنوين ولحقها الجزم والسكون، وإنما هي من الأسماء [يعني أن الأفعال مشتقة من الأسماء]. ألا ترى أن الفعل لابد له من الاسم، وإلا لــم يكــن كلاماً، والاسم قد يستغني عن الفعل، تقول: الله إلهُنا، وعبدالله أخونا.)[٢] فالعلة في دخول التنـــوين على الأسماء المتمكنة هو خفة الأسماء وابتعادها عن مشابهة الفعل. ثم يلاحظ أن الاسم إذا أشــبه الفعل المضارع في بنائه منعوه من التنوين والجر ويكون علامة جره الفتحة نيابة عــن الكســرة، فيقول: (واعلم أن ما ضارع الفعل المضارع من الأسماء في الكلام ووافقه في البناء أُجرِي لفظــه مجرى ما يستثقلون ومنعوه ما يكون لما يستخفون وذلك نحو أبيض وأسود وأحمر وأصفر فهذا بناء أذهبُ وأعلمُ.)[٣] فهذا حال الممنوع من الصرف والذي يُعتبر أقل تمكناً من الاسم الذي ينصــرف والذي أداه إلى ذلك هو اقترابه من شبه الفعل المضارع فخلعت عليه بعض خواص الفعل المضارع ومن ذلك المنع من التنوين وعدم الجر بالكسرة.

ويستطرد سيبويه فيقول: (واعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة، وهي أشد تمكُّنـــاً لأن النكرة أول، ثم يدخل عليها ما تعرف به، فمن ثم أكثر الكلام ينصرف في النكرة، واعلم أن الواحد أشد تمكناً من الجميع لأن الواحد الأول ومن ثم لم يصرِفوا ما جاء من الجميع ما جاء على مثــال ليس يكون للواحد نحو مساجد ومفاتيح.)[٤] فهو في هذا النص يوضح المستحق للتمكن من الأسماء فالنكرة اعتبرها أصلاً ولهذا يكون أكثر التنوين في النكرة، كما أن الواحد أصل ولهذا ينوّن الواحد، ولا ينون الجمع الذي يبتعد كثيراً من صفة الواحد وهو منتهى الجموع، الذي لا يمكن جمعه مــرة أخرى، فالجمع الذي يُنون هو الذي يمكن جمعه مرة أخرى.

---

(١) الكتاب لسيبويه ١/١٦.

(٢) الكتاب لسيبويه ١/٢٠-٢١.

(٣) الكتاب لسيبويه ١/٢١.

(٤) الكتاب لسيبويه ١/٢٢.

والمذكر عنده أصل للمؤنث وهو أخف عليهم من المؤنث لأن المذكر أول كما ذكر، وهو أشد تمكناً، ولهذا اعتبروا التأنيث علة للمنع من الصرف. ثم يتطرق سيبويه إلى عوامل تمكن الاسم ويذكر منها أداة التعريف (أل) والإضافة، فإذا اتصلت هذه الأداة بالاسم انجر بالكسرة وكذلك إذا أُضيفت قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ﴾البقرة/١٨٧، فتُجر (المساجد) بالكسرة بسبب دخول (أل) عليها فتخرج بذلك من دائرة الممنوع من الصرف ويتمكن تمكن الاسم.

وعلى ذات النهج جاء تأليف الكتاب الذي لم يترك من جوانب هذا العلم أمراً ذا بال، ولا مجالاً يضاف إليه كما ذهب إلى ذلك كثير من أهل العلم.

المبحث الخامس

نشأة المذهب الكوفي في النحو وسماته العامة

عندما كانت البصرة مشغولة بإرساء دعائم النحو ووضع أسسه منذ نقط الإعراب لكلمات القرآن الكريم الذي قام به أبو الأسود الدؤلي إلى نقط الإعجام ثم إلى نشأة الأفكار الأولى في النحو والتصريف وتطورها منذ عبدالله بن أبي إسحاق وتلاميذه إلى الخليل وسيبويه؛ إبان تلك الفترة كانت الكوفة مشغولة بالفقه وأصوله ومقاييسه وفتاواه، ثم بالقراءات القرآنية وتمحيص رواياتها ما جعل الكوفة تحظى بنصف القراءات السبع تقريباً حيث احتضنت قراءات عاصم وحمزة والكسائي، الذين شاعت قراءاتهم في أغلب بلاد الإسلام كما حظيت بمذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، إلى جانب ازدهار رواية الشعر وصناعة الدواوين.(١)

تذكر كتب الطبقات أن أول من اشتغل بالنحو من أهل الكوفة هو أبو جعفر الرؤاسي الذي قال عنه الزبيدي إنه (كان أستاذ أهل الكوفة في النحو)(٢) وكان الرؤاسي قد ذهب إلى البصرة واخذ النحو عن عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء ثم عاد إلى الكوفة فتلمذ عليه جماعة، منهم علي بن حمزة الكسائي، وألف لتلاميذه كتاباً في النحو أسماه (الفيصل) إلا أن الرؤاسي لم يكن على شيء من علم النحو، فقد وصف أبو حاتم حاله بقوله: (كان بالكوفة نحوي يقال له أبو جعفر الرُّوَاسي، وهو مطروح العلم ليس بشيء)(٣) وأما كتابه (الفيصل) فقد وصفه تلميذه الكسائي بأنه كان مختصراً قليل القيمة، فقد روى الزجاجي عن أحمد بن جعفر قال: (حدثني محمد بن فرج الغساني قال: سمعت أبا عمر يقول: سمعت الكسائي يقول: حداني على النظر في النحو أني كنت أقرأ على حمزة الزيات فتمرّ بي الحجة ولا أتجه لها، ولا أدري ما الجواب فيها، فأرجع إلى المختصر الذي عمله أهل الكوفة، وكان يسمى هذا المختصر "الفصل" فلا أتبين فيه حجة، وكانت قبائل العرب متصلة بالكوفة، فخرجت وأهلي لا يعلمون بخروجي.. فلما صرت إلى ظاهر الكوفة ولقيت القبائل جعلت أسألهم فيخبروني مشافهة وينشدوني الأشعار، فأنظر إلى ما في يدي وإلى ما أسمعه منهم فأجد الحجة تلزم ما عندي.)(٤)

هذا، وقد ذكر الفراء أنه كان أحفظَ لكتاب الفيصل من الكسائي، ولما ذهب إلى بغداد سمع بالكسائي فذهب إليه في مسجده وسأله عن مسألة فأجابه بغير ما عنده فأومأ الفراء إلى رجلين كانا

---

(١) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص٧٤-٧٥.

(٢) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص١٢٥.

(٣) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص٢٤.

(٤) مجالس العلماء لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي ص٢٠٣. تحقيق عبدالسلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط/٢ سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

معه ففطن الكسائي فقال له: (سألتني عن كيت وكيت، والجواب فيه ما أخبرتك به، أفتريد أن أجيبك بما يقول أهل الكوفة فيه وهو خطأ؟ فقلت له: من أين قلت إنه خطأ؟ قال: لأن الله جلّ وعزّ قال كذا وكذا في كتابه، وهو خلافه، وقال كذا وكذا. قال الفراء: فرميت بما كان معي واستأنفت عنه التعليم.)(١) على أن الكسائي اجتهد في تحصيل القرآن الكريم وعلم النحو ومشافهة الأعراب والأخذ عنهم والأخذ كذلك عن علماء البصرة، حتى تهيأ له ما لم يكن لأسلافه من أهل الكوفة، وقد أدرك الفراء مكانة الكسائي في هذا العلم فالتحق به وتتلمذ عليه، وكان من شأنهما أن بدآ تكوين مذهب جديد في النحو له سماته وخواصه التي تميزه عن المذهب البصري.

وكما هو شائع فقد تميز المذهب البصري بالنزوع إلى التشدد في أمور التأصيل لقواعد النحو فلم يأخذوا اللغة إلا عن الفصحاء المقطوع بعراقتهم في العروبة وسلامة فِطرهم عن مؤثرات الحضارة ومخالطة الأعاجم، حيث قصروا السماع على سكان بوادي الحجاز ونجد وتهامة الذين سعوا إليهم في مضاربهم يشافهونهم ويسمعون منهم اللغة والشعر. كما أنهم بنوا قواعدهم على الكثرة الفياضة من هذا المسموع التي تخولهم القطع بنظائره وتسلمهم إلى الاطمئنان عليه، وقد بنوا على ذلك أقيستهم مع محاولة إيجاد التأويل المناسب لكل ما لا يطّرد مع هذه الأقيسة حتى ولو كان كثيراً، وكل ما يخالف هذا القياس فإما أن يؤول أو يحكم عليه بالشذوذ أو الاضطرار.

أما المذهب الكوفي فقد آثر الاتساع في الرواية عن جميع العرب بدوهم وحضرهم، وليس معنى ذلك أن نحاة الكوفة قنعوا بمن يعيش حولهم من الأعراب، فقد رحلوا إلى القبائل المشهورة بالفصاحة وأكثروا من هذه الرحلات فقد ذكر أصحاب الطبقات أن الكسائي خرج إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة ورجع وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه(٢). فالكوفيون على هذا أخذوا اللغة من الفصحاء ومن الأقل فصاحة من سكان البوادي وسكان الحواضر الذين لم يوثق البصريون لغاتهم ولم يثقوا بهم وبالجملة فإننا نستطيع أن نصف الكوفيين بأنهم قد جمعوا اللغة بتبرها وترابها إن جاز التعبير.

ولعل الباعث على ذلك هو أن إمام هذه المدرسة علي بن حمزة الكسائي كان أحد القراء السبعة الذين تلقت الأمة قراءاتهم بالقبول، وهو بالطبع لم يكن يدرك أنه سيتم اختياره ضمن السبعة القراء الذين ستتّبع الأمة قراءاتهم ولكنه كان يدرك تماماً سعة أعداد من تلقوا القراءة عنه والأعداد التي ستأخذ عنهم وقد كان رجلاً صالحاً ثقة عدلاً ضابطاً، كما وصفه أهل المعرفة بالرجال(٣)، وقد أراد أن يفسح في العربية للغات المختلفة حتى الشاذة والنادرة منها حيث كانت قراءته تشتمل على

---

(١) مجالس العلماء للزجاجي ص٢٠٥.

(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات بن الأنباري ص٥٩.

(٣) إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي١/٧. نشر دار مكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ١٤٠٢هـ-١٩٨١م.

حروف تشذّ عن قواعد النحو البصري وهو يعلم أن السند ينمو بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أدل على عدله وصدقه مما رواه أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن الأنباري عن الفراء أنه قال: (دخلت على الكسائي يوماً وكان يبكي فقلت له: ما يبكيت؟ فقال: هذا الملك يحيى بن خالد يوجه إليَّ ليحضرني فيسألني عن الشيء فإن أبطأت في الجواب لحقني منه عتب، وإن بادرت لم آمن من الزلل. قال: فقلت له: يا أبا الحسن من يعترض عليك؟ قل ما شئت فأنت الكسائي. فأخذ لسانه، وقال: قطعه الله إذن إذا قلت ما لا أعلم.)[1]

فأنى يكون لرجل في مثل هذا الورع أن يقول شيئاً في كتاب الله تعالى ما لم يكن على بينة من صحة روايته وعلو سنده.

لقد كان اتجاه الكسائي وتلاميذه من بعده نحو التوسع في السماع والقياس مثار نقد من جمهور البصريين الذين شددوا النكير على هذا الاتجاه وخصوا الكسائي بالنصيب الأوفى من هذا النقد قائلين: (إنه كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات فيجعل ذلك أصلاً ويقيس عليه حتى أفسد النحو.)[2] كما قالوا: إنه لقي عشيرة من بني عبد القيس تسمى الحُطمة كانت نازلة ببغداد فأخذ عنهم كثيراً من الخطأ واللحن[3]، مما اتضح أثره في مناظرته الشهيرة لسيبويه، والتي تمسك خلالها سيبويه بما سمعه عن العرب الفصحاء في مثل: (قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي.) فلما جوّز الكسائي (فإذا هو إياها) زاعماً أن العرب ترفع ذلك وتنصبه أنكر عليه سيبويه إنكاراً شديداً، فلجأ الكسائي إلى عرب الحُطمة فأقروا ما ذهب إليه[4].

هذا، ولم يكتف الكسائي بالتوسع في الرواية والسماع وحسب بل اتسع في القياس بدرجة كبيرة حتى اشتهر عنه قوله:

إنما النحو قياس يُتَّبع وبه في كل أمر يُنتَفع[5]

لقد كان الكسائي يرى أن النحو إنما هو ضرب من القياس فأجرى أقيسته على كل مسموع حتى لو كان شاهداً واحداً، فقد روى الإمام السيوطي عن الأندلسي قال: (الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه بخلاف البصريين.)[6]

وإذا كانت الفصاحة أمراً نسبياً لا يحكمه ضابط دقيق يخرج به ما لا يتحقق فيه هذا الضابط، فإن معيار الكثرة التي بني عليها القياس البصري لم يكن دقيقاً كذلك[7]، وإلا فما حدَ هذه

---

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات بن الأنباري ص٦٣. وإنباه الرواة للقفطي ٢٦٦/٢.

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٨٣/١٣. طبع دار إحياء التراث العربي ببيروت- بدون تاريخ.

(٣) إنباه الرواه على أنباه النحاة للقفطي ٢٧٤/٢.

(٤) معجم الادباء لياقوت الحموي ١٨١/١٣ (مرجع سابق).

(٥) إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ٢٦٧/٢.

(٦) الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ص٢٠٢.

(٧) شواهد النحو للدكتور عثمان الفكي ص٣٥٧، بحث مخطوط.

الكثرة التي بُني عليها القياس البصري؟ وما مقدار القلة التي تحفظ ولا يقاس عليها؟ كل ذلك عبارة عن أمور نسبية أدت إلى اضطراب هذا المعيار إزاء كثير من الظواهر اللغوية الفاشية بين القبائل العربية والتي قصرها البصريون على السماع دون القياس، رغم ورود الجم الكثير من الشواهد عليها وأكتفي للتدليل على ذلك بذكر مثالين هما:

١- وقوع المصدر المنكّر حالاً مثل: جاء زيد ركضاً، وقتلته صبراً. فمثل هذا التعبير ورد بكثرة في كلام العرب، ورغم ذلك لم يعتبره البصريون قياساً بل قصروه على السماع. يقول ابن مالك:

ومصدرٌ منكّرٌ حالاً يقع   بكثرة كبغتةً زيدٌ طلع

ويقول الأشموني: (مع كون المصدر المنكّر يقع حالاً بكثرة، هو عندهم مقصور على السماع، وقاسه المبرد فقيل مطلقاً، وقيل فيما هو نوع من عامله نحو جاء زيد سرعةً وهو المشهور عنه.)[١]

٢- عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة. مثل عود الضمير من الفاعل المتقدم على المفعول المتأخر. يقول ابن مالك:

وشاع نحو (خاف ربّه عُمر)   وشذَّ نحو (زان نَوْرُهُ الشجر)

ويقول ابن عقيل: (وإنما شذّ ذلك لأن فيه عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة.. وهذه المسألة ممنوعة عند جمهور النحويين، وما ورد من ذلك تأولوه، وأجازها أبو عبدالله الطوال من الكوفيين وأبو الفتح بن جني وتابعهما المصنف.)[٢] وإلى ذلك ذهب الرضي بقوله: (والأولى تجويز ما ذهبا إليه ولكن على قلة، وليس للبصرية منعه مع قولهم في باب التنازع بما قالوا.)[٣] وهو بهذا يشير إلى رأي البصريين في التنازع من تجويزهم إعمال العامل الثاني المتأخر في لفظ المعمول وإعمال المتقدم من العاملين في ضميره إذ فيه عود الضمير على المتأخر.

وكما هو واضح فإن موقف البصريين من هذه القضية فيه تناقض واضطراب. أما التناقض فهو في تجويزهم عود الضمير على المتأخر في باب التنازع، ومنعه هنا.

وأما الاضطراب، فهو عدم اعتبارهم للأمثلة الكثيرة الواردة في هذا الباب ومنها قول أحد أصحاب مصعب بن الزبير يرثيه:

---

(١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك وبهامشه حاشية الصبان ١٧٢/٢-١٧٣.

(٢) شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ٢٩٣/١ بتحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد.

(٣) شرح الكافية في النحو للشيخ رضي الدين الاستراباذي ٧٢/١. نشر دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

لما رأى طالبوه مصعباً ذعروا وكاد لو ساعد المقدور ينتصر

وقول الآخر:

كسا حلمه ذا الحلم أثواب سؤددٍ ورقّي نداه ذا الندى ذرى المجد

وقول حسان رضي الله عنه:

ولو أن مجداً أخلد الدهر واحداً من الناس أبقى مجده الدهر مطمعا

وقول أبي الأسود الدؤلي يهجو عدي بن حاتم الطائي:

جزى ربُّه عني عديَّ بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وقول سليط بن سعد:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كِبَرٍ وعن حسنِ فعلٍ كما يُجزى سَنِمار

وقول الشاعر:

وما نفعت أعمالُه المرءَ ناجيا جزاءً عليها من سوى من له الأمر

وقول الآخر:

ألاليت شعري هل يلومنّ قومُه زهيراً على ما جرّ من كل جانب[1]

فالبصريون الذين يؤسسون قواعدهم على الشواهد الكثيرة لم يكفهم هذا العدد من الشواهد لإقرار قياسية هذه الظاهرة وفي ذلك اضطراب لا يؤمن معه تخطئتهم للكثير من الفصيح في كلام العرب بل ومن القرآن الكريم.

وقد استنكر الأستاذ عباس حسن جرأة البصريين على تخطئة الفصحاء في مثل هذه الأحوال فيقول: (.. ولكن لا يفوتني أن أشير إشارة عابرة إلى كلمة غريبة فرطت من سيبويه حين يقول.. كما روى الأشموني: [اعلم أن ناساً من العرب يغلطون فيقولون: إنهم أجمعون ذاهبون، وإنك وزيدٌ ذاهبان] فكيف يغلطون وهم من العرب.. وكيف يعده غلطاً مع انطباقه على ما جاء به القرآن والشعر الفصيح.)[2]

ذلك ما كان من أمر تشدد البصريين في مسألة التقعيد وما أداهم إليه ذلك من تخطئة الكثير من كلام العرب الذي كان ينبغي أن تتسع له قواعدهم حتى لا تصطدم في نهاية الأمر بالنسق الأعلى للبيان العربي في كتاب الله تبارك وتعالى، وهو ما حدث بالفعل بدون مسوّغ رصين، وكيف يكون ذلك ورواية القراءات القرآنية لا يدانيها في دقتها وضبطها وصحة سندها نقل في تاريخ الدراسات الإنسانية.

أما الكسائي وتلاميذه من الكوفيين فقد مضوا في رسم معالم مذهبهم الذي لم يخرج عن الأطر العامة للنحو الذي أرست قواعده البصرة ذلك أن الكسائي وكبار تلاميذه قد درسوا على أئمة

---

(1) يراجع في ذلك شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك بتحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ٤٩٣/١-٤٩٨.

(2) اللغة والنحو بين القديم والحديث للأستاذ عباس حسن ص٢٠٢. نشر دار المعارف بمصر.

المدرسة البصرية، فقد رحل الكسائي إلى البصرة ودرس على عيسى بن عمر ثم الخليل بن أحمد ثم رحل إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة ثم عاد إلى البصرة فوجد الخليل قد توفي فجلس في حلقة يونس بن حبيب، ثم درس كتاب سيبويه سراً كما تذكر الروايات، وذلك على الأخفش سعيد بن مسعده.[1] ولهذا فإن ما جاء به المذهب الكوفي لا يعدو كونه توسيعاً لأطر وقواعد النحو الذي وضعته البصرة حتى تشمل قواعده كل لغة قرئ بها في القرآن الكريم، وفي ذلك حفظ لشواذ اللغات واللهجات وصون لها من الضياع والاندثار، وعلى هذا وضع الكوفيون كثيراً من القواعد التي تخالف البصريين ومنها على سبيل المثال:

١- جواز العطف على موضع إن واسمها، قبل تمام الخبر. وموضعهما الابتداء وهو رفع، وعليه يجوز أن يقال: إن محمداً وعليٌّ مسافران. وذلك استناداً إلى الآية القرآنية الكريمة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ المائدة/٦٩، حيث وردت كلمة (الصابئون) معطوفة بالرفع على اسم إن المنصوب قبل تمام الخبر وذلك بإجماع القراء.

وقد منع ذلك البصريون وتأولوا للآية الكريمة بأمرين:

أحدهما: أن خبر إنّ محذوف تقديره (آمنون). والصابئون مبتدأ وما بعده خبر واستشهدوا لذلك بقول الشاعر:

خليليّ هل طبٌّ فإني وأنتما -وإن لم تبوحا بالهوى- دنفان

أي فإني دنف، وأنتما دنفان.

والثاني: أن الخبر المذكور في الآية خبر إنّ، أما (الصابئون) فخبرها محذوف تقديره: كذلك، واستشهدوا لذلك بقول ضابئ بن حارث البُرجمي:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيَّار بها لغريب

فغريب خبر (إنّ) بدليل دخول اللام المتزحلقة عليه، وخبر قيّار محذوف تقديره: كذلك.[2]

٢- إذا دخلت إنْ النافية على الجملة الاسمية فيجوز أن تعمل عمل ليس، فترفع المبتدأ وتنصب الخبر، وذلك استناداً إلى قراءة سعيد بن جبير لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ الأعراف/١٩٤، بنون مخففة مكسورة لالتقاء

(١) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص٧٤ (مرجع سابق).

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ٥٤٧/٢. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. نشر المكتبة العصرية- بيروت، سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

الساكنين. ونصب (عباداً) و(أمثالكم) ومنع ذلك سيبويه حيث يرى ألا تعمل (إنْ) هنا بل تهمل واعتبر قراءة سعيد بن جبير شاذة فذة.[1]

٣- يعمل اسم الفاعل النصب فيما بعده سواء أكان بمعنى الماضي أم الحال أم الاستقبال. وذلك استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ الكهف/١٨، فذراعيه منصوب بباسط وهو ماض، بينما يمنع البصريون عمله فيما بعده على المفعولية إذا كان بمعنى الماضي. وتأولوا (باسط) في الآية على حكاية الحال الماضية بدليل حكايتها في الفعل السابق (ونقلبهم) وكأن التقدير: وكلبهم يبسط ذراعيه. قال ابن مالك:

كفعله اسم فاعلٍ في العملِ ... إن كان عن مُضيِّه بمعزِلِ[2]

وهكذا فقد وجد الكسائي وتلاميذه في القراءات القرآنية ولغات العرب وأشعارهم مادة غزيرة اتخذوها سبباً للتقعيد في النحو العربي بما يتسع لهذه اللغات جميعاً. وعلى ذات النهج توسع الكوفيون في القياس ومن أمثلة قياسهم:

١- تجويزهم مجيء العدد للتكرار على وزن (فُعال) و(مَفْعل) ممنوعاً من الصرف للوصفية والعدل من خمسة إلى تسعة، والمسموع عن العرب وما ورد به الذكر الحكيم من ذلك من واحد إلى أربعة فقاسوا في الباقي عليها. يقول الرضي في شرح الكافية: (والمبرد والكوفيون يقيسون عليها إلى التسعة نحو خماس ومخمس وسداس ومسدس والسماع مفقود، بلى يستعمل على وزن فُعال من واحد إلى عشرة مع يائي النسب نحو الخماسي والسداسي والسباعي والثماني..)[3]

٢- تجويزهم عطف المفرد بلكن بعد الإيجاب حملاً على بل. قال الرضي: (أجاز الكوفيون مجيء لكن العاطفة للمفرد بعد الموجب أيضاً نحو: جاءني زيد لكن عمرو حملاً على بل وليس لهم به شاهد)[4] وقال ابن هشام: (فإن قلت قام زيد ثم جئت بلكن جعلتها حرف ابتداء فجئت بالجملة فقلت: لكن عمرو لم يقم، وأجاز الكوفيون لكن عمرو على العطف، وليس بمسموع)[5].

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ٣١/١، وانظر المفصل لابن يعيش ١١٣/٨ ، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٤٤/٤. نشر دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١٠٦/٢. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

(٣) شرح الكافية في النحو للشيخ رضي الدين الاستراباذي٤١/١-مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق ٣٧٩/٢.

(٥) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ٣٢٢/١.

٣- أجازوا تثنية أجمع وجمعاء وتوابعهما قياساً على جمعهما.

قال الرضي: (وقد أجاز الكوفيون والأخفش لمثنى المذكر: أجمعان، أكتعان، أبصعان، أبتعان، ولمثنى المؤنث: جمعاوان، كتعاوان، بصعاوان، بتعاوان وهو غير مسموع.)(١)

وحتى تكتمل سمات هذا المذهب سعى الكوفيون إلى إطلاق مصطلحات جديدة مثل مصطلح (الخِلاف) الذي جعلوه علةً للنصب في الظرف إذا وقع خبراً مثل (محمدٌ أمامَك) بينما يجعله البصريون متعلقاً بمحذوف خبر للمبتدأ. ومن ذلك اصطلاح (الصرف) الذي جعله الفراء علة لنصب المضارع بعد واو المعية وفاء السببية وأو، قال الفراء: (وإن شئت جعلت هذه الأحرف المعطوفة بالواو نصباً على ما يقولُ النحويون من الصرف، فإن قلت: وما الصرف؟ قلت: أن تأتي بالواو معطوفة على كلام في أوله حادثةٌ لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها، فإذا كان كذلك فهو الصرف كقول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتيَ مثله　　　عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

ألا ترى أنه لا يجوز إعادة (لا) في (تأتي مثله) فلذلك سُمي صرفاً إذا كان معطوفاً ولم يستقم أن يعاد فيه الحادث الذي قبله.)(٢) وجمهور البصريين يذهبون إلى أن مثل هذه الأفعال منصوبة بأن مضمرة وجوباً.

ومن ذلك مصطلح (العماد) ويقصدون به ضمير الفصل مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ الزخرف/٧٦، ومثل : محمد هو الشاعر. قال ابن يعيش: (ويقال له فصل وعماد فالفصل من عبارات البصريين كأنه فصل الاسم الأول عما بعده وآذن بتمامه وإن لم يبق منه بقية من نعت ولا بدل إلا الخبر لا غير والعماد من عبارات الكوفيين كأنه عمد الاسم الأول وقواه بتحقيق الخبر بعده.)(٣)

وهكذا غيَّر الكوفيون كثيراً من مصطلحات النحو والصرف حتى تكتمل لهم صورة هذا المذهب الذي عملوا على تمييزه عن المذهب البصري.

ها وقد ظلت العصبية مستعرة بين مؤيدي المذهبين زماناً وقد كانت تدور بينهم مناظرات حامية لم يخبُ أوارها حتى التقى زعماء المدرستين في بغداد وتعايش الفريقان هنالك لتبدأ مرحلة جديدة من الدراسة والتمحيص والموازنة ثم الانتخاب والترجيح ما هيأ لقيام مذهب ثالث هو المدرسة البغدادية التي حملت لواء النحو قروناً عديدة بعد ذلك.

---

(١) شرح الكافية في النحو للاستراباذي ٣٣٤/١.

(٢) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ٣٣/١-٣٤ نشر عالم الكتب ببيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ١١٠/٣.

الفصل الخامس

علماء القراءات وعلم الدلالة

المبحث الأول: نشأة علم الدلالة

المبحث الثاني: عناصر تكوين المعنى

المبحث الثالث: علم الدلالة في الدراسات اللغوية الحديثة

المبحث الرابع: أنواع المعنى

المبحث الخامس: علم الدلالة والمشترك اللفظي

المبحث السادس: نظرية الحقول الدلالية

المبحث الأول

نشأة علـــم الدلالة

علم الدلالة فرع من فروع علم اللغة، وقد أطلق عليه العلماء أسماء متعددة وتـــدور كلهـــا حول دراسة المعنى، حتى عرّفه بعضهم بأنه: (العلم الذي يدرس المعنى). أو (ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى). أو(ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرهـــا فـــي الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى.)[1] ذلك أن المعنى هو مدار التواصل بين البشـــر عـــن طريق اللغة التي تعتبر أداة من أدوات هذا التواصل.

لقد أفاد علم اللغة الحديث في تأصيلة لهذا العلم من معطيات علم الاجتماع، وعلم الـــنفس، وعلم وظائف الأعضاء، إلى جانب فروع الدراسات اللغوية فـــي مســـتوياتها المختلفـــة الصـــوتية والصرفية والنحوية.

هذا، ويلزم من التعريف الذي يتحدث عن الرمز أن يكون موضوع علم الدلالة، أي شـــيء يقوم بدور العلامة، أو الرمز، الذي يمكن أن يحمل معنىً من المعاني، وهذه العلامات أو الرمـــوز يمكن أن تكون علامات على الطريق تدل على تقاطع قطار، أو وجود مطعـــم، أو مستشـــفى، أو مدرسة، أو منطقة يحظر دخولها، أو حتى استعمال جهاز التنبيه بها، وقد يكون إشـــارة باليـــد، أو إيماءة بالرأس تشي بالقبول أو الرفض، كما أنها قد تكون كلماتٍ وجملاً تعبر عن المعنى المـــراد، وبالجملة فإن العلامات أو الرموز يمكن أن تكون لغوية، أو غير لغوية، وإذا كان البعض قد عرّف الرمز بأنه: (بديل يستدعي لنفسه نفس الاستجابة التي قد يستدعيها شيء آخر عند حضـــوره.)[2] فإن اللغة ما هي إلاّ نظام من الرموز الصوتية العرفية، ويمكن أن نذكر مثالين أحدهما لرمز لغوي والآخر لرمز غير لغوي.

أما الرمز اللغوي: فمثاله، سائق سيارة يجد لوحة على الطريق مكتوباً عليهـــا (الطريـــق مغلق) فإذا كان أُميّاً لا يعرف القراءة والكتابة، أو لم يأبه بها فإنه سيسير إلى أن يُفاجـــأ بوجـــود العائق الذي يغلق الطريق ثم يعود أدراجه، بعد أن يكون قد أضاع وقته وجهده. أما إذا كان عارفـــاً بالكتابة، واهتمّ باللوحة فإنه سيعرف هذا الأمر ويعود من المنطقة التي وضعت بها اللوحة.

وأما الرمز غير اللغوي فمثاله التجربة التي أجراها (بافلوف) الذي عوّد كلبه على تناول الطعام بواسطة رنين الجرس فإذا جهّز الطعام رنّ الجرس لاستدعاء الكلب. وقد لاحظ بافلوف أنه بمجرد أن يرن الجرس يسيل لعاب الكلب سواء أكان الطعام مجهزا أم غيـــر مجهـــز، وذلـــك لأن

---

(1) علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ص (١١) نشر عالم الكتب بالقاهرة. الطبعة السادسة سنة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

(2) علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ص ١٢.

الجرس صار (مثيراً) للكلب يحرك فيه شهوة الطعام. ففي هذه الحالة أصبح الجرس يستدعي شيئا آخر غير نفسه، بدليل أن الكلب حين يسمع رنين الجرس لا يتوجه إليه، وإنما يتوجه مباشرة إلى مكان الطعام[١].

لقد سبق العلماء العرب غيرهم إلى دراسة المعنى إذ تناولوا ذلك من خلال كلم القرآن الكريم التي اشتهرت بها تفاسير عبدالله بن عباس رضي الله عنه وتلاميذه من التابعين مثل سعيد بن جبير، وعكرمة، وطاووس بن كيسان، وقتادة وغيرهم من الذين عاشوا خلال القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني، فقد كان هؤلاء العلماء قِوام أول مدرسة في علم المفردات الذي يعتبر أساس علم المعنى[٢].

ولما توالى ظهور الدراسات اللغوية حول القرآن الكريم نهض العلماء العرب باستنباط علم البلاغة الذي يقوم أساسا على استقصاء المعنى من العلاقات السياقية التي يقوم بوظيفتها علم النحو، كما يفيد من علم الصرف، وعلم المعاجم في تحديد الدلالات التي تتآزر جميعها في خدمة علم المعاني، أحد فروع علم البلاغة الذي أصله الإمام أبو بكر الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن، والإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابيه: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز. ولعل ما قام به الإمام عبد القاهر وغيره من دراسة للنّظم في اللغة العربية يعتبر إشارة ذكية إلى الطريق الذي كان ينبغي للنحاة أن يسلكوه في دراستهم للنحو[٣] حتى يجد المعنى ما يستحقه من عناية، الأمر الذي يشير إلى أن رواد علم البلاغة قد فطنوا إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وأنها شديدة الارتباط بثقافة الأمة التي تتكلمها وأن هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها ودراستها عبر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يمثل كلّ منها ما يسمى (مقاما) لأن مقام الفخر يختلف عن مقام الدعاء أو الاستعطاف، وذلك يختلف عن مقام الرثاء الذي يختلف بدوره عن مقام المدح والثناء وهكذا، وقد توصل البلاغيون من خلال النظر في هذه الأحوال إلى أن لكل مقام مقالا[٤]، ذلك أن صورة كل مقال تختلف في نظر البلاغيين بحسب المقام الذي يؤطرها ويكون سببا في تكوينها وإخراجها، وما يقتضيه ذلك من أساليب الحقيقة أو المجاز أو الإخبار أو الاستفهام أو الإيجاز أو الإطناب.

إن المضمون الذي يتألف من امتزاج المعنى الوظيفي، الذي ينشأ عن معطيات الدرس الصوتي والصرفي والنحوي، إلى جانب معطيات علم المعاجم من جهة، مع معطيات علم المعاني من جهة أخرى، يمكن أن يؤلف ما اصطلح عليه العلماء بعلم المعنى أو علم الدلالة، ذلك العلم الذي يعالج معاني الجمل، ومواطن استعمالاتها، وما يناط بكل جملة منها من معنى وما تؤديه من هدف في سياق المعنى العام.

---

(١) المرجع السابق ص ١٢.

(٢) التفسير عند ابن عباس لعبد الكريم بكار ص (٢٧) نشر دار الإعلام بالأردن، ط / ١ سنة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها، للدكتور تمام حسان ص (٣٣٦) نشر عالم الكتب بالقاهرة الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

(٤) المرجع السابق ص (٣٣٧).

المبحث الثاني

عناصر تكوين المعنى

وتأسيساً على ما سبق يتبين أن المعنى يتكون من اتحاد عناصر ثلاثة هي:

١ – معطيات الدرس الصوتي والدرس الصرفي والدرس النحوي، وهو ما اصطلح عليه بالمعنى الوظيفي للكلام.

٢– معطيات علم المعاجم، وهو ما يفيد المعنى المعجمي للكلمة.

٣– المقام، أو الظرف الاجتماعي.

ذلك أن معطيات المعنى على مستوى البناء اللفظي: الصوتي والصرفي والنحوي، بالإضافة إلى معطيات علم المعاجم، لا تعدو إفادة المعنى الحرفي للكلام، أو ظاهر النص كما يسميه علماء الأصول، وذلك هو (المعنى المقالي). ولن تكتمل الفائدة المرجوة إلا باستصحاب الظروف الاجتماعية التي نشأ من خلالها هذا المعنى المقالي، والتي تعتبر المحيط الاجتماعي والتاريخى وذلك يمثل القرائن الحالية التي تعتبر ذات فائدة عظمى في تحديد المعنى المراد، تلك الظروف هي ما عناه البلاغيون بمصطلح (المقام) والذي يمثل (المعنى المقامي) للكلام.

فالكلام إذن له معنى (مقالي) وآخر (مقامي) ولن تحصل الفائدة المرجوة من أحدهما بمنأىً عن الآخر، ولعل أفضل تعبير وصف خطورة الفصل بين هذين المعنيين هو ما أطلقه أمير المؤمنين علي بن أبى طالب كرم الله وجهه عندما نادى الخوارج في أعقاب صفين: (لا حكم إلا لله) فرد عليهم بأن ذلك: (كلمة حق أريد بها باطل) بمعنى أن الناس ربما قنعوا بالمعنى الحرفي القريب لهذه الكلمة ولم ينظروا إلى السياق السياسي الذي يحيط بها، ذلك أن الخوارج حاولوا بكلامهم هذا إلزام الحجة سياسيا بهتاف ديني، وهم ليسوا أدرى من أمير المؤمنين رضي الله عنه بمصلحة الأمة، أو مقاصد الدين، فالمقام سياسي والمقال ديني، المقال حق وما أريد به باطل لا يحقق مصلحة الأمة ولا الدين.

إن إظهار المعنى الشامل للكلام يقتضي تكامل عناصر تكوين المعنى عبر علاقات لغوية واجتماعية متعددة،وللوصول إلى هذا المعنى الشامل فإنه لا بد من تحليل المعنى الوظيفي الذي توفره الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية مع الجوانب الأخرى.

فالجانب الصوتي يمدنا بالخصائص الأساسية للبناء وما يتطلبه تكوينه من إدغام أو إخفاء أو إظهار أو ما إلى ذلك، ثم يأتي الجانب الصرفي لمعالجة بنية الكلمات وما يقتضيه ذلك من تحريك أو إسكان أو قلب أو إبدال في بنية الكلمة. ثم تأتي مسألة العلاقات السياقية بين الكلمات وهي من معطيات الدرس النحوي، حيث تتكون علاقات بين هذه المفردات، ولكنها إلى هذا الطور لا تمدنا

بمعنى يمكن أن يتخذ طابع الشمول، لأن نفس هذه العناصر قد تتوفر في كلام هُرائي كما ذهب إلى ذلك الدكتور تمام حسان[١]، لاسيما وأن أساليب التقليب التي اتبعها العلماء الأوائل لحصر مفردات اللغة أوصلتهم إلى أعداد كبيرة من الأبنية غير المستعملة في اللغة فأخذوا المستعمل منها وتركوا المهمل. ومن هذا المهمل يمكن أن نؤلف جملة هرائية تتوفر فيها معايير النظام الصوتي والصرفي والنحوي للغة ولا تكون ذات معنى وذلك مثل (شلدق المهاكك الفاحي قبعضته) فهذه مفردات مستقيمة صوتيا وصرفيا، وسياقيا من حيث نظمها، بحيث يمكننا إعرابها كما يلي:

شلدق: فعل ماض مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

المهاكك: فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره

الفاحي: صفة للمهاكك مرفوعة بضمة مقدرة منع من ظهورها الثقل

قبعضته:قبعضة مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة، وهو مضاف والضمير هاء مضاف إليه.

فهذه جملة مكتملة الوظائف ولكنها تفتقر إلى العلاقات العرفية الاعتباطية. أو علاقة الكلمة بمعناها المعجمي، لأن الناس تواضعوا اعتباطيا على أن كلمة (رجل) تطلق على إنسان، ذكر بالغ. و(فرس) تطلق على حيوان ذي صفات مخصوصة. وهكذا بقية الكلمات، وضعت اعتباطيا بإزاء مسمياتها. فالبناء الوظيفي السابق مكّننا من إعراب تلك الجملة. ولكن قصورها معجميا جعل منها نصا غير مفهوم.

ومن ناحية أخرى إذا انفردت العلاقات العرفية المعجمية للكلمات دون وجود الوظائف السياقية أو المقام الاجتماعي، فإن مجرد فهم معاني الكلمات المفردة لا يجدي شيئا، لأنها لم توضع في سياق، ولأن هذه المفردات إذا لم ينتظمها سياق لا تسمى نصا، وإنما مفردات مبعثرة، فإذا انتظمت وتكون منها نص يمكن أن يفيدنا شيئا يطلق عليه ظاهر النص، أو معنى المقال. ولا تتوفر الدلالة الشاملة إلا إذا توفر المقام أو المعنى الاجتماعي الذي هو أحد شروط اكتمال المعنى الدلالي الشامل.

فالذي يقول مثلا: يا ألله. فإن ظاهر النص مكون من أداة نداء ولفظ الجلالة، وهذا هو معنى المقال أو ظاهر النص.

فإذا أضفنا إليها (المقام) تبين لنا المعنى الدلالي الشامل المتكامل. و(المقام) قد يختلف كثيرا حول هذا النص الذي يمكن أن يكون مقام ذكر لله تعالى. وقد يكون مقام إعجاب ودهشة، وقد يكون مقام استنكار لحدث ما. وقد يتضجر الإنسان من تصرف إنسان آخر، فيقول: يا ألله بالمد، فيكون لها معنى آخر. ولهذا نلاحظ اختلاف المعاني باختلاف أنواع المقام أو الظروف الاجتماعية.

ويمكن أن نتأمل مثالا آخر تتعدد فيه المعاني تبعا لتعدد الظروف الاجتماعية، أو المقامات التي يقال فيها. وهو كلمة (يا سلام) فإذا قمنا بتحليل هذا النص نجد المعنى الوظيفي لكلمة (يا) هو

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمّام حسان ص ١٨٢-١٨٣.

النداء. والمعنى العرفي المعجمي لكلمة (سلام) أنها اسم من أسماء الله الحسنى، فالمعنى المقالي لهذا النص أننا ننادى الله سبحانه وتعالى.

ولكن هذه العبارة قد تؤدي عدداً من المعاني الدلالية بدخولها في عدد من المقامات الاجتماعية المتباينة، ويضيف اختلاف النغمة لها بُعداً آخر في تحديد نوع المعنى الدلالي، فهي بمكن أن تستخدم في مقام التأثر، ويمكن أن تستخدم في مقام الطرب، ويمكن أن تستخدم في مقام التشكُّك، وفي مقام السخط والتضجر وفي مقام الإعجاب والاستحسان، وفي مقام التوبيخ والتقريع، وفي مقام التلذذ، وفي مقامات أخرى كثيرة غير ذلك، يمكن أن تعبر عن الموقف وتعطى المعنى الدلالي الكامل في الموقف الذي تقال فيه.(١)

هذا وقد أطلق المحدثون على الظروف التي تحيط بالمعنى المقالي اسم (سياق الحال)(٢) ذلك المفهوم الذي عرفه المستشرق فيرث بأنه (جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، ومن هذه العناصر شخصية المتكلم والسامع، وتكوينها الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع –إن وجدوا– وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي.. والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل، وكالوضع السياسي وكمكان الكلام..)(٣) ومعنى ذلك أن تحديد المعنى المقصود لا يتم إلا بمعرفة هذه الظروف.

ولقد عالج أبو الفتح عثمان بن جني هذا الجانب من علم العربية فعرض له بالشرح والتوضيح مقرراً أن المعاني قد لا يوصل إليها إلا باستصحاب فهم الظروف التي أحاطت بها، ومن ثم لا ينبغي أن نكتفي في دراسة اللغة بالسماع وحده، بل ينبغي أن نحيط معه بظروف الكلام. يقول أبو الفتح: (ولهذا الموضع نفسه ما توقف أبو بكر عن كثير مما أسرع إليه أبو إسحاق من ارتكاب طريق الاشتقاق، واحتج أبو بكر عليه بأنه لا يؤمَن أن تكون هذه الألفاظ المنقولة إلينا قد كانت لها أسباب لم نشاهدها ولم ندر ما حديثها ومثّل له بقولهم: (رفع عقيرته) إذا رفع صوته. قال له أبو بكر: فلو ذهبنا نشتق لقولهم (ع ق ر) من معنى الصوت لبعُد الأمر جداً، وإنما هو أن رجلاً قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته فقال الناس: رفع عقيرته، أي رجله المعقورة. قال أبو بكر: فقال أبو إسحاق: لست أدفع هذا. ولذلك قال سيبويه في نحوٍ من هذا: أو لأن الأول وصل إليه علمٌ لم يصل إلى الآخر، يعني ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال والأوائل.

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمّام حسان ص١٨٢–١٨٣.

(٢) فقه اللغة في الكتب العربية – للدكتور عبده الراجحي ص١٦٦– نشر دار النهضة العربية ببيروت– بدون تاريخ.

(٣) علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي للدكتور محمود السعران ص٣٣٨، نشر دار الفكر العربي بالقاهرة ط/٢ سنة ١٩٩٧م.

فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو، وابن أبي إسحاق، ويونس، وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه، وأبو الحسن، وأبو زيد، وخلف الأحمر، والأصمعي، ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين، وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من أغراضها، ألا تستفيد بتلك المشاهدة، وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات، ولا تضبطه الروايات، فتضطر إلى قصود العرب، وغوامض ما في أنفسها، حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة لا عبارة لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقاً فيه غير متهم الرأي والنحيزة والعقل.)(١)

ففي هذا النص يوضح أبو الفتح أهمية استصحاب الظروف الاجتماعية التي تحيط بالمقال في تأليف المعنى والغرض المقصود منه، فقد بيّن أن الدلالة المطلوبة لم يف بها المعنى المقالي لكلمة (رفع عقيرته بكذا) إذا أردنا أن فلاناً رفع صوته، ولهذا لا بد من الإحاطة بالظروف التي قيل فيها هذا الكلام حتى نتمكن ممن الوصول إلى دلالة اللفظ كاملة.

هذا وقد تستخدم الآيات القرآنية، أو الأحاديث النبوية، أو الأبيات الشعرية، باعتبارها مقالاً مشهوراً، وإنزاله على مقام طارئ على سبيل الاستشهاد أو الاقتباس، أو التلفيق، وكلما كان المقال على درجة كبيرة من التناسب مع المقام الحادث، كان ذلك من حسن الاستشهاد، وتمام التوفيق في الوصول إلى الغرض المطلوب، ولا أدل على ذلك من موقفين للخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي هداه الله تعالى إلى استشهاد كان له أبلغ الأثر في معالجة تلك المواقف والعبور بالمسلمين إلى بر الأمان، فمن ذلك استشهاده عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واضطراب الناس وفزعهم بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ آل عمران/١٤٤، فلما سمع عمر بن الخطاب هذه الآية هوى إلى الأرض من هول الفاجعة ثم قال: لكأني لم أسمع هذه الآية من قبل.(٢) واستسلم الناس لأمر الله واشتغلوا بما يليهم من أمر تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدبير أمور الإسلام. والموقف الآخر كان أمام الأنصار يوم السقيفة عندما احتدم الخلاف بين المهاجرين وبين الأنصار حول خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتمسك المهاجرون بالخلافة وكان الأنصار يريدونها فيهم فقال أبو بكر: أيها الأنصار: واسيتم وكفيتم، وأطعمتم وسقيتم فجزاكم الله عنا خير الجزاء. والله يا معشر الأنصار ما مثلكم ومثلنا إلا كما قال الطفيل الغنوي يمدح بني جعفر(٣):

---

(١) الخصائص لأبي الفتح بن جني ٢٤٨/١.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام،٦٥٦/٤، تحقيق مصطفى السَّقا وآخرين، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، بدون تاريخ.

(٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني للإمام عبد القاهر الجرجاني ص١٢٢. تحقيق السيد محمد رشيد رضا. نشر دار المعرفة-بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

جزى الله عنا جعفراً حين أزلفت بنا نعلنا في الخافقين فزلتِ
همُ خلطونا بالنفـوس وألجـأوا إلى غرفـات أدفأت وأظلتِ
أبـوا أن يَمَلّـُونا ولـو أنّ أُمَّنا تلاقي الذي يَلقَون منّا لملّتِ

فشابه مقال الطفيل المشهور المقام الطارئ يوم السقيفة فهدأت النفوس وقَبِل الأنصار ولاية المهاجرين وبويع أبو بكر بالخلافة.

وكثيراً ما تؤدي الحِكم والأمثال هذا الدور بحيث تعبر الحكمة أو المثل السائر عن المقـام الطارئ فيكون لذلك أثر بالغ على الموقف فمن ذلك أن الطالب إذا أهمل أو قصّـر فـي دروسـه ورسب في الامتحان، فيقول له ولي أمره أو أستاذه: (الصيف ضيعتِ اللبن) فيتأثر بهذا القول، وقد يكون ذلك سبباً في استقامته.

وفي هذا المقام نذكر قصة أبي الفتح بن جني مع شيخه أبي علي الفارسي الذي مـرّ ذات يوم بجامع الموصل فوجد ابن جني يتصدر حلقة يتحدث فيها عن قلب الواو ألفاً في الفعل الأجوف (قام) وقد أخطا فاعترض عليه أبو علي وقال له: زببت وأنت حصرم، فهذا مقال مشهور بين الناس يقال للشيء الذي لم ينضج بعد، فشابَهَ ذلك مقام ابن جني مع تلاميذه، ولعلنا نضيف إلى ذلك ظرفاً آخر هو وجود التلاميذ، ثم إن أبا علي عالم بحر في ذلك الفن يجمل بالإنسان أن يحفظ لسانه فـي حضرته، فكل تلك الظروف أنشأت موقفاً اجتماعيا كان شديد الوطأة على ابن جني، فما كان منه إلا أن لزم ذلك الشيخ أربعين سنة حتى أخذ علمه وزاد عليه.

المبحث الثالث

علم الدلالة في الدراسات اللغوية الحديثة

على الرغم من أن علم الدلالة أو دراسة المعنى يمثل قمة الدراسة اللغوية باعتباره غاية الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، إلا أنه لم يجد العناية التي تليق به كعلم متشعب الجوانب إلا مؤخراً، ذلك أن فروع الدراسة اللغوية الأخرى قد نهض بها علماء اللغة وحدهم قديماً وحديثاً. إلا أن دراسة المعنى شارك فيها علماء ومفكرون من ميادين مختلفة[١]. فقد شارك في هذا الدرس فلاسفة ومناطقة وعلماء نفس وعلماء سياسة واجتماع وأنثروبولوجيا، كما أسهم فيه غير هؤلاء من طبقات المجتمع مثل الفنانين والأدباء والصحافيين باعتبار أن المعنى شيء لا يقتصر على اللغة وحدها، وإن كانت هي الوسيلة للتعبير عنه، إلا أنه يشترك في تكوينه جميع المساهمين في حركة الحياة من جميع طبقات المجتمع.

وتعتبر أول دراسة حديثة لعلم الدلالة هي تلك الدراسة التي قدمها العالم الفرنسي ميشيل برايل في بحثه الذي سماه (مقالة في السيمانتيك) عام ١٨٩٧م وهو أول من استخدم مصطلح (السيمانتيك) لدراسة المعنى.[٢]

وكلمة سيمانتيك مأخوذة من الكلمة اليونانية القديمة (سيما) بمعنى علامة أو دليل، وقد وردت هذه الكلمة بلفظها في الآية رقم (٢٩) من سورة الفتح في قوله تعالى: (سيماهم في وجوههم من أثر السجود)

هذا وقد عني ميشيل برايل في بحثه المذكور بدلالات الألفاظ في عدد من اللغات التي تنتمي إلى الفصيلة الهندية الأوروبية مثل اليونانية واللاتينية والسنسكريتية، حيث كانت دراسته مقصورة على (الاشتقاق التاريخي)[٣] وقد اعتبر بحثه في ذلك الوقت ثورة في دراسة علم اللغة وأول دراسة حديثه لتطور معاني الكلمات.[٤]

لفتت دراسة برايل أنظار اللغويين إلى قضية المعنى وما يعتريه من تغير وتطور، فازدادت العناية بهذه الدراسة، واتخذت أبعاداً جديدة حيث اتجهت إلى تاريخ الحياة الثقافية للشعوب التي تدرس لغاتها بحثاً عن الدوافع التي ربما كان لها الأثر المباشر في تغيير معاني الكلمات[٥] فكان ذلك مدعاة لظهور دراسات أخرى في هذا المجال فظهر في أوائل القرن التاسع عشر عمل لغوي

---

(١) علم اللغة للدكتور محمود السعران ص٢٦١.

(٢) علم الدلالة- للدكتور أحمد مختار عمر ص٢٢.

(٣) علم اللغة- للدكتور محمود السعران ص٢٩٢.

(٤) علم الدلالة- للدكتور أحمد مختار عمر ص٢٢.

(٥) علم اللغة- للدكتور محمود السعران ص٢٩٢.

للعالم السويدي أدولف نورين (١٨٥٤-١٩٢٥م) بعنوان: (لغتنا) خصص جزءاً منه لدراسة المعنى وقد جعلها في قسمين:

١- الدراسة الوصفية: عالج فيها نماذج مختلفة من اللغة السويدية الحديثة.

٢- الدراسة الإيتمولوجية للمعنى التي تعالج تطوره التاريخي.[١]

ثم تتابعت الدراسات الدلالية فألف كريستوفر نيروب كتاباً بعنوان (دراسة تاريخية لنحو اللغة الفرنسية) تناول فيه التطور السيمانتيكي وذلك عام ١٩١٣م، ثم أصدر العالمان ريتشارد وأوكدن كتابهما المسمى (The Meaning of Meaning) (معنى المعنى) عام ١٩٢٣م الذي عالجا فيه كثيراً من قضايا التطور في المعنى من الناحية الاجتماعية في ضوء معطيات علم النفس، وحاولا فيه أن يضعا نظرية للعلامات والرموز، وقدما فيه ستة عشر تعريفاً للمعنى، ذكرا أنها تمثل فقط أشهر التعريفات التي قد تتجاوز ذلك العدد بكثير، كما قدما لأول مرة محاولة للتمييز بين الوظيفة الإشارية، والوظيفة العاطفية للكلمات[٢]، مما دفع كثيراً من العلماء إلى التفكير في المعنى، فكلمات مثل: الزمان والمكان، والضوء والصوت والقوة وغيرها قد تقع في وجدان عالم الطبيعة والرياضيات موقعاً فتحدث أثراً غير الذي تحدثه في نفس الفيلسوف، كما أن كلمات مثل: الحرية والديمقراطية والاشتراكية والدكتاتورية ونحوها تترك في نفس الفيلسوف أثراً غير الذي تتركه في نفس من يشتغل بالسياسة أو الاجتماع، ذلك أن هذه الكلمات وأشباهها تتمتع بمرونة تجعلها تحمل المعنى وضده أحياناً.

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد ازدهرت دراسة علم الدلالة حيث حققت نجاحاً على أيدي الأنثروبولوجيين وعلماء النفس أكثر منه على أيدي اللغويين، ويبدو أن الأمريكيين قد عرضوا لهذا الموضوع من أجل غرض غير لغوي، فقد اعتقدوا أن دراسة معاني الألفاظ سيكون لها أثر كبير في حل المشكلات التي كانت تعصف بالمجتمع الأمريكي في بيئته الواسعة المعقدة التي تضم أعداداً كبيرة من البشر من مختلف الأعراق والثقافات وهم ليسوا متجانسين في أفكارهم، وذلك بسبب انتماءاتهم المختلفة المتباينة، فالحاجة حينئذٍ كانت تدعو إلى معالجة هذا الموضوع على هذا المستوى الشعبي.

ومن أشهر هؤلاء الباحثين عالم بولوني الأصل يدعى ألفرد كورز بيسكي الذي ذهب إلى أن البحث في مدلولات الألفاظ سبيل إلى معالجة كثير من المشاكل التي تحمل المتاعب للإنسان وتتسبب في اندلاع الحروب[٣] وقد كان من آثار هذه الجهود ظهور علم المعنى العام.

---

(١) علم الدلالة- للدكتور أحمد مختار عمر ص٢٣.

(٢) علم الدلالة- للدكتور أحمد مختار عمر ص٢٤.

(٣) التطور اللغوي التاريخي. للدكتور إبراهيم السمرائي ص٤٨.

المبحث الرابع

أنـــواع المـــعنى

إن الرجوع إلى المعجم لا يكفي لمعرفة ما تحمله كثير من الكلمات من أنواع المعاني، وما ترمز إليه من دلالات. والكلمة تولد في بادئ الأمر بمعنى معين توضع له وتستمر عليـه إلـى أن يأتيها زمان تكتسب فيه ظلالاً من المعاني الجديدة، ولهذا فإن المعاني تتعدد إلى الأنواع التالية:

١- المعنى المركزي أو الدلالة المركزية:

ويسمى المعنى الأساسي للكلمة أو الأولي، ويسميه البعض التصوري أو المفهـومي أو الإدراكي(١). وهذا المعنى هو المركزي للكلمة تشبيهاً لـه بمركـز الـدائرة، فكلمـة (ضرب) على سبيل المثال لها في المعجم العربي معنى أساسي هـو اصـطدام جسـم بآخر. فإذا ذكرتَ كلمة (ضرب) انصرف الذهن مباشرة إلى هذا المعنى الأساسي ما لم تقم قرينة تصرفه عن ذلك المعنى إلى معنى آخر. وبالتالي فإن علماء المعاجم يهتمون بهذا المعنى الأساسي ويسجلونه ويطلقون عليه المعنى المعجمي أو المركـزي، وذلـك بالنظر إلى المعاني الأخرى التي يمكن أن تنشأ حوله كأنها هوامش وإشعاعات للدائرة.

هذا المعنى المركزي، هو العامل الأساسي في الاتصال اللغوي بين متكلمي أي لغـة، وهو الممثل الحقيقي للوظيفة اللغوية التي هي التفاهم ونقل الأفكـار، ويشـترط فـي الاعتداد بأي لغة لدى المتكلمين بها أن تكون المعاني الأساسية قسمة بينهم بمعنى أنهـا معروفة لديهم جميعاً بحسب ما وضعت له أساساً، والمعنى الأساسي يتميـز بالثبـات والاستمرار.

٢- المعنى الهامشي، أو الدلالة الهامشية:

ويسمى المعنى الإضافي، أو العَرَضي، أو الثانوي، وهو المعنى الذي يمكن أن يحملـه اللفظ ويشير إليه إلى جانب معناه المركزي، فالكلمة كما أسلفت لهـا معنـى أساسـي وضعت بإزائه، ولكنها إلى جانب ذلك تكون قد استعملت لترمز إلى معانٍ أخرى.

هذا المعنى الهامشي أو الإضافي زائد على المعنى الأساسي وليس له صـفة الثبـوت، وإنما يتغير تبعاً لثقافة المجتمع أو الزمن أو خبرات المتكلمين. فمثلاً كلمـة (امـرأة) معناها الأساسي يتحدد بثلاثة ملامح هي: (إنسان+ أنثى+ بالغ) فهذه الملامـح تمثـل معيار الاستعمال الأولي لهذه الكلمة.

ولكن توجد معانٍ إضافية كثيرة تثيرها هذه الكلمة وهي صفات غير معيارية بمعنى أنها قابلة للتغيير من زمن إلى زمن، ومن مجتمع إلى مجتمع، وهي معاني تعكس بعـض

---

(١) علم الدلالة- للدكتور أحمد مختار عمر ص٣٦.

الصفات التي ترتبط في أذهان الناس بالمرأة مثل: (الثرثرة، وإجادة الطبخ، ولبس أنواع معينة من الثياب، وحب الزينة) وقد ترتبط هذه الكلمة في أذهان جماعة أخرى من الناس بمفاهيم مثل: (عاطفية، وغير منطقية وتستعمل البكاء كسلاح وغير مستقرة في أحكامها.)

كما أن كلمة (يهودي) معناها الأساسي هو الشخص الذي ينتمي إلى الديانة اليهودية. ولكننا تشير إلى معانٍ هامشية أخرى تتمثل في الطمع والبخل والمكر والخديعة حتى لتكاد أن تكون هذه الكلمة عَلَماً لهذه الصفات، ولذلك يطلقون على الإنسان الذي يتصف بمثل هذه الصفات أو جزء منها لفظة (يهودي) حتى لو لم يكن يهودياً حقيقة. إلا أن هذه المعاني الإضافية للكلمة يمكن أن تتغير وتتبدل، فهي مفتوحة، وغير نهائية بخلاف المعنى الأساسي الذي يتصف بالثبات والديمومة.[١]

وتأسيساً على ذلك فإن هنالك كلمات تثير معاني إضافية متفقاً عليها تقريباً بين الكثير من الجماعات اللغوية فمن ذلك كلمة (غنم) التي تثير في النفس معنى الانقياد. وكلمة (فأر) التي تثير في النفس معنى الخبث والمضرة، وكلمة (ثعلب) التي تثير معنى المكر، وكلمة (حمار) في معنى البلادة، و(النحلة) في معنى النشاط والمثابرة.

٣- المعنى الأسلوبي:

وهو المعنى الذي تفيده كلمة ما، ولكنها تعبر في ذات الوقت عن المستوى الثقافي أو الظروف الاجتماعية لمستخدميها. فهناك كلمات تعبر عن معنى الأبوة، ولكنها تعكس إلى جانب هذا المعنى أسلوب حياة مستخدميها، وذلك مثل (داد) التي يستخدمها الارستقراطيون والمتفرنجون. وكلمة (بابا) يستخدمها أناس من طبقة راقية. وكلمة (والدي أو الوالد) يستخدمها أناس يتميزون بالفصاحة والأدب. وكلمة (أبوي) ويستخدمها العامة.

كما تطلق على الزوجة كلمات تعبر عن مستويات مستخدميها كذلك مثل: عقيلته، وحَرَمه، وامرأتُه، ومَرَتُه، وحُرْمَتُه.

٤- المعنى النفسي:

وهو اللفظ الذي يحمل دلالات عند الفرد الذي يستخدمه فهو بذلك معنى ذاتي في حدود ضيقة ويظهر في كتابات الأدباء، وأشعار الشعراء.

٥- المعنى الإيحائي:

هو ذلك المعنى الذي يمكن أن توحى به الكلمة بمجرد لفظها وتأثيرها على المتلقي وهذه التأثيرات حصرها العلماء في ثلاثة أنواع هي:

---

(١) يراجع في ذلك علم الدلالة- للدكتور أحمد مختار عمر ص٣٧.

أ- التأثير الصوتبي. بحيث تدل الكلمة بجرسها على ما يحدث في حقيقتها فمن ذلك كلمة (جلجل) أو (دحرج) أو (دردق) في العامية ومن ذلك (مواء القطة) و(زقزقة العصافير).

ب- التأثير الصرفي. وتمثله الكلمات المركبة من مقطعين أو المنحوتة مثل صهصلق للصخب والصوت الشديد، وبحتر للقصير من بتر وحتر.

ج- التأثير الدلالي. وهي الكلمات التي تعبر عن معاني مكروهة أو يستنكفها الناس عادة فيلجأون إلى التلطف في التعبير عنها، مثل الكلمات التي تدل على قضاء الحاجة، أو تلك المرتبطة بالجنس فيقولون: (بنى الرجل بأهله) أو ذهب فلان إلى (دورة المياه) وما إلى ذلك فهي كلمات ذوات إشارة تجعل المعنى أكثر قبولاً عند التعبير عنه.

ومن ذلك كلمة (السليم) وهي تطلق على اللديغ وكلمة (البصير) التي تطلق على الأعمى.(١)

---

(١) يراجع في ذلك علم الدلالة- للدكتور أحمد مختار عمر ص٣٨-٤٠.

المبحث الخامس

علم الدلالة والمشترك اللفظي

إن تراكم التجارب والخبرات مع مرور الأيام من شأنها أن تثري دلالات الكلم لدى المرء، سواء في ذلك الدلالات الخاصة أو الدلالات العلمية، ذلك أن الإنسان الراشد يستفيد من تجاربه في المجتمع ما يجعله مزوداً بمخزون لغوي ثر، في حين أن الإنسان الحدث أو صغير السن، يفتقر إلى ذلك كله، ولا بد لهذا الصغير أن يمر بتجارب الكبير حتى يثري حصيلته اللغوية، فإذا أخذنا مثلاً كلمة (سكر) فإنها لا تعني للطفل أكثر من كونها شيئاً حلواً. أما الكبير فإنه يعرف عن هذه الكلمة كثيراً من المعاني المتعلقة بتكوينها وعناصرها إذا كان كيميائياً، وبمنافعها ومضارها ومخاطر زيادتها أو نقصها إذا كان طبيباً. ومن ثم فإن الدلالات تنمو معنا وتتحدد معالمها بقدر ما يتيسر لنا من معرفة ولهذا قيل: (دلالات الأطفال، أطفال الدلالات) يتبناها الإنسان فيغذيها بما يتاح له من علم وتجارب فتنمو مع الأيام وتتطور إلى درجات معينة وقليل من الدلالات هي التي تكتسب الاستقرار منذ التجارب الأولى للكلام بها والكثير يتطور مع الزمن وكثرة التجارب. فالحوت مثلاً يظل في أذهان الكثيرين في صورة سمكة كبيرة حتى يتعلم الإنسان أنه حيوان ثدييٌّ يتنفس الهواء مباشرة ويلد ويرضع صغاره، ويقنع كثير من الناس بذلك الفهم التقريبي والدلالة العامة، تاركين الدلالات الدقيقة والخاصة لأهل العلم والتخصص.[1]

ولعل مسألة الدلالات العامة والأخرى الخاصة هي السبب في الترادف اللغوي والمشترك اللفظي، فإذا أخذنا السيف أو الأسد في اللغة العربية نجد لهما كثيراً من الأسماء لا بد أن يكون فيها شيء من العموم وشيءٌ من الخصوص، ولا بد فيها من توفر الأسماء والصفات، وقد أطلق علماء اللغة على ذلك اسم المشترك اللفظي، وحول ذلك ينقل الإمام السيوطي عن أحمد بن فارس قوله: (يُسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام كرجل وفرس. وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو عين الماء وعين المال وعين السحاب. ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو السيف والمهند والحسام.)[2] فذلك هو الاستعمال اللغوي للمشترك اللفظي.

وأما علماء الأصول فقد عرّفوا المشترك اللّفظي بأنه: (اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة، واختلف الناس فيه. فالأكثرون على أنه ممكن الوقوع لجواز أن يقع إما من واضِعَيْن بأن يضع أحدهما لفظاً لمعنى ثم يضعه الآخر لمعنى آخر، ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنيين.. وإما من واضع واحد لغرض الإبهام على السامع حيث يكون التصريح سبباً للمفسدة كما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد سأله

([1]) دلالة الألفاظ. للدكتور إبراهيم أنيس ص١٠٣ وما بعدها. نشر مكتبة الأنجلو المصرية. بدون تاريخ.

([2]) المُزْهِر للسيوطي ٣٦٩/١.

رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم وقت ذهابهما إلى الغار من هذا؟ قال: هــذا رجــل يهــديني السبيل.)[1]

لقد نظر علماء العربية إلى المشترك اللفظي على أنه نوع من توسيع المعنى، وقد تنــاول العلماء هذا الموضوع منذ وقت مبكر وصنفوا فيه عدداً من الكتب التي اتجه بعضها إلى دراسته من خلال القرآن الكريم واتجه بعضها الآخر إلى دراسته في الحديث النبوي الشــريف، كمــا تناولــه بعضهم من خلال اللغة العربية ككل. وأقدم ما وصل إلينا من هذه الكتب ما يلي:

١- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم. لمقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة ١٥٠هـــ وقد حققه الدكتور عبدالله شحاته.
٢- الوجوه والنظائر في القرآن. لهارون بن موسى الأزدي الأعور المتوفى سنة ١٧٠هـــ.
٣- الوجوه والنظائر. للحسين بن محمد الدامغاني من علماء القرن الهجري الخامس.
٤- معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي.
٥- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد لأبي العبــاس المبــرد المتــوفى ســنة ٢٨٥هـــ[2]

أما كلمة (الوجوه) الواردة في أسماء كتب هؤلاء العلماء فإنها تعني المشترك اللفظي كمــا ذكر الإمام الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن حيث يقول: (.. وقد صنف فيه قديماً مقاتل بن سليمان. فالوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معانٍ كلفظ الهدى له سبعة عشر معنــى في القرآن.)[3]

وأما كلمة (نظائر) فإنها تدل كما يوحي معناها على الألفاظ المترادفة وإلى ذلك ذهب الإمام السيوطي الذي وصفها بأنها: (ما اختلف لفظه واتّحد معناه)[4].

هذا، وقد تناولت هذه المصنفات موضوع الوجوه والنظائر من زاوية المشترك اللفظي، أي الكلمات التي تحمل عدداً من المعاني، ولم تتناول جانب الترادف اللغوي، الذي يمثل الوجه الآخــر لهذا العنوان، وهو الأمر الذي يطرح تساؤلاً أجاب عنه الدكتور أحمد مختار عمر بقوله: (الــذي يبدو لي أن كل مشترك لفظي يحمل في داخله ترادفاً. فإذا قلنا إن اللسان في القرآن الكــريم علــى أربعة أوجه: اللغة والدعاء والعضو المعروف والثناء الحسن فمعنى هذا أن اللسان له أربعة وجــوه

---

(1) المُزْهِر للسيوطي ٣٩١/١.

(2) علم الدلالة. للدكتور أحمد مختار عمر ص١٤٨.

(3) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي ١٠٢/١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر. ط/٢. بدون تاريخ.

(4) معترك الأقران في إعجاز القرآن للإمام جلال الدين السيوطي. تحقيق علي محمد البجاوي ٥١٤/١. نشر دار الفكر العربي-بدون تاريخ.

أو أربعة معانٍ فهو مشترك لفظي. وهو في نفس الوقت يملك عدة نظائر أو مترادفات. فاللسان مع اللغة يكوّن ترادفاً. وهو مع الدعاء يكوّن ترادفاً ثانياً. ومع الثناء الحسن يكوّن ترادفاً ثالثاً.. وهكذا، وإذا قلنا إن الولي على عشرة وجوه في القرآن منها: الولد والصاحب والقريب والرب والمولى الذي يعتق.. فمعنى هذا أن للفظ نظائر أو مرادفات عدة إذ يكوِّن ترادفاً مع الولد، وترادفاً ثانياً مع الصاحب وثالثاً مع القريب ورابعاً مع الرب وخامساً مع المولى.. وهكذا.. فمن أجل هذا صح أن تحمل هذه الكتب اسم الوجوه والنظائر مشيرة بالوجوه إلى المعاني المتعددة للفظ، وبالنظائر إلى الألفاظ المتعددة للمعنى.)[1]

ولعل إجابة الدكتور أحمد مختار عمر عن هذا التساؤل تصور عمق فهم علمائنا الأوائل لهذا الموضوع الذي أمدهم به نظرهم الواعي في كتاب الله عز وجل، وتدبرهم لمعانيه وألفاظه التي اعتبر الإمام السيوطي تصرفها من أعظم إعجاز القرآن الكريم إذ يقول: (.. حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقل ولا يوجد ذلك في كلام البشر.)[2]

أما المشترك اللفظي في الحديث الشريف فقد ألف فيه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة (٢٢٤هـ) وذلك في كتابه (كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى) إلا أن هذا الكتاب في نظر الدكتور أحمد مختار عمر مستخلص من كتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد، والراجح أن أحد تلامذته قام باستخلاص الكتاب المذكور من غريب الحديث وذلك لأنه يتحدث عن أبي عبيد بصيغة الغائب مع خلع صفات التفخيم والثناء عليه وليس من شأن العلماء أمثال أبي عبيد أن يثنوا على أنفسهم مما يرجح أن من استخلصه أحد تلاميذه.[3]

أما المشترك اللفظي في اللغة العربية فقد صنف فيه عبد الملك بن قريب الأصمعي، واليزيدي، وأبو العميثل الأعرابي، وكراع النمل. ولم يصل من هذه المصنفات سوى كتابي أبي العميثل وكراع النمل.

أما كتاب أبي العميثل الأعرابي عبدالله بن خُليد المتوفى سنة ٢٤٠هـ فهو بعنوان: (كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه) ويحتوي على ثلاثمائه كلمة من المشترك اللفظي، وعلى الرغم من أنه لا يزيد على ثلث كتاب كراع النمل إلا أنه يتضمن كلمات لا توجد في كتاب كراع من نحو فروة، وكراع، وعقيقة، وخلية. وقد عالج معاني كلماته بصورة أوسع وأشمل مما فعل كراع النمل.[4]

---

(1) علم الدلالة. للدكتور أحمد مختار عمر ص١٤٩.

(2) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ٥١٤/١.

(3) علم الدلالة. للدكتور أحمد مختار عمر ص١٥٠.

(4) علم الدلالة. للدكتور أحمد مختار عمر ص١٥١.

وأما كتاب كراع النمل علي بن الحسن الهنائي المتوفى سنة ٣١٠هـ فاسمه (المنجّد في اللغة) وقد سمي في بعض كتب الفهارس (المنجّد فيما اتفق لفظه واختلف معناه) وكلمة المنجّد في اللغة تعنى المُزَيّن والتنجيد هو التزيين.[١]

وتأتي قيمة كتاب المُنجّد لكراع النمل من أنه أقدم كتاب وصل إلينا كاملاً في المشترك اللفظي في اللغة العربية إذ يتضمن نحواً من تسعمائة كلمة. كما أن هذا الكتاب يتميز بشيء من التنظيم والترتيب فقد رتبت الكلمات داخل الكتاب وفق صورة الكلمة المنطوقة وليس على وفق أصول المادة اللغوية. وقد تناول أجزاء البدن العليا ثم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى القدمين.[٢]

أما مادة هذا الكتاب فإنها مأخوذة من مصادر قديمة لم تصل إلينا ولذلك يعتبر أقدم مصدر لها ما جعل مؤلفي المعاجم يردون تفسيرها له فمن ذلك قول ابن منظور: (الجنيبة صوف الثني عن كراع وحده.)[٣] وقوله: (قال كراع: بهراء ممدودة قبيلة، وقد تقصر. قال ابن سيدة: لا أعلم أحداً حكى فيه القصر إلا هو.)[٤]

أما أسباب المشترك اللفظي فإنها كثيرة ومتشابهة بين القدماء والمحدثين إلا أنه يمكن إرجاعها إلى نوعين من الأسباب عند القدماء هي:

١- أسباب داخلية هي عبارة عن تغيير في النطق وتغيير في المعنى.

أ- أما تغيير النطق فيؤدي إليه القلب المكاني والإبدال

فالقلب المكاني مثل مادتي دام ودمى، إذا أخذنا صيغة استفعل من دام قلنا: استدام. ومن دمى قلنا: استدمى. وقد ذكر كراع النمل أن الفعل استدام يستعمل أيضاً بمعنى استدمى. وبذا أصبح لدينا الفعل (استدام) المقلوب من الفعل (استدمى) والذي يطابق الفعل استدام غير المقلوب، مكوناً معه اشتراكاً لفظياً.

وأما تغيير النطق عن طريق الإبدال فإنه أكثر وجوداً في تكوين المشترك اللفظي، ومن أمثلته الكلمتان (حنك) و(حلك) كلمتان لهما معنيان مختلفان ولكن العرب استعملتها بمعنى واحد هو السواد، فعن طريق إبدال اللام نوناً طابقت الكلمة الثانية الكلمة الأولى، وقد أوردهما كراع النمل ضمن المشترك اللفظي حيث ذكر أنهم يقولون: حلك الغراب، وحنك الغراب: سواده.

ب-وأما تغيير المعنى فمثاله كلمة (التوجيه) من وجهت الرجل في الحاجة. والتوجيه أيضاً مصطلح عروضي في قوافي الشعر وهو الحرف الذي يقع قبل حرف الروي.

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (نجد) ٤٣٤٧/٦.

(٢) علم الدلالة. للدكتور أحمد مختار عمر ص١٥٢.

(٣) لسان العرب لابن منظور. مادة (جنب) ٦٩٣/١

(٤) المصدر السابق مادة (بهر) ٣٧١/١.

وهذا تغيير مقصود للمعنى لأنه استعمل كمصطلح علمي. وقد يكون التغيير تلقائياً عندما توجد علاقة بين المعنيين فإذا كانت العلاقة المشابهة كان المعنى الجديد استعارة وإلا كان مجازاً مرسلاً فمثال الاستعارة كلمة بشرة التي تعنى في الحقيقة جلد الإنسان وتستعمل كذلك بمعنى قشرة النبات لعلاقة المشابهة.

وأما أمثلة المجاز المرسل فتحتها أنواع مثل:

أ- توسيع المعنى. كما حدث للفعل (ساق) عندما استعمل للصداق قديماً: ساق الرجل إلى المرأة مَهْرَها. فقد كان المهر قديماً من الحيوانات. والآن أصبح نقوداً فيستعملون له (ساق) كذلك على سبيل التوسع في المعنى.

ومن ذلك كلمة (عقيلة) التي كانت تطلق في الأصل على الناقة الكريمة وهي المعقولة أي المربوطة. ثم أطلقت فيما بعد على الناقة الهادئة حتى لو لم تكن مربوطة. فأعجبتهم هذه الخصلة الطيبة فأطلقوها على الزوجة الحصان الرزان، ثم أصبحت تطلق الآن على أي زوجة حتى ولو كانت سفيهة سافرة. وذلك على سبيل التوسع في المعنى.

ب- تضييق المعنى. ومن ذلك لفظ (المأتم) الذي كان يستعمل قديماً لاجتماع الرجال والنساء في أي مناسبة سعيدة كانت أم حزينة ثم أصبح يطلق في المناسبات الحزينة فقط تضييقاً للمعنى.

ج- ومن علاقات المجاز المرسل: السببية مثل كلمة الإثم التي تعني الذنب، ثم أصبحت تطلق مرادفة للخمر فأصبح لكلمة الإثم معنيان مختلفان أحدهما سبب في الآخر.

د- ومنه إطلاق اسم الجزء على الكل مثل كلمة (اللسان) وهي العضو المعروف، ثم أصبحت تطلق على المتكلم عن قومه.

ه- ومن ذلك إعطاء الشيء اسم مكانه. لما حدث في كلمة راوية التي كانت تعني الجمل الذي يحمل سقاء الماء، ثم أصبحت تعني قربة الماء نفسها.

٢- أما الأسباب الخارجية. فتتعلق باختلاف البيئة. وذلك أن تستعمل كلمة بمعنيين مختلفين في بيئتين مختلفتين فالكلمة في بيئتها ليست مشتركاً لفظياً. وأما مع البيئة الثانية فتشكل مشتركاً لفظياً.[١]

وللمشترك اللفظي آثار إيجابية، وأخرى سلبية. أما آثاره الإيجابية فإنها تتمثل في تخفيف العبء على الذاكرة الإنسانية التي يمكن لها أن تحفظ عدداً أقل من المفردات بدلاً من حفظ كلمة مستقلة لكل شيء من الأشياء المحيطة بالإنسان. وبذلك تستطيع اللغة أن تعبر عن

---

(١) يراجع في جميع ذلك كتاب علم الدلالة. للدكتور أحمد مختار عمر ص١٥٩-١٦٢.

كثير من الأفكار والحاجات بواسطة تلك الطريقة التي تتمثل في الاتجـاه نحـو تطويـع الكلمات وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة.

كما أن استغلال الغموض للأغراض الجمالية في التعبير من شأنه لفـت انتبـاه السـامع، وتحريضه على إعمال فكره للتحليل والتفسير المفضي إلى المعاني المقصودة من الكلام، ومن ذلك استخدام المحسنات البديعية مثل الجناس في قوله تعـالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ الروم/٥٥، فالساعة الأولى هي القيامة. والساعة الثانية هي الفترة الزمنية المحددة ومن ذلك قول أبي تمام:

ما مات من كرم الزمان فإنه ... يحيا لدى يحيى بن عبدالله[١]

ومنه قول أبي نواس:

عباسُ عباسٌ إذا احتدم الوغى ... والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيعٌ[٢]

فالكلمات الأولى في بيت أبي نواس أعلام، والثانية أوصاف وهكذا يمكـن اسـتخدام هـذه الظاهرة اللغوية في مختلف فنون الكلام.

أما الآثار السلبية للمشترك اللفظي فإنها تتمثل فيما قد ينشأ عنه من إيهام أو غموض علـى المعنى المراد ما يعتبر عيباً في التعبير تلجأ اللغة في التغلب عليه إما إلى هجر أحد المعنيين للكلمة التي يحدث فيها احتكاك حول ما تدل عليه من معاني. أو إلى تغيير صيغة الكلمة للمعنى الآخـر، وذلك كثير في اللغات العامية، فمثلاً كلمة (دقيق) تنطق بالعامية المصـرية (دئيـئ). فـإذا أرادوا الحديث عن دقيق القمح قالوا (دِئيئ) بكسر الدال. وإذا أرادوا الحديث عن الكلام الدقيق أو الموقف الدقيق قالوا (دَئيئ) بفتح الدال. وذلك على سبيل التصرف في لفظ الكلمة لتعبر عن أحد المعنيـين بصورة وعن المعنى الآخر بصورة أخرى.

وقد تتم معالجة هذه الأوضاع بسياق الكلمة الذي ترد فيه، فإذا قلت: أعطيت السائل قرشـاً فهم من السياق أنه إنسان. وإذا قلت: انسكب السائل على الأرض فهم أنه مادة من المواد السائلة.

وهكذا تتعدد الأساليب التي يمكن التغلب بها على ما ينشأ من احتكاك بين معاني الكلمـات المتماثلة، وما قد يؤدي إليه ذلك من غموض في الاستخدام والفهم.[٣]

---

(١) ديوان أبي تمام ص٦٢١. تحقيق إيليا حاوي. نشر دار الكتاب اللبناني – بيروت. حزيران ١٩٨١م.

(٢) ديوان أبي نواس ص٤٦٣. تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي. نشر مطبعة مصر بالقاهرة ١٩٥٣م.

(٣) علم الدلالة. للدكتور أحمد مختار عمر ص١٨٣–١٨٨.

المبحث السادس

نظرية الحقول الدلالية

الحقل الدلالي أو المجال الدلالي كما يسميه بعض الدارسين هو عبارة عن مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها بطريقة أو بأخرى، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها وذلك مثل كلمات: المقاييس أو الموازين أو الألوان. فمثلاً كلمات مثل: أبيض، أسود، أخضر، أحمر، أصفر، تقع تحت مصطلح عام هو (لون) في اللغة العربية.[١]

وعرّف (أولمان) الحقل الدلالي بأنه: (قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة)[٢] أي أن الحقل الدلالي يشمل قطاعاً دلالياً مترابطاً مكوناً من مفردات تعبر عن تصور أو رؤية أو موضوع معين.

كما عرفه جون ليونز بأنه: (مجموعة جزئية لمفردات اللغة)[٣] ذلك أن أي حقل دلالي لابد أن يتضمن مجموعة من الكلمات كثرت أو قلت تتعلق بموضوع خاص تعبر عنه وتعالج علاقاته.

ومغزى هذه النظرية أنه لكي نفهم معنى كلمة فهماً شاملاً متكاملاً ولو إلى حد، فإنه يجب أن نُلم كذلك بمعاني مجموعة من الكلمات المتصلة بها دلالياً، ولهذا يعرف جون ليونز معنى الكلمة بأنه: (محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي)[٤] الأمر الذي يقتضي قيام دارس اللغة بتحليل الحقول الدلالية بغية الكشف عن صلات كلمات كل حقل بعضها ببعض ومن ثم صلات كلٍّ منها بالمصطلح العام.

والحقل الدلالي يتكون من مجموعة من الكلمات والمعاني المتقاربة التي تتميز بوجود ملامح دلالية مشتركة بينها وبذلك تكتسب الكلمة معناها من خلال علاقاتها بالكلمات الأخرى، ذلك أن الكلمة لا تفيد شيئاً إذا كانت مفردة منعزلة عن محيطها الذي تكتسب منه صفاتها ومميزاتها، وقد عبر جوزف فندريس عن ذلك بقوله: (ليس في الذهن كلمة واحدة منعزلة، فالذهن يميل دائماً إلى جمع الكلمات وإلى اكتشاف عرىً جديدة تجمع بينها. والكلمات تتشبث دائماً بعائلة لغوية بواسطة دالّ المعنى أو دوال النسبة التي تميزها.)[٥]

---

(١) أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية. للدكتور أحمد عزّوز ص١١. نشر إتحاد الكتاب العربي– دمشق، سنة ٢٠٠٢م.

(٢) نقله الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة. ص٧٩ (مرجع سابق).

(٣) المرجع السابق ص٧٩.

(٤) المرجع السابق ص٨٠.

(٥) اللغة لجوزف فندريس بترجمة عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص ص٢٣٢. نشر مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٠م.

وبناءً على هذا الفهم استند أصحاب نظرية الحقول الدلالية على الفكرة المنطقية التي ترى أن المعاني لا توجد منعزلة، الواحد تلو الآخر في الذهن بل لابد من ربط كل معنى منها بمعنى أو بمعانٍ أخرى، فلفظ (رجل) مثلاً لا يمكن أن نعقله منعزلاً إلا بإضافته إلى كلمة (امرأة) التي تحدد المقابل له، وكلمة (حار) لا تفهم إلا في مقابل كلمة (بارد) ومقارنة المعنيين، وكلمة (كبير) لا تفهم منفردة منعزلة ولكن علاقتها بكلمة (صغير) توضح مدلولها، وتحدد معناها، كما أن كلمات مثل: ممتاز، وجيد جداً، وجيد ومقبول، وما إلى ذلك من التقديرات التي تمنحها الجامعات والمؤسسات العلمية للتعبير عن التقويم للامتحانات، ومناقشة الرسائل العلمية لا يمكن فهم الكلمة منها إلا عند مقارنتها مع الكلمات التي فوقها أو دونها، وهكذا تتحدد معاني الكلمات ودلالاتها مرتبطة بمجموعاتها الدلالية..

نشأة نظرية الحقول الدلالية في الدراسات اللغوية الحديثة:

لقد تبلورت فكرة الحقول الدلالية في الدراسات اللغوية الحديثة في عشرينات وثلاثينات القرن العشرين على أيدي بعض العلماء السويسريين والألمان والفرنسيين أمثال: إيبسن ١٩٢٤م وجولز ١٩٣٤م وبروزيج ١٩٣٤م وتراير ١٩٣٤م. ويعتبر إيبسن من أوائل الذين أوضحوا طريقة تصنيف الحقول الدلالية، التي أفاد منها تراير في دراسته للألفاظ الفكرية في اللغة الألمانية الوسيطة، ما جعله أشهر اللغويين الأوروبيين الذين قاموا بأعمال تصنيفية وفق الحقول الدلالية، ذلك أنه استطاع بفضل دراسته تلك أن يبلور ويجمع الآراء التي كانت سائدة في فترته بطريقة مهدت لظهور منهج لا ينسب إلا إليه.

هذا وقد قام علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيون بتطبيقات متنوعة لهذه الفكرة حيث صنفوا الكلمات التي ترتبط بعلاقات تجعل منها حقولاً دلالية، وذلك في مجالات: القرابة والنبات والحيوان والألوان والامراض.

كما أفاد العلماء الفرنسيون أمثال هانس سكمودان، وجورج ماتوري في دراساتهم اللغوية حيث توصل سكمودان إلى ملاحظة قلة وضعف مفاهيم الأخلاق في اللغة الفرنسية خلال القرن الثامن عشر، وانحطاط قيمة الكلمات المعبرة عن الحياة العاطفية.

أما جورج ماتوري فقد ركز في دراسته على حقول تتعرض ألفاظها للتغير والامتداد السريع وتعكس التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

وأما الحقول أو المجالات التي شملتها هذه الدراسة فقد كانت كثيرة ومتشعبة أهمها: ألفاظ القرابة والألوان والنبات والأمراض والأدوية والطبخ والأوعية، وألفاظ الأصوات، وألفاظ الحركة وقطع الأثاث والخواص الفكرية والآيدلوجيات والجماليات والمثل والدين والإقطاع والأساطير

والخرافات والتجارة والعداوة والهجوم والاستقرار والإقامة والحيوانات الأليفة وصفات العمر وأعضاء الجسم وغير ذلك من المواضيع ومجالات الحياة.

وقد قادت هذه النظرية إلى التفكير في عمل معجم متكامل يضم كافة الحقول الدلالية الموجودة في اللغة، تقدم فيه مفردات كل حقل على أساس تفريعي تسلسلي. وقد ظهرت خلال الفترة الماضية عدد من هذه المعاجم في أوربا، أشهرها المعجم الذي قدمه (روجت) لكلمات اللغة الإنجليزية. ثم وُجدت أعمال مشابهة في اللغة الألمانية والأسبانية والفرنسية.(١)

نظرية الحقول الدلالية في التراث اللغوي العربي:

لقد فطن اللغويون العرب القدماء إلى فكرة الحقول الدلالية منذ وقت مبكر، وهي وإن لم تكن معروفة بينهم كمصطلح علمي، إلا أنهم مارسوا المنهج وطبقوه بصورة تنمُّ عن رقي هذه اللغة وتفوقها على لغات الأمم الأخرى، ذلك أن اللغة العربية نفسها تضمنت تصنيفًا شاملاً لألفاظها يبعث على التأمل والتفكُّر في إحاطتها بمعظم مناحي الحياة إن لم نقل كلها.

هذا وقد بدأ اللغويون العرب التفكير في معاجم الموضوعات التي تعتبر من صميم الحقول الدلالية منذ زمن مبكر لا يتجاوز القرن الثالث الهجري قبل تفكير الأوربيين في هذه الدراسة بأكثر من عشرة قرون من الزمان.

وفكرة التصنيف قديمة في التأليف العربي، ومن أبدع ما كتب في ذلك، تصنيف الجاحظ للموجودات في الكون، وذلك في كتابه الحيوان حيث يقول: (إن العالم بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء: متفق ومختلف ومتضاد، وكلها في جملة القول: جماد ونام.. ثم النامي على قسمين: حيوان ونبات، والحيوان على أربعة أقسام: شيء يمشي، وشيء يطير، وشيء يسبح، وشيء ينساح. إلا أن كل طائر يمشي، وليس الذي يمشي ولا يطير يسمى طائراً. والنوع الذي يمشي على أربعة أقسام: ناس، وبهائم، وسباع، وحشرات.)(٢)

ولعل أثر القرآن الكريم يبدو واضحاً على تصنيف الجاحظ، لاسيما تصنيفه للحيوانات الذي يوجد في الآية رقم (٤٥) من سورة النور في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾النور/٤٥.

والقرآن الكريم له أثر بالغ على توجيه الحياة الفكرية للأمة الإسلامية وقد أمدّ اللغة العربية بطاقة حيوية كبيرة لا تزال آثارها تؤتي ثمارها في كثير من الدراسات الهادفة.

---

(١) يراجع في ذلك علم الدلالة. للدكتور أحمد مختار عمر ص٨٢-٨٥. وأصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية. للدكتور أحمد عزوز ص٤٢-٤٨.

(٢) الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ٢٦/١-٢٧. تحقيق الدكتور يحيى الشامي. منشورات دار ومكتبة الهلال – بيروت ط/٣، ١٩٩٠م.

وثمة إشارة أخرى في نص الجاحظ تؤكد وضوح هذا المنهج لدى علماء العربية قديماً، وهو أن الجاحظ أشار إلى العلاقات التي تجمع بين هذه الأشياء وهي علاقات: الاتفاق، والاختلاف والتضاد. وهي ذات العلاقات التي توصلت إليها الدراسات اللغوية الحديثة.

هذا وقد كانت الخطوات الأولى في مجال الحقول الدلالية في التراث اللغوي العربي عبارة عن رسائل احتوت كل واحدة منها على ألفاظ خاصة في مجموعات دلالية محددة تعتبر من صميم الحقول الدلالية المعروفة حديثاً.

ومن ذلك رسائل اللبن والمطر لأبي زيد الأنصاري. والنبات، والشجر، وخلق الإنسان للأصمعي المتوفى سنة ٢١٦هـ والخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى الذي كتب عن الحيات والعقارب كذلك.

ويقال إن أول من ألف في الحيوان هو أبو خيرة الأعرابي الذي أخذ عنه أبو عمرو بن العلاء ثم أبو عمرو الشيباني.

وكتب أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ عن الغنم، والبهائم، والسباع، والطير، والهوام، وحشرات الأرض. كما اشتهر أبو حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٤٨هـ وابن خالويه بكتابة مثل هذه الرسائل.

وألف ابن دريد في السرج واللجام، والمطر والسحاب، وألف أبو مالك عمرو بن كركرة، والنضر بن شميل وهشام الكلبي، والأصمعي جميعهم في الخيل(١) وقد كتب في الإبل كثير من المؤلفين، كما كتبوا في خلق الإنسان، وتلك المصنفات أكثرها عبارة عن رسائل. أما ما يمكن أن يسمى معاجم باعتبار تعدد المواضيع فكثيرة أيضاً نذكر منها: كتاب الصفات للنضر بن شميل، وكتاب الألفاظ لابن السكيت والمنجَّد في اللغة لكراع النمل، والألفاظ الكتابية للهمداني(٢)

ويعتبر المخصَّص لابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ أضخم ما وصلنا من معاجم الموضوعات وهو يقع في سبعة عشر مجلداً تحوي كتباً كثيرة ومتنوعة وتحت كل كتاب مجموعة من الأبواب، وهو جهد لا يكاد يوجد له نظير في اللغات الأخرى بالنظر إلى تاريخ تأليفه وسعة مواضيعه وغزارة مادته. وقد أشار ابن سيده في مقدمة معجمه هذا إلى جهده الذي بذله فيه وطريقته التي اتبعها في تأليفه وتصنيفه وآثار السابقين التي أفاد منها فيقول: (فأما ما نثرت عليه من الكتب فالمصنف وغريب الحديث لأبي عبيد وغيره وجميع كتب يعقوب كالإصلاح والألفاظ والفرق والأصوات والزِّبْرِج والمَكْني والمبني والمد والقصر ومعاني الشعر وكتابا ثعلب الفصيح والنوادر، وكتابا أبي حنيفة في الأنواء والنبات وغير ذلك من كتب الفراء والأصمعي وأبي زيد

---

(١) الفهرست لابن النديم ص٦٦-٨٨ مرجع سابق.

(٢) علم الدلالة. للدكتور أحمد مختار عمر ص١٠٩.

وأبي حاتم والمبرد وكراع والنضر وابن الأعرابي واللحياني وابن قتيبة وما سقط اليّ من ذلك. وأما من الكتب المجنَّسة فالجمهرة والعين وهذا الكتاب الموسوم بالبارع صنعة أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي اللغوي الوارد على بني أمية بأندلس، وأضفت إلى ذلك كتاب أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري الموسوم بالزاهر وحلّيته بما اشتمل عليه كتاب سيبويه من اللغة المُعَلَّةِ المُمَثَّلَة..)[١] وأضاف إلى ذلك عدداً كبيراً من أسماء الآثار والمؤلفات التي نظر فيها وأفاد منها ليخرج للعربية هذا السفر الذي لم يؤلف قبله ولا جاء بعده معجم يفوقه في الاستيعاب والتنسيق.[٢]

يضم هذا المعجم سبعة عشر سفراً يتكون كل سفر من عدد من الكتب وتحت كل كتاب عدد من الأبواب وفي كل باب عدد من المباحث. ومن كتبه: كتاب خلق الإنسان وكتاب الغرائز وكتاب النساء وكتاب اللباس وكتاب الطعام وكتاب السلاح وكتاب الخيل وكتاب الإبل وكتاب الوحوش، كتاب السباع، كتاب الحشرات، كتاب الطير، كتاب الأنواء.

وتحت كتاب خلق الإنسان نجد من الأبواب: باب الحمل والولادة، أسماء ما يخرج مع الولد، أسماء أول ولد الرجل وآخرهم، الرأس، الوجه، العين وما فيها. باب الفصاحة، خفة الكلام وسرعته.[٣] وقد عالج ابن سيده كافة هذه المواضيع بصورة استقصى فيها كل ما ورد في اللغة العربية حولها وما تفرع منها من ألفاظ وصيغ.

العلاقات داخل الحقل المعجمي:

يعرف ليونز معنى الكلمة بأنه: (محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في نفس الحقل المعجمي)[٤] وهذا التعريف يكاد يتطابق مع عدة تعريفات أخرى لا يخرج معظمها عن هذا الإطار الذي يشير إلى هذه العلاقة التي تربط الكلمة بمحيطها الدلالي، ولهذا فقد حدد أصحاب نظرية الحقول الدلالية أنواع العلاقات التي تربط الكلمات بعضها ببعض داخل كل حقل بما يلي:

١- الترادف:

وهو أن تدل عدد من الكلمات التي تنتمي إلى نوع واحد من الكلام (أسماء – أفعال) على معنى واحد بحيث يمكن أن تتبادل هذه الكلمات في الموقع داخل الجملة أو العبارة دون أن يحدث أي تغيير في معناها العام أو تركيبها النحوي، مثل (أم –والدة) (أخت، شقيقة) (جلس، قعد) حيث تتضمن كل كلمة معنى الأخرى فالتضمن حاصل من الجانبين.

---

(١) المُخَصَّص. لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ١٢/١-١٣. نشر دار الآفاق الجديدة ببيروت- بدون تاريخ.

(٢) من مقدمة فهرس شواهد المخصص للأستاذ عبد السلام محمد هارون ج٥ ص١.

(٣) فهارس الأسفار من (١-٥) المخصص ج١.

(٤) علم الدلالة. للدكتور أحمد مختار عمر ص٨٠ (مرجع سابق).

٢- الاشتمال:

وهو أهم علاقات علم الدلالة التركيبي، والتضمن في هذه الحالة يكون من جانب واحد حيث تكون كلمة ذات معنى عام يدخل في معناها كثير من الكلمات التي يشملها جميعاً معنى تلك الكلمة فمثلاً كلمة (جمل) تنتمي إلى فصيلة (حيوان) التي تتضمنها هي وكلمات أخرى كثيرة.

ومن الاشتمال ما يسمى بالجزيئات المتداخلة بحيث تتضمن كل كلمة معنى ما بعدها فمثلاً: ثانية- دقيقة- ساعة – يوم –أسبوع- شهر – سنة. فكلمة (سنة) تتضمن معاني كل ما ذكر قبلها وليس العكس صحيحاً فالتضمن في هذه الحالة من جهة واحدة.

٣- علاقة الجزء بالكل:

وذلك مثل علاقة اليد بالجسم، والجناح بالطائر، والعجلة بالسيارة، والمقبض بالباب. وفي هذه الحالة لا تنتقل العلاقة من جزء الجزء إلى الكل في بعض الأحيان. وقد تنتقل في أحيان أخرى.

فالحالة التي لا تنتقل فيها علاقة جزء الجزء بالكل مثل: مقبض- باب- بيت فالبيت له باب والباب له مقبض فالعلاقة قائمة بين المقبض والباب ولكنها لا تقوم بين المقبض والبيت، لذلك نقول مقبض الباب، ولا نقول مقبض البيت.

والحالة التي تنتقل فيها علاقة جزء الجزء إلى الكل مثل: أظافر- أصابع- يد – محمد فنقول: أظافر أصابع يد محمد، ويجوز أن نقول: أظافر محمد، أو محمد بدون أظافر.

٤- التضاد:

وهو أن تكون الكلمة ذات معنى يناقض معنى الكلمة الأخرى، وهو أنواع، منها التضاد الحاد مثل: ميت وحي. وذكر وأنثى. ومنه التضاد المتدرج مثل: ساخن ودافئ. وفاتر وبارد. ومنه التضاد العكسي مثل: باع واشترى، وزوج وزوجة وهناك التضاد الاتجاهي مثل: شمال وجنوب وما إلى ذلك.

٥- التنافر:

وهو عدم التضمن بين طرفين مثل العلاقة بين كلمات: فرس وخروف، وقط وكلب. لا تتضمن إحداهما معنى الأخرى على الرغم من أنها جميعاً ترتبط بكلمة (حيوان) ويشملها ذات الحقل.

ومن ذلك علاقات الرتبة مثل: ملازم- رائد- عقيد، ومن ذلك أسماء الشهور مثل: محرم – صفر- ربيع. وأيام الأسبوع مثل: الجمعة والسبت والأحد. فهذه كلمات يشمل

كل مجموعة منها حقل دلالي. ولكن الألفاظ متنافرة فيما بينها بحيث لا تتضمن كلمة معنى الأخرى.(١)

أما أهمية نظرية الحقول الدلالية بالنسبة للدراسة اللغوية بصفة عامة، فإنها تتمثل في أنها سوف تكشف بسهولة عن أوجه الشبه والاختلافات بين الكلمات التي تنضوي تحت حقل دلالي واحد الأمر الذي يمد الدراسة بتصور كامل لأي موضوع، بحيث يمكنك استدعاء كافة الكلمات التي يشملها الحقل، بالإضافة إلى تيسير معرفة المعاني الأساسية والفرعية للكلمات.

كما أن تجميع كلمات الحقل الدلالي وتوزيعها يكشف عن الفجوات الوظيفية لأي لغة بحيث يتبين قصور اللغة في بعض الجوانب، كما تسنى للغوي الفرنسي هانس سكمودان اكتشاف قلة وضعف مفاهيم الأخلاق وانحطاط قيمة الكلمات المعبرة عن الحياة العاطفية في اللغة الفرنسية إبان القرن الثامن عشر(٢). كما أن دراسة معاني الكلمات حسب الحقول الدلالية من شأنها أن تهيئ في نفس الوقت دراسة لنظام التصورات والحضارة المادية والروحية السائدة لدى مستخدمي اللغة وعاداتهم وتقاليدهم، كما تكشف في ذات الوقت عن التطور أو التراجع في كل هذه الجوانب.(٣)

---

(١) يراجع في ذلك علم الدلالة. للدكتور أحمد مختار عمر ص٩٨-١٠٦ مرجع سابق.

(٢) أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية. للدكتور أحمد عزوز ص٥١-مرجع سابق.

(٣) علم الدلالة. للدكتور أحمد مختار عمر ص١١٠-١١٣.

الباب الثاني

الاختلافات الصرفية في الربع الأول من القرآن الكريم

وأثرها الدلالي

الفصل الأول

الاختلافات الصرفية في صيغ المصادر والصفات وأثرها الدلالي

المبحث الأول: الاختلافات الصرفية في صيغ المصادر وأثرها الدلالي

المبحث الثاني: الاختلافات الصرفية في صيغ الصفات وأثرها الدلالي

المبحث الأول

الاختلافات الصرفية في صيغ المصادر وأثرها الدلالي

فيما يلي بيان باختيارات القراء من الصيغ الصرفية التي وردت في عدد من المصادر وما ترتب على ذلك من آثار على المعنى العام وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم:

(هزوًا) من قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗا﴾ البقرة/٦٧.

قرأ حفص عن عاصم (هُزُوًا) بضم الزاي والواو بدلاً عن الهمزة. وقرأ حمزة وإسماعيل عن نافع (هُزْءًا) ساكنة الزاي بالهمز وصلاً وإذا وقف أبدلها واوًا وقرأ الباقون (هُزُءًا) بضم الزاي والهمز[1].

هَزَأَ به وهَزِئ به يَهْزَأُ هُزْءًا ومَهْزَأَةً وتهزّأ واستهزأ به: سخر[2].

أما قراءة حفص (هُزُوًا) بضمتين مع الواو وصلاً ووقفًا فهي بإبدال الهمزة واوًا للتخفيف، وهو قياس مطّرد في كل همزة مفتوحة مضموم ما قبلها نحو (جُؤَن)، و(جُوَن) وكُفُؤًا، وكفُوًا أحد. وقد ترك حفص الهمز كراهة للهمز بعد ضمتين في كلمة واحدة[3].

وأما من قرأ (هُزُءًا) و(هُزْءًا) بضم الزاي وإسكانها مع الهمز، فمن ضم الزاي فقد أتى بها على الأصل بالتثقيل وهو لغة أهل الحجاز.

ومن أسكنها فقد خفف وهو لغة تميم. والتخفيف والتثقيل لغتان في هذه الكلمة. فقد قال الأخفش: (وزعم عيسى بن عمر أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه نحو اليُسْر واليُسُر والعُسْر والعُسُر) فمن خفف طلب التخفيف لأنه استثقل ضمتين في كلمة واحدة)[4].

وقد قرأ حمزة في الوقوف (هُزَا) بإلقاء حركة الهمزة على الزاي ثم حذف الهمزة وهو أيضاً قياس مطرد في التخفيف. كما روي عنه أيضًا أنه يقف بتشديد الزاي (هُزًّا) وقرئ (هُزْوًا) وكلها للتخفيف[5].

وليس ثمة اختلاف في المعنى بسبب اختلاف القراءات في (هزوًا) الذي جاء منصوبًا على أنه مفعول ثانٍ لقولهم (أتتخذنا) فالمعنى يحتمل أنهم أرادوا اسم المفعول أي مهزوءًا كقولك: درهم

---

(1) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة. لأبي حفص عمر بن زين الدين النشار ١٤٧/١-١٤٨ تحقيق الشيخ علي معوض وآخرين. نشر عالم الكتب ببيروت ط/١ سنة ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠م. وحجّه القراءات للإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة ص ١٠٠-١٠١ تحقيق سعيد الأفغاني. نشر مؤسسة الرسالة ببيروت ط/٥ سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(2) لسان العرب لابن منظور مادة (هزأ) ٤٦٥٩/٦.

(3) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي. تحقيق بدر الدين قهوجي وآخرين ١٠٨/٢ نشر دار المأمون للتراث ببيروت سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(4) حجة القراءات لأبي زرعة ص ١٠١.

(5) البدور الزاهرة للنشار ١٤٧/١-١٤٨.

ضرب الأمير، وهذا خلق الله، أي مضروب الأمير، ومخلوق الله. أو أنهم أخبروا به على سبيل المبالغة: أتتخذنا نفس الهُزء وذلك لكثرة الاستهزاء ممن يكون جاهلاً.أو أنه على حذف مضاف أي: أتتخذنا مكان هزءٍ أو ذوي هُزْءٍ[1]. وذلك دليل على سوء عقيدة اليهود في نبيهم موسى عليه السلام.

(حُسْنًا) من قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة/٨٣.

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وأبو عمرو (حُسنا) بضم الحاء وقرأ حمزة والكسائي (حَسَنا) بفتح الحاء[2].

الحُسن ضد القبح ونقيضه. والحُسن نعت لما حَسُن. تقول: حَسُنَ وحَسَنَ يَحْسُنُ حُسْنًا، فهو حاسن وحَسَن[3].

أما على قراءة الجمهور (حُسْنًا) بضم الحاء فظاهره أنه مصدر، فقد قيل إنه انتصب على المصدر من المعنى لأن المعنى: وليحسن قولكم حُسنًا. ويمكن أن يكون على تقدير حذف مضاف أي: قولوا قولاً ذا حُسن ويؤول في المعنى إلى حُسنٍ. كما يجوز أن يكون صفة للقول والتقدير: (وقولوا للناس قولاً حُسنًا) قال أبو علي الفارسي: (يجوز أن يكون الحُسنُ لغةً في الحَسَن كالبُخْل والبَخَل والرُّشْد والرَّشَد والثُّكْل والثَّكَل. وجاء ذلك في الصفة كما جاء في الاسم ألا تراهم قالوا: العُرْبُ والعَرَب.. فيكون الحُسْنُ على هذا صفة كالحَسَن.. ويجوز أن يكون الحُسْن مصدرًا كالكُفْر والشُّكر.. وحذف المضاف معه كأنه: قولاً ذا حُسن)[4].

وأما من قرأ (حَسَنًا) بفتح الحاء والسين فقد جعله صفة لمصدر محذوف والتقدير: وقولوا للناس قولاً حسنًا.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير إذ المعنى: قولوا للناس قولاً حسنًا أي معروفًا أو قولوا أحسن ما تحبون أن يقال لكم فإن الله يُبغض اللعان والسباب[5].

(القرآن) من قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ البقرة/١٨٥.

قرأ ابن كثير (القران) بغير همز وقفًا ووصلاً. ووافقه حمزة وقفًا فقط وقرأ باقي السبعة (القرآن) بالهمز.[6]

---

(1) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٥٠/١ نشر دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة. ط/٢ سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م وانظر مجمع البيان لعلوم القرآن للإمام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ٢٦٧/١ طبع مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع-طهران- إيران سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(2) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ١٢٦/٢.

(3) لسان العرب لابن منظور. مادة (حسن) ٨٧٧/٢.

(4) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (١٢٧/٢-١٢٨).

(5) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي تحقيق الدكتور محي الدين رمضان ٢٥٠/١ نشر مؤسسة الرسالة ط/٥ سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٢٨٤/١-٢٨٥).

(6) التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ص (٧٩) تحقيق اوتويرتزل. نشر مكتبة الثقافة -الدينية- القاهرة. ط/١ سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

القرآن بالهمز مصدر قرأ. تقول: قرأ الكتاب يقرَؤُه ويقرُؤه قَرْأً وقِرَاءة وقرآنًا: فهو مقروء: وسمي كلام الله تعالى(قرآنًا) بزنة(فُعلان) من قبيل إطلاق المصدر على اسم المفعول في الأصل.

وقرأت الشيء: جمعته وضممت بعضه إلى بعض. قال في اللسان: (وكل شيء جمعته فقد قرأته، وسمي القرآن لأنه جَمَعَ القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض وهو مصدر كالغفران والكفران)[1] ومن ذلك قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلاً قط وما قرأت جنينًا قط أي لم يضطم رحمها على ولد. قال عمرو بن كلثوم[2]:

ذراعي عيطل أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

أي لم يُضم رحمها على الجنين. وفيه قول آخر: لم تقرأ جنينًا أي لم تُلقه وبهذا يكون من ألفاظ الأضداد.

قال الأخفش: (أقرأت المرأة إذا حاضت وما قرأت حيضة أي ما ضمت رحمها على حيضه) وقال ابن الأثير: (قد تكررت هذه اللفظة في الحديث مفرده ومجموعة فالمفردة بفتح القاف وتجمع على أقراء وقروء وهو من الأضداد يقع على الطهر وإليه ذهب الشافعي وأهل الحجاز ويقع على الحيض وإليه ذهب أبو حنيفة وأهل العراق).[3]

وأما من قرأ بغير همز فإن الأظهر في توجيه قراءته أنه من باب الإعلال بالنقل والحذف. حيث نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ثم حذفت. وهذا وإن لم يكن أصله النقل إلا أنه نقل هنا لكثرة الدَّور. وجمعًا بين اللغتين. أو أن تكون النون أصلية من قرنت الشيئين فيكون على وزن (فُعالٌ) وذلك أنه قُرن فيه بين السور والآيات والحكم والمواعظ[4].

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى لأنه لا يتوقف على دلالة اللفظ فقط وإنما المقصود هو كلام الله تعالى، الذي بُدئ في إنزاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ثم تتابع إنزاله منجمًا.

(السلم) من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾البقرة/ ٢٠٨.

قرأ ابن كثير ونافع والكسائي (السَّلم) بفتح السين. وقرأ الباقون (السِّلم) بكسر السين[5].

روى أبو علي الفارسي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي الحسن الأخفش أن السِّلْم هو الإسلام. ويكون السِّلْم مصدرًا في معنى الإسلام بكسر السين[6].

---

(1) لسان العرب لابن منظور مادة (قرأ) ٣٥٦٣/٥.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي (فصل القاف باب الهمزة) (قرأ) ١٠٣/١ طبع المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر الطبعة الأولى سنة ١٣٠٦هـ.

(3) لسان العرب لابن منظور ٣٥٦٣/٥.

(4) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣٩/٢-٤٠ وانظر حجة القراءات لأبي زرعة ص (١٢٥-١٢٦).

(5) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٨٠.

(6) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٢٩٣/٢.

قال الأحوص:[١]

فذادوا عدوَّ السِّلم عن عقرِ دراهم   وأرسوا عمود الدين بعد التمايل

وقال امرؤ القيس بن عابس[٢]:

فلست مبدلاً بالله ربا   ولا مستبدلاً بالسِّلْم دينا

وأما السَّلْم بفتح السين فهو الصلح. والمراد الإسلام، لأن الإسلام صلح باعتبار أن القتال والحرب بين أهله موضوع.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أمر بأن يدخلوا في شرائع الإسلام كافة وليس في طاعة دون طاعة. وسبب نزولها أن عبد الله بن سلام ونفرًا من يهود طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيموا على السبت وأن يقرءوا التوراة في صلاة الليل فأمروا بأن يدخلوا في الإسلام كافة[٣].

(قدره) من قوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة/٢٣٦.

قرأهما ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بفتح الدال (قَدَره) وقرأهما الباقون بسكون الدال (قَدْره)[٤].

قَدِرَ الرجل على الشيء: اقتدر. قَدِر وقَدَر عليه يَقْدُر ويَقْدِرُ. وقَدَر يَقْدَرُ قَدْرًا وقُدْرة ومَقْدُرة (مثلثة الدال) ومقدارة وقدارةً وقُدُورةً وقدورًا وقِدْرانًا وقَدَارًا وقِدَارًا قَوِيَ عليه. فهو قادِرٌ وقدير. والقَدَر: قضاء الله وحكمه، ومبلغ الشيء كالقَدْر والطاقة، فهما لغتان والجمع أقدار[٥].

وحجة من فتح الدال إجماع القراء على قوله تعالى: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ الرعد/١٧. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ القمر/٤٩.

وحجة من أسكن الدال إجماعهم على الإسكان في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الأنعام/٩١. وقوله عز وجل: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ الطلاق/٣.

وقيل إن القَدْر بالإسكان مصدر والقَدَر بالفتح الاسم مثل: العَدّ والعَدَد والمَدّ والمَدَد.

ولا اثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أنه يجب على الزوج أن يعطي مطلقته التي لم يدخل بها ما تتمتع به من خادم وكسوة ونفقه وذلك على مقدار ما يطيق وكلٌّ حسب طاقته[٦].

---

(١) ديوان الأحوص الأنصاري، ص ١٨٣ ولسان العرب لابن منظور مادة (سلم) ٢٠٨١/٣.

(٢) لسان العرب مادة (سلم) ٢٠٨١/٣.

(٣) يراجع في ذلك البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (١٢٠/٢) والكشاف للزمخشري (٢٨٠/١) والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (٢٨٧/١).

(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣٣٨/٢.

(٥) تاج العروس للزبيدي مادة (قدر) ٤٨٣/٣.

(٦) يراجع في ذلك البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٢٣٣/٢) وفتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني (٢٩٠/١) نشر دار الكلم الطيب –دمشق– بيروت. ط/٢ سنة ١٤١٩هـ–١٩٩٨م وإتحاف فضلاء النشر للدمياطي ٤٤١/١ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٩٨/١.

(دفْع) من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾البقرة/٢٥١.

قرأ نافع (دفاع) بكسر الدال وفتح الفاء وألف بعدها. وقرأ الباقون (دَفْع) بفتح الدال وسكون الفاء من غير ألف(١).

أما من قرأ (دفاع) بالألف فقد جعله مصدراً لدافع المزيد بزنة (فَاعَل) مفاعلة وفِعَالاً. كالمقاتلة والقتال. وجوّزوا أن تأتي المفاعلة من واحد. قال أبو علي الفارسي: (دفاع يحتمل أمرين: يجوز أن يكون مصدرًا لفعل كالكتاب واللقاء ونحو ذلك من المصادر التي تجئ على فِعال. كما يجيء على فَعَال نحو الجَمال والذَّهَاب. ويجوز أن يكون مصدرًا لفاعل.. كأن معنى دفع ودافع سواءً ألا ترى أن قوله(٢):

ولقد حَرِصتُ بأن أدافع عنهم   فإذا المنية أقبلت لا تدفع

فوضع أدافع موضع أدفع.

وإذا كان كذا فقوله: إن الله يدفع ويدافع يتقاربان. وليس يدافع كيضارب ومما يقوي ذلك قوله: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾التوبة/٣٠. وليس للمفاعلة التي تكون من اثنين هنا وجه)(٣).

وأما من قرأ بغير ألف (دَفْع) فقد جعله مصدرًا للفعل المجرد (دَفَع) على اعتبار أن المفاعلة التي تكون من اثنين لا معنى لها في هذا المقام حيث اسند الفعل إلى الله تبارك وتعالى، وهو الذي يدفع عن المؤمنين وغيرهم ما يضرهم ولا يدافعه أحد فيما يدفع فَحَمْلُه على (دَفَع) أولى لأنه مصدره الذي لا يصرف عنه إلى غيره إلا بدليل ورواية.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى يدفع بالمؤمنين الكفار لئلا يفسدوا في الأرض بقتل المؤمنين وتخريب الديار والمساجد، وذلك على اعتبار أن دافع ودفع تؤول إلى معنى واحد(٤).

(رضوان) من قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾آل عمران/١٥.

قرأه أبو بكر شعبة عن عاصم (رُضوان) بضم الراء. وقرأه الباقون (رِضوان) بالكسر حيث وقع(٥).

الرِّضوان والرُّضوان مصدران بمعنى واحد. وهما لغتان في هذا المصدر من الفعل رضي اللازم. تقول رضِيَ يرضَى رِضًا ورُضًا ورِضوانًا ورُضوانًا. والرضا ضد السُّخط(٦).

---

(١) التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ٨٢.

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي – شرح أشعار الهذليين للسكري ٨/١ ، تحقيق عبد الستار أحمد ومحمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، بدون تاريخ.

(٣) الحجة للقراءات السبع لأبي علي الفارسي (٣٥٣/٢-٣٥٤).

(٤) يراجع ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لمكي أبي طالب٣٠٥/١ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي٢٦٩/٢.

(٥) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٨٦.

(٦) لسان العرب لابن منظور (رضى) ١٦٦٣/٣.

وقال أبو علي الفارسي: (رضوان مصدر فمن كسر جعله كالرئمان والحرمان ومن ضم فقد قال سيبويه: رجح رُجحاناً كما قالوا الشُّكران والرُّضوان.)[1]

أما من قرأ بضم الراء فقد جاء به على لغة تميم وقيس. وقيل للتفريق بين الاسم والمصدر، وذلك أن اسم خازن النار (رِضوان) بكسر الراء - كذا جاء في الحديث-. ورُضوان مصدر رضِي يرضى رُضًا ورُضوانًا ففرق بين الاسم والمصدر.

وأما من قرأ بالكسر فقد جاء به على لغة أهل الحجاز، وهما لغتان معروفتان[2].

ولا يتأثر المعنى باختلاف القراءتين وهو أن الله تعالى صغّر أمر الدنيا وزهَّد فيها ورغّب في الآخرة فقال: يا محمد أأُخبركم بخير من هذه الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار وبعد هذه الجنات بما فيها من نعيم رضوان من الله تعالى.

(حج) من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ آل عمران/٩٧.

قرأ حفص وحمزة والكسائي بكسر الحاء (حِجُّ البيت). وقرأ الباقون بفتح الحاء (حَجُّ البيت)[3]

الحجُّ لغة القصد. وحجه يحجُّه حَجًّا: قصده. جاء في لسان العرب: (قال ابن السكيت: هذا الأصل ثم تعورف استعماله في القصد إلى مكة للنسك والحج إلى البيت خاصة. تقول: حَجَّ يَحُجُّ حَجًّا. والحج: قصد إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضًا وسنةً.

قال سيبويه: حجَّه يَحُجُّه حِجًّا، كما قالوا: ذكره ذِكرًا.

قال الأزهري: الحَجُّ قضاء نسك سنةٍ واحدةٍ، وبعض يكسر الحاء فيقول: الحِجُّ والحِجَّة.)[4]

والفتح أصل المصدر. وقيل: الفتح المصدر والكسر الاسم. وقيل: هما لغتان بمعنىً. الفتح لغة أهل الحجاز وبني أسد. والكسر لغة أهل نجد[5].

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الحج حقٌّ واجب لله تعالى في رقاب الناس[6].

(قرح) من قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ آل عمران/١٤٠.

قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم (قُرْحٌ) بضم القاف. وقرأ الباقون (قَرْحٌ) بفتح القاف[7].

---

(١) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٢٢/٣.

(٢) حجة القراءات لأبي زرعة ص ١٥٧.

(٣) التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ٩٠.

(٤) لسان العرب لابن منظور (حجج) (٧٧٨/٢-٧٧٩).

(٥) حجة القراءات لأبي زرعة ص١٧٠ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (٢٥٣/١-٢٥٤).

(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر الزمخشري ٤١٨/١ نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت. ط/٢ سنة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(٧) التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص (٩٠).

قَرَحَه يقرَحُه قَرْحًا: جرحه وشقه، فعل متعدٍّ. القَرْحُ والقُرح عض السلاح ونحوه، أو بالفتح الآثار بعينها، وبالضم ألمها وحرقها[1].

وقال أبو علي الفارسي: (أكثر الناس على أن القراءتين بمعنى الجراحات بلغتين كالضَّعْف والضُّعف والكَرْه والكُره. ومن قال: إن القَرح الجراحات بأعيانها، والقُرح ألم الجراحات قُبِل ذلك منه إذا أتى فيه برواية، لأن ذلك مما لا يُعلم بالقياس.)[2]

فمن قرأ بضم القاف جعله ألم الجراحات ومن قرأ بفتح القاف جعله الجراحات بعينها.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح ويسير يمكن أن نجمع دلالتيه بمعنى مشترك هو: إن كانوا نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم يوم بدر ثم لم يضعفوا أن قاتلوكم بعد ذلك فلا تضعفوا أنتم.[3]

(الرُّعْب) من قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ آل عمران/١٥١.

قرأ ابن عامر والكسائي (الرُّعُب بضم العين حيث وقع وأسكنها الباقون "الرُّعْب")[4] رَعَبَه يَرْعَبُه رَعْبًا ورُعْبًا: خوَّفه فهو مرعوب ورعيب. ورَعَب الرجل خاف. لازم ومتعدٍّ والرُّعْب والرُّعُب: الفزع.[5]

قيل هما لغتان فاشيتان كالسُحْت والسُّحُت. وقيل الأصل السكون وضُمّ إتباعًا كالقُبْح والقُبُح. فمن قرأ بالسكون جاء على الأصل. وقيل الأصل الضَّم وسُكِّن تخفيفًا كالرُّسُل والرُّسْل.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى خذل الكافرين بعد أن كانوا ظاهرين يوم أحد بإلقاء الرعب في قلوبهم فانهزموا إلى مكة من غير سبب من المسلمين.[6]

(قيامًا) من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ النساء/٥.

قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وأبو عمرو (قيامًا) بألف. وقرأ نافع وابن عامر (قِيَمًا) بغير ألف[7].

أما من قرأ بالألف فقد جعله مصدرًا، قام يقيم قيامًا. قال أبو عبيدة: (التي جعل الله لكم قيامًا، مصدر يقيمكم ويجيء في معناها قِوَام، وإنما هو الذي يقيمك، فإنما أذهبوا الواو لكسرة القاف كما قالوا: ضياء وتركها بعضهم.

---

(1) تاج العروس للزبيدي مادة (قرح) ٢/ ٢٠٤.

(2) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي٣/٧٩.

(3) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/٣٥٦، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٦٢/٣.

(4) التيسير في القراءات السبع لأبي عمر الداني ص(٩١).

(5) تاج العروس للزبيدي مادة (رعب) ٣٧١/١.

(6) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٦٠/١ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٧٧/٣.

(7) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٤٩.

قال لبيد:

أفتلك أم وحشية مسبوعة خذلت وهادية الصوار قِوامها)[1]

وقال الأخفش: (في المصدر ثلاث لغات: القوام والقيام والقيم.)[2]

وأما من قرأ بغير ألف (قِيَمًا) فقد جعله بعضهم جمع (قيمة) كدِيَم جمع ديمة كما ذهب إلى ذلك بعض البصريين وعلى هذا يكون المعنى: أموالكم التي جعلها الله قيمة لأمتعتكم ومعايشكم. وقد رد ذلك أبو علي الفارسي بأن (قِيَما) مصدر في معنى القيام بدليل قوله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الأنعام/١٦١. قال: (فالقيمة التي هي معادلة الشيء ومقاوَمته لا مذهب له هنا. إنما المعنى والله أعلم: دينًا ثابتًا دائمًا لازمًا لا ينسخ كما تنسخ الشرائع التي قبله.. فقوله: (دينًا قيمًا) ينبغي أن يكون مصدرًا وصف به الدين ولا وجه للجمع هنا، ولا للصفة، لقلة مجيء هذا البناء في الصفة.)[3]

وقد قيل: إن قَيَمًا مصدر بمعنى القيام لغة فيه من قام بالأمر، ومنه ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ البقرة/٣ أي يدومون عليها. وقد ذهب الأخفش إلى أن القياس تصحيح الواو وقد اعتلت على وجه الشذوذ كقولهم ثِيَرة وقول بني ضبة طيال في جمع طويل.[4]

والذي يراه الباحث أن كلا اللفظين مصدر كما بينه أبو على الفارسي. وعلى هذا فإنه لا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: لا تؤتوا السفهاء أموالكم التي هي صلاح للحال وثبات له.

(كرها) من قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ النساء/١٩.

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو (كَرْهًا) بفتح الكاف. وقرأ حمزة والكسائي (كُرْهًا) بالضم.[5]

كَرِهَ الشيء يكرَهُه كَرْهًا وكُرْهًا وكَرَاهةً وكَرَاهِيَةً بتخفيف الياء ومَكْرَهَةً ومَكْرُهَةً ضد أحبه فهو كَارِهٌ والشيء مَكْرُوه. وكَرُهَ الأمر والمنظر يَكْرُه كَرَاهَةً وكَرَاهِيَةً قَبُح فهو كَرِيه[6].

أجمع كثير من أهل اللغة أن الكَره والكُره لغتان إلا الفراء فإنه زعم أن الكُره بضم الكاف ما أكرهت نفسك عليه. والكَره بالفتح ما أكرهك غيرك عليه. تقول جئتك كُرهًا، وأدخلتني كَرهًا. قال ابن بري: يدل على صحة قول الفراء قوله سبحانه: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ آل عمران/ ٨٣ ولم يقرأ أحد بضم الكاف. وقال سبحانه وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى ١١٧/١ تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة بدون تاريخ.

(2) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ١٣٠/٣.

(3) السابق ١٣١/٣.

(4) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٦٧/١ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٧٠/٣ وفتح القدير للشوكاني ٣٩٩/١-٤٠٠.

(5) التيسير في القراءات السبع للداني ص (٩٥).

(6) تاج العروس للزبيدي مادة (كره) ٤٠٨/٩.

﴿كُرْهٌ لَّكُمْ﴾البقرة/٢١٦ ولم يقرأ أحد بفتح الكاف. فيصير الكَره بالفتح، فعل المضطّر، والكُره بالضم، فعلَ المختار.[١]

وبحسب هذا، فإن ما أجمع القراء على ضم كافه يفيد أنه فعل مكروه يصدر عن مختار. وما أجمعوا فيه على نصب الكاف يفيد أنه فعل مكروه يصدر عن مضطر ليس له خيار.

وانتصب كرهًا على أنه مصدر في موضع الحال من النساء فيقدر باسم فاعل أي كارهات أو باسم مفعول مكرهات.[٢]

وقال ابن عباس: كان أولياء الميت أحق بالمرأة من أهلها، إن شاءوا تزوجها أحدهم بغير صداق إلا الصداق الذي أصدقها الميت. وإن شاءوا زوجوها غيرهم أو منعوها. وقال السدّي: إن سبق الولي فوضع ثوبه عليها كان أحق بها أو سبقته إلى أهلها كانت أحق بنفسها[٣].

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح، وهو النهى عن أخذ النساء المخلفات عن الموتى في حال الطوع والكراهة ولا يجوز أن يورثن حتى في حال الطوع.

(مدخلاً) من قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ **النساء/٣١.**

قرأ نافع بفتح الميم (مَدْخلاً) وقرأ الباقون بضمها (مُدخلاً)[٤].

أما من فتح الميم فقد جعله مصدرًا لفعل ثلاثي مضمر دلّ عليه الرباعي المذكور في الكلام وهو (ندخلكم) والتقدير: ندخلكم فتدخلون مَدخلاً أي دخولاً فدخول ومَدْخل مصدران للثلاثي بمعنى واحد. ويجوز أن يكون مكانًا أي نُدخلكم مكانًا. قال في لسان العرب: (المَدخل بالفتح الدخول. وموضع الدخول أيضًا. تقول: دخلت مَدخلاً حسنًا.. والمُدخل بضم الميم: الإدخال والمفعول من أدخله تقول: أدخلته مُدخل صدق)[٥].

وأما من ضم الميم فقد جعله مصدرًا للفعل المذكور قبله وهو (ندخلكم) ولم يحتج إلى إضمار فعل ثلاثي فنصبه على المصدر. قال مكي بن أبي طالب: (الميم في حركتها كحرف المضارعة في حركته، إن كان مفتوحًا فتحت الميم وان كان مضمومًا ضممت الميم)[٦].

ذلك أن مُدْخلاً بضم الميم مصدر أدخل يُدخل بضم ياء المضارعة للرباعي، ومَدخلاً مصدر دَخل يَدخُل بفتح ياء المضارعة للثلاثي.

وفي حالة جعله مصدرًا للفعل (ندخلكم) المذكور قبله يكون في الكلام مفعول محذوف، لأن الفعل (دخل) لما نقل إلى الرباعي تعدى إلى مفعول تقول: دخلت في دار زيد. وأدخلت عمرًا في

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (كره) (٣٨٦٥/٥).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٢٠٢/٣).

(٣) يراجع في ذلك الكشاف للزمخشري ٥٢٢/١. وفتح القدير للشوكاني ٥٠٧/١ والبحر المحيط لأبي حيان ٢٠٢/٣.

(٤) التيسير في القراءات السبع للداني ص٩٥.

(٥) لسان العرب لابن منظور مادة (دخل) ١٣٤١/٢.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٨٧/١.

دار زيد. فأصل دخلت ألاّ يتعدى بنفسه لأن نقيضه خرجت لا يتعدى، وحكى النحويون: دخلت الدار، فعدوه بغير حرف شذوذًا والتقدير: (ويدخلكم الجنةَ مُدخلاً كريمًا) أي إدخالاً فمُدخل وإدخال مصدرين للفعل (أدخل) كما كان (دخول ومَدخل) بفتح الميم مصدرين للفعل (دخل).

ويجوز أن يكون مُدخل بالضم مكانًا ويتعدى إليه ندخلكم تعديه إلى المفعول فلا تضمر مفعولاً آخر، وحسن ذلك لنعته بالكريم.

وكلا اللفظين يصلح أن يكون مصدرًا أو اسم مكان وهو الجنة إلا أن دلالة أدخل تفيد معالجة في الدخول بخلاف دلالة دخل فتعني مجرد الدخول[1].

(بالبخل) من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾النساء/٣٧.

قرأ حمزة والكسائي (بالبَخَل) بفتحتين. وقرأ الباقون (بالبُخْل) بضم الباء وإسكان الخاء[2].

هما لغتان مشهورتان، وفيه لغة ثالثة هي فتح الباء وإسكان الخاء (البَخْل) قال سيبويه: (وقالوا بَخِل يَبْخَلُ بُخْلاً. فالبُخْل كاللُّؤم، والفعل كفعل شَقِيَ وسَعِدَ. وقالوا بخيل. بعضهم يقول: البَخْل كالفَقْر والبُخْل كالفُقْرِ، وبعضهم يقول: البَخَل كالكَرَم.)[3]

ففي هذا النص حكي سيبويه ثلاث لغات في هذا اللفظ هي: البُخْل بضم فسكون. والبَخْل بفتح فسكون. والبَخَل بفتحتين، وقد قرئ باثنتين منها: البُخْلُ والبَخَل.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى عاب اليهود ببخلهم بذات أيديهم وبما في أيدي غيرهم من الذين كانوا يتنصحون لهم بألا ينفقوا أموالهم، وتوعدهم الله بالعذاب المهين على هذا الشح[4].

(السلام) من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ النساء/٩٤.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي (السلام) بفتح اللام وألف بعدها.

وقرا نافع وابن عامر وحمزة (السَّلَمْ) بفتح اللام من غير ألف.

وقرأ أبان عن يزيد بن أحمد العطار عن عاصم (السِّلْم) بكسر السين وتسكين اللام[5].

السلام: مصدر تقول: سَلِمَ من العيوب والآفات يَسْلَمُ سلامًا وسلامةً أي نجا وبرئ منها. والسلام اسم من التسليم كالكلام من التكليم[6].

---

(1) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/٣٨٦-٣٨٧. والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣/١٥٣-١٥٥. وإملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء العكبري. نشر دار الكتب العلمية-بيروت ط/١ سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(2) التيسير للداني ص٩٦.

(3) الكتاب لسيبويه ٤/٣٤.

(4) الكشاف للزمخشري ١/٥٤٢.

(5) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٣٦ والحجة للقراء السبعة للفارسي٣/١٧٥-١٧٦.

(6) تاج العروس للزبيدي مادة (سلم) ٨/٣٣٩-٣٤٠.

والسَّلَمْ: هو الانقياد وهو مصدر يقع على الواحد والاثنين والجمع، أسلم نفسه وأسلما نفسيهما وأسلموا أنفسهم. وهو الاستسلام والإذعان ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾النحل/٨٧. وقوله سبحانه: ﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾ الزمر/٢٩ أي منقادٌ له[١].

والسِّلْم: بكسر السين وسكون اللام هو الإسلام والإسلام مصدر أسلم أي صار سِلْمًا وخرج عن أن يكون حربًا ومن ذلك قول الشاعر:[٢]

فإن السِّلْم زائدةٌ نوالاً   وإن نوى المحارب لا تؤوب

أما من قرأ (السلام) فقد حمله على أحد أمرين:

أحدهما: السلام الذي هو تحية الإسلام، أي لا تقولوا لمن ألقى إليكم هذه التحية إنه قالها تعوذًا، فتقتلوه ولكن كفوا عنه.

والثاني: لا تقولوا لمن سالمكم وكف عنكم يده لست مؤمناً فتقاتلوه.

وأما من قرأ (السَّلَم) فقد حمله على الانقياد والاستسلام، فيكون المعنى: لا تقولوا لمن استسلم إليكم لست مؤمنا فتقتلوه حتى تتبينوا أمره.

ومن قرأ (السِّلْم) فقد أراد الإسلام ويكون المعنى: لا تقولوا لمن صار سِلْمًا غير محارب لست مؤمنًا حتى تتبينوا أمره.

وأثر اختلاف القراءات على المعنى يسير كما هو واضح ويؤيد ذلك سبب نزول الآية فقد ذكره الإمام السيوطي في الدُر المنثور قال: (أخرج ابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير والطبراني وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أضم فخرجت في نفر من المسلمين فيهم الحرث بن ربعي أبو قتادة، ومحلم بن جثامة بن قيس الليثي فخرجنا حتى إذا كنا ببطن أضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له معه متيع له وقطب من لبن فلما مرّ بنا سلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه وحمل عليه ملحم بن جثامة لشيء كان بينه وبينه فقتله وأخذ بعيره ومتاعه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا القرآن: (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله..).[٣]

(شنآن) من قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ﴾ المائدة/٢.

قرأ نافع في رواية إسماعيل، وابن عامر وشعبة عن عاصم (شَنْآن) بإسكان النون. وقرأ الباقون: (شَنَآن) بفتح النون[٤].

هما مصدران للفعل شَنِئَ وشَنَأ يَشْنَؤُهُ فيهما شَنْأً وشُنْأً وشِنِأً، وشَنَاءَةً ومَشْنَأً ومَشْنَأَةً ومَشْنُؤَةً

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (سلم) ص ٢٠٧٩/٣.

(٢) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ١٧٧/٣.

(٣) الدُّرُ المنثور في التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطي٢٢٣/٢ نشر المكتبة الأزهرية للتراث بدون تاريخ.

(٤) حجة القراءات لأبي زرعة ص ٢١٩-٢٢٠.

وشَنَآنًا وشَنْآنًا بالتحريك والتسكين: أبغضه[1].

أما من قرأ بتسكين النون (شنْآن) فيجوز أن يكون مصدرًا كليَّان ووَشْكان وسَرْعان. قال سيبويه: (وقالوا: لويته حقه لَيَّانًا على فَعْلان)[2].

وقال أبو علي: (.. فيجوز على هذا أن يكون شنْآن فيمن أسكن النون مصدرًا كاللّيان فيكون المعنى: لا يجرمنكم بُغض قوم كما كان التقدير فمن فتح كذلك.)[3]

وقد يكون صفة كسَكْران وعطْشان، بَغْضان أي بغيض بمعنى مُبغِض من فعلان بمعنى مُفْعِل اسم فاعل.

وأما من قرأ بفتح النون (شَنَآن) فهو مصدر لأن المصادر مما أوله مفتوح جاء أكثرها محركًا مثل غلي غليانًا وضرب ضربانًا. والإسكان قليل، وإنما يجيء في المضموم والمكسور مثل شُكْران وكُفْران وحِرْمان وقال الفراء: الشَّنْآن بالإسكان الاسم والشَّنَآن المصدر[4].

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح فالمعنى على اعتبار اللفظ مصدرًا: لا يُكسبنكم بُغض قوم لأن صدّوكم عن المسجد الحرام الاعتداء عليهم والانتقام منهم. والمصدر هنا مضاف إلى المفعول أي بغض قوم منكم لا بغض قوم لكم. وباعتباره اسم فاعل: لا يُكسبنكم بغيض قوم لأن صدّوكم الاعتداء عليهم.

(السحت) من قوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ المائدة/٤٢.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (السُّحُت) بضم الحاء.

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة (السُّحْت) ساكنة الحاء.

وروى العباس بن الفضل عن خارجة عن نافع (السَّحْت) بفتح السين وسكون الحاء[5].

سَحَتَ الرجل يَسْحَتُ سَحْتًا: اكتسب السُّحْت، فالسَّحْتُ مصدر والسُّحْت والسُّحُت لغتان في اسم الشيء المسحوت. وهو الحرام أو ما خبُث وقَبُح من المكاسب فلزم عنه العار كثمن الكلب والخنزير والرشوة وغيرها[6]. أما القراءتان بضم الحاء (السُّحُت) وإسكانها (السُّحْت) فهما لغتان في الشيء المسحوت كما مر.

وأما القراءة بفتح السين وإسكان الحاء (السَّحْت) فهي من قبيل إيقاع اسم المصدر على المفعول كما أوقع الضرب على المضروب في قولهم: هذا الدرهم ضربُ الأمير. والصيد على المصيد في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ المائدة/ ٩٥[7].

---

(1) لسان العرب لابن منظور مادة (شَنَأ) ٢٣٣٥/٤.

(2) الكتاب لسيبويه ٩/٤.

(3) الحجة للقراء السبعة للفارسي ١٩٨/٣.

(4) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٠٤/١ وحجة القراءات لأبي زرعة ص ٢٢٠ وإملاء ما منّ به الرحمن للعكبرى ٢٠٦/١ والكشاف للزمخشري ٦٣٧/١ والبحر المحيط لأبي حيان ٤٢٢/٣.

(5) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٤٣.

(6) محيط المحيط لبطرس البستاني مادة (سحت) ص ٢٩٩.

(7) الحجة للقراء السبعة للفارسي ٢٢٢/٣.

وعلى هذا فإنه لا أثر لاختلاف القراءات على المعنى وهو أن الله تعالى وصف اليهود بهذه الصفات الذميمة وهي ما يدور بينهم من الكذب وأكلهم ما خَبُث وقبح من المكاسب وهو الحرام.

(قيامًا) من قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ المائدة/٩٧.

قرأ ابن عامر (قِيَمًا) بغير ألف وقرأ الباقون (قيامًا) بالألف[1].

أما من قرأ (قيامًا) بالألف فقد جعله مصدر (قام) يقوم قيامًا كالصيام أي سببًا لقيام دينهم ومعاشهم.

وأما من قرأ بغير ألف (قِيَمًا) فقد قال الزجاج إن قِيَمًا مصدر كالصِّغَر والكِبَر إلا أنه اعتل لاعتلال فعله فلم يُقل (قِوَمًا) مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ الكهف/ ١٠٨. لأن قِيَمًا من قولك قام قِيَمًا فلأن (قام) كان في الأصل قَوَمَ أو قَوُم، فصار قام بعد أن قلبت واوه ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فاعتل المصدر لذلك فصار (قِيَمًا)، وأما حِوَل فإنه جارٍ على غير فعل[2].

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: جعل الله حج الكعبة قيامًا، أو نَصْبَ الكعبة قيامًا أي: قاموا بنصب البيت فاستتبَّت معايشهم به واستقامت أحوالهم له، أو يقومون فيه بما يصلح دينهم ودنياهم[3].

(سحر) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ المائدة/١١٠.

قرأ حمزة والكسائي (ساحر) بالألف. وقرأ الباقون (سحر) بغير ألف[4].

السحر مصدر سحره يسحرُه سَحْرًا وسِحْرًا، وسَحَّرَه، ورجل ساحر من قوم سَحَرَه وسُحَّار. وسَحَّار من قوم سَحَّارين ولا يُكسَّر. والسِّحْرُ عمل تُقُرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، ومن السحر الأُخَذَةُ التي تأخذ العين حتى يُظن أن الأمر كما يُرى وليس الأصل على ما يرى، والسحر البيان في فطنة وكل ما لَطُف مأخذه ودقّ فهو سحر[5].

أما من قرأ بغير ألف (سحر) فقد جعل الإشارة إلى ما جاء به عيسى عليه السلام، فأخبر عنهم بأنهم جعلوه سحرًا. ويجوز أن تكون الإشارة إلى النبي عيسى عليه السلام على تقدير حذف مضاف والتقدير: إنْ هذا إلا ذو سحر فتلتقي القراءتان، ومثل هذا الحذف كثير في القرآن الكريم.

وأما من قرأ بألف (ساحر) فقد جعل الإشارة إلى النبي عيسى عليه السلام فأخبر بأن كفار بني إسرائيل نسبوه إلى السحر فأخبر عن الاسم باسم الفاعل وهو بابه.

---

(1) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٤٨.

(2) لسان العرب لابن منظور مادة (قَوَم) ٣٧٨٥/٥.

(3) الحجة للقراء السبعة للفارسي ٢٥٨/٣-٢٥٩، وفتح القدير للشوكاني ٩٠/٢.

(4) التيسير في القراءات السبع للداني ص ١٠١.

(5) لسان العرب لابن منظور مادة (سحر) ١٩٥١/٣.

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: إذا كان بعده (مبين) فهو سحرٌ وإذا كان بعده (عليم) فهو ساحر. وقال مكي: والمبين يصلح للسحر وللساحر فلا حجة له في ذلك فأما (عليم) فلا يكون إلا للساحر(١).

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح فالمعنى على القراءة بغير ألف (سحر) أن الكافرين من بني إسرائيل وصفوا ما جاء به عيسى عليه السلام بأنه سحر لما عظم في نفوسهم وانبهروا به.

وعلى القراءة بالألف (ساحر) أنهم نسبوا عيسى عليه السلام إلى السحر فقالوا: إنه ساحر.

وتتداخل القراءتان إذا قدرنا حذف مضاف فيكون المعنى ما هذا إلا ذو سحر(٢).

(بزعمهم) من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ﴾ الأنعام/١٣٦.

قرأ الكسائي بضم الزاي (بزُعمهم) وقرأ الباقون (بزَعمهم) بفتح الزاي(٣).

الزَّعْمُ والزُّعْمُ والزِّعْمُ ثلاث لغات في مصدر زَعَمَ يَزْعُم أي قال يقول. والزَّعم: الكذب(٤).

قيل الضم لغة بني أسد. والفتح لغة أهل الحجاز وهما مصدران. وقيل الفتح في المصدر (الزَّعمُ) والضم في الاسم فمن قرأ بالفتح (بزَعمهم) فقد جعله مصدرًا. ومن قرأ بالضم (بزُعمهم) جعله اسمًا(٥).

ولا اثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الكفار كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء لآلهتهم، فإذا رأوا ما جعلوه لله قد زكا ونما رجعوا فجعلوه لآلهتهم. زعموا ذلك كذبًا والله لم يأمرهم به(٦).

(حصاده) من قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ الأنعام/١٤١.

قرأ ابن عامر وعاصم وأبو عمرو (حَصاده) بفتح الحاء. وقرأ الباقون (حِصَاده) بكسر الحاء(٧).

وهما لغتان مشهورتان مثل الصَّرام والصِّرام وهو مصدر، قال سيبويه: (وجاءوا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال فِعَال وذلك: الصِّرام والجِزَاز والجِداد والقِطَاع والحِصَاد. وربما دخلت اللغة في بعض هذا فكان فيه فِعَالٌ وفَعَالٌ..)(٨)

---

(١) يراجع في ذلك الحجة للقراء السبعة للفارسي ٢٧٢/٣ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٢١/١.

(٢) فتح القدير للشوكاني ٩١/٢.

(٣) التيسير في القراءات السبع للداني ص ١٠٧.

(٤) لسان العرب لابن منظور مادة (زعم) ١٨٣٤/٣، ١٨٣٦.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٥٣/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٢٧/٤.

(٦) الكشاف للزمخشري٦٤/٢.

(٧) التيسير في القراءات السبع للداني ص ١٠٧.

(٨) الكتاب لسيبويه ١٢/٤.

فهما على ذلك لغتان والكسر عند سيبويه هو الأصل. وقال الفراء: بالكسر حجازية، وأهل نجد وتميم بالفتح.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن يعطى الحق من الثمر يوم حصاده وهو ما يتصدق به يوم الحصاد يعطى لمن حضر من اليتامى والمساكين.

(قيما) من قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾الأنعام/١٦١.

قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (قِيَمًا) مكسورة القاف مفتوحة الياء مع التخفيف وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (قَيِّمًا) بفتح القاف وكسر الياء مشدَّدة(١).

وجه قراءة من قرأ (قِيَمًا) بكسر القاف وفتح الياء مخففة أنه جعله مصدرًا كالصِغَر والكِبَر، لأن قِيَمًا من قولك قام قِيَمًا، وقام كان في الأصل قوَمَ فقلبت الواو ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت قام، فلما اعتل الفعل اعتل المصدر تبعًا له فصار قِيَمًا، وكان القياس ألا يعل هذا المصدر كما لم يعل (عِوَضًا) و(حِوَلاً) فإعلاله على غير القياس وأصل الياء فيه واو ودينًا قيمًا يعني مستقيمًا(٢).

ووجه قراءة من قرأ بفتح القاف وتشديد الياء المكسورة (قَيِّما) أنه جعله وصفًا للدين، وأصل (قَيِّمًا) (قَيْوِم) على وزن (فَيْعِل) جاءت الواو مكسورة إثر ياء ساكنة فقلبت ياء فصارت (قَيْـيم) فاجتمعت ياءان وسبقت إحداهما بالسكون فادغمتا فصار (قَيِّم) ومعنى قيِّم مستقيم أي دينًا مستقيمًا لا عوج فيه(٣).

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله أرشدني إلى صراط مستقيم ودينًا مستقيمًا و(دينًا) منصوب بفعل مضمر يدل عليه الفعل هداني أو عرّفني (قِيَمًا) مصدر وصف به مبالغة في استقامة الدين وقِيَمًا وقيِّمًا بمعنى واحد(٤).

(محياي ومماتي) من قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾الأنعام/١٦٢.

قرأ جمهور القراء (محيايَ) محركة الياء و(مماتيْ) ساكنة الياء. وقرأ نافع (محيايْ) ساكنة الياء و(مماتِيَ) بفتح الياء(٥).

المحيا والممات: (مَفْعَل) من الحياة والموت ويقع على المصدر واسم الزمان واسم المكان.(٦)

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٧٤ والتيسير في القراءات السبع للداني ص ١٠٨.

(٢) يراجع في ذلك: لسان العرب لابن منظور مادة (قَوَمَ) ٣٧٨٥/٥. ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ص ٢٦٣ تحقيق ياسين محمد السواس، نشر دار اليمامة، دمشق وبيروت ط/٣ سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٣) يراجع في ذلك: الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٥٨/١-٤٥٩ وحجة القراءات لأبي زرعه ص٢٧٩ والحجة للقراء السبعة للفارسي ٤٣٩/٣.

(٤) فتح القدير للشوكاني ٢١٠/٢.

(٥) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٧٤.

(٦) لسان العرب لابن منظور مادة (حيا) ١٠٧٦/٢.

والياءان في كل من (محياي) و(مماتي) من ياءات الإضافة وهما اسمان مضمران وفي ياء الإضافة أربع لغات: فتح الياء على أصل الكلمة، وإسكانها تخفيفًا، وإثبات الهاء بعد الياء، والحذف تقول: (هذا غلاميَ) و(غلاميْ، وغُلاميَه وغلامِ).

فأما من قرأ بفتح الياء في الكلمتين فقد جاء به على أصل الكلمة وذلك لأن الياء اسم المتكلم، والاسم لا يخلو من أن يكون مضمرًا أو مظهرًا، فإن كان مظهرًا أُعرب، وإن كان مضمرًا بني على حركات كالبناء على الفتح في الكاف من قولك: (ضربتكَ) أو على الضم من قولك (قمتُ). وكذلك ياء المتكلم يجب أن تكون مبنية على حركة لأنها اسم مضمر والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ مَآأَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴾الحاقة/٢٨،وقوله: ﴿ حِسَابِيَهْ ﴾الحاقة/٢٦ لأن الهاء إنما أُتِيَ بها للسكت لتُبيَّن بها حركة ما قبلها.

وأما من قرأ بإسكان الياء فإنه عدل بها عن أصلها استثقالاً للحركة عليها لأن الياء حرف ثقيل فإذا حُرِّك ازداد ثقلاً إلى ثقله[1].

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: قل إن عبادتي وتقرُّبي كله وما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح خالصة لوجه الله تعالى[2].

---

(1) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٥٩/١ وحجة القراءات لأبي زرعة ص٩٣-٩٤.

(2) الكشاف للزمخشري ٨٠/٢.

المبحث الثاني

الاختلافات الصرفية في صيغ الصفات وأثرها الدلالي

فيما يلي بيان باختيارات القراء من الصيغ الواردة في عدد من الصفات وأثر ذلك على المعنى وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم. وهي فرعان:

الفرع الأول: الصفات الواردة بلفظ المفرد:

(مالك، ملك) من قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾الفاتحة/٤.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة (مَلِك) بغير ألف.

وقرأ عاصم والكسائي (مالك) بألف.[١]

أما (مَلِك): على وزن فَعِل فصفة مشبهة من المُلك وهي من مَلَكَ يَمْلُكُ مُلكًا. والمُلك هو القهر والتسلط على من تتأتّى منه الطاعة ويكون ذلك باستحقاق وبغير استحقاق. والمَلِكُ: القادر الذي له السياسة والتدبير.

وأما (مالك) على وزن فاعل فاسم فاعل من المِلْك، فهو من مَلَكَ يَمْلِكُ مِلْكًا. والمِلْكُ هو احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به. والمالك القادر على التصرف في ماله وله أن يتصرف فيه على وجه ليس لأحد منعه منه[٢].

ومَلِكِ بجر الكاف، يكون جره على الصفة أو البدل من (الله) لكونه معرّفًا بالإضافة المحضة إلى (يوم) ولا حذف فيه على هذا.

وأما (مالكِ) فإنه يجر على البدل، لا على الصفة لأن اسم الفاعل إذا أريد به الحال أو الاستقبال لا يتعرف بالإضافة فهو على هذا نكرة، والمعرفة لا توصف بالنكرة وفي الكلام حذف تقديره: مالك أمر يوم الدين أو مالك يوم الدين الأمرَ.[٣]

وحجة من قرأ ملك بغير ألف إجماعهم على قوله تعالى: ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ الحشر/٢٣ و﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ ﴾طه/١١٤ و﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾الناس/٢.

وحجة من قرأ مالك بألف إجماعهم على قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾آل عمران/ ٢٦ و﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا ﴾الانفطار/١٩ بكسر اللام في (تملِك) وذلك يدل على مالك ولو قال: (تملُك) لضم اللام لدل على ملك[٤].

وأثر الاختلاف بين القراءتين على المعنى يتمثل في أيّ اللفظين أمدح لذات الله تبارك وتعالى. فقد روى الفارسي عن أبي عمرو أنه قال: إن (مَلِك) يجمع مالكًا أي ملك ذلك اليوم بما فيه، و(مالك) إنما يكون للشيء وحده، تقول: هو مالك ذلك الشيء. وقد روى أبو زرعة عن أبي

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ص ١٨.

(٢) يراجع في ذلك: لسان العرب لابن منظور مادة (ملك) ٤٢٦٧/٦ والبحر المحيط لأبي حيان ٢١/١.

(٣) إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء العكبري ص٦ نشر دار الكتب العلمية بيروت ط/١ سنة١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م وانظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢١/١.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٥/١-٢٦.

عبيد القاسم بن سلاّم: (أن كل ملك فهو مالك وليس كل مالك ملكًا. لأن الرجل قد يملك الدار والثوب وغير ذلك فلا يسمى ملكًا وهو مالك)(١) وقد ذكروا أن الله تبارك وتعالى امتدح نفسه فقال: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾غافر/١٦ فامتدح بملك ذلك وانفراده به، فمدحه بما امتدح نفسه تعالى به أحق وأولى.

ويرى الذين اختاروا قراءة (مالك) أنها أمدح من (ملك) لأن مالكًا يحوي الملك ويشتمل عليه ويُصيِّر المُلك مملوكًا لقوله تعالى: (قل اللهم مالك الملك) كما أن مالكًا يضاف في اللفظ إلى سائر المخلوقات فيقال: (هو مالك الناس والجن والحيوان ومالك الرياح ومالك الطير وسائر الأشياء ولا يقال هو ملك الريح والحيوان) فلما كان ذلك كذلك كان الوصف بالمِلْك أعم من الوصف بالمُلْك لأنه يملك جميع ما ذكرنا وتحيط به قدرته ويحكم يوم الدين بين خلقه دون سائر خلقه(٢). ومهما يكن فالقراءتان صحيحتان حسنتان.

(بارئكم) من قوله: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾البقرة/٥٤.

قرأ أبو عمرو في رواية السوسي (بارئْكم) بإسكان الهمزة. وفي رواية الدوري باختلاس كسرة الهمزة. وقرأ الباقون (بارئِكم) بالكسرة الخالصة(٣).

إسكان الهمزة في مثل هذه الحال من لغات العرب وهكذا تفعل قبائل بني أسد وتميم وبعض قبائل نجد، ذلك أنهم اسكنوا هذه الحركة استخفافًا، حيث وردت في هذه الكلمة كسرتان أولاهما على الراء والثانية على الهمزة، ثم تلتهما ضمة الكاف فاستثقلوا ذلك. وإذا جاز إسكان حرف الإعراب وإذهابه في الإدغام للتخفيف فإسكانه مع الإبقاء عليه لذات العلة أولى(٤). وقد روى عن العرب (أراك منتفْخًا) بسكون الفاء وانشدوا للعجاج(٥)

وبات منتصْبًا وما تكردسا

حيث أسكن الصاد لتوالي الحركات. وقد كره ذلك سيبويه(٦).

وأما من قرأ باختلاس الكسرة وهو الإتيان بها خفيفة خافته فقد رأى في ذلك التوسط بين ثقل إظهارها وإخلال حذفها من جهة الإعراب.

وأما من أتم الحركة فقد أتى بالكلمة على أصلها مع إعطائها حقها من الحركات.

وليس ثمة أثر على المعنى بسبب اختلاف القراءات في هذه الكلمة(٧).

(رؤوف) من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾البقرة/١٤٣.

قرأ الحرميان ابن كثير ونافع، وابن عامر وحفص (لرؤوف) مهموزًا على وزن (فعول) حيث وقع وقرأ باقي السبعة (لرؤف) مهموزًا على وزن (فَعُل)(٨).

---

(١) يراجع في ذلك الحجة للقراء السبعة للفارسي ٩/١ وحجة القراءات لأبي زرعة ص٧٧-٧٨.

(٢) المرجع السابق ص ٧٨-٧٩.

(٣) التيسير للداني ص ٧٣.

(٤) إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للدمياطي ٣٩١/١-٣٩٢.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكب بن أبي طالب ٢٤١/١.

(٦) الكتاب لسيبويه ٣٠٨/٢.

(٧) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٤١/١-٢٤٢.

(٨) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ١٧١.

من رَأَف به يرأف ورئف ورَؤُفَ رأفةً ورآفةً والرأفة هي الرحمة وقيل أشد درجات الرحمة فهي أخفى من الرحمة[١].

القراءتان ثابتتان إلا أن حذف الواو أخف في القراءة وإثباته أكثر في الاستعمال فإن باب (فعول) أكثر استعمالاً من باب (فَعُل) وذلك نحو رجل ضروب وشكور أكثر من رجل حَذِر ومن باب فعول في هذا الوصف قول كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه[٢]:

نطيع نبينا ونطيع ربّاً   هو الرحمن كان بنا رؤوفا

ومن باب (فَعُل) منه قول جرير:[٣]

ترى للمسلمين عليك حقًا   كفعل الوالد الرؤف الرحيم

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى لا يضيع إيمان من آمن للطف رأفته وسعة رحمته، وتقدم المجرور (بالناس) اعتناءً بالمرؤوف بهم[٤].

(موصٍ) من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾البقرة/١٨٢.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص (مُوْصٍ) ساكنة الواو مخففة الصاد.

وقرأ حمزة والكسائي وشعبة (مُوَصٍّ) مفتوحة الواو مشددة الصاد[٥].

مُوْص بسكون الواو اسم فاعل من أوصى يوصى إيصاء فهو مُوْصٍ على وزن مُفْعِل ومُوَصٍّ بفتح الواو وتشديد الصاد اسم فاعل من وصَّى يُوصِّي توصية فهو مُوَصٍّ مُفَعِّل جاء من أوصى يوصي قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾النساء/١١ وقوله: ﴿مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا﴾ النساء/١٢. وجاء من وصَّى قوله تعالى: ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾ الشورى/١٣ وقوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ يس/٥٠ قال الكسائي: هما لغتان مثل: (أوفيت) و(وفّيت) و(أكرمت) و(كرَّمت). وقد فرّق أبو عمرو بين الوجهين فقال: ما كان عند الموت فهو (مُوْص). لأنه يقال: أوصى فلان بكذا. فإذا بعث في حاجة قيل وصَّى فلان بكذا. [٦]

هذا وقد وافقت قراءة حمزة والكسائي وشعبة في هذه الآية (مُوَصّ) بتشديد الصاد قراءتهم في آية البقرة/١٣٢﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾.

كما وافقت قراءة نافع وابن عامر في هذه الآية (مُوْصٍ) بالتخفيف قياس قراءتهم في آية البقرة حيث قرأ (وأوصى بها إبراهيم بنيه)[٧].

وأما ابن كثير وأبو عمرو وحفص فقد خالفت قراءتهم في هذه الآية (مُوْص) بالتخفيف قياس قراءتهم في آية البقرة (ووصَّى) بالتشديد ما يدل على أن القراءة سنة متبعة لا مجال فيها للرأي ولا للقياس اللغوي، وإنما هو السند والرواية.

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (رأف) ١٥٣٥/٣.

(٢) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٢٣٦.

(٣) ديوان جرير، ص ٤١٢.

(٤) الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٦٦/١، ٢٦٧ والبحر المحيط للأندلسي ٤٢٧/١ .

(٥) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٧٩.

(٦) يراجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٨٢/١، والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٢٧١/٢-٢٧٢ .

(٧) أنظر التيسير للإمام الداني، ص٧٧ .

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: أن من توقع أو علم ميلاً بالخطأ في الوصية أو تعمداً للحيف. فأصلح بين المُوصَى لهم بإجراء القسمة على نهج الشرع فلا إثم عليه في ذلك لأنه تبديل باطل بحق(١).

(الداع، دعان) من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ **البقرة/١٨٦.**

قرأ بإثبات الياء فيهما وصلاً فقط أبو عمرو وورش عن نافع (الداعي.. دعاني)

وقرأ الباقون بحذف الياء وصلاً ووقفًا (الداع.. دعان)(٢)

الداعي اسم فاعل من دعا يدعو دعاءً ودعوى (واوي) والداعي أصله الداعِوْ تطرفت الواو ساكنة اثر كسر فقلبت ياءً فصار الداعي.

فمن قرأ بإثبات الياء فقد جاء به على الأصل لأن الياء لام الكلمة فهي أصل تثبت وصلاً، وهي ياء المتكلم في دعاني فهم يثبتون الياء في الوصل عملاً بالأصل ويحذفونها في الوقوف اتباعًا لخط المصحف.

وأما من قرأ بحذف ياء الداعي فحجته اتباع خط المصحف لأنها بغير ياء فلا ينبغي مخالفة رسم المصحف، ولهم حجة أخرى وهي أنهم اكتفوا بالكسرة التي بقيت على العين للدلالة على الياء ولأن الكسرة تنوب عن الياء(٣).

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى يعطي من سأله ما سأله وهو تمثيل لحاله تبارك وتعالى في سهولة إجابته من دعاه وسرعة إنجاح حاجة من سأله(٤).

(كبير) من قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ **البقرة/٢١٩.**

قرأ حمزة والكسائي (كثير) بالثاء. وقرأ الباقون (كبير) بالباء(٥).

كَثُر الشيء يكثُر كَثْرَةً فهو كَثْرٌ وكثير وكُثَّار وكاثِرٌ وكَيْثَرٌ، والكثْرة عبارة عن السعة. وكَبِرَ في السن يَكْبَر كِبَرًا: طعن. وكَبُر في القدر يكبُر كِبَرًا وكُبْرًا وكَبَارَةً نقيض صغُر(٦).

أما من قرأ (كثير) فقد جعله من الكثرة حملاً على المعنى وذلك أن الخمر تُحدث مع شربها آثامًا كثيرة من اللغط والتخليط والسب والأيمان والتفريط في الفرائض وغير ذلك وقد عطف على ذلك (منافع للناس) فجمع المنافع يقابله جمع الآثام والجمع يوصف بالكثرة. أو لعل وصف إثمها بالكثرة لكثرة من يأثم بمباشرتها فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر ولعن معها عشرة من الناس ممن يباشرها.

---

(١) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ١٠٤/١ نشر دار الكتب العلمية بيروت. ط/١ سنة ١٤٠٨هـ -١٩٨٨.

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني ص٨٦.

(٣) يراجع في ذلك البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٧/٢ وحجة القراءات لأبي زرعة ص١٢٦، ١٢٧.

(٤) فتح القدير للشوكاني ١٨٤/١.

(٥) التيسير في القراءات السبع للداني ص٨٠.

(٦) تاج العروس للزبيدي مادة (كثر) ٥١٦/٣.

وأما من قرأ بالباء (كبير) فقد جعله من الكِبَر على معنى العِظَم، أي فيهما إثم عظيم ويقوي هذا قوله تعالى في ذات الآية: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾ بإجماع القراء. وقد أجمعوا على أن شرب الخمر من الكبائر فوجب أن يوصف إثمها بالكِبَر. وقد وصف الله تعالى الإثم بالعظم فقال تعالى: ﴿فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ النساء/٤٨كما قال: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ البقرة/٢١٧والفتنة هنا الكفر والكفر يشمل كل الآثام، فكل ذلك يقوي القراءة بالباء (كبير).

والقراءتان على كل الأحوال متداخلتان تؤديان معنى واحدًا إذ المعنى أن الخمر والميسر فيهما وزر عظيم وكثير بما ينقص من الدين ومنافع الناس وإثمهما أكبر من نفعهما فلا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى[1].

(موليها) من قوله تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾البقرة/١٤٨.

قرأ ابن عامر (مولاّها) بألف بعد اللام وقرأ الباقون (مولّيها) بالياء[2].

ولّى يولّي تولية. والتولية تكون إقبالاً ومنه قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ البقرة/١٤٤وتكون انصرافًا ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ التوبة/٢٥ فالتولية قد تكون بمعنى التولّي[3].

أما من قرأ (مولاّها) بالألف فقد جعله اسم مفعول من الفعل يولَّى المبنى للمجهول فعدى الفعل إلى مفعولين الأول قام مقام الفاعل والثاني الهاء في مولاها وهو ضمير يعود على الوجهة، أي الله يوليه إياها. والتقدير: لكل فريق وجهة الله مولّيه إياها.

وأما من قرأ (مولِّيها) فقد بني الفعل للمعلوم، للفاعل وهو الله عز وجل والمفعول الثاني محذوف والتقدير: ولكل فريق وجهة اللهُ مولّيها إياه.

ويجوز على هذه القراءة أن يكون (هو) ضمير (كل) والتقدير: لكلّ فريق وجهة هو موليها نفسه. وقد حذف المفعول الثاني لتقدم ذكره في أول الكلام. فوجهةٌ مبتدأ، ولكل جار ومجرور متعلق بمحذوف خبره. والتقدير لكل فريق وجهة وقد جاءت وجهة على الأصل. والقياس جهة مثل عِدِه وزِنة، والوجهة مصدر في معنى المُتوجَّه إليه كالخلق بمعنى المخلوق، وهي مصدر محذوف الزوائد لأن الفعل توجه أو اتجه والمصدر التوجه أو الاتجاه. وجملة: هو موليها مبتدأ وخبر في محل رفع صفة لوجهة.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير جدًا إذ إن المعنى على كلا القراءتين أن لكل فريق وجهة الله موليها إياه. والاختلاف اليسير هو أن الضمير المرفوع في قراءة (مولّيها) يحتمل أن يعود على (كل) فيكون أحد احتمالي هذه القراءة أنّ لكل فريق وجهةً هو موليها نفسه[4].

---

(1) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/٢٩١-٢٩٢ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١/١٥٨ وفتح القدير للشوكاني ١/٢٥٥.

(2) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٧٧.

(3) لسان العرب لابن منظور مادة (ولى) ٦/٤٩٢٥.

(4) يراجع في ذلك: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١/٤٣٧ وإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري ص ٦٨-٦٩ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/٢٦٧.

(الميت) من قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ آل عمران/٢٧.

قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص (الميِّت) بتشديد الياء. وقرأ الباقون (الميْت) بالتخفيف[1].

أما من قرأ بالتشديد (ميِّت) فقد جاء به على الأصل لأن أصل (ميِّت) هو (مَيْوِت) على وزن (فَيْعِل) عند البصريين اجتمعت الياء والواو وسبقت الأولى بالسكون فقلبت الواو ياءً وأدغمت الياء في الياء فصارت (ميِّت)، وقال الكوفيون: إن أصل (ميِّت) (مَوِيْت) على وزن (فَعِيْل) فلما أرادوا أن يعلوا عين الكلمة قدمت الياء الساكنة على الواو فانقلبت الواو ياء لاجتماعها مع الياء والسابق منهما ساكن ثم أدغمت الياء في الياء. وقد اعترض البصريون على الكوفيين بأنه لو كان وزنه (فَعْيلا) لوجب أن يصحح كما صحت نظائره من ذوات الواو نحو (طويل) و(عويل) و(قويم) فحيث إنه اعتل بالقلب والإدغام امتنع أن يُدعى أن أصله (فَعْيل) لمخالفة نظائره.

وأما من قرأ بالتخفيف فحجته أنه استثقل تشديد الياء مع كسرها في حال الإدغام فآثر الإعلال بالحذف والأصل (ميوت) على (فيعل) عند البصريين فقلبت الواو ياءً كما سبق فصار (مِيْيِت) بياءين فحذفت إحدى الياءين وهي الثانية عند البصريين والتي هي عين الكلمة فصارت (مَيْتًا) على وزن (فَيْل) وكما أعلت الواو هنالك بالإدغام أعلت هنا بالحذف[2].

والتخفيف والتشديد في هذه الكلمة لغتان فاشيتان وهما بمعنى واحد لأن (فيعِلاً) يجوز تخفيفه في المعتل بحذف إحدى ياءيه فيقال: هَيْن وهيِّن ولَيْن وليِّن ومَيْت وميِّت وقد جمع الشاعر عدي بن رعلاء الغساني بين اللغتين في قوله:[3]

ليس من مات فاستراح بمَيْتٍ   إنما المَيْتُ مَيِّتُ الأحياءِ

إنمـــا المَيْتُ من يعيــش كئيبًا   كاسفًا بالُه قليل الرجـــاءِ

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى يخرج الحيوان وهو حيٌّ من نطفة أو بيضة وهي ميتة. ويخرج النطفة أو البيضة من الحيوان وهي ميتة لتكون أصلاً للحياة. وقال بعضهم هو إخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن[4].

(مبينة) من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ النساء/١٩.

قرأ ابن كثير وشعبه عن عاصم (مُبَيَّنة) بفتح الياء وقرأ الباقون بالكسر (مبيِّنة)[5].

---

(1) التيسير في القراءات السبع للداني ص٨٧.

(2) يراجع في ذلك الكتاب لسيبويه (٤/٣٦٥-٣٦٦)، والإنصاف في مسائل الخلاق للأنباري (٢/٧٩٥)، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (٣٣٩/١)، وحجة القراءات لأبي زرعة/١٥٩ وإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري ص١٣٠.

(3) خزانة الأدب للبغدادي ١٨٧/٤.

(4) فتح القدير للشوكاني ٣٧٩/١.

(5) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٩٥.

أما من قرأ (مبيَّنة) بفتح الياء فقد جعلها اسم مفعول من الفعل (بيَّن) المتعدي والفاعل محذوف بمعنى أن صاحب الفاحشة كشف عنها وبَيَّن أمرها.

وأما من قرأ بكسر الياء (مبينِّة) فقد أضاف الفعل إلى الفاحشة فيكون (مبيِّنة) اسم فاعل من الفعل (بيَّن) المتعدي والمفعول محذوف والتقدير: مبيِّنة حال مرتكبها.

أو أنها اسم فاعل من الفعل (بيَّن) اللازم، لأن بَيَّن يكون متعديًا ولازمًا يقال: بان الشيءُ، وأبان واستبان، وبيَّن وتبيَّن بمعنى واحد أي ظهر. تقول: تبين الشيءُ تبيُّنًا اتضح وتبينته أنا أوضحته وفهمته، لازم ومتعدٍّ.[1]

فهي بالكسر أحد معنيين إما من الفعل المتعدي بمعنى مبيِّنة حال مرتكبها أو من الفعل اللازم بمعنى ظاهرة مكشوفة.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح فهي على فتح الياء تكون دلالتها أكثر إمعانًا في إتيان الفاحشة لأنها تحمل معنى المجاهرة بالمعصية لأن الفاحشة عندما يعلن عنها مرتكبها ويعمل على إظهارها يكون مجاهرًا بها وهو أعظم ذنبًا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل أمتي معافى إلا المجاهرين) متفق عليه.

والمعنى على كسر الياء يكون على أحد وجهين إما أن تكون من الفعل اللازم بيّن فهي حينئذٍ بمعنى ظاهرة واضحة. أو من الفعل المتعدي ومعناها مبيِّنة لحال مرتكبها.

والمعنى العام للآية أنه لا يحل أن تحبس النساء مع عدم الرغبة فيهن بل لقصد أن يذهبوا ببعض ما أوتين من المهر يفتدين به من الحبس، إلا إذا ارتكبن فاحشة فيجوز حينئذٍ مخالعتهن بأن ترد الواحدة ما أعطى لها من مهر وخلافه[2].

(قاسية) من قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾المائدة/١٣.

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر (قاسية) بألف وبتخفيف الياء.

وقرأ حمزة والكسائي (قَسِيَّة) بغير ألف[3] وبتشديد الياء.

الفعل قسا واوي. قسا قلبه يقسو قسوًا وقسوةً وقساوةً وقساءةً: صَلُب وغَلُظ فهو قاسٍ وقَسِيٌّ بزنة فاعل وفعيل[4].

أما من قرأ بغير ألف (قسيَّة) فقد جعله على (فعيلة) بحجة أن هذا البناء أبلغ في الذم من (فاعله) باعتبار أنه صيغة مبالغة من القسوة، فكان وصف قلوب من حرّفوا كلام الله ومالوا عن الحق بأبلغ صفات القسوة أولى من غيره وذلك كشاهد وشهيد.

---

(١) تاج العروس للزبيدي مادة (بين) ١٤٩/٩.

(٢) يراجع في ذلك إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري ١٧٢/١ وحجة القراءات لأبي زرعة ص ١٩٦ وفتح القدير للشوكاني ٤٤١/١.

(٣) التيسير في القراءات السبع للداني ص٩٩.

(٤) تاج العروس للزبيدي مادة (قسا) ٢٩٣/١٠.

وأما من قرأ (قاسية) فقد جعله على فاعلة من القسوة، قسا يقسو فعل يفعُل من باب كرُم يكرُم فهو قاس بزنة فاعل. وقد قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ البقرة/٧٤وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾الزمر/٢٢ وفَعَل إنما يأتي اسم الفاعل منه على (فاعل) في أكثر كلام العرب وقد يأتي(فعيلا) نحو راحم ورحيم وعالم وعليم(١).

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن اليهود بسبب كفرهم ونقضهم ميثاقهم لعنهم الله وطردهم وأبعدهم وجعل قلوبهم قاسية صلبة لا تعي خيرًا ولا تعقله(٢).

(منزّلها) من قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾المائدة/١١٥.

قرأ نافع وعاصم وابن عامر (منَزّلها) بفتح النون وتشديد الزاي.

وقرأ الباقون (منْزِلها) بإسكان النون وتخفيف الزاي(٣).

الفعل نزل فعل لازم يعدى بزيادة الهمزة فيكون (أنزل)، أو بالتضعيف فيكون (نزّل) واسم الفاعل من نزل- نازل، ومن أنزل (مُنْزِل) بإبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة وكسر ما قبل آخره. ومن نزّل (منَزِّل).

أما من قرأ بفتح النون وتشديد الزاي فقد جعله اسم فاعل من الفعل (نزّل) المتعدي بالتضعيف. وأما من قرأ بإسكان النون وتخفيف الزاي (مُنْزِلها) فقد جعله اسم فاعل من (أنزل) المتعدي بزيادة الهمزة.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى وعد عباده بعد دعاء نبيه عيسى عليه السلام أن ينزل عليهم المائدة غير أن القراءة بالتشديد تفيد زيادة التأكيد وقد صدق الله وعده الحق وهو لا يخلف الميعاد(٤).

(جاعل) من قوله تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾الأنعام/٩٦.

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (جاعل) على وزن فاعل وجر اللام من الليل.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي (جعل) على وزن فعل ونصب اللام من الليل(٥).

أما من قرأ (وجاعل) فقد جعله اسم فاعل وأراد به العطف على اسم الفاعل الذي قبله وهو (فالق) وخفضوا الليل بالإضافة إليه فشاكل ذلك ما قبله في اللفظ، ويقوي ذلك أن حكم الأسماء أن تعطف عليها أسماء مثلها فكان عطف (جاعل) على (فالق) وكلاهما بزنة (فاعل) أولى من عطف فعل على اسم كما أن في هذا الاختيار تناسقاً مع ما جاء في الآيات السابقة لهذه الآية ففي صدر هذه الآية (فالق الإصباح) وفي الآية السابقة (فالق الحب والنوى) و(مخرج الحي من الميت).وحيث إن (جاعل) اسم فاعل يفيد المضي فإنه بهذه الصفة لا يعمل عند البصريين فيكون انتصاب (سكناً) على إضمار فعل أي يجعله سكناً لا باسم الفاعل.

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٠٨/١.

(٢) فتح القدير للشوكاني ٢٦/٢.

(٣) التيسير القراءات السبع للداني ص ١٠١.

(٤) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٢٣/١ وفتح القدير للشوكاني ٩٣/٢.

(٥) التيسير في القراءات السبع للداني ص١٠٥.

وأما من قرأ (وجعل) فعلاً ماضيًا والليل مفعول به، فإنه أراد التناسق مع الأفعال الماضية في الآيات الثلاث التالية لهذه الآية فالأولى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا ﴾ والثانية: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم ﴾ والثالثة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ويقوي هذا الاختيار إجماعهم على نصب (الشمس) و(القمر) على إضمار (فعل) ولم يحملوه على فاعل فيخفضوه.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى وحده هو الذي جعل ضوء الفجر يعقب ظلام الليل الذي جعله وقت سكون وراحة للأحياء بعدما ينالهم من تعب النهار(١).

(فمستقر) من قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ الأنعام/٩٨.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (فمستقِر) بكسر القاف.

وقرأ الباقون (فمستقَر) بفتح القاف(٢).

قرّ بالمكان يقِرُّ ويَقَرُّ قرارًا وقرورًا وقرًّا وتقرارةً وتقِرَّةً(٣)، واستقرّ من مزيد الثلاثي على وزن استفعل الذي يصاغ منه اسم الفاعل على وزن مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة وكسر ما قبل الآخر (مُستقِر) ويصاغ منه اسم المفعول على وزن مضارعة مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة وفتح ما قبل الآخر (مُسْتَفْعَل) وكذلك اسم المكان والمصدر الميمي.

واستقرّ فعل لازم، لذلك يصاغ منه اسم الفاعل على مُستقِر، بكسر القاف. واسم المكان والمصدر على مستقَر بفتح القاف ولا يصاغ منه اسم المفعول لأن فعله لا يتعدى.

أما من قرأ بكسر القاف (فمستقِر) فقد جعله اسم فاعل والمراد به الأشخاص وهو مبتدأ محذوف الخبر والتقدير فمنكم مستقِر إما في الأصلاب أو البطون أو القبور.

وعلى هذه القراءة تكون (مستودَع) اسم مفعول لمّا ذكر إنشاءهم ذكر انقسامهم إلى مستقِر ومستودَع.

ويجوز في (مستودع) أن تكون اسم مفعول أو اسم مكان أو مصدرًا. فيقدر في الأول: فمنكم مستقِر في الأصلاب ومستودَع في الأرحام. أو مستقِر في الأرض ظاهرًا ومستودَع فيها باطنًا. ويقدر الثاني: فمنكم مستقِر ولكم مكان تستودعون فيه. ويقدر للثالث: فمنكم مستقِر ولكم استيداع.

وأما من قرأ (فمُستقَر) بفتح القاف فيجوز فيها وجهان فقط: أن يكون مكانًا أو مصدرًا والتقدير على أنه اسم مكان: فلكم مكان تستقرون فيه، وهو الصلب أو الرحم أو الأرض. والتقدير على أنه مصدر: فلكم استقرار فيما تقدم ذكره. وهو مرفوع على انه مبتدأ محذوف الخبر(٤).

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح إذ المعنى على كسر القاف: فمنكم مستقِر أو قارٌّ في الأصلاب أو الأرحام أو الأرض، ومنكم مستودع.

---

(١) يراجع في ذلك الحجة للقراء السبعة للفارسي ٣/٣٦١-٣٦٣ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/٤٤١-٤٤٢ وحجة القراءات لأبي زرعة ص ٢٦٢.

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني ص ١٠٥.

(٣) لسان العرب لابن منظور مادة (قرر) ٣٥٧٩/٥.

(٤) يراجع في ذلك: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٨٨/٤، وحجة القراءات لأبي زرعه ص٢٦٢-٢٦٣، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٤٢/١.

والمعنى على فتح القاف: فلكم مستقَر أي مقر ولكم مكان استيداع. أو لكم استقرار ولكم استيداع.

(منزل) من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ الأنعام/١١٤.

قرأ ابن عامر وحفص (مُنَزّل) بفتح النون وتشديد الزاي.

وقرأ الباقون (مُنْزَل) بإسكان النون وفتح الزاي مخففاً(١).

أما من قرأ (مُنَزّل) فقد جعله اسم مفعول من الفعل نزّل المتعدي بالتشديد وهو نزّل ينزّل تنزيلاً. ولما كان نزول القرآن شديدًا ناسب أن يكون من الفعل (نزّل) ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ﴾ الجاثية/٢ وذلك يفيد التكرر مرة بعد مرة أيضًا.

وأما من قرأ (مُنْزَل) بالتخفيف فقد جعله اسم مفعول من الفعل (أنزل) المتعدي بزيادة الهمزة. من أنزل يُنزِل إنزالاً.

وأنزل ونزّل لغتان بمعنى واحد، ودليل منْزَل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ النحل/٦٤ (٢).

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن هذا القرآن منزل من عند الله وإن أظهر أهل الكتاب الجحود والمكابرة فإنهم يعلمون ذلك بما جاءهم في الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل(٣).

(ميتا) من قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي النَّاسِ﴾ الأنعام/١٢٢.

وقرأ نافع (ميِّتا) بتشديد الياء. وقرأ الباقون (مَيْتًا) بالتخفيف.

مضى الكلام عن تشديد الياء وتخفيفها في هذه الكلمة عند الحديث عن الآية ٢٧ من سورة آل عمران(٤).

(ضيقًا) من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ الأنعام/١٢٥.

قرأ ابن كثير (ضَيْقًا) ساكنة الياء بالتخفيف. وقرأ الباقون (ضَيِّقًا) بكسر الياء المشددة(٥).

الضّيق نقيض السعة. ضاق الشيء يضيق ضِيقًا وضَيْقًا. فالاسم ضَيْق والنعت ضَيِّق(٦).

وأصل ضَيِّق أنها (ضَيْيِق) على وزن (فَيْعِل) من ضاق يضيق.

أما من قرأ بالتخفيف (ضَيْقًا) فيحتمل أن يكون مخففًا من ضيقًا كما في ميِّت ومَيْت وليِّن وليْن وفي هذه الحالة يكون وزنه (فَيْل) لأنه قد حذفت ياؤه الثانية المكسورة وهي عين الكلمة.

ويحتمل أن يكون مصدرًا نسب إلى الصدر على سبيل المبالغة، أو أنه على معنى الإضافة أي ذا ضَيْق. أو على جعله مجازًا عن اسم الفاعل(٧).

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٢٦.

(٢) يراجع في ذلك الحجة القراء السبعة للفارسي ٣٨٧/٣. والكشف عن وجوه القراءات السبعة لمكي بن أبي طالب ٤٤٨/١. وحجة القراءات لأبي زرعة ص ٢٦٨.

(٣) فتح القدير للشوكاني ١٥٥/٢.

(٤) ص ٢٢ من هذا البحث.

(٥) التيسير في القراءات السبع الداني ص١٠٦.

(٦) لسان العرب لابن منظور مادة (ضيق) ٢٦٢٧/٤.

(٧) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢١٧/٤.

وأما من قرأ بالتشديد فقد جاء به على الأصل، إذا اعتبر ضَيْق مخففًا من ضيِّق.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن من يرد الله أن يهديه يجعل صدره قابلاً للإسلام متسعًا لقبول تكاليفه. ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا عن قبول الإيمان[1].

(حرجًا) من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ الأنعام/١٢٥.

قرأ نافع وشعبة عن عاصم (حَرِجًا) بكسر الراء. وقرأ الباقون (حرَجًا) بفتح الراء[2].

حَرِج يَحْرَجُ حَرَجًا فهو حَرِج. حَرِج صدره: ضاق. والحرج:أضيق الضيق[3].

أما من قرأ (حَرِجًا) بكسر الراء فقد جعله صفة مشبهة كفرِق وحَذِر. فخرج معناه الضيِّق، ويكون بهذا قد تكرر المعنى وحسن وذلك لتنوع اللفظ فكأن معناه: يجعل صدره ضيقًا جدًا لأن الحرج أشد الضيق.

وأما من قرأ (حَرَجًا) بفتح الراء فقد جعله مصدرًا وصف به أي ذا حَرَج أو انه جعله جمع حَرْجَة والحَرْجة هي ما التف من الشجر حتى لا يمكن أن تدخله الراعية ولا شيء. فيكون المعنى أن الله جل ذكره وصف صدر الكافر بشدة الضيق عن وصول الموعظة إليه ودخول الإيمان فيه فشبهه في ذلك بالحرْجة التي لا تستطيع الراعية ولا غيرها دخولها[4].

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن من يرد الله تعالى أن يضله يجعل صدره ضيقًا جدًا لا يصل إليه الإيمان ولا الموعظة[5].

الفرع الثاني: الصفات الواردة بلفظ الجمع:

(النبيين) من قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ البقرة/٦١.

قرأ نافع (النبيئين) بالهمز وقرأ الباقون (النبيين) بغير همز[6].

قراءة نافع بالهمز من (أنبأ) أي أخبر عن الله تعالى. والنبيء من أنبأ فعيل بمعنى مُفْعِل كسميع من أسمع فهو اسم فاعل من الرباعي[7]. قال سيبويه:

(وكلٌّ يقول: تنبأ مسيلمة فيهمزون)[8].

ويقوي ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ التحريم/٣ وقول العباس بن مرداس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

يا خاتم النُّبَآءِ إنك مرسل   بالحق كل هُدى الإله هداكا

([1]) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٥٠/١ وحجة القراءات لأبي زرعة ص ٢١٧.

([2]) التيسير في القراءات السبع للداني ص ١٠٦.

([3]) تاج العروس للزبيدي مادة (حَرِجَ) ٢٠/٢.

([4]) يراجع في ذلك حجة القراءات لأبي زرعة ص٢٧١ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٥٠/١.

([5]) فتح القدير للشوكاني ١٦٠/٢.

([6]) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٧٣.

([7]) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٢٠/١.

([8]) الكتاب لسيبويه ١٤٥/٢.

فقال: يا خاتم النُّبآء بهمزتين جمعه على (فُعَلاء) فدل على أنه من باب الصحيح المهموز لا من باب المعتل لأن الصحيح يجمع هكذا كما تجمع النعوت التي على فعيل من غير ذوات الواو والياء مثل: (الشريك والشركاء والحكيم والحكماء والعليم والعلماء) ولو كان النبي غير مهموز لم يجمع على (فُعلاء) لأن النعوت التي تكون على فعيل من ذوات الياء والواو إنما تجمع على (أفعلاء) كقولهم في ولي أولياء، ووصي أوصياء، ودعي أدعياء[1].

وأما من قرأ (النبيّن) بغير همز فذلك لأن كل ما جاء في القرآن الكريم من جمع ذلك على (أنبياء) بزنة أفعلاء، وفي ذلك الحجة الواضحة على أن الواحد منه بغير همز فهو معتل مثل ولي ووصي فتجمع على أولياء وأوصياء، ولو كان المفرد مهموز لجمع على (فُعلاء).

ونبي من غير همز يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه من المهموز ولكن خفف لكثرة استعماله فأبدل من الهمزة حرف من جنس ما قبلها وهو الياء ثم أدغمت الياء، ويؤيده ظهور الهمز في قولهم (تنبأ).

والثاني: أنه مشتق من: نبا ينبو إذا ظهر وارتفع، فيكون فعيلاً من الرفعة والنبوة الارتفاع، وإنما قيل للنبي (نبي) لارتفاع منزلته وشرفه.

وأصله على هذا (نَبِيْوٌ وأَنْبِوَاء) فاجتمع الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياءً وأدغمت الياء في الياء فصارت (نبيٌّ)، وانكسر ما قبل الواو في الجمع: أنبِوَاء فقلبت ياءً فصارت أنبياء.

والواو في (النُّبوَّة) بدل من الهمزة على (نبيء) واصل بنفسها على (نبي)[2].

ولا يتأثر معنى الآية باختلاف القراءتين.

(رسلنا) من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ المائدة/٣٢.

قرأ أبو عمرو (رُسْلنا) بإسكان السين. وقرأ الباقون (رُسُلنا) بضم السين[3].

اختار أبو عمرو إسكان السين إذا كان بعد اللام أكثر من حرف مثل (رُسْلُنا) و(رُسْلُكم)غافر/٥٠ و(رُسْلُهم)إبراهيم/٢٢ و(سُبْلَنا)إبراهيم/١٢ وحجته في ذلك أنه استثقل حركة بعد ضمتين لطول الكلمة وكثرة الحركات ولأنه جمع، فأسكن السين والباء في هذه الكلمات حيثما وقعت.

فإذا كان بعد اللام حرف واحد ضم السين لانتفاء سبب الاستثقال وذلك مثل (رُسُلِهِ) البقرة/٢٨٥.

---

(1) حجة القراءات لأبي زرعة ص٩٩.

(2) يراجع في ذلك اتحاف فضلاء البشر للمياطي ١/٣٩٥-٣٩٦ وإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري ص ٤. والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/٢٤٤.

(3) حجة القراءات لابن زرعة ص ٢٢٥.

وأما قراءة جمهور القراء (رُسُلنا) بضم السين فإنهم جاءوا بها على الأصل وحجتهم أن بناء (فعول وفعيل) على (فُعُل) بضم العين ولم تدع ضرورة إلى إسكان الحركة فتركوا الكلمة على أصل بنيتها.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أنه بعد أن جاء الرسل بالآيات البينات والتعاليم الواضحة فإن كثيرًا من الناس مسرفون في ارتكاب الآثام والقتل.

(أسارى) من قوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ البقرة/٨٥.

قرأ حمزة (أسرى) على وزن فَعْلى وقرأ الباقون (أُسارى) على وزن فُعالَى[1].

أسير فعيل بمعنى مفعول. وفعيل إذا كان بمعنى مفعول لا يجمع بالواو والنون ولكن يُكسر على فَعْلى لأن كل (فعيل) من نعوت ذوي العاهات يجمع على فَعْلى كجريح على جرحى ومريض على مرضى وقتيل على قتلى وصريع على صرعى وكذلك أسير على أسرى لأنه قد ناله المكروه والأذى[2].

قال أبو علي: (فإذا كان كذلك فالأقيس الأسرى، وهو أقيس من أُسارى، كما كان أقيس من قولهم: أُسَرَاء ألا ترى أنهم قد قالوا أُسَرَاء فشبهوه بظُرَفَاء كما قالوا في جمع قتيل قُتَلاء فكما أن أُسَرَاء وقُتَلاء في جمع قتيل وأسير ليس بالقياس فكذلك أُسارى ليس بالقياس)[3].

وقد قرأ جمهور القراء (أُسارى) كما ترى مع أن أسرى هي الأقيس كما ذهب إلى ذلك أبو على الفارسي.

قال الإمام الداني: (وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل. والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشوُّ لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها.)[4]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى فكلاهما جمع أسير.

(الصابئين) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ﴾ البقرة/٦٢.

(الصابئون) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ﴾ المائدة/٦٩.

قرأ نافع (الصابين) و(الصابون) بغير همز حيث وقع والباقون بالهمز[5].

أما من قرأ بالهمز فقد جاء به على الأصل، لأنه من: صَبَأَ يَصْبَأُ صَبْأً وصُبُوءًا، وصَبُؤَ يَصْبُؤُ صَبْأً وصُبُوءًا كلاهما: خرج من دين إلى دين آخر كما تصبأ النجوم أي تخرج من مطالعها.

---

(1) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٧٤.

(2) حجة القراءات لأبي زرعة ص ١٠٤.

(3) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ١٤٣/٢.

(4) نقله ابن الجزري في النشر ١٠/١ من كتاب (جامع البيان) لأبي عمرو الداني.

(5) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٧٤.

ومن ذلك صبأ ناب الصبي إذا طلع والصابئ التارك لدينه[1]، وهو بزنة فاعل من صَبَأَ فلام الكلمة همزة فكذلك يجب أن يكون في الصابئ والصابئين.

وأما من لم يهمز فهو على أحد وجهين:

أحدهما أن يكون من المهموز فأبدل من الهمزة حرف علة إما ياءً أو واوًا فصار من باب المنقوص مثل (قاضٍ وغازٍ) والأصل صابٍ فيجمع على صابيين أو صابيون. مثل عاصي تجمع على عاصيين أو عاصيون ففي صابِيْن حذفت الكسرة لاجتماع ياءين الأولى مكسورة، فاجتمع بعد ذلك ياءان ساكنتان فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين فصار (الصابِيْن) وإبدال الهمزة للتخفيف في مثل هذا، مذهب الأخفش وأبي زيد، أما سيبويه فلا يجيز البدل في المتحركة إلا إذا كانت مفتوحة وقبلها ضمة أو كسرة[2].

وفي حالة الرفع تكون (الصابيُون) فتلقى ضمة الياء على الباء فتسكن الياء والواو فتحذف الياء لالتقاء الساكنين فتصبح (الصابُون).

وثانيهما: أنه من باب صبا يصبو صَبًا وصَبْوَة أي مال. صبا يصبو فهو صاب. فيكون في الاعتلال قد حذف لامه في الجمع لأنه (صابِوْ) ولامه واوٌ مضمومة في الرفع (صابِوُون) تلقى حركة الواو على الصحيح قبلها وهو الباء فيلتقي حينئذٍ ساكنان فتحذف الواو الأولى فتصير (صابون) مثل (غازون).

ولامه كذلك واو مكسورة في الخفض والنصب (صابِوِين) فتلقى حركة الواو على الصحيح قبله فيلتقي ساكنان فيحذف الواو فتكون الكلمة (صابين) مثل (غازين)[3].

وليس ثمة اختلاف يترتب على اختلاف القراءتين في المعنى.

(منزلين) من قوله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ آل عمران/١٢٤.

قرأ الجمهور (مُنْزَلين) بإسكان النون وتخفيف الزاي وقرأ ابن عامر (منَزّلين) بتشديد الزاي[4].

أما من قرأ بتخفيف الزاي. فقد جعله اسم مفعول من الفعل (أنزل) وهو فعل (متعدٍ) بزيادة الهمزة من اللازم (نزل) أنزل يُنزل إنزالاً.

ومن قرأ بتشديد الزاي فقد جعله اسم مفعول من الفعل (نزّل) المتعدي بالتضعيف من (نزل) اللازم. نزّل يُنَزّل تنزيلاً.

قال مكي بن أبي طالب: (وهما لغتان..وفي التشديد معنى التكثير)[5]

---

(1) لسان العرب لابن منظور مادة (صبأ) ٢٣٨٥/٤.

(2) يراجع في ذلك: الكتاب لسيبويه–/– والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٤٦/١–٢٤٧.

(3) حجة القراءات لأبي زرعة ص ١٠٠.

(4) التيسير للداني ص ٩٠.

(5) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي ٣٥٥/١.

وقال أبو علي: (ومن حجة من قرأ "منزَلين" أن الإنزال يعم التنزيل وغيره قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ النحل٤٤ و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ القدر/١ ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ الحديد/٢٥.)[١]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو استفهام على سبيل الإنكار ألا يكفيكم ثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، وإنما جيء به إشعارًا بأنهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم[٢].

(مُسوّمين) من قوله تعالى: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ آل عمران/١٢٥.

قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو (مسوِّمين) بكسر الواو. وقرأ الباقون (مسوَّمين) بفتح الواو.[٣]

أما من قرأ بكسر الواو، فقد أضاف الفعل للملائكة وجعله اسم فاعل من الفعل سوَّم. قال أبو زيد: سوَّم الرجل تسويمًا فهو (مسوِّم) إذا أغار على القوم غارةً فعاث فيهم. وقال: وسوَّمت الخيل تسويمًا إذا أرسلتها.

والسُّومة: العلامة تكون على الشاة، ويجعل عليها لون يخالف لونها لتعرف به. قال أبو علي: (فقوله "مسوِّمين" من هذا، وهذه العلامة يُعلِمُها الفارس يوم اللقاء ليُعرف بها فالقراءة بكسر الواو تعني أن الملائكة سوَّموا الخيل أي جعلوا لها علامات تعرف بها.)[٤]

وأما من قرأ بفتح الواو فقد أضاف الفعل إلى غير الملائكة فجعله اسم مفعول (مُفَعَّل) من سوَّم فيكون المعنى مُعْلَمين، ويجوز أن يكون مُرسَلين من قولك سَوَّمْتُ الخيل أي أرسلتها، ومنه السائمة وهي الإبل المطلقة للرعي وهو لكل راعية[٥].

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير، فالمعنى على كسر الواو مُعْلِمين من التسويم الذي هو إظهار سيما الشيء وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سوداء.

والمعنى على فتح مُرْسَلين من قولك سوَّم الخيل أي أرسلها. والله عز وجل أرسلهم لنصرة المسلمين يوم بدر[٦].

(المحصنات) من قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ النساء/٢٤.

(محصنات) من قوله تعالى: ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ النساء/٢٥.

قرأ الكسائي (محصِنات) بكسر الصاد وقرأ الباقون بفتح الصاد (محصَنات)[٧] أَحْصَنَ يُحصِن إحصانًا فهو مُحْصِن اسم فاعل ومحصَن اسم مفعول.

---

(١) الحجة للقراء السبعة للفارسي ٧٦/٣.

(٢) تفسير البيضاوي ١٧٨/١-١٧٩.

(٣) التيسير للداني ص ٩٠.

(٤) الحجة للقراء السبعة للفارسي ٧٦/٣-٧٧.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٥٥/١-٣٥٦.

(٦) تفسير البيضاوي ١٧٩/١.

(٧) التيسير للداني ص ٩٥.

أما من قرأ بكسر الصاد فقد أضاف الفعل إلى النساء وجعله اسم فاعل بزنة (مُفْعِلات) أي أحصنّ أنفسهن بالعفاف والحرية والإسلام ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾ النور/٤ أي العفائف الحرائر. وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ التحريم/١٢ يراد به العفاف أو بالتزويج نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ ﴾ النساء/٢٥ أي تزوجن. فهنّ أحصنّ أنفسهنّ بالعفاف أو الإسلام[١].

وأما من قرأ بفتح الصاد فقد أجراه على ما لم يسم فاعله وجعله اسم مفعول يعني أحصنهن غيرهنّ من زوج أو وليّ.

وفي فتح الصاد وجهان:

أشهرهما أنه اسم مفعول حيث أسند الإحصان إلى غيرهن إما الأزواج أو الأولياء فإن الزوج يحصن امرأته أي يعفها والولي يحصنها بالتزويج والله يحصنها بذلك.

الثاني: أن هذا المفتوح الصاد بمنزلة المكسور الصاد. يعني أنه اسم فاعل. فقد روى الأزهري عن ابن الأعرابي قال: (كلام العرب كله أفعل فهو مُفْعِل إلا ثلاثة أحرف: أحصن فهو مُحْصَن. وألفج فهو مُلْفَج وأسهب في كلامه فهو مسهَب زاد ابن سيده وأسهم فهو مُسْهَم).

حَصُنت المرأة تحصُنُ حِصْنًا وحُصْنًا إذا عفّت عن الرِّيبة فهي حَصَان وحصنت المرأة نفسها وتحصن وأحصنت نفسها. وامرأة حصان وحاصن وهي العفيفة.

والمحصَنة: التي أحصنها زوجها.

وأحصنت المرأة: عفَّت وأحصنها زوجها فهي مُحصِنة ومُحصَنة[٢].

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح فالقراءة بالكسر أنهن أحصنَّ أنفسهن بالإسلام والعفاف والعرب تقول: (أحصنت المرأة فهي محصِنة) إذا حفظت نفسها وفرجها والبناء هنا مُفْعِلات اسم فاعل.

وأما القراءة بفتح الصاد محصَنَات أي متزوجات أحصنهن أزواجهن والأزواج محصِنون والنساء محصَنات اسم مفعول بزنة (مُفْعَلات).[٣]

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٨٤/١.

(٢) يراجع في ذلك لسان العرب لابن منظور مادة (حصن) ٩٠٢/٢ وما بعدها.

(٣) حجة القراءات لأبي زرعه ص١٩٧.

الفصل الثاني

الاختلافات الصرفية في صيغ الإفراد والتثنية والجمع وأثرها الدلالي

المبحث الأول: الاختلافات الصرفية في صيغ المفرد وأثرها الدلالي

المبحث الثاني: الاختلافات الصرفية بين المفرد والجمع وأثرها الدلالي

المبحث الثالث: الاختلافات الصرفية في صيغ المثنى والجمع وأثرها الدلالي

المبحث الأول

الاختلافات الصرفية في صيغ المفرد وأثرها الدلالي

فيما يلي بيان باختيارات القراء من القراءات الواردة في صيغ المفرد وأثر ذلك على المعنى وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم. وهي فرعان:

الفرع الأول: الأسماء المفردة:

(الصراط.. صراط) من قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾الفاتحة/٦-٧.

قرأ ابن كثير في رواية القواس (السراط) و(سراط) بالسين، وقرأ حمزة بإشمام الزاي وروى عنه بالزاي (الزراط)، وقرأ الباقون بالصاد (الصراط)[١]

أما من قرأ بالسين فحجته أن السين هي الأصل. لأنه من سَرَطه يسرُطه، وسَرِطه بالكسر يَسْرَطه سَرَطًا وسَرَطَانًا ابتلعه، واسترطه وازدرده ابتلعه.. وانسرط الشيء في حلقه: سار فيه سيرًا سهلاً والمِسْرَط والمَسْرَط: البلعوم. والصاد لغة[٢]. فهو إذن مشتق من السرط وهو البلع. والسراط: السبيل الواضح لأن الذاهب فيه يغيب غيبة الطعام المسترط ويقال الصراط بالصاد[٣].

ومما يدل على أن السين هي الأصل، أنه لو كانت الصاد هي الأصل لم تُرد إلى السين لضعف السين، وليس من أصول كلام العرب أن يردوا الأقوى إلى الأضعف.

وأما من قرأ بالصاد فقد اتبع خط المصحف. ثم لأن السين حرف مهموس فيه تسفُّل والطاء بعدها حرف مطبق مجهور مستعل، واللفظ بالمطبق المجهور بعد المستفل المهموس فيه تكلف وصعوبة، فأُبدل من السين صاداً لمؤاخاتها الطاء في الإطباق والتصعُّد ليكون عمل اللسان في الإطباق والتصعد عملاً واحداً فذلك أسهل وأخف، وعليه أكثر العرب وجمهور القراء. ثم إن الصاد أولى من غيرها لمؤاخاتها للطاء في الإطباق والتصعُّد.

وأما من قرأ بإشمام الصاد لفظ الزاي فقد رأى أن الصاد مخالفة للطاء في الجهر لأن الصاد حرف مهموس والطاء مجهورة لهذا أشمَّ الصاد لفظ الزاي للجهر الذي فيه فصار قبل الطاء حرف يشابهها في الإطباق والجهر، كما أن الزاي من مخرج السين فهو يؤاخيها في المخرج[٤].

ولا أثر لاختلاف القراءات لأنها لهجات والمعنى هو ثبتنا على طريق الحق وهو ملة الإسلام[٥].

(القدس) من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾البقرة/٨٧.

قرأ ابن كثير (القُدْس) بإسكان الدال حيث وقع، وقرأ الباقون (القُدُس) بضمتين[٦].

---

(١) حجة القراءات لأبي زرعه ص٨٠.

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة (سرط) ١٩٩٣/٣.

(٣) السابق مادة (سرط) ١٩٩٣/٣ وما بعدها.

(٤) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٤/١ وحجة القراءات لأبي زرعه ص٨٠.

(٥) الكشاف للزمخشري ٥٧/١-٥٨.

(٦) التيسير في القراءات السبع للداني ص٧٤.

قَدُسَ يقدُسُ قُدْسًا وقُدُسًا طَهُر وتبارك، والقُدُس الطُّهر اسم ومصدر وروح القدس جبريل عليه السلام[1]

الأصل فيها (القُدُس) بضمتين وإسكان الدال لغة فيها. ومن ذلك قول حسان رضي الله عنه[2]:

وجبريل رسول الله فينا وروح القدْس ليس له كِفاء

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى آتى عيسى عليه السلام الآيات الواضحة كإحياء الموتى وإبراء الأكمه وقواه بروح القدس أي جبريل عليه السلام وقيل روح عيسى عليه السلام ووصفها بالقدس لطهارته من مس الشيطان[3].

(بسطة) من قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ﴾البقرة/٢٤٧.

قرأ هشام وقنبل وأبو عمرو وحمزة بالسين (بسطة) وقرأ الباقون بالصاد (بصطة) وروي الوجهان عن حفص[4].

أما من قرأ بالسين فقد جاء بها على الأصل، ذلك أن الصاد لو كان أصلاً لما جاز أن يرد إلى السين إذ لا علة توجب ذلك، ولا ينقل الحرف إلى الأضعف منه، والصاد أقوى لإطباقها واستعلائها وهي تشابه الطاء في ذلك فإذا لم يجز أن ترد الصاد إلى السين، وجاز رد السين إلى الصاد علم أن السين هي الأصل والصاد داخلة عليها لعلة.

وأما من قرأ بالصاد فذلك لأن الخروج باللسان من السين وهي مهموسة مستفلة إلى الطاء وهي مستعلية مطبقة مجهورة أمر صعب ولو كان الأمر خروجًا من تصعُّد إلى تسفل لحسن ولم يصعب مثل: ﴿طسٓمٓ﴾الشعراء/١فمثل هذا لا تبدل السين فيه صادًا كما تبدل إذا كانت الطاء بعدها. ولهذا أبدل بالسين حرف يؤاخيها في المخرج والصفير ويؤاخي الطاء في الإطباق والاستعلاء وهو الصاد؛ فعمل اللسان بذلك عملاً واحداً متصعدًا منطبقًا بالحرفين[5].

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن بني إسرائيل لما أبوا أن يكون طالوت ملكًا عليهم قيل لهم إن الله أصفاه عليكم وزادهُ فضيلة في العلم بفنون الحرب وكان جسيمًا فسلموا له بعد أن وضعت الملائكة التابوت عنده[6].

(غرفة) من قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ﴾البقرة/٢٤٩.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر (غُرفة) بضم الغين وقرأ الباقون (غَرفة) بفتحها[7].

---

(1) تاج العروس للزبيدي مادة (قدس) ٤/٢١٣-٢١٤.

(2) ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه، ص٦٢ .

(3) تفسير البيضاوي ٧٤/١. لأبي سعيد عبدالله بن عمر البيضاوي. نشر دار الكتب العلمية ببيروت. ط/١ سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(4) التيسير للداني ص ٨١، والحجة للقراء السبعة للفارسي ٣٤٦/٢.

(5) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٠٢/١-٣٠٣.

(6) فتح القدير للشوكاني ٣٠٦/١.

(7) التيسير للداني ص ٨١.

غَرف الماء يَغْرِفُه غَرفًا أخذه بيده. فالغَرْف مصدر. والغَرْفة: المرة والغُرفة اسم للمفعول لما غُرف من الماء وغيره باليد لأنك ما لم تغرفه لا تسميه غُرْفَة(١).

أما من قرأ بضم الغين فقد جعلهما اسمًا للماء المغترف، فعدى الفعل إليه على أنه مفعول به كأنه قال: إلا من اغترف ماء على قدر مثل ملء اليد، ويقوي هذا قوله تعالى: (فشربوا منه) فالشرب يكون من المشروب وهو الماء المغترف.

وأما من قرأ بفتح الغين فقد جعله مصدراً، فهو نصب على المصدر والمفعول محذوف والتقدير: إلا من اغترف ماءً غرفةً واحدة(٢).

وليس ثمة تعارض بين القراءتين بل لقد تعاونتا على إفادة قلة مقدار المشروب وتحديده بمرة واحدة فتمت بذلك الفائدة وانحصرت ذلك أن طالوت لما سار بالجنود أبلغهم بأن الله تعالى سيبتليهم مع شدة العطش بنهر فمن شرب منه فليس من أتباعه في هذه الحرب إلا من أخذ منه ملء اليد ولمرة واحدة.

(ربوة) من قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ البقرة/٢٦٥.

قرأ عاصم وابن عامر بفتح الراء (برَبوة) وضمها الباقون (برُبوة)(٣).

قال الخليل: الربوة أرض مرتفعة طيبة ويقال فيها الرباوة وتثلث الراء في اللغتين. ويقال رابية. وقال الأخفش: ويختار الضم في ربوة لأنه لا يكاد يسمع في الجمع إلا الرُّبى (بضم الراء) وأصله من ربا الشيء زاد وارتفع وفعله ربا يربو.

ورَبْو ورُبوة لغتان مشهورتان وقد ذكر الخليل أنها مثلثة الراء في اللغتين: ربوه ورباوة(٤).

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن مثل ما ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله في زكائها عند الله كمثل بستان بمكان مرتفع وخص المكان المرتفع لأن شجره أزكى وأحسن ثمرًا(٥).

(ميسرة) من قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ البقرة/٢٨٠

قرأ نافع بضم السين (ميسُرَة) وقرأ الباقون بفتحها (مَيْسَرَة)(٦)

يَسِرَ الأمر يَيْسَر يَسَرًا سهُل فهو يسير، ويَسُر الأمر يَيْسَرُ يُسْرًا سَهُل ضد عَسُرَ وأَيْسَرَ الرجل يُوسِرُ إيسارًا ويُسرًا صار ذا غنًى فهو مُوسِر واليُسْرُ ضد العُسر. والميسرةُ (مثلثة السين) السهولة والغنى(٧)

---

(١) تاج العروس للزبيدي مادة (غرف) ٦/٢٠٩ .

(٢) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/٣٠٤ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢/٢٦٤-٢٦٥.

(٣) التيسير في القراءات السبع للداني ص٨٣.

(٤) يراجع في ذلك البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢/٣٠٢ والحجة للقراء السبعة للفارسي ٢/ ٣٨٥-٣٨٦.

(٥) الكشاف في الزمخشري ١/٣٤١.

(٦) التيسير في القراءات السبع للداني ص٨٥.

(٧) تاج العروس للزبيدي مادة (يسر) ٦/٦٢٦-٦٢٧.

وقال سيبويه: ليست الميسُرة على الفعل ولكنها كالمَسْرُبة والمشرُبة في أنهما ليستا على الفعل[1].

أما من قرأ بالضم فقد جاء به على لغة أهل الحجاز وهو قليل كمقبُرة ومشرُفة ومسرُبة.

وأما من قرأ بالفتح فقد جاء به على لغة أهل نجد وهي الأكثر في الكلام والأشهر.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: إن وجد ذو عسرة أو إن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة فإنه يؤخر إلى ميسرة. ذلك أن الله عز وجل لما حكم لأهل الربا برؤوس أموالهم عند الواجدين للمال. حكم في ذوي العسرة بالنظرة إلى يسار والنظرة التأخير والميسرة مصدر بمعنى اليسر وكان تامة فارتفع (ذو) بكان التامة عند سيبويه وأبي علي الفارسي[2].

(كأيّن)من قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران/١٤٦.

قرأ ابن كثير وحده (وكائِن) بهمزة مكسورة بين النون والألف من غير ياء.

وقرأ الباقون (وكأيٍّ) بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبياء مكسورة مشددة[3]

وتوجيه قراءة ابن كثير (كائن) أن الأصل فيها (كأيّ) بكاف دخلت على (أي) كما دخلت على (ذا) من (كذا) و(أنّ) من (كأنّ) وكثر استعمال الكلمة بمعنى (كم) التي للتكثير فجعلت كلمة واحدة فوقع فيها القلب كما يقع في الكلمة الواحدة، فقلبت الياء المشددة المكسورة في موضع الهمزة فصارت (كيِّإ) مثل (كيِّع)؛ فحذفت الياء الثانية المكسورة استخفافاً فصارت (كيْءٍ) بعد الحذف على وزن (فيعل) ثم أبدلت من الياء الساكنة ألفًا، فصارت الكلمة بعد القلب والبدل (كائن) وأما النون في (أيٍّ) فهي التنوين الداخل على الكلمة مع الجرّ فإذا كان كذلك فالقياس إذا وقفت عليها (كاءْ) قال مكي بن أبي طالب: (لكن لما دخله القلب والبدل وجعل كلمة واحدة بمعنى (كم) صار التنوين كالنون الأصلية.. فالوجه أن يوقف عليه بالنون لما ذكرنا ولأنها نون في المصحف.)[4]

ووجه القراءة بتشديد الياء وتقديم الهمزة أن (أيّ) دخلت عليها كاف التشبيه وكثر استعمالها بمعنى (كم) فجعلت كلمة واحدة، وجعل التنوين نوناً أصلية فوقف عليها بالنون. وقد كان القياس أن يوقف عليها بغير نون كما يوقف على (أي) حيث وقعت ولكن ثبتت النون اتباعًا لخط المصحف.

وكأين في القراءتين في موضع رفع على الابتداء و(قاتل معه ربيون) الخبر ويجوز أن يكون صفة لنبي ويضمر الخبر لكأيٍّ والتقدير: وكأيٍّ من نبيٍّ هذه صفته في الدنيا أو مضى. وذلك لأن الكاف في كأيٍّ جعلت مع (أي) كلمة واحدة ونقلت عن معنى التشبيه إلى معنى (كم) التي للتكثير ولزمتها (مِن)[5].

---

(1) تاج العروس للزبيدي (يسر) ٦٣٧/٣.

(2) يراجع في ذلك البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣٤٠/٢ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٠٩/١ وفتح القدير للشوكاني ٢٩٨/١.

(3) التيسير في القراءات السبع للداني ص٩٠.

(4) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٥٧/١.

(5) يراجع في ذلك: الحجة للقراء السبعة للفارسي ٨١/٣ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٥٧/١-٣٥٨ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٧٢/٣.

والمعنى: كثير من الأنبياء قاتل أو قتل معه علماء وعابدون فما فتروا ولم ينكسر جدهم في نصرة دينهم(١)

(فلأمه) من قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾النساء/١١.

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر (فلأُمه) بضم الهمزة.

وقرأ حمزة والكسائي (فلإمه) بكسر الهمزة وصلاً. وضمها الجميع في الابتداء(٢).

وأما من كسر الهمزة فلأنه اسم كثير استعماله والهمزة حرف مستثقل بدلالة ما أجازوا فيها دون غيرها من البدل والتخفيف والحذف ونقل الحركة. فلما وقع أول هذا الاسم (أم) وثقل الخروج من كسر أو ياء إلى ضم همزة وليس في الكلام (فِعُل) فلما اجتمع هذا الثقل أرادوا تخفيفه فلم يمكن فيه الحذف لأنه إجحاف بالكلمة ولا أمكن تخفيفه ولا بدله فأتبعوا حركته حركة ما قبله ليعمل اللسان عملاً واحدًا.

وأما من ضم الهمزة فقد أتى به على الأصل لأن الهمزة ليست كالهاء ولا في خفائها، وإنما اتبعت الهاء للياء والكسرة في بِهِ وعليهِ لخفائها والهمزة ليست كذلك فأتى بها على الأصل.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى(٣).

(الدرك) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾النساء/١٤٥.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي بإسكان الراء (الدَّرْك).

وقرأ الباقون بفتحها (الدَّرَك)(٤).

الدرك أقصى قعر جهنم والجمع أدراك. ودركات النار منازل أهلها والنار دركات والجنة درجات.. والدرك إلى أسفل والدرج إلى فوق والدرك واحد من أدراك جهنم السبع والدَّرْك لغة في الدَّرَك. وهو الطبق من أطباق جهنم(٥).

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى لإجماع أكثر أهل العلم على أن الدَّرَك والدَّرْك لغتان في هذه الكلمة والمعنى أن المنافقين في الطبقة السفلى من النار وهي الهاوية والعياذ بالله(٦).

(الأذن) من قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞ﴾المائدة/٤٥.

قرأ نافع بإسكان الذال (الأذْن) وقرأ الباقون بضمها.(٧)

---

(١) تفسير البيضاوي١/١٨٣.

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني ص٩٤.

(٣) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/٣٧٩ والحجة للقراء السبعة للفارسي ٣/١٣٧-١٣٨.

(٤) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٩٨.

(٥) لسان العرب لابن منظور (درك) ٢/١٣٦٥.

(٦) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب١/٤٠١ وفتح القدير للشوكاني ١/٦١١.

(٧) التيسير في القراءات السبع للداني ص٩٩.

أما قراءة نافع بإسكان الذال فإن ذلك لاستثقال الضمتين في كلمة واحدة فأسكنوا ذال أذن، وقد أسكنها نافع في جميع القرآن.

وأما من قرأ بضم الذال فقد جاء به على الأصل وهما لغتان مثل السُّحْت والسُّحُت. والنُّكْر والنُّكُر. وقيل الإسكان هو الأصل وإنما ضم اتباعًا. وقيل التحريك هو الأصل وإنما سُكن تخفيفًا.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى(١).

(عبد الطاغوت) من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ المائدة/٦٠.

قرأ حمزة بضم الباء من (عبد) وكسر التاء من الطاغوت (عبُدَ الطاغوتِ) وقرأ الباقون بفتح الباء ونصب التاء (عبَدَ الطاغوتَ)(٢).

أما من ضم الباء من عبُد وكسر تاء الطاغوت فقد جعل (عبُد) اسمًا يبنى على (فَعُل) كعضُد فهو وصف بني للمبالغة والكثرة. قال الفراء: (الباء تضمها العرب للمبالغة في المدح والذم نحو رجل حذُر ويَقُظ، أي مبالغ في الحذر فتأويل (عبُد) أنه بلغ الغاية في طاعة الشيطان)(٣) وعبُدَ منصوب بجعل أي جعل منهم عبدًا للطاغوت وأضاف عبُد للطاغوت فجره بالإضافة وجعل بمعنى خلق والمعنى: وجعل منهم من يبالغ في عبادة الطاغوت.

وأما من فتح الباء من (عبد) فقد جعله فعلاً ماضيًا وعطفه على عدة أفعال ماضية هي: غضب ولعن وجعل ونصب به (الطاغوت) على تقدير محذوف والتقدير: وجعل منهم مَن عبدَ الطاغوت، فحذف (من) وأبقى الصلة، وبهذا يتوحد الضمير من لعنه الله ومن غضب عليه ومن جعل منهم القردة والخنازير ومن عبدَ الطاغوت ويؤيد ذلك قراءة أبيّ وابن مسعود: (وعبدوا الطاغوت) حيث حملا الفعل على معنى (من) لأن (من) واحد في اللفظ جمع في المعنى(٤).

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن أهل الكتاب لما ذموا دين الإسلام أمر الله تعالى نبيه بأن يقول للمؤمنين: هل أنبئكم بشر من حال هؤلاء الفاسقين أولئك أسلافهم الذين لعنهم الله وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت(٥).

(بالغداة) من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ الأنعام/٥٢.

قرأ ابن عامر بضم الغين وإسكان الدال وواو بعد الدال (الغُدْوة).

وقرأ الباقون بفتح الغين والدال وبعدها ألف (بالغَدَاة)(٦).

---

(١) يراجع في ذلك البحر المحيط لابن حيان الأندلسي ٤٩٥/٣ والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٢٢٧/٣.

(٢) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٤٦.

(٣) حجة القراءات لأبي زرعه ص ٢٣١.

(٤) يراجع في ذلك الحجة للقراء السبعة للفارسي ٢٣٦/٣ وحجة القراءات لأبي زرعة ص ٢٣١ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤١٤/١-٤١٥.

(٥) البحر المحيط لابن حيان الأندلسي ٥١٨/٣.

(٦) التيسير في القراءات السبع للداني ص ١٠٢.

أما من قرأ بفتح الغين والألف (الغَداة) فذلك لأن (غداة) في كلام العرب نكرة وقد أدخلت عليها الألف واللام للتعريف. وأما (غُدوة) فأكثر ما تستعمل معرفة بغير الألف واللام، فاختيرت (غداة) لأنها نكرة يحسن فيها دخول الألف واللام، وهما لا تدخلان على المعرفة، ولا يحسن ذلك في (غدوة)(١).

وأما من قرأ بضم العين والواو (الغُدوة) فذلك لأن بعض العرب ينكر (غُدوة) فيصرفها، فلما وجدوها تُنكر ساغ إدخال الألف واللام عليها للتعريف، واتباعًا للخط قال أبو حيان: (وحكى سيبويه والخليل أن بعضهم ينكرها فيقول: رأيته غُدوةً بالتنوين)(٢).

ورد أبو عبيد هذه القراءة بقوله: (إنما نرى ابن عامر والسلمى قرآ تلك القراءة اتباعًا للخط، وليس إثبات الواو في الكتاب دليل على القراءة بها لأنهم كتبوا الصلاة والزكاة بالواو ولفظهما على تركها وكذلك الغداة على هذا وجدنا العرب) وتعقب أبو حيان الأندلسي قول أبي عبيد فرده بقوله: (وهذا من أبي عبيد جهل بهذه اللغة التي حكاها سيبويه والخليل وقرأ بها هؤلاء الجماعة وكيف يظن بهؤلاء الجماعة القراء أنهم إنما قرءوا بها لأنها مكتوبة في المصحف بالواو والقراءة إنما هي سنة متبعة وأيضًا فابن عامر عربي صريح كان موجودًا قبل أن يوجد اللحن لأنه قرأ القرآن على عثمان بن عفان ونصر بن عاصم..فكيف يظن بهؤلاء أنهم لحنوا واغتروا بخط المصحف. ولكن أبو عبيد جهل هذه اللغة وجهل نقل هذه القراءة فتجاسر على ردها عفا الله عنه)(٣).

ولا أُثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: لا تطرد من معك من المسلمين المخلصين في عبادتهم التي لا يريدون بها إلاّ وجه الله تعالى(٤).

(خفية) من قوله تعالى: ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ الأنعام/٦٣.

قرأ أبو بكر شعبة عن عاصم (خِفْية) بكسر الخاء. وقرأ الباقون (خُفْية) بضم الخاء(٥).

وهما لغتان مشهورتان مثل رِشْوة ورُشْوة.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: تنادون ربكم مظهري الحاجة إليه ومخفيها والتضرع وصف بادٍ على الإنسان والخفية الإخفاء(٦).

الفرع الثاني: أعلام الذوات:

(جبريل) من قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ البقرة/٩٧.

قرأ ابن كثير (جَبْريل) بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز.

وقرأ أبو بكر شعبة عن عاصم (جَبْرئِل) بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة.

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٣٢/١ وحجة القراءات لأبي زرعة ص٢٥١.

(٢) البحر المحيط لابن حيان الأندلسي ١٣٦/٤.

(٣) السابق ١٣٦/٤.

(٤) فتح القدير للشوكاني ١١٩/٢.

(٥) التيسير في القراءات السبع للداني ص ١٠٣.

(٦) يراجع في ذلك الحجة للقراء السبعة للفارسي ٢٥٥/٣ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٣٥/١ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي١٥٠/٤.

وقرأ حمزة والكسائي (جَبْرَئيل) بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بعدها ياء وإذا وقف حمزة سهل الهمزة. وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص (جِبْرِيل) بكسر الجيم والراء وبعدها ياء من غير همز[1].

جبريل اسم الملك الذي نزل بالقرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وكل هذه القراءات لغات وردت عن العرب في هذا الاسم فقد ذكر أبو جعفر النحاس أن جبريل يجمع على التكسير جباريل وقد تصرفت فيه العرب على عادتها في الأسماء الأعجمية فجاءت فيه بثلاث عشرة لغة أشهرها وأفصحها (جِبْرِيل) بزنة قنديل وهي قراءة جمهور السبعة، وهي لغة أهل الحجاز.

والثانية: كذلك إلا أنه بفتح الجيم وهي قراءة ابن كثير والحسن.

والثالثة: جَبْرَئيل كعنتريس، وهي لغة قيس وتميم وبها قرأ حمزة والكسائي.

والرابعة: كذلك إلا أنه لا ياء بعد الهمزة (جَبْرَئِل) وتروى عن عاصم وقرأ بها شعبة ويحيى بن يعمر.

الخامسة: كذلك إلا أن اللام مشددة وتروى أيضًا عن عاصم ويحيى بن يعمر أيضًا.

السادسة: (جَبْرَائِل) بألف بعد الراء وهمزة مكسورة وبها قرأ عكرمة.

السابعة: مثل السادسة إلا أنها بياء بعد الهمزة (جَبْرَائيل).

الثامنة: (جبراييل) بياءين بعد الألف من غير همز وبها قرأ الأعمش.

التاسعة: جَبْرَال.

العاشرة: جَبْرَيل بالياء والقصر وهي قراءة طلحة بن مُصَرِّف.

الحادية عشرة: جَبْرين بفتح الجيم ونون بعد الياء.

الثانية عشر: كذلك إلا أنها بكسر الجيم.

الثالثة عشرة: جَبْرايين[2].

قال مكي: (وهذه كلها لغات فيه.. فمن كسر الجيم أتى به على مثال كلام العرب فهو كـ(قنديل ومنديل) ومن فتح أتى به على خلاف كلام العرب ليُعلم أنه ليس من كلام العرب، وأنه أعجمي. وكذلك فعل من همز، ومن أثبت ياءً بعد الهمزة أتى به على خلاف كلام العرب ليُعلم أنه أعجمي ليس من أبنية كلام العرب)[3].

(ميكال) من قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾البقرة/٩٨.

قرأ نافع (ميكائِل) بهمزة مكسورة بعد الألف.

وقرأ أبو عمرو وحفص (ميكال) بغير همز بعد الألف.

---

(1) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للنشار ١٥٩/١.

(2) يراجع في ذلك: إعراب القرآن للنحاس ص٥٦-٥٧. والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٥٤/١، ٢٥٥ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣١٨/١، والبدور الزاهرة للنشار ١٥٩/١،١٦٠.

(3) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي ٢٥٥/١.

وقرأ الباقون (ميكائيل) بهمزة مكسورة بعد الألف وبعد الهمزة ياء وإذا وقف حمزة سهل الهمزة مع المد والقصر[1].

ميكائِيل اسم أعجمي علم على الملك المسمى به وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وليس مشتقًا كما ذهب بعضهم إلى ذلك، وقد وردت فيه ست لغات أشهرها (ميكال) بزنة (مفعال) وهي لغة أهل الحجاز وبها قرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم وأهل البصرة.

والثانية: (ميكائِل)، بهمزة مكسورة بعد الألف وبها قرأ نافع وأهل المدينة.

والثالثة: ميكائيل بياء بعد الهمزة.

والرابعة: ميكئيل وبها قرأ ابن محيصن.

والخامسة: ميكئل.

والسادسة: ميكاييل بياءين بعد الألف وبها قرأ الأعمش[2].

قال مكي بن أبي طالب: (وهذه القراءات لغات في هذا الاسم وهو اسم أعجمي غير أن من قرأه على (مفعال) أتى به على وزن أبنية العرب فهو مثل مِفتاح ومن قرأه بغير ذلك أتى به على غير أبنية العرب ليُعلم أنه أعجمي، خارج عن أبنية العرب)[3].

وقوله في قراءة أبي عمرو وحفص أنه على وزن مِفْعال مجرد تمثيل وتشبيه لأنه لا يجوز أن يكون (مفعالاً) لأنه رباعي إذ الهمزة المحذوفة يعتدُّ بها ولا يجوز أن يكون (فيعالاً) لأن هذا الوزن قد اختصت به المصادر نحو (القيتال) و(الحيقال) وليس ميكال بمصدر ولا يجوز أن يكون فعلالاً لأن الهمزة مقدرة فيه فإنما هو اسم أعجمي[4].

(إبراهيم) من قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّ﴾البقرة/١٢٤.

قرأه هشام عن ابن عامر بألف في موضع الياء (إبراهام)، وروي عن ابن ذكوان أنه قرأ كذلك في البقرة خاصة.

وقرأ الباقون (إبراهيم) بالياء حيث وقع[5].

وإبراهيم اسم علم أعجمي قيل معناه بالسريانية قبل النقل إلى العلمية (أب رحيم) وفيه ست لغات: (إبراهيم) بألف وياء وهي الشهيرة المتداولة و(إبراهام) بألف مكان الياء. و(إبراهِم) بحذف الياء مع كسر الهاء أو فتحها أو ضمها و(إبرَهَم) بحذف الألف والياء وفتح الهاء. قال عبد المطلب:

نحن آل الله في كعبته　　　لم نزل ذاك على عهد ابرَهَم

وقال زيد بن عمرو بن نفيل:

عذت بما عاذ به ابرَهم　　　إذ قال وجهي لك عان راغم[6]

---

(1) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٧٥.

(2) البحر المحيط لابن حيان الأندلسي ٣١٨/١.

(3) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٥٥/١-٢٥٦.

(4) الكتاب لسيبويه ٢٩١/٢.

(5) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٧٦-٧٧.

(6) يراجع في ذلك الكشف عن الوجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٦٣/١ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣٧٢/١.

(زكريا) في قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ آل عمران/٣٧.

قرأ حفص وحمزة والكسائي (زكريا) بالقصر من غير همز وقرأ الباقون (زكرياء)[١] بالمد والهمز.

والهمزة في (زكرياء) للتأنيث لأنها ليست منقلبة ولا زائدة للتكثير ولا للإلحاق فلا يجوز أن تكون للإلحاق لأنه ليس شيء في الأصول على وزنه فيكون ملحقًا به، ولا يجوز أن تكون منقلبة لأن الياء والواو لا يكونان أصلاً فيما كان على أربعة أحرف. لهذا فالهمزة للتأنيث.

ونظير القصر والمد في هذا الاسم قولهم: الهيجا والهيجاء. فهذان لغتان في هذا الاسم: زكريا وزكرياء. والثالثة: زَكَرِيٌّ حيث إنهم حذفوا الياءين اللتين كانتا في (زكريَّا) و(زكرياَّء) يعني الياء المشددة في كلِّ منهما، وألحقوا بالكلمة ياءي النسب. وآية ذلك أن هذين الياءين لو كانتا اللتين في زكريّا وزكرّياء لوجب ألاّ ينصرف الاسم (للعلمية والعجمي) فانصراف (زكريٌّ) دل على أن هاتين الياءين اللتين في آخره للنسب ولو لم تلحقا لم ينصرف ويؤكد ذلك أن ما كان على وزن (مفاعِل) لا ينصرف فإذا لحقته ياء النسب انصرف كقولك: مدائنيٌّ ومعافريٌّ. ومما يؤكد أن الياءين في (زكريٌّ) ليستا اللتين كانتا في زكريّا وزكريَّاء أن ياءي النسب لا تلحقان قبل ألف التأنيث[٢].

(اليسع) من قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام/٨٦.

قرأ حمزة والكسائي بتشديد اللام واسكان الياء (اللَّيْسَعْ).

وقرأ الباقون بلام واحدة ساكنة وفتح الياء (الْيَسع)[٣].

أما قراءة الجمهور بلام واحدة ساكنة وفتح الياء (الْيَسع) ففيها تأويلان:

أحدهما: أنه منقول من فعل مضارع والأصل (يوسع) مثل (يوعِد) فوقعت الواو بين ياء وكسرة تقديرية لأن الفتحة جيء بها لأجل حرف الحلق فحذفت لحذفها في (يضع) و(يدع) و(يهب) وبابه ثم سمّى به مجردًا عن ضمير وزيدت فيه الألف واللام على حد زيادتها في قول ابن ميادة:[٤]

رأيت الوليد بن اليزيد مباركًا   شديدًا بأعباء الخلافة كاهله

وقيل: الألف واللام فيه للتعريف كأنه قدّر تنكيره وهو (يسع) بزنة فعل[٥] والياء أصلية فيه.

والثاني: أنه اسم أعجمي لا اشتقاق له لأن اليسع يقال إنه يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام فالألف واللام فيه زائدتان، أو معرفتان كما تقدم.

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ص٨٧.

(٢) يراجع في ذلك إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري ص١٣٢ والحجة للقراء السبعة لأبي على الفارسي ٣/٣٤-٣٦.

(٣) التيسير في القراءات السبع للداني ص١٠٤.

(٤) خزانة الأدب للبغدادي ١/٣٢٣.

(٥) حجة القراءات لأبي زرعة ص ٢٥٩.

وهل (أل) لازمة له على تقدير زيادته؟ فقال الفارسي: إنها لازمة شذوذًا كلزومها في (الآن) وقال ابن مالك: (ما قارنت الأداة نقله كالنضر والنعمان أو ارتجاله كاليسع والسموأل فإن الأغلب ثبوت "أل" فيه وقد تحذف.)[1]

وأما قراءة من قرأ بتشديد اللام وإسكان الياء (اللَّيْسع) فقد اعتبروا أن أصله (ليسع) كضيغم وصيرف، وهو اسم أعجمي، واعتبروا دخول الألف واللام فيه إما زائدتان أو للتعريف. وهو على وزن (فيعل) ثم دخلت الألف واللام للتعريف مثل: الصيرف[2].

---

(1) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٧٤/٤.

(2) يراجع في ذلك: حجة القراءات لأبي زرعة ص ٢٥٩-٢٦٠ والكشف لمكي بن أبي طالب ٤٣٨/١.

المبحث الثاني

الاختلافات الصرفية بين المفرد والجمع وأثرها الدلالي

فيما يلي بيان باختيارات القراء من الصيغ التي وردت في بعض القراءات بصيغة المفرد وفي البعض الآخر بصيغة الجمع وأثر ذلك على المعنى وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم.

(خطيئته) من قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾البقرة/ ٨١.

قرأ نافع (خطيئاته) بالجمع وقرأ الباقون (خطيئته) على التوحيد[١].

أما قراءة نافع بجمع السلامة لخطيئة، فقد حمله على معنى الإحاطة والإحاطة إنما تكون بكثرة المحيط، فحمله على معنى الكبائر، والسيئة الشرك والهاء في خطيئاته تعود على (مَن) ومَن للجماعة يدل على ذلك قوله تعالى في آخر نفس الآية ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

وأما من قرأ (خطيئته) بالتوحيد فعلى تأويل الخطيئة بالشرك فوحدوه على هذا المعنى، وتكون السيئة الذنوب، وهي بمعنى السيئات. ويجوز أن تكون الخطيئة بمعنى الجمع لكن وحدت كما وحدت السيئة وهي بمعنى الجمع.

وليس ثمة أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو نقض لقولهم (لن تمسنا النار..) فكذبهم الله تبارك وتعالى وقال: (بلى من كسب سيئة..) أي تمسكم النار فإن من كسب شركًا وأحاطت به كبائرهُ فأحبطت أعماله فأولئك أصحاب النار[٢].

(الرياح) في قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾البقرة/١٦٤.

قرأ حمزة والكسائي (الريح) على الإفراد وقرأ الباقون (الرياح) بالجمع[٣].

روى أبو علي الفارسي عن السكري قال: أخبرني أبو الحسن علي بن عبد الله الطوسي قال: أخبرنا ابن الأعرابي وأصحابنا عن الأصمعي وغيره قالوا: الرياح أربعٌ: الجنوب والشَّمال والصبا والدَّبور. وقال ابن الأعرابي: وكل ريح بين ريحين فهي نكباء..قال الأصمعي: نوًى مشمولة: أي مكروهة، وقال الأصمعي: وأصل ذلك من الشمال لأنهم يكرهون الشمال لبردها وذهابها بالغيم وفيه الحيا والخصب، فصار كل مكروه عندهم مشمولاً، قال: وهم يحبون الجَنُوب لدفئها ولأنها تجيء بالسحاب والمطر، وفيها الحيا والخصب، وانشد لحميد بن ثور في مدح الجنوب:

فلا يُبعد الله الشبـاب وقولَنا إذا ما صبونا صبوةً سنتوب
ليالِيَ أبصارُ الغواني وسمعُها إليَّ..وإذ ريحي لَهُنَّ جَنوب[٤]

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ص٧٤.

(٢) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٤٩/١ وحجة القراءات لأبي زرعة ص ١٠٢.

(٣) التيسير في القراءات السبع للداني ص٧٨.

(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٢/٢٥٠-٢٥٥.

فمن قرأ (الرياح) فقد حمله على أن كل واحدة من هذه الرياح مثلُ الأخرى في دلالتها على الوحدانية وتسخيرها لينتفع بها الناس في هبوبها قبولاً ودبورًا وجنوبًا وشمالاً، وفي أوصافها حارة وباردة ولينة وعاصفة وعقيمًا ولواقح.

والرياح تأتي بالجمع في معرض الرحمة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ الروم/٤٦. والريح بالإفراد تأتي في معرض العذاب قال تعالى: ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴾ الذاريات/٤١.

فعلى هذا قرئت بالجمع والموقف ليس موقف عذاب.

وأما من قرأ (الريح) بالإفراد فقد اعتبره دالاً على الجمع لأنه يريد الجنس والريح اسم للجنس فهو أخف في الاستعمال مع ثبات معنى الجمع فيه.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن تصريف الرياح آية من آيات الله كغيرها من الآيات الكونية على العاقل أن يتدبرها[1].

(رهان) في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ البقرة/٢٨٣.

قرأ أبو عمرو وابن كثير بضم الراء والهاء من غير ألف (فرُهن) وقرأه الباقون بكسر الراء وبألف بعد الهاء (فرِهَان)[2].

الرَّهنُ: ما وضع عند الإنسان لينوب مناب ما أخذ منه، يقال: رهنت فلانًا دارًا رهنًا، وارتهن إذا اخذ رهنًا، والجمع رهون ورهان ورُهُن بضم الهاء.. وقد يكون رُهُن جمعًا للرهان كأنه يُجمع رَهْنٌ على رهانٍ ثم يُجمع رهانٌ على رُهُنٍ مثل فراش وفُرُش[3].

أما من قرأ بغير ألف فقد جمع (رَهْنًا) على (رُهُن) كسَقْف وسُقُف ونَحْر ونُحُر وكان قياسه (أرهان) في أقل العدد، ولكن استغنوا بالكثير عن القليل، كما استغنوا بالقليل عن الكثير في قولهم (رسن وأرسان) وأصل (رَهْن) المصدر فلما وقع موقع الأسماء جمع كما تجمع الأسماء، ثم جمع على بناءين للتكثير فقالوا: رَهْنٌ ورُهُنٌ كسَقْف وسُقُفْ وقالوا رَهْنٌ ورهان ككعْب وكِعَاب، وبغل وبغال ونعل ونِعَال، وجمع (فَعْل)على (فِعال) كثير في الكلام، وجمع (فَعْل) على (فُعُل) قليل في الكلام. قال الأخفش: (لا يُجمع فَعْلٌ على فُعُل إلا قليلاً شاذاً).

وأما من قرأ بالألف (رِهان) فقد جمع (رَهْنًا) على رِهان وهو الأكثر في الكلام[4].

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: إن كنتم على سفر فاستوثقوا للدين برهان يقبضها الدائنون لأن السفر مظنه لإعواز الكتب والأشهاد[5].

---

(1) يراجع في ذلك البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٦٧/١ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٧٠/١-٢٧١.

(2) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٨٥.

(3) لسان العرب لابن منظور مادة (رهن) ١٧٥٧/٣.

(4) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٢٢/١ ولسان العرب لابن منظور مادة (رهن) ١٧٥٧/٣.

(5) الكشاف للزمخشري ٣٥٤/١-٣٥٥.

(كتبه) من قوله تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ البقرة/٢٨٥.

قرأ حمزة والكسائي (كتابه) بالإفراد وقرأ الباقون (كتبه) بالجمع[1].

أما من قرأ بالإفراد (كتابه) فقد أراد القرآن الكريم، ويجوز أن يكون أراد جميع الكتب السماوية فالكتاب اسم للجنس، فتستوي بذلك القراءتان.

وأما من قرأ (كتبه) فقد أراد جميع الكتب التي أنزلها الله تبارك وتعالى على رسله، وذلك يتوافق مع صيغ الجمع في الآية.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: كل المؤمنين آمنوا بالله وملائكة وكتبه ورسله[2].

(طيرًا) من قوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ آل عمران/٤٩.

قرأ نافع (طائرًا) بألف بعد الطاء على التوحيد وقرأ الباقون (طيرًا) بغير ألف على الجمع[3].

أما من قرأ بغير ألف على الجمع فقد رده على قوله تعالى: (كهيئة الطير) ولم يقل كهيئة الطائر، فأجرى الآخر على لفظ الأول ومعناه الجمع.

وأما من قرأ بالألف على التوحيد فذلك لأن كلمة أنفخ تكون في الواحد منها فيكون طائرًا، على تقدير: فيكون ما أنفخ فيه طائرًا.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل أني جئتكم بآية أني أقدر لكم شيئًا على هيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله[4].

(زبورا) من قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ النساء/ ١٦٣.

قرأ حمزة (زُبورا) بضم الزاي وقرأ الباقون بالفتح (زَبورا)[5].

أما من قرأ بضم الزاي فقد جعله جمع (زَبْر) كدَهْر ودُهور. و(زَبْر) يراد به المزبور كقولك: هو نسج اليمن أي منسوج.

والزَّبر: الكتابة، وزَبَر الكتاب يَزْبُرُه ويزبِرُه زبرًا: كتبه. والزِّبر: الكتاب والجمع زُبُور مثل قِدْر قُدور.

والزَّبور: الكتاب المزبور والجمع زُبُر كما قالوا رَسُولٌ ورُسُلٌ. وإنما مثلته به لأن زَبُورًا ورَسُولاً في معنى مفعول[6].

---

(1) التيسير في القراءات السبع للداني ص٨٥.

(2) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٢٣/١ والكشاف للزمخشري ٣٥٨/١.

(3) التيسير في القراءات السبع للداني ص٨٨.

(4) يراجع في ذلك الحجة القراء السبعة للفارسي ٤٤/٣ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٤٥/١ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٦٦/٢.

(5) التيسير في القراءات السبع للداني ص٩٨.

(6) لسان العرب لابن منظور (زبر) ١٨٠٤/٣.

و(زَبْر) مصدر وإنما جاز جمعه لوقوعه موقع الأسماء التي ليست بمصادر كما جمع الكتاب على كُتُب لما استعمل استعمال الأسماء فقالوا زُبور ويجوز أن يكون زُبور جمع (زَبور) بالفتح على تقدير حذف الزائد[1].

وأما من قرأ بفتح الزاي (زَبورا) فقد استند إلى أنه أُثر هكذا كما ورد (زَبور داوود) كالتوراة والإنجيل والقرآن.

والاختلاف بين القراءتين له أثر يسير على المعنى فالقراءة بضم الزاي معناها: وآتينا داوود كتبًا وصحفًا كما قال: ﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾الأعلى/١٩.

وعلى القراءة بفتح الزاي هو أن الله تعالى آتى نبيه داوود كتابًا اسمه الزبور[2].

(رسالته) من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾المائدة/٦٧.

قرأ نافع وابن عامر وشعبة بألف بعد اللام وكسر التاء على الجمع (رسالاتِهِ).

وقرأ الباقون بغير ألف بعد اللام وفتح التاء على الإفراد (رسالتَه)[3].

أما من قرأ على الجمع (رسالاته) فلأن الرسل يرسلون بضروب من الرسائل المرسلة معهم في التشريع والتوحيد وما يشرعون من الشرائع وما ينسخ منها على ألسنتهم فحسن أن يجمع ليدل على ذلك كما حسُن أن تجمع أسماء الأجناس إذا اختلفت هذه الأجناس مثل تمور وعلوم فكلمة تمر اسم جنس تدل على الكثير منه ولكن قد يختلف تمر عن تمر فلذلك جمعت لتدل على هذا الاختلاف وكذلك في علوم وفي رسالات.

وأما من قرأ على الإفراد (رسالته) أن الرسالة على انفراد لفظها تدل على الكثرة وهي كالمصدر في أكثر الكلام لا تجمع ولا تثنى، لكن جاز جمعه هنا لما اختلفت الأنواع والأجناس وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾النحل/١٨. والنعم كثيرة والمعدود لا يكون إلا كثيرًا لكن الواحد يدل على الجمع[4].

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو وجوب أن يبلغ صلوات الله وسلامه عليه جميع ما أنزله الله عليه وقد فعل[5].

(كلمة) من قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾الأنعام/١١٥.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي بغير ألف بعد الميم على التوحيد (كلمة) وقرأ الباقون بالألف على الجمع (كلمات)[6].

---

(1) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ١٩٤/٣.

(2) يراجع ذلك البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣٩٧/٣ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٠٢/١-٤٠٣.

(3) التيسير في القراءات السبع للداني ص١٠٠.

(4) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤١٥/١ والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٢٤٥/٣.

(5) فتح القدير للشوكاني ٥٩/٢.

(6) التسير في القراءات السبع للداني ص١٠٦.

أما من قرأ بالجمع (كلمات) فقد حملها على ما أجمعوا عليه بعد ذلك في ذات الآية من قوله تعالى: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ فحملوا ما اختلفوا فيه على ما أجمعوا عليه، وقد رسمت في هذا الموضع بالتاء المفتوحة فدل على الجمع. ولما كان ما جاء من عند الله تعالى من وعد ووعيد وثواب وعقاب وأخبار عما كان وما يكون وذلك كثير، وأن ذلك معنى كلمات فقد اختار من قرأ بالجمع صيغة الجمع لكثرة ذلك.

وأما من قرأ بالتوحيد (كلمة) فقد رأى أن الواحد في مثل هذا يدل على الجمع وفي قول أكثر المفسرين أن لفظ الواحد يدل على الجمع، وحيث إن لفظ الواحد أخف اختاروا لفظ الواحد(١).

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى قد أتم وعده ووعيده فظهر الحق وانطمس الباطل(٢).

(رسالته) من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾الأنعام/١٢٤.

قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالتوحيد (رسالته)بفتح التاء.

وقرأ الباقون بالجمع (رسالاتِهِ) بكسر التاء نيابة عن الفتحة(٣). وقد سبق القول على هذا الاختلاف عند الحديث على الآية رقم (٦٧) من سورة المائدة.

(مكانتكم) من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ﴾الأنعام/١٣٥.

قرأ أبو بكر شعبة بالجمع (مكاناتكم) بألف بعد النون، وقرأ الباقون بالتوحيد (مكانتكم).(٤)

أما من قرأ بالجمع (مكاناتكم) فقد جعله جمع مكانة وهي الحالة التي هم عليها فالجمع يقابل جمع المخاطبين. والمكانة تكون مصدرًا يقال: مَكن يمكُن مكانةً إذا تمكن أبلغ التمكن، وتمكن فهو مكين بين المكانة، فالميم حينئذٍ أصلية من مكُن..يمكُن مكانةً، والمكانة مفعلة من مكُن.

وتكون بمعنى المكان يقال: المكان والمكانة مفعل ومفعلة من الكون فالميم ههنا زائدة، فيحتمل أن يكون المعنى: على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم، وهذا ما ذهب إليه الزجاج(٥).

ويحتمل أن يكون المعنى: على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها، يقال: مكانتك يا فلان إذا أُمر أن يثبت على حاله، أي اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه.

وقال ابن عباس: على ناحيتكم والمعنى ما تنحون أي ما تقصدون من صالح وطالح، وقيل على مذاهبكم، وهي ألفاظ متقاربة مفادها أنها أمر تهديد ووعيد كقوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾فصلت/٤٠.

---

(١) يراجع في ذلك حجة القراءات لأبي زرعة ص٢٦٨ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٤٧/١-٤٤٨.

(٢) فتح القدير للشوكاني ١٥٥/٢.

(٣) التيسير في القراءات السبع للداني ص١٠٦.

(٤) السابق ص١٠٧.

(٥) تاج العروس للزبيدي (مكن) ٣٤٨/٩.

وأما من قرأ بالتوحيد (مكانتكم) فقد جعله مصدر مكُن يمكُن مكانة أي على تمكنكم وأمـــركم وحالكم، والواحد ينوب عن الجمع والمصدر يدل على القليل والكثير من صنفه[1].

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى، وهو: يا قوم اثبتوا على ما أنتم عليه فإني غير مبالٍ بكم إني ثابت على ما أنا عليه وستعلمون من هو على الحق ومن هو على الباطل وهذا وعيد شديد.

---

(1) يراجع في ذلك: الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٥٢/١-٤٥٣ وحجة القراءات لأبي رزعة ص٢٧٢ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٢٦/٤.

المبحث الثالث

الاختلافات الصرفية في صيغ المثنى والجمع وأثرها الدلالي

فيما يلي بيان باختيارات القراء من بعض صيغ المثنى والجمع وأثرها على المعنى وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم وذلك في فرعين:

الفرع الأول: صيغ المثنى:

(الأوليان) من قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا ﴾ المائدة/١٠٧.

قرأ حمزة وشعبة عن عاصم (الأوَّلين) بتشديد الواو وكسر اللام بعدها وسكون الياء وفتح النون جمع (الأوّل) منصوبًا مع بناء (استحق) للمجهول.

وقرأ باقي السبعة (الأوليان) بتثنية (الأولى) مرفوعًا[١] وبناء استحق للمعلوم.

أما من قرأ (الأوليان) فقد جعله مثنى الأَوْلَى أي أوْلى بالشهادة على وصية الميت وقيل أوْلى بالميت من غيره.

وفلان أَوْلَى بكذا أي أحرى به وأجدر. يقال: هو الأَوْلَى، وهما الأَوْلَيان وهم الأوَالِي والأَوْلَوْنَ على مثال: الأعلى والأعالي والأَعْلَوْنَ. وتقول في المرأة: هي الوُليا وهما الوُلْيَيَان وهنّ الوُلَى وإن شئت الوُلْيَيَاتُ مثل الكبرى والكبريان والكُبْرَيات[٢].

والأَوليان يقرأ بالألف على تثنية (الأَوْلَى) وفي رفعه خمسة أوجه:

أحدها: أنه خبر مبتدأ محذوف والتقدير: هما الأوليان.

والثاني: أنه مبتدأ خبره آخران.

والثالث: أنه فاعل استحق.

والرابع: أنه بدل من الضمير في (يقومان).

والخامس: أنه صفة لـ(آخران) خلافًا للبصريين لأنه وإن كان نكرة فقد وصف والأوليان لم يقصد بهما قصد اثنين بأعيانهما وهو رأي الأخفش[٣].

وأما من قرأ (الأوَّلين) فقد جعله جمع (الأول) والتقدير: من الأولين الذين استُحق عليهم الإيصاء أو الإثم، وإنما قيل لهم الأولين لتقدم ذكرهم في أول هذا الموضوع في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ فتكون الأولين على هذا صفة للذين في قوله تعالى: (من الذين استحق عليهم..) أو بدل من الهاء والميم في عليهم[٤].

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ص١٠٠.

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة (ولى) ٤٩٢١/٦.

(٣) إملاء ما منّ به الرحمن العكبري ٢٣٠/١.

(٤) السابق ٢٣٠/١-٢٣١ .

وأثر اختلاف القراءات على المعنى واضح إذ المعنى على قراءة (الأوليان) وبناء (استَحَقَّ) للمعلوم هو: من الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بها لإظهار كذب الكاذبين لكونهما الأقرب للميت فالأوليان فاعل استحق ومفعوله المصدر المؤول من (أن يجردوهما) للقيام بالشهادة.

والمعنى على بناء (استُحق) للمجهول و(الأوليان) هو: فآخران من الذين استُحِقَّ عليهم الإثم الأوليان أي هما الأوليان بالشهادة أو بالميت.

والمعنى على قراءة (الأوّلين) مع بناء (استُحق) للمجهول هو: فآخران من الذين استُحِقّ عليهم الإثم، أي جُنِيَ عليهم وهم أهل الميت فإنهم أحق بالشهادة.

(اللذان) من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ النساء/١٦.

قرأ ابن كثير بتشديد النون (اللذانّ)، وقرأ باقي السبعة بالتخفيف (اللذان)[١].

أما القراءة بتشديد النون ففيها ثلاثة أقوال:

الأول: أن يكون التشديد عوضًا عن الحذف الذي أصاب هذه الأسماء المبهمة في التثنية إذ القياس أن يقال (اللّذيان) لأنها تثنية (الذي) فحذفت الياء من الذي كما حذفت ألف من (هذا) وذلك لالتقاء الساكنين لام الكلمة وألف التثنية، فجعل التشديد.

الثاني: أن التشديد وجب لهذه النون للفرق بين النون التي هي عوض عن تنوين ملفوظ به في الواحد نحو زيدٌ وعمروٌ وبين النون التي لا يوجد تنوين في الواحد ملفوظ به لتكون عوضًا منه.

الثالث: أن النون شددت للفرق بين النون التي تحذف للإضافة، وبين النون التي لا تحذف للإضافة لأن الاسم الملحقة به معرفة فهو لا يضاف البتة.

وأما من قرأ بتخفيف النون فقد أجرى هذا الاسم المبهم مجرى سائر الأسماء فخفف النون كما تخفف في كل الأسماء.[٢]

قال أبو البقاء: (والمبهمات لا تثنى التثنية الصناعية والحذف مؤذن بأن التثنية هنا مخالفة للقياس.)[٣]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى، وهو أمر بإلحاق الأذى من التوبيخ والتعيير أو السب والجفاء باللذين يأتيان الفاحشة وقد نسخ ذلك بقوله تعالى:[٤] ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾ النور/٢.

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ص٩٤.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/٣٨١-٣٨٢.

(٣) إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري ١/١٧١.

(٤) فتح القدير للشوكاني ١/٤٣٨.

الفرع الثاني: صيغ الجمع:

(خطوات) من قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ البقرة/١٦٨.

قرأ نافع وأبو عمرو وحمزة وشعبة بإسكان الطاء (خُطْوات).

وقرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم (خُطُوات) بضم الطاء[1].

أما من قرأ (خُطُوات) بالضم فلأن الواحدة (خُطْوة) ساكنة العين فإذا جمعت حرّكت العين بحركة الفاء، كما فعل في الأسماء التي على هذا الوزن نحو غُرْفة وغُرُفات، وتَمْرة وتَمَرات، وشَهْوة وشَهَوات. وتحريك العين على هذا الجمع للفصل بين ما هو اسم وما هو صفة منه لأن ما كان اسمًا جمعته بتحريك العين وما كان نعتًا جمعته بسكون العين نحو (ضَخْمة وضَخْمات) و(عَبْلَة وعَبْلات) والخُطوة من الأسماء لا من الصفات فحسن جمعها بتحريك العين لذلك وهي لغة أهل الحجاز وهو الأصل[2].

وأما من قرأ (خُطْوات) بالسكون فلأن (فُعْلة) الساكنة العين السالمتها إذا كانت اسمًا جاز في جمعها بالألف والتاء ثلاثة أوجه: إسكان العين وهو الأصل. والإتباع، والفتح في العين تخفيفًا وهي لغات مسموعة عن العرب[3].

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى.

(البيوت) من قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ البقرة/١٨٩.

قرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم (البُيوت) بضم الباء.

وقرأ الباقون (البِيوت) بكسر الباء[4].

أما من قرأ بضم الباء فقد أتى بها على الأصل، إذ الأصل في (فَعْل) أن يجمع على (فُعول) بضم الفاء مثل: كَعْب كُعوب، وقلب قلوب، وفَلْس فُلوس، وبَيْت بُيوت. ولما كان هذا النوع لا يجوز فيه إلا الضم إذا لم يكن الثاني ياءً نحو كعب ودهر فقد أُجري ما ثانيه ياء على ذلك لأنه الأصل ولئلا يختلف.

وأما من قرأ بكسر الباء، فقد استثقل الضمة في الباء وبعدها ياء مضمومة فيجتمع في الكلمة ضمتان بعدهما واو ساكنة فتصير بمنزلة ثلاث ضمات وهذا من أثقل الكلام، والجمع ثقيل فكسروا الباء لثقل الضمات مع الجمع ولقرب الكسرة من الياء. قال مكي: (الكسر لغة مشهورة في هذا الجمع).

---

(1) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٧٨.

(2) حجة القراءات لأبي زرعة ص ١٢١.

(3) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/٢٧٣-٢٧٤.

(4) التيسير في القراءات السبع للداني ص٨٠.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن إتيان البيوت من ظهورها حقيقة أو مجازًا ليس من البر وهو عدول عن الطريق الصحيح وإتيانها من أبوابها كناية عن التمسك بالطريق الصحيح وهو البر(١).

(أكلها) من قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾البقرة/٢٦٥.

قرأ نافع وابن كثير بإسكان الكاف حيث وقع. وأسكن أبو عمرو ما أضيف من ذلك إلى مؤنث وضم ما أضيف إلى مذكر وما لم يضف.

وقرأ الباقون بضم الكاف (أُكُلها).(٢)

أكل الطعام يأكله أكلاً فهو آكل والجمع أكلة. وتقول: أكلت أُكلة واحدة بضم الهمزة أي لقمة واحدة وأَكل أكلة بالفتح إذا أكل حتى شبع. وهذا الشيء أُكلة لك بضم الهمزة أي طُعمة لك. وفي حديث الشاة المسمومة: مازالت أُكلة خيبر تعادُّني، أي اللقمة التي أكل من الشاة. وبعض الرواة يفتح الهمزة وهو خطأ لأنه ما أكل منها إلا لقمة واحدة، ومنه الحديث الآخر: فليجعل في يده أُكلة أو أُكلتين أي لقمة أو لقمتين.. وفي الحديث: أخرج لنا ثلاثَ أُكَل (بضم الهمزة وفتح الكاف) وهو جمع أُكْلة مثل غُرْفة وغُرَف وهي القرص من الخبز(٣).

قال أبو علي الفارسي: الأكل مصدر أكلت أكلاً وأكلة فأما الأُكُل فهو المأكول يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾إبراهيم/٢٥وقوله عز وجل: ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾البقرة/٢٦٥ فذلك ما يؤكل منها.

فالأُكُل بضم الهمزة والكاف هو الطعام وضم الكاف الأصل والإسكان لغة فيه فهما لغتان. وقد فرّق أبو عمرو بين المضاف إلى مؤنث والمضاف إلى مذكر وما لم يضف، فأسكن الكاف في المضاف إلى المؤنث تخفيفاً وذلك لثقل المؤنث ولئلا يجمع ثقل التأنيث وثقل الضم. وأما ما أضيف إلى مذكر مثل قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾الأنعام/١٤١. وما كان غير مضاف مثل: ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾سبأ/١٦فإنه تركه مضموم الكاف(٤).

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن نفقة من ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله في زكائها كمثل بستان بمكان مرتفع أصابه وابل فأتت ثماره ضعفي أو مثلي ما كان يثمر(٥).

(ثمره) من قوله تعالى: ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾الأنعام/٩٩ **وقوله تعالى:** ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾الأنعام/١٤١.

---

(١) يراجع في ذلك البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٦٣/٢ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٨٥/١ وحجة القراءات لأبي زرعة ص١٢٧.

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني ص٨٣.

(٣) لسان العرب لابن منظور (أكل) ١٠٠/١-١٠١.

(٤) يراجع في ذلك: الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣٩٤/٢-٣٩٥. والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣١٤/١.

(٥) الكشاف للزمخشري ٣٤١/١.

قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم (ثُمُره).

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم بفتح الثاء والميم (ثَمَره)(1).

أما قراءة من قرأ بضم الثاء والميم (ثُمُره) فإنها تحتمل وجهين:

١- أن يكون جمع (ثمرة) على ثُمُر كما جمعوا خَشبة على خشُب كما جاء في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ المنافقون/٤ وكذلك أكمة على أُكُم. ونظيره من المعتل ساحة على سُوح، وقارة وقُور، ولابة ولُوب(2)، وناقة ونوق.

٢- أن يكون جمع الجمع. فثُمُر جمع ثمار وثمار جمع ثمرة وذلك نحو أُكُم جمع إكام، وإكام جمع أَكَمة وهو نظير كُتُب وكُتْبَان وكثيب.

وأما من قرأ بفتح الثاء والميم (ثَمَره) فالثمر اسم جنس مفرده ثَمَرة كشجر وشجرة وبقر وبقرة وجزر وجزرة واسم الجنس يفرق بينه وبين مفرده بالتاء كنبق ونبقة.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو دعوة إلى النظر الذي يبعث على التفكُّر والاعتبار والاستدلال على قدرة الخالق تبارك وتعالى كيف يخرج الثمر ضئيلا ضعيفاً لا يكاد ينتفع به وكيف يعود نضيجًا مشتملاً على المنافع الكثيرة(3).

(قُبُلاً) من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ الأنعام/١١١.

قرأ نافع وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء (قِبَلا)، وقرأ الباقون بضمهما (قُبُلا).(4)

أما من قرأ بضم القاف والباء (قُبُلا) فقد جعله جمع (قبيل) من جمع فعيل على فُعُل كنذير على نُذُر، والقبيل هو النوع أي ولو حشرنا عليهم كل شيء نوعًا نوعًا صنفًا صنفًا لو عاينوا ذلك ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله. ويجوز أن يكون قُبُلا بمعنى مواجهة أي يعاينونه ويواجهونه قال أبو زيد: (يقال: لقيت فلانًا قِبَلاً، ومقابلةً، وقَبَلاً، وقُبُلا وقَبْلِيًا وقبيلاً وكله واحد وهو المواجهة)(5) فالمعنى في القراءتين على ما قاله أبو زيد واحد وإن اختلفت الألفاظ، ويدل على أن القراءة بالضم بمعنى المقابلة قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ يوسف/٢٦ والقبل ضد الدبر.

وأما من قرأ بالكسر (قِبَلاً) فقد جعله بمعنى المواجهة والمعاينة أي ولو حشرنا عليهم كل شيء يواجهونه ويعاينونه ما آمنوا إلا أن يشاء الله، وهو ههنا منصوب على الحال لأن معناه مقابلة أي عيانًا ومشاهدةً.

والقراءتان بمعنى واحد على ما ذكره أبو زيد، إذ المعنى: ولو حشرنا عليهم كل شيء مواجهة وعيانًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله.

---

(1) التيسير في القراءات السبع للداني ص١٠٥.

(2) اللابة: الحَرة أو الأرض التي كسيت بحجارة سوداء، تاج العروس للزبيدي مادة (لوب) ٤٧٣/١.

(3) يراجع في ذلك: الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي٣/٣٦٦-٣٦٨ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٩١/٤.

(4) التيسير في القراءات السبع للداني ص١١١

(5) النوادر لأبي زيد ص٥٦٩-٥٧٠.

(المعز) من قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ الأنعام/١٤٣.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (ومن المَعَزِ) بفتح العين.

وقرأ عاصم ونافع وحمزة والكسائي (ومن المَعْز) ساكنة العين(١).

هما لغتان في جمع (ماعز).

فمن قرأ بفتح العين فقد جعله مثل خَادِم وخَدَم، وطَالِب وطَلَب وحَارِس وحَرَس وماعِز ومَعَز.

وأما من قرأ بإسكان العين (المَعْز) فقد جعله جمع ماعز أيضًا وذلك على حد قولهم صَاحِب وصَحْب وتَاجر وتَجْر وراكِب ورَكْب(٢).

والمَعْز عند سيبويه اسم للجمع يصغره على لفظه، وقد أنشد أبو عثمان المازني في الاحتجاج لقول سيبويه قول الشاعر:

بنيته بعصبة من ماليا أخشى رُكَيبا أو رجيلاً عاديًا(٣)

فهذان تحقير (رَكْب ورَجْل) وهما اسمان للجمع بمنزلة (رُكَّاب و رَجَّالة) وهو عند الأخفش جمع يرده في التصغير إلى واحدة ثم يجمعه بإلحاق الواو والنون أو الياء والنون.

قال أبو عثمان المازني: (وكان أبو الحسن يقول في تحقير "رَكْب: رويكبون" لأنه عنده جمع كسِّر عليه "راكب")(٤).

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى أنشأ من الأنعام ثمانية أزواج اثنان من الضأن واثنان من المعز واثنان من الإبل واثنان من البقر(٥).

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٧١.

(٢) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٤١٩/٣.

(٣) البيت في المنصف لابن جني ١٠١/٢ وفي شرح المفصل لابن يعيش ٧٧/٥ وفي شرح شواهد الشافية ص١٥٠ ولم ينسب.

(٤) المنصف لابن جني ١٠١/٢.

(٥) الكشاف للزمخشري ٤٥٦/١.

الفصل الثالث

الاختلافات الصرفية في صيغ الأفعال وأثرها الدلالي

المبحث الأول: الاختلافات الصرفية في صيغ المجرد وأثرها الدلالي

المبحث الثاني: الاختلافات الصرفية في صيغ المزيد وأثرها الدلالي

المبحث الثالث: الاختلافات الصرفية بين المجرد وبين المزيد وأثرها الدلالي

المبحث الرابع: الاختلافات الصرفية بين المبني للمعلوم وبين المبني للمجهول وأثرها الدلالي

المبحث الأول

الاختلافات الصرفية في صيغ المجرد وأثرها الدلالي

فيما يلي بيان باختيارات القراء من بعض الصيغ الواردة في الفعل المجرد وأثرها على المعنى وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم.

(فصرهن) من قوله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ البقرة/٢٦٠

قرأ حمزة بكسر الصاد (فصِرهن) وقرأ الباقون بضمها (فصُرهن)[١].

صار الشيءَ صَوْرًا. وأصاره فانصار: أماله فمال. وصَوِر يصْوَر صَوَرًا من باب فرح وهو أَصْوَر. والصَيْر: القطع. صاره يَصِيره كيَصُورُه أي قطعة وكذلك أماله. قال اللحياني: (قال بعضهم: معنى صُرهن وجِّهْن ومعنى صِرْهُن قطِّعْهن وشقِّقْهن والمعروف أنهما لغتان بمعنى واحد.)[٢]

والذي يراه الباحث أن القراءتين لغتان في معنى واحد هو الميل على الراجح من أقوال العلماء، لأن دلالة قوله تعالى: (فاجعل على كل جبل منهنّ جزءًا) تغني عن الأمر المباشر بالتقطيع، وأن دلالة قوله تعالى: (ثم أدعهن يأتينك سعيًا) في آخر الآية تقتضي نوعًا من استئناس هذه الطيور واستمالتها لتكون مطيعة فتستجيب له حين يدعوها. وبهذا يكون المعنى: خذ أربعة من الطير فاضممهنّ إليك وأملهنّ واجمعهن ثم اجعل على كل جبل جزءًا من كل واحدة منهن ثم ادعهن يأتينك سعيًا. وباعتبار أقوال العلماء السابقة بأنهما لغتان في الميل والتقطيع تكون كل قراءة منهما مثالاً لما يطلق عليه علماء الدراسة اللغوية الحديثة اسم (توسيع الدلالة) حيث يتوسع معنى الكلمة ليفيد أكثر مما كانت تفيده عند بدء نشأتها[٣].

(يحسبهم) من قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ البقرة/٢٧٣.

قرأ عاصم وحمزة وابن عامر بفتح السين (يحسَبهم) حيث وقع وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي بكسر السين (يحسِبهم) حيث وقع[٤].

قال أبو علي الفارسي: قال أبو زيد: يقال: حَسِبْتُ الشيء أحْسَبُه وأحسِبُه حُسبانًا وحكى سيبويه أيضًا: حَسِب يحسَبُ ويحسِبُ.

قال أبو علي: القراءة بتحسَبُ بفتح السين أقيس لأن الماضي إذا كان على (فَعِلَ) نحو حَسِبَ كان المضارع على (يَفْعَلُ) مثل فَرِقَ يَفْرَق، وشَرِبَ يشرَب، وشذ يحسِب فجاء على يفعِل والكسر حسُن لمجيء السمع به وإن كان شاذًا في القياس[٥].

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٨٢.

(٢) لسان العرب لابن منظور (صور) ٢٥٢٤/٤.

(٣) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣١٣/١ وفتح القدير للشوكاني ٢٨٢/١-٢٨٣.

(٤) التيسير في القراءات السبع للداني ص٨٤.

(٥) الحجة للقراء السبعة للفارسي ٤٠٢/٢-٤٠٣ .

وقال أبو حيان: والفتح في السين لغة تميم والكسر لغة الحجاز قال مكي بن أبي طالب: وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بكسر السين وهي لغة حجازية[1].

أما من قرأ بفتح السين فقد جاء به على لغة تميم. ومن قرأ بكسر السين فقد جاء به على لغة الحجاز.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: أنه لفرط انقباض أهل الصفة وهم نحو أربعمائة رجل من مهاجري قريش، وتركهم المسألة وتوكلهم على الله يحسبهم من جهل أحوالهم أغنياء[2].

(تصدقوا) من قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة/٢٨٠.

قرأ عاصم بالتخفيف (تَصَدقوا) وقرأ الباقون بالتشديد (تصَّدقوا)[3].

الصدقة ما أعطيته في ذات الله تعالى للفقراء. والفعل تصدّق يتصدَّق[4]. وتصدقوا أصلها تتصدقوا.

فمن قرأ بالتخفيف فإنه استثقل التكرير في الفعل والفعل ثقيل في الجمع فحذف إحدى التاءين استخفافًا، وكأنه استثقل الإدغام لأن الحرف باقٍ بدله مع الإدغام.

والمحذوف في قراءة التخفيف هي التاء الثانية عند سيبويه لأنها هي التي تسكن وتدغم[5] فكما أنها اعتلت بالإدغام اعتلت بالحذف.

وأما من قرأ بالتشديد فإنه كره اجتماع الأمثال فخفف بالإدغام حيث قلبت التاء الثانية صادًا وأدغمت الصاد فصارت (تصَّدقوا).

وكلا الفريقين كره توالي الأمثال. فمن قرأ (تصدقوا) خفف بالحذف ومن قرأ (تصَّدقوا) خفف بالإدغام. وفي التشديد دلالة التكثير.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: وأن تتصدقوا على الغريم برأس المال أو ببعضه خير لكم من الإنظار والمراد بالخير حصول الثناء في الدنيا والأجر الجزيل في الآخرة[6].

(يضركم) من قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ آل عمران/١٢٠.

قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي (لا يضُرُّكم) بضم الضاد ورفع الراء مع تشديدها، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (لا يَضِرْكم) بكسر الضاد وجزم الراء[7].

---

(١) يراجع في ذلك: الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣١٨/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣٢٨/٢.

(٢) الكشاف للزمخشري ٣٤٥/١.

(٣) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٨٥.

(٤) لسان العرب لابن منظور (صدق) ٢٤١٩/٤.

(٥) الكتاب لسيبويه ٤٧٦/٤.

(٦) يراجع في ذلك الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ١٣٥/٢ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣٤١/٢.

(٧) التيسير في القراءات السبع للداني ص٩٠.

أما من قرأ بالتشديد (يضرُّكم) فقد جعله من ضَرَّ يَضرُّ ضَرًّا وضرًّا. والضَّرُّ بالفتح مصدر والضُّرُّ بالضم اسمٌ. وهو ضد النفع. واختلف في حركة الراء أهي حركة إعراب فهو مرفوع أم حركة إتباع لضمة الضاد فهو مجزوم كقولك مدَّ، ونسب هذا إلى سيبويه. فالإعراب على نية التقديم والتقدير: لا يضرُّكم إن تصبروا، وهو منسوب إلى سيبويه. وقيل أيضًا إن (لا) بمعنى ليس مع إضمار الفاء، والتقدير: فليس يضرُّكم. وهذا قول الفراء والكسائي والراجح أنه مجزوم على أنه جواب الشرط في كلا القراءتين.

وأما من قرأ بالتخفيف، (يَضِرْكم) أنه جعله من ضار يضير ضيرًا مثل: باع يبيع بيعًا وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ﴾الشعراء/٥٠[1].

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى فهما لغتان: ضرَّه يَضُرُّه، وضاره يضيره والمعنى: إن تصبروا على عداوتهم أو على التكاليف الشاقة وتتقوا موالاتهم لا يضركم كيدهم شيئًا[2].

(متُّم) من قوله: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ﴾ وقوله: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾آل عمران/١٥٧- ١٥٨.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة(مُتم) و(مُت) و(مُتنا) بضم الميم حيث وقع وتابعهم حفص في سورة آل عمران خاصة. وقرأ الباقون بكسر الميم (مِتُّم)[3].

أما من ضم الميم، فلأن المستعمل الفاشي في هذا الفعل (مات يَمُوُت) وهو فعل معتل أجوف كـ(قَال يَقْوُل) على فَعَل يَفعُل بضم العين. فضمت فاء الفعل في الإخبار لتدل على الواو المحذوفة كما تقول: قُلت وطُفت، فإذا كسر لم تدل الكسرة على الواو المحذوفة، فالأصل ضم أوله في الإخبار للدلالة على الواو.

وأما من كسر الميم فقد حمله على لغة أتت فيه على (فعل يفعِل) وذلك قليل في القياس أتى في المعتل كما أتى في السالم نحو: فضل يفضِل، فلما كان الماضي على (فَعِل) بكسر العين، كسر أوله في الإخبار لتدل الكسرة على أن العين في الفعل أصلها الكسرة كما كسروا في كِلت لتدل الكسرة على الياء المحذوفة.

و(مِتّ) بالكسر كثير في الاستعمال شاذ في القياس. ومُتُّ بالضم كثير في الاستعمال غير شاذ في القياس[4].

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن السفر والغزو ليسا مما يجلب الموت ولئن وقع ذلك فإن مغفرة الله ورحمته خير مما تجمعون.

(واسألوا) من قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾النساء/٣٢.

قرأ ابن كثير والكسائي بغير همز (وسلوا)، وقرأ الباقون بالهمز (واسألوا)[5].

---

(١) يراجع في ذلك: الحجة للقراء السبعة للفارسي ٧٥/٣ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٥٥/١.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٣/٣.

(٣) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٩١.

(٤) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٦١/١-٣٦٢. والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي٩٦/٣.

(٥) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٩٥.

أما من قرأ بغير همز فقد جعله على تخفيف الهمز، حيث ألقيت حركة الهمزة على السين الساكنة قبلها فحركت السين وحذفت الهمزة على أصل تخفيف الهمز.

وقد خصص هذا بالتخفيف لكثرة استعماله وتصرفه في الكلام وثقل الهمزة وذلك في الأمر المواجَه به خاصة، إذا كان قبله واو أو فاء مثل قوله تعالى: ﴿ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ ﴾يونس/٩٤. و﴿ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾الإسراء/١٠١ وقوله: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا ﴾الزخرف/٤٥.

وقد أجمع القراء على طرح الهمزة في قوله تعالى: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾البقرة/٢١١وقوله تعالى: ﴿ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾القلم/٤٠، وإنما فعل ذلك مع الواو والفاء لأنهما يتوصل بهما إلى اللفظ بالسين، لأن أصلها السكون وحركة الهمزة عليها عارضة لا يعتد بها فقامت الواو والفاء مقام همزة الوصل التي يؤتي بها للابتداء والتوصل إلى النطق بالساكن(١).

وأما من قرأ بالهمزة فقد جعله على الأصل وهو (سأل) وقد اجمع القراء على الهمزة في غير المواجَه به مثل قوله تعالى: ﴿وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾الممتحنة/١٠.

قال أبو حيان: (وحذف الهمزة في (سل) لغة أهل الحجاز وإثباتها لغة لبعض تميم)(٢).

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى.

(تلووا) من قوله تعالى: ﴿وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾النساء/١٣٥.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم والكسائي (تلْوُوا) بواوين الأولى مضمومة واللام ساكنة. وقرأ حمزة وابن عامر (تلُوا) بواو واحدة واللام مضمومة(٣).

أما من قرأ بواوين فأصلها لوى يلوي وهو فعل معتل لفيف مقرون، والمعنى: إن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل. وأصل الكلمة (تلْوِيوا) استثقلوا الضمة على الياء فحذفوها فسكنت الياء فالتقى ساكنان: الياء وواو الضمير فحذف الأول منهما وهو الياء، ثم ضمت الواو الأولى التي هي عين الكلمة لأجل واو الضمير فصارت تلووا.

فإن كان عن الشهادة فالمعنى يحرفون الشهادة ليبطلوا الحق أي تبدلوا الشهادة وتلووها عن وجهها الصحيح، أو تعرضوا عنها فتكتموها.

وإن كان عن الحكم بالعدل فهو خطاب للحكام في ليهم الأشداق بالميل إلى أحد الخصمين أو الإعراض عنه.

وأما من قرأ بواو واحدة (تلُوا) فإنها تحتمل وجهين:

الأول: أن يكون أصله (تلْووا) كالقراءة الأولى فأبدل من الواو المضمومة همزة فصارت (تلْؤُوا) بإسكان اللام، كما هو الحال في (أُجوه) و(أُقتت). ثم نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وهو اللام وحذفت الهمزة فصارت (تلُوا).

---

(١) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/٣٨٧-٣٨٨. والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣/١٥٥.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣/٢٣٦.

(٣) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٩٧.

والثاني: أن يكون من الولاية من قولك: (وليت الحكم والقضاء) والمعنى: إن قمتم بالأمر أو أعرضتم فإن الله كان بما تعلمون خبيرًا. والأصل في هذا (توليوا) فحذفت الواو الأولى لوقوعها بين حرف المضارعة والكسرة فصارت (تَلِيُوا) مثل حذف الواو من (تَعِدوا) وأصلها (تُوعِدوا)، فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت وسكنت الياء فالتقى ساكنان: الياء وواو الضمير فحذفت الياء ونقلت الضمة إلى اللام لتناسب واو الضمير فصارت (تَلُوا).

والقراءتان متداخلتان باعتبار الوجه الأول للقراءة الثانية وهو أن أصلها (تلْؤوا) وما حدث فيها إلى أن صارت (تلُوا).

وأما باعتبار الوجه الثاني وهو أن أصلها (تلوا) من الولاية فإن أثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح فهو على القراءة بواوين: إن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل فإن الله كان بما تعملون خبيرًا وسيجازيكم على ذلك.

والمعنى على القراءة بواو واحدة (تلوا) من الولاية وهي الإقبال على الشيء: إن وليتم أمر القيام بالشهادة على وجهها أو أعرضتم عنها بكتمانها فإن الله كان بما تعملون خبيرًا[1].

(أرأيتكم) من قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ **الأنعام/٤٠.**

(أرأيتم) من قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ **الأنعام/٤٦.**

قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة (أرأيتكم) و(أرأيتم) بالهمزة في كل القرآن.

وقرأ نافع (أرايْتكم) و(أرايْتم) بالألف من غير همز.

وقرأ الكسائي (أرَيْتكم) بغير همزة ولا ألف[2].

أما قراءة الكسائي (أرَيْتكم) بغير همزة ولا ألف، فقد حمل ذلك على إجماع العرب على ترك الهمزة في المستقبل في قولهم (ترى) و(نرى) والأصل فيهما (ترأى ونرأى) فلما تركت الهمزة ههنا بني الماضي على المستقبل إذا زيدت همزة في أول الفعل. فإذا لم تزد همزة في أول الفعل وهي همزة الاستفهام لم يترك الهمزة وذلك مثل (رأيت)، لأن من شرطه لحذفها أن تتقدمها همزة الاستفهام فحينئذٍ يستثقل الجمع بينهما. وله حجة أخرى هي عدم ثبوت هذه الهمزة في المصاحف فقد كتبت بغير ألف.

وأما قراءة نافع (قل أرايْتكم) و(أَرَايْتم) بالألف من غير همز فحجته كراهة الجمع بين الهمزتين فخفف الهمزة الثانية بين بين، أما إذا لم تتقدم همزة الاستفهام فإنه يحقق هذه الهمزة ولا يخففها مثل ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ﴾ الإنسان/٢٠.

وأما قراءة الجمهور (أرأيتكم) و(أرأيتم) بتحقيق الهمزتين فإنهم أتوا به على الأصل، والأصل الهمز، لأن همزة الاستفهام الأولى دخلت على (رأيت) فالهمزة هي عين الفعل، وتحقيقها يكون على الأصل، وسكنت الياء لاتصالها بضمير الرفع المتصل. ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى.

---

(1) يراجع ذلك: حجة القراءات لأبي زرعة ص٢١٥-٢١٦ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣/٣٧١.

(2) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٢٥٧.

(يقصُّ) من قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ الأنعام/٥٧.

قرأ نافع وابن كثير وعاصم بضم القاف وبعدها صاد مشددة مع الضم (يقصُّ).

وقرأ الباقون بإسكان القاف وبعدها ضاد معجمه مكسورة (يقضِ)(١).

أما من قرأ بالصاد (يقصُّ) فقد جعله من قصَّ يقصُّ قصًّا وقَصَصًا. والقَصص بفتح القاف: الخبر المقصوص وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه. وهو من باب نَصَر يَنْصُر(٢).

وقد احتج ابن عباس لهذه القراءة بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يوسف/٣ وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ النمل/ ٧٦ وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي﴾ الأنعام/١٣٠.

وهنالك حجة أخرى لابن مجاهد قال: لو كان (يقضي) لكانت (يقضي بالحق) والعرب تقول: قضيت بالحق. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ﴾ غافر/٢٠ بإثبات الياء والباء مع القضاء.

وأما من قرأ بالضاد المعجمة (يقضِ) فقد جعله من قَضَى يقضِي قضاءً، وقضَّية والقضاءُ أصله قضايٌ، لأنه من قضيت إلا أن الياء لما تطرفت بعد الألف جعلت همزة(٣). أي حكم وفصل. واحتج من قرأ بهذه القراءة بقوله تعالى في آخر الآية: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ والفصل يكون في القضاء لا في القصص، كما يقوي ذلك قراءة ابن مسعود: (إن الحكم إلا لله يقضي بالحق) فدخول الباء يؤكد معنى القضاء. وكان أبو عمرو يحتج بأن الفصل يكون في القضاء لا في القصص، إلا أن أبا علي الفارسي رد هذه الحجة بأن الفصل قد جاء في القول أيضًا وذلك في قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ الطارق/ ١٣ وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يوسف/١١١.

وكلمة (الحق) في الآية تحتمل أمرين: إمّا أن تكون صفة لمصدر محذوف والتقدير يقصُّ القصص الحق، أو يقض القضاءَ الحق. أو تكون مفعولاً مثل يفعل الحق.

والأصل في قراءة يقضِ أن يتصل بها ياء لأنه مضارع مرفوع من القضاء وهو مجرد من الناصب والجازم، وهذه حجة أخرى ترجح القراءة بالصاد.

ولا يوقف على الفعل يقض في القراءة بالضاد المعجمة لأن أصله الياء فإن وُقف عليه بالياء على الأصل خالف الخط، وإن وقف عليه بغير الياء خالف الأصل(٤).

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح، فالمعنى على القراءة (يقصُّ) بالصاد المهملة هو أن الله تعالى يقول الحق ويقص القصص الحق. وعلى قراءة (يقضِ) بالضاد المعجمة هو أن الله تعالى يقضي القضاء الحق بين عباده ويفصّل لهم ذلك في كتابه(٥).

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ص١٠٣.

(٢) لسان العرب لابن منظور (قصص) ٣٦٥١/٥.

(٣) السابق (قضى) ٣٦٦٥/٥.

(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣١٩/٣.

(٥) الكشاف للزمخشري ٣٠/٢ وفتح القدير للشوكاني ١٤٠/٢.

المبحث الثاني

الاختلافات الصرفية في صيغ المزيد وأثرها الدلالي

فيما يلي بيان باختيارات القراء من بعض الصيغ الواردة في الفعل المزيد وأثر ذلك على المعنى وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم.

(فأزلّهما) من قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ البقرة/٣٦.

قرأ حمزة (فأزالهما) بألف مخففًا وقرأ الباقون (فأزلّهما) بغير ألف مشددًا[1].

أما من قرأ بالألف فقد جعله من الزوال وهو التنحية، والفعل (أزال) هو مزيد بالهمزة من الفعل (زال) المعتل اللازم وقد تمت تعديته بالهمزة وأصله (زول) تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا فأصبح (زال). والمعنى على هذا يكون مطابقًا لمعنى ما قبله على الضد ذلك أن الله تعالى قال لآدم عليه السلام: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ البقرة/٣٥. فهذا أمر لهما بالثبات. والزوال ضد الثبات. كما أنه مطابق لما بعده في المعنى لأن بعده (فأخرجهما مما كانا فيه) والخروج عن المكان هو الزوال عنه.

وأما من قرأ بغير ألف فقد جعله من الزَّلل، والفعل أزلّ مزيد بالهمزة من زلّ يَزِلُّ من باب ضرب وزلّ يزَل من باب علم زَلاًّ وزَليلاً ومَزِلة بكسر الزاي وزلولاً وزلَلاً – وهو الأشهر – زلق في طين أو في منطقٍ وبال. وأزلَّه إزلالاً أزلفه وحمله على الزَّلَّةِ[2].

وحجة من قرأ بهذه القراءة (أزلّهما) أن الشيطان ليس له قدرة على إزالة أحد من مكان إلى مكان وإنما قصاراه أن يغويه ويوقعه في الزلل فيكون ذلك سببًا في زواله من مكان إلى مكان ويقوي ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ الأعراف/٢٠.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح فالقراءة بالألف (فأزالهما) من الزوال تعني أن الشيطان أزالهما ونحاهما وأخرجهما من الجنة.

ويكون المعنى على القراءة بغير ألف (فأزلهما) أن الشيطان أغواهما واكسبهما الزّلة وهي السيئة والخطيئة والمعصية التي تسببت في إخراجهما من الجنة.

ويرى بعض العلماء أن (أزلهما) يحتمل تأويلاً آخر من (زَلَّ) بمعنى زلق وعثر وزلّ عن المكان إذا تنحى فيكون المعنى مطابقًا لقراءة من قرأ بالألف[3].

(تظاهرون) من قوله تعالى: ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ البقرة/٨٥.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي: (تَظاهرون) بفتح التاء وتخفيف الظاء.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (تَظَّاهرون) بفتح التاء وتشديد الظاء[4].

---

(1) التيسير في القراءات السبع للداني ص٧٣.

(2) تاج العروس للزبيدي مادة (زلل) ٣٥٨/٧.

(3) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٣٥/١-٢٣٦.

(4) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٧٤.

تظاهر على وزن تفاعل هي مطاوع الفعل ظاهر على وزن فاعل، تظاهرون أصلها تتظاهرون بمعنى تتعاونون. وتظاهروا عليه: تعاونوا، وظاهر بعضهم بعضًا: أعانه، والتظاهر التعاون والمظاهرة: المعاونة(١).

أما من قرأ بالتخفيف (تَظَاهرون) فقد استثقل التكرير في الفعل الذي أصله (تتظاهرون) والفعل ثقيل في الجمع فحذف إحدى التاءين استخفافًا، وكأنه استثقل الإدغام لأن الحرف باقٍ بدله مع الإدغام.

والمحذوف هي التاء الثانية عند سيبويه حيث يقول: (وكانت الثانية أولى بالحذف لأنها هي التي تسكن وتُدغم في قوله تعالى: (فادّارأتم) و(ازَّينت) وهي التي يفعل بها ذلك في يذّكّرون فكما اعتلت هنا كذلك تحذف هناك)(٢).

وأما من قرأ بالتشديد (تظّاهرون) فقد خفف بالإدغام حيث أدغم التاء الثانية في الظاء لمقاربتها لها. وكما اعتلت التاء الثانية بالإدغام هنا فقد اعتلت بالحذف في القراءة الأولى كما ذهب إلى ذلك سيبويه كما أن التاء الأولى هي تاء المضارعة فإذا حذفت ذهبت دلالة الاستقبال.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو لوم لبني إسرائيل على عدم وفائهم بالميثاق الذي أخذه الله عليهم بألا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم فارتكبوا كل ذلك وعاون بعضهم بعضًا على هذه المعاصي(٣).

(يُنَزِّل) من قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ البقرة/٩٠.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (يُنْزِل) بسكون النون وتخفيف الزاي.

وقرأ الباقون (يُنَزِّل) بفتح النون وتشديد الزاي.(٤)

نزل فعل لازم يتعدى بإحدى الطرق الثلاث التي يتعدى بها اللازم وهي: النقل بالهمزة (أنزل) وبحرف الجر ومنه قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ الشعراء/ ١٩٣ وبتضعيف العين (نزّل).

فمن قرأ يُنْزِل بتخفيف الزاي فقد جعله مضارع (أنزل) المتعدي بالهمزة أنزل ينزِل إنزالاً.

ومن قرأه (ينزّل) بتشديد الزاي فقد جعله مضارع (نزّل) المضعف العين نزّل ينزّل تنزيلاً.

وكلا الفعلين بمعنى واحد، قال سيبويه: (وقد يجيء فعّلت وأفعلت في معنى واحد مشتركين.. وذلك وعَّزْت إليه وأوعزت إليه وخبرّت وأخبرت وسمَّيت وأسميت)(٥).

---

(١) لسان العرب لابن منظور (ظهر) ٢٧٦٨/٤.

(٢) الكتاب لسيبويه ٤٧٦/٤.

(٣) يراجع ذلك في الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٥١/١ والحجة للقراء السبعة للفارسي ١٣٥/٢.

(٤) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٧٥.

(٥) الكتاب لسيبويه ٦٢/٤.

وفي القرآن الكريم ما يدل على ذلك قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ الإسراء/١٠٦ جاء هنا التنزيل على نزّل.

وقال تعالى: (وأُنْزِل الملائكة تنزيلا) الفرقان/٢٥. من قراءة الأعمش وعبدالله حيث جاء التنزيل على أنزل(١). كأنه لما كان نزّل وأنزل. بمعنى واحد حمل مصدر أحدهما على الآخر.

وقال أبو علي الفارسي: (وقد كثر مجيء التنزيل في القرآن فهذا يقوي "نزّل" ولم نعلم فيه الإنزال. وقد جاء فيه أنزل كثيرًا)(٢) وذلك يدل على أن الفعل (أنزل) الذي ورد كثيرًا في القرآن الكريم جاء بمعنى نزّل تنزيلاً.

وليس ثمة اختلاف في المعنى بسبب اختلاف القراءتين إذ المعنى هو أن الله تعالى ذم اليهود بإيثارهم الدنيا على الدين فقال بئسما باعوا به أنفسهم أن يكفروا بالقرآن ودين الإسلام.

(فأمتّعه) من قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ البقرة/١٢٦.

قرأ ابن عامر (فأمْتِعه) بإسكان الميم وتخفيف التاء.

وقرأ الباقون (فأمَتِّعه) بفتح الميم وتشديد التاء(٣).

مَتَع يمتع متوعًا فهو ماتع والماتع من كل شيء البالغ في الجودة الغاية في بابه. وأمتعه بالشيء ومتّعه به ملاّه إياه(٤).

أما من قرأ بتخفيف التاء فقد جعله من (أمتع) وهي لغة في (متَّع) وأن (فَعَل) قد يجري في هذا النحو مجرى أفعل نحو فرّحته وأفرحته ونزلته وأنزلته.

وأما من قرأ بالتشديد (فأمتِّعه) فقد جعله من (متَّع) الذي يتضمن الدلالة على تكرر الفعل.

وليس ثمة أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن إبراهيم عليه السلام دعا ربه للمؤمنين وترك الكافرين ولم يدع لهم بشيء فقال الله تعالى: ومن كفر فأمتعه بالرزق إلى وقت مماته ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير.

(ننشزها) من قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ البقرة/ ٢٥٩.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (نُنْشِرُها) بالراء وضم النون الأولى.

وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (نُنْشِزُها) بالزاي وضمّ النون الأولى. (٥)

وقرأ أبان عن عاصم (نَنْشُرُها) بفتح النون الأولى وضم الشين وبالراء مثل قراءة الحسن البصري رضي الله عنه.

أما من قرأ بالراء فقد جعله من النشور وهو الإحياء، فالمعنى وانظر إلى عظام حمارك التي ابيَضّت من مرور الزمن عليها كيف نحييها، وقد استعمل النشر في الإحياء في قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٦/٤٩٤.

(٢) الحجة للقراء السبع لأبي علي الفارسي ٢/١٥٩.

(٣) التيسير في القراءات السبع للداني ص٧٦.

(٤) لسان العرب لابن منظور(متع) ٦/٤١٢٩.

(٥) التيسير في القراءات السبع للداني ص٨٢.

﴿ ٱلنُّشُورُ ﴾ الملك/١٥، وقد أجمعوا على قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ عبس/٢٢. فالنشور الإحياء، يقال: نشر الميت فهو ناشر يعني حَيِيَ (لازم) وأنشره الله أي أحياه (متعدٍّ بالهمزة).

وقال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبًا للميت الناشر[1]

وأما من قرأ بالزاي فقد حمله على معنى الرفع من (النَّشز) وهو المرتفع من الأرض أي وانظر إلى العظام كيف نرفع بعضها على بعض في التركيب للإحياء لأن (النشز) الارتفاع، يقال لما ارتفع من الأرض (نشز) ومنه المرأة الناشز، والنشوز من المرأة أن تنبو عن الزوج في العِشْرَة فلا تلائمه، ومن ذلك قوله تعالى: (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) المجادلة/١١ أي ارتفعوا وانضموا، فالقراءة بالزاي تفيد الإحياء أو هي بمعنى الإحياء لأن العظام لا تحيا على الإنفراد حتى يُضم بعضها إلى بعض.

ولا يترتب على القراءتين اختلاف في المعنى بل يكمل بعضهما بعضًا بما يفيد الإحياء ويكون المعنى على كلا القراءتين: وانظر إلى عظام حمارك كيف نرفع بعضها على بعض في التركيب للإحياء بعد الموت[2].

(ووصَّى) من قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾ البقرة/١٣٢.

قرأ نافع وابن عامر (وأوصى) بهمزة مخففًا. وقرأ الباقون (ووصَّى) بغير ألف مشددًا[3].

أوصى الرجل، ووصّاه: عهد إليه.. وأوصيت له بشيء وأوصيت إليه إذا جعلته وصِيَّك، وأوصيته ووصَّيته إيصاءً وتوصية بمعنى[4].

وصّى وأوصى لغتان في هذا الفعل بمعنى واحد، والوصية: العهد وصَّى بنيه أو أوصى بنيه أي عهد إليهم. إلا أن وصَّى المشدد يتضمن دلالة التكثير والمبالغة.

قال أبو علي: وحجة من قرأ وصَّى بغير ألف قوله عز وجل: ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ يس/٥٠. فتوصية مصدر وصَّى. وحجة من قرأ(وأوصى) قوله تعالى:﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ النساء/١١.

وقالوا: وَصَى النبات إذا اتصل بعضه ببعض. فالوصية كأن الموصى بالوصية قد وصل أمره بالموصَى إليه.

والقراءتان متوافقتان غير أن التشديد يحمل دلالة التكرير فهو أبلغ في المعنى.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن إبراهيم عليه السلام عهد إلى أبنائه باتباع ملة الإسلام[5].

---

(1) ديوان الأعشى /١٤١.

(2) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/٣١٠-٣١١ والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٢/٣٧٩-٣٨٢ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢/٢٨٦.

(3) التيسير في القراءات السبع للداني ص٧٧.

(4) لسان العرب لابن منظور (وصى) ٦/٤٨٥٣.

(5) يراجع في ذلك الحجة للقراء السبعة للفارسي ٢/٢٢٧-٢٢٨ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢/٢٦٥.

(ولتكملوا) من قوله تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ البقرة/١٨٥.

قرأ أبو بكر شعبه (ولِتُكَمِّلوا) مشددًا مفتوح الكاف.

وقرأ الباقون: (ولِتُكْمِلوا) مخففًا ساكن الكاف[١].

كَمَل الشيءُ يكمُل وكمِل وكمُل كمالاً وكمولاً. وأكملت الشيء أي أجملته وأتممته وكمَّله أتمّه وجمّله[٢].

لتكمِّلوا من كمَّل المضعف العين، ولتكْملوا من أكمل المزيد بالهمزة، وهما لغتان.

أما من قرأ بالتخفيف (لتُكْملوا) فحجته إجماع القراء على قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ المائدة/٣.

وأما من قرأ بالتشديد (لتكَمِّلوا) فقد نظر فيه إلى معنى التأكيد والتكرير وهذا مما يقوي المعنى.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى رخص للمسافر والمريض الصوم في أيام أُخر ليكملوا عدة الصيام ويحمدوا الله على نعمتي الهداية والتيسير بالترخيص[٣].

(فيضاعفه) من قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ البقرة/٢٤٥.

قرأ ابن كثير وابن عامر من غير ألف مشددًا (فيضعِّفه).

وقرأ الباقون بالألف مخففًا (فيضاعفه).

ونصب ابن عامر وعاصم الفاء ورفعها الباقون[٤].

العرب تقول ضاعفت الشيء وضعّفته بمعنى واحد ومثله: امرأة مناعَمة ومنعَّمة وصاعر المتكبر خده وصعَّره وعاقدت وعقَّدت[٥].

أما من شدد فقد حمله على التكثير لأن (فعَّلت) مشدد العين بابه التكثير تقول: (غلّقت الأبواب) إذا فعلت ذلك شيئًا بعد شيء و(غَلَقت الأبواب) إذا فعلت ذلك مرة واحدة وكذلك فتَّحت وفتحت.

وأما من خفف فقد استند إلى أن التخفيف في هذا الفعل يفيد التكثير وقد روي أن أبا عمرو حكى أن (ضاعفت) أكثر من ضعَّفت لأن (ضعّفت) معناه مرتان، وحكى أن العرب تقول (ضعّفت درهمك) أي جعلته درهمين وتقول ضاعفته إذا جعلته أكثر من درهمين. والله تعالى يعطي بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف فلذلك يكون ضاعفت أولى به لكثرة المضاعفة.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: من ذا الذي ينفق في سبيل الله فيجزيه الله على ذلك أجرًا مضاعفًا[٦].

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٧٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور (كمل) ٣٩٣٠/٥.

(٣) الكشاف للزمخشري ٢٥٤/١.

(٤) السبعة في القراءات لأبي مجاهد ص ١٨٤-١٨٥.

(٥) لسان العرب لابن منظور (ضعف) ٢٥٨٨/٤.

(٦) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٠٠/١ وفتح القدير للشوكاني ٣٠٠/١.

(فتذكر) من قوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾البقرة/٢٨٢.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف (فتُذْكِر) وشدد الباقون (فتذكِّر)[١].

وكلهم نصبه معطوفًا على (أن تضلَّ) إلا حمزة فإنه رفعه على القطع والاستئناف.

الفعل ذكر يذكر ذكرًا ضد نسي فعل متعدٍّ لمفعول واحد فإذا نقل بالهمزة أو التضعيف تعدى إلى مفعولين.

ووجه القراءة بالتشديد (فتذكِّر) أنه عدى الفعل إلى مفعولين مُذكَّر هو المفعول الأول وهو هنا (الأخرى) ومذكَّر به هو المفعول الثاني وهو محذوف والتقدير: (فتذكر إحداهما الأخرى الشهادة).

ووجه القراءة بالتخفيف (فتُذْكِر) أنه عدى الفعل بالهمزة لأنه من (أذكر) والهمز كالتشديد في تعدية الفعل تقول ذكَّرته وأذكرته. وقد عُدي إلى ذات المفعولين.

والقراءتان بمعنى واحد وقد يفيد التشديد معنى التكثير ولا أثر لاختلافهما على المعنى[٢].

(تساءلون) من قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾النساء/١.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي (تَسَاءَلون) مخففًا. وقرأ الباقون مشددًا (تسَّاءلون)[٣].

تساءلون أصله تتساءلون، فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، فمن قرأ بالتخفيف (تساءلون) فقد حذف إحدى التاءين تخفيفًا، وذلك لاجتماع المثلين والسين قريبة منهما فكأنها ثلاثة أمثال، فلو أعلّه بالإدغام لم ينقص عدد الأمثال إذ سيصير اللفظ بتاء وسينين، فلم يكن عند إرادة التخفيف بد من الحذف والمحذوف عند البصريين هو التاء الثانية لأنه بها يقع التكرير والاستثقال، ولأن الأولى هي حرف المضارعة فلو حذفت لذهبت دلالة الاستقبال.

وذهب هشام بن معاوية الضرير الكوفي إلى أن المحذوفة هي الأولى لزيادتها عند الكوفيين وهو مذهبهم. لهذا فإن قراءة الكوفيين بالتخفيف هي من قبيل الإعلال بالحذف.

وأما من قرأ بالتشديد وهم جمهور السبعة فقد ادغموا التاء الثانية في السين بعد قلبها سينًا، وقد استحسن أبو علي الفارسي ذلك لاجتماعهما في صفة الهمس واتحاد المخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا، وقد انتقلت التاء بالإدغام إلى القوة باكتساب الصفير الذي في السين.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى إلا أن التشديد يحمل دلالة تكثير الفعل وهو معتبر في هذه الحال لكثرة ما يتساءل الناس بالله[٤].

(يضاعفها) من قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾النساء/٤٠.

قرأ ابن كثير وابن عامر (يضعِّفها) مشددة العين من غير ألف. وقرأ الباقون (يضاعفها) مخففة العين بألف[٥].

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٨٥.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٢٠/١-٣٢١.

(٣) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٩٣.

(٤) يراجع ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٧٥/١، والبحر المحيط لأبي حيان ١٥٧/٣ والحجة للقراء للفارسي ١١٩/٣.

(٥) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٣٣.

تقدم الكلام على مثل هذا الاختلاف عند الكلام عن (فيضاعفه) من الآية (٢٤٥) من سورة البقرة في هذا المبحث.

(فتبينوا) من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ النساء/٩٤.

قرأ حمزة والكسائي (فتثبتوا) بالثاء من التثبت، وقرأ جمهور السبعة (فتبينوا) من التبيُّن.[١]

كلا الفعلين (تبينوا) و(تثبتوا) على وزن تفعلوا من التفعُّل بمعنى الاستفعال أي طلب بيان الأمر وثباته.

أما من قرأ (فتثبتوا) فإنه لما كان معنى الآية حض المؤمنين على التأنِّي وترك الإقدام على القتل دون تثبُّت وتبيُّن أتى بالتثبُّت لأنه خلاف الإقدام والتثبت أسهل للمأمور لأنه إنما يملك نفسه من الإقدام. أما التبين فإنه يرتبط بشيء آخر غيره فقد يستطيعه وقد لا يستطيعه.

وأما من قرأ (فتبينوا) من البيان فإنه لما كان معنى الآية افحصوا عن أمر من لقيتموه واكشفوا عن حاله قبل البطش به حُمل على التبين لأنه به يظهر الأمر كما أن التبين يعم التثبُّت فهو أعمّ وأشمل من التثبت.

والقراءتان يكمل بعضهما بعضًا ويعضد بعضهما معنى بعض فالقراءة بالتثبت تعني ملك النفس عن الإقدام من غير تروٍّ والقراءة بالتبين تعني استيضاح الأمر ومعرفة حقيقته قبل الإقدام على أي شيء فيه[٢].

(يصلحا) من قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ النساء/١٢٨.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي (أن يُصلِحا) بضم الياء وإسكان الصاد وكسر اللام. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (يصَّالحا) بفتح الياء واللام وتشديد الصاد واثبات ألف بعدها.[٣]

أما من قرأ (يُصْلحا) بضم الياء والتخفيف فقد جعله مضارع الفعل المزيد بالهمزة أصلح على وزن (أفعل) ومن باب (أكرم) والحجة في ذلك أن العرب إذا جاءت مع الصلح بكلمة (بين) قالت: (أصلح القوم بينهم وأصلح الرجلان بينهما) قال تعالى: ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾ الحجرات/١٠ وقال: ﴿أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ النساء/١١٤. وإذا لم تأت بين قالوا: تصالح القوم وتصالح الرجلان) ففي مجيء (بينهما) هنا دليل على ذلك. وأما كلمة (صلحًا) في هذه الآية فإنها ليست على سبيل المصدر وإنما هو اسم كالعطاء والكرامة من أعطيت وأكرمت، و(صلحًا) منصوب على أنه مفعول (يصلحا).

وأما من قرأ (يصَّالحا) بفتح الياء واللام وتشديد الصاد وإثبات الألف فأصله (يتصالحا) بزنة (يتفاعلا) من المفاعلة، وذلك لأن الفعل لما كان من اثنين زوج وزوجة وهما مذكوران في أول الكلام أتى الفعل من باب المفاعلة وجاء الفعل (يتصالحا) ثم أدغمت التاء في الصاد بعد قلبها صادًا وذلك لقرب مخرجيهما. وينصب (صلحا) على أحد وجهين: إما مفعول به، أو أنه مصدر فعل

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٩٧.

(٢) يراجع ذلك في: الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٩٤/١-٣٩٥، والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ١٧٣/٣-١٧٤.

(٣) التيسير للداني ص ٩٧.

ثلاثي مضمر والتقدير: أن يتصالحا فيصلحُ ما بينهما صلحا.[1]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أنه تجوز المصالحة بين الزوجين عند مخافة النشوز أو الإعراض من جانب الزوج والتصالح يجوز بأي كيفية إما بإسقاط النوبة أو بعض النفقة أو بعض مؤخر الصداق أو ما إلى ذلك.[2]

(تُنزِّلْ) من قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾النساء/١٥٣.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بإسكان النون وتخفيف الزاي (تُنْزِل).

وقرأ الباقون بفتح النون وتشديد الزاي (تُنَزّل)[3].

الفعل نزل لازم يمكن تعديته بالهمزة (أنزل) أو تضعيفه عينه (نزّل) فمن قرأ بإسكان النون وتخفيف الزاي فقد جعله مضارع (أنزل) المتعدي بالهمزة ومن قرأ بفتح النون وتشديد الزاي فقد جعله مضارع (نزّل) المتعدى بالتضعيف.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرقى في السماء أمام أعينهم فينزل عليهم كتابًا مكتوبًا دفعة واحدة كما أتى موسى بالتوراة وذلك على سبيل التعنت منهم[4].

(يرتدَّ) من قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾المائدة/٥٤.

قرأ نافع وابن عامر بدالين الثانية ساكنة (يرتدِدْ) وقرأ الباقون بدال واحدة مفتوحة مشددة (يرتدَّ)[5].

يرتدّ مضارع ارتدّ بزنة افتعل من ردد، أما من قرأ بدالين ولم يدغم فلأن الأصل في الإدغام أن يكون الأول ساكنًا فيدغم في الثاني المتحرك، فلما كان الأول متحركًا والثاني ساكنا أوثر الإظهار لئلا يدغم فيسكن الأول للإدغام لأن الإدغام يحتاج إلى تغيير بعد تغيير فهو يحتاج إلى إسكان الأول ثم تحريك الثاني، فالإظهار أولى وهو لغة أهل الحجاز، والآية مكتوبة بدالين في مصاحف أهل المدينة والشام وبهما قرأ نافع وابن عامر.

وأما من أدغم فقد أراد التخفيف لما اجتمع له مثلان فأسكن الأول للإدغام فاجتمع له ساكنان فحرك الثاني بالفتح ثم أدغم فيه الأول وهي لغة بني تميم، وهي بدال واحدة في مصاحف أهل الكوفة والبصرة ومكة وبذلك قرأ أصحاب هذه المصاحف.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى ولكن يلاحظ أن القراءات عملت على إحياء كافة استعمالات اللغة ولهجاتها بما تحمله من دلالات ومعاني والمعنى العام للآية تنبيه من الله تعالى أنه إذا حدثت ردة فإن الله تعالى سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه لنصرة دينه[6].

---

(١) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٩٨/١، والحجة للقراء السبعة للفارسي ١٨٣/٣.

(٢) فتح القدير للشوكاني ٥٢١/١.

(٣) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للنشار ٢٨٥/١.

(٤) فتح القدير للشوكاني ٥٣٣/١.

(٥) التيسير في القراءات السبع للداني ص٩٩.

(٦) يراجع في ذلك البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي٥١١/٣ والكشف لمكي بن أبي طالب ٤١٢/١-٤١٣ والحجة لأبي علي الفارسي٢٣٢/٣-٢٣٣ وفتح القدير للشوكاني٥١/٢.

(ينزل) من قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ المائدة/١١٢.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (يُنْزِل) بإسكان النون وتخفيف الزاي.

وقرأ الباقون (يُنزِّل) بفتح النون وتشديد الزاي(١).

مر الكلام على هذا الاختلاف عند الكلام عن الآية (١٥٣) من سورة النساء في هذا المبحث.

(لا يكذبونك) من قوله تعالى: ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ الأنعام/٣٣.

قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة وابن عامر (لا يكَذِّبونك) مشددة الذال.

وقرأ نافع والكسائي (لا يكْذِبونك) مخففًا.(٢)

الكذب نقيض الصدق، كذب يكذب كذبًا. أما من قرأ بالتخفيف (يُكْذِبونك) فقد جعله من أكذب يُكْذِبُ إكذابًا، وأكذبه: ألفاه كاذبًا(٣). أو قال له كذبت. قال الكسائي: (معنى لا يكْذِبونك) أنهم ليسوا يكذِّبون قولك فيما سوى ذلك. قال والعرب تقول: (أكذبت الرجل) إذا أخبرت أنه جاء بالكذب وكذَّبته: أخبرت أنه كاذب) فالكسائي يذهب إلى أن الإكذاب يكون في بعض حديث الرجل وأخباره التي يرويها والتكذيب يكون في كل ما أخبر أو حدث به، ومما يقوي ذلك ما روي عن الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه أنه قال: إن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا لا نكذبك، إنك عندنا لصادق ولكن نكذب الذي جئت به)(٤) فأنزل الله الآية. ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ ﴾ الأنعام/٦٦ أي قالوا: ما جئتنا به كذب ولم يقل: وكذبك قومك.

وأما من قرأ بالتشديد (فإنهم لا يُكَذِّبونك) فقد جعله من التكذيب، كذَّبه يُكَذِّبه تكذيبًا وكِذَّابًا جعله كاذبًا، وقال له كذبت، وكذَّبت الرجل إذا نسبته إلى الكذب. وقال الجوهري: كِذَّابًا أحد مصادر المشدد لأن مصدره قد يجيء على التفعيل مثل التكليم، وعلى فِعَّال مثل كِذَّاب وعلى تفعِلةٍ مثل توصية وعلى مُفَعَّل مثل: (ومزَّقناهم كل ممزَّق). (٥)

وقال الزجاج: (وتفسير "لا يكذبونك" أي لا يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأت به مما في كتبهم "كذبت" ووجه آخر: أنهم لا يكذبونك بقلوبهم أي يعلمون أنك صادق والدليل على ذلك "ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون"). (٦)

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح. فمعنى الآية على القراءة بالتخفيف (لا يُكْذِبونك) أي لا يكذبون ما جئت به ولكنهم جحدوا بألسنتهم ما تستيقنه أنفسهم.

---

(١) التيسير للداني ص ٧٥.

(٢) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٢٥٧.

(٣) لسان العرب لابن منظور ص ٢٥٧.

(٤) حجة القراءات لأبي زرعة ص٢٤٧.

(٥) لسان العرب لابن منظور(كذب) ٥/٣٨٤١-٣٨٤٢.

(٦) حجة القراءات لأبي زرعه ص٢٤٩.

والمعنى على القراءة بالتشديد (لا يُكَذِّبونك) أي لا ينسبونك إلى الكذب فإنهم يعترفون لك بالصدق ولكنهم يجحدون آيات الله لظلمهم لأن الجحد أن تنكر بلسانك ما تستيقنه في نفسك وقال تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾النمل/١٤[(١)].

(ينجيكم) من قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾الأنعام/٦٤.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وهشام (يُنَجِّيكم) بفتح النون وتشديد الجيم.

وقرأ الباقون (يِنْجِيكم) بإسكان النون وتخفيف الجيم.[(٢)]

نجا ينجو فعل لازم يمكن تعديته بالهمزة أو التضعيف. فأما من قرأ بالتشديد (ينَجِّيكم) فقد جعله من الفعل المضعف العين (نجَّا ينَجِّي) بزنة (فعَّل) ومن دلالاتها التعدية.

وأما من قرأ بالتخفيف (يُنْجيكم) فقد جعله من الفعل (أنجا ينجي) الذي عُدِّي بالهمزة.

واللغتان في هذا الفعل مما أجمع عليه القراء كإجماعهم على قوله تعالى: ﴿ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾العنكبوت/٢٤. وإجماعهم على قوله عز وجل ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم ﴾الأعراف/١٤١. فهذا من إجماعهم على المتعدي بالهمزة. ومن إجماعهم على المعتدي بتضعيف العين قوله تعالى: ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ ﴾يونس/٧٣.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى ينجيكم من هذه الكروب ثم تشركون به مع ذلك إلا أن التشديد يتضمن دلالة التكرار والتكثير أي نجاة بعد نجاة.

(ينسينك) من قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾الأنعام/٦٨.

قرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد السين (ينَسِّينَّك).

وقرأ الباقون بإسكان النون وتخفيف السين (يُنْسِينَّك)[(٣)].

نَسِيَ ينسى نِسْيانًا ونِسْيًا وأنساه اللهُ الشيءَ ونسَّاه تنسية بمعنى[(٤)].

فالقراءة بتشديد السين من قبيل تعدية الفعل إلى مفعولين بتضعيف العين والقراءة بتخفيف السين من تعدية الفعل بالهمزة.

والمفعول الثاني محذوف في القراءة تقديره: وإما ينسينك الشيطان ما أُمرت به من ترك مجالسة الخائضين بعد تذكيرك فلا تقعد بعد ذلك معهم. ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى إلا أن دلالة التضعيف تفيد التكرار والتكثير[(٥)].

(ينزل) من قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ﴾الأنعام/٨١.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بإسكان النون وتخفيف الزاي (يُنْزِل).

---

(١) حجة القراءات لأبي زرعة ص٢٤٧-٢٤٩ وتفسير البيضاوي ٢٩٨/١-٢٩٩.

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني ص ١٠٣.

(٣) السابق ص١٠٣.

(٤) لسان العرب لابن منظور (نسا) ٦/.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٢٦/١.

وقرأ الباقون بفتح النون وتشديد الزاي (يُنزِّل).

مرّ الكلام على هذا الفعل عند الكلام عن الآية (١٥٣) من سورة النساء في هذا المبحث.

(يصَّعَّد) من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ الأنعام/١٢٥.

قرأ ابن كثير (يَصْعَد) ساكنة الصاد مفتوحة العين بغير ألف. وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص (يصَّعَّد) مشددة الصاد والعين بغير ألف. وقرأ شعبه عن عاصم (يصَّاعد) مشددة الصاد وألف بعدها[1].

أما من قرأ (يصعد) فقد جعله مضارع الفعل (صعد) المجرد. وأما من قرأ (يصَّعَّد) فقد جعله مضارع (تفَعَّل) المزيد بحرفين: التاء وتضعيف العين، ومن دلالات هذه الصيغة التكلف كتصبّر وتحلّم إذا تكلف الصبر والحلم. والأصل فيه يتصعَّد أدغمت التاء في الصاد فصار (يصَّعَّد).

وأما من قرأ (يصَّاعد) مشددة الصاد وألف بعدها فأصله يتصاعد ثم أدغمت التاء في الصاد فصار يصَّاعد ومن دلالاتها حصول الشيء تدريجيًا، وهي مثل يصَّعَّد في المعنى.

وأثر اختلاف هذه الصيغ على المعنى يسير إذ شبه الله ثقل الإيمان على الكافر في ضيق صدره به بمن يصعد في السماء وهو تكلف ما لا يطاق ولا يستطاع على أن الصيغ المزيدة تحمل دلالات التكلف لأن زيادة المبني تفيد زيادة المعنى.

(تذَكرون) من قوله: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأنعام/١٥٢.

قرأ حفص وحمزة والكسائي (تذكرون) بتخفيف الذال حيث وقع إذا كان بالتاء قرأ الباقون بتشديدها (تذَّكّرون)[2].

ذكر فعل مجرد على وزن (فعل) وتذكرون بالتخفيف وتذّكّرون بالتشديد كلاهما من المزيد فيه بحرفين التاء وتضعيف العين (تفعّل) والتاء الأخرى للمضارعة.

أما من قرأ بالتخفيف (تذَكرون) فأصله تتذكرون حذفت إحدى التاءين استخفافًا وفي المحذوف خلاف أهي التاء الأولى تاء المضارعة أم التاء الثانية وهي تاء (تفعّل) والمحذوف عن سيبويه والبصريين هي التاء الثانية لأن بها يقع التكرير والاستثقال، ولأن التاء الأولى هي حرف المضارعة ولو حذفت لذهبت الدلالة على الاستقبال.

والمحذوف عند الكوفيين هي التاء الأولى التي تعتبر زائدة عندهم، وأما من قرأ بالتشديد (تذَّكَّرون) فقد أدغم التاء الثانية في الذال لقرب مخرجيهما فصارت (تذَّكّرون) بدلاً من تتذكرون وفي هذه الصيغة إعلال بالإدغام وفي الأولى إعلال بالحذف. أما دلالة (تفعل) فهي التكلف أي تكلف التذكُّر مرة بعد مرة.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى إذ الدلالة في كلا الصيغتين هي تكلف التذكُر وقد ختم الله تعالى هذه الآية بقوله (لعلكم تذكرون) لأنها اشتملت على أمور خمسة دقيقة غامضة تحتاج

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ص ١٠٦-١٠٧.

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني ص ١٠٨.

إلى حذر وبصر وهي تجنب أكل مال اليتيم، وإتمام الميزان والمكيال والشهادة بالحق والوفاء بالعهد فلا بد من التذكّر مرة بعد مرة حتى يقف الإنسان على مواضع الاعتدال فيها[1].

(فرّقوا) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ الأنعام/١٥٩.

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر (فرّقوا) مشددة الراء من غير ألف.

وقرأ حمزة والكسائي (فارقوا) بألف[2].

(فَرَقَ) الفرق خلاف الجمع فَرَقه يفرُقه فرقًا وفرَّقه، وقيل فَرَق للصلاح فرقًا وفرّق للإفساد تفريقًا..وتفرّق القوم تفرُّقًا وتفريقًا وفرّقت الشيء تفريقًا وتفرقةً فانفرق وافترق وتفرَّق.. وفارق الشيء مفارقةً وفراقًا باينه والاسم الفُرقة[3].

فرق على وزن فعّل مزيد فيه بتضعيف العين وفارق على وزن (فاعل) مزيد فيه بالألف.

وتوجيه قراءة (فارقوا) أنها من المفارقة والفراق بمعنى أنهم تركوا دينهم وفارقوه. وفارق تتضمن دلالة التجاذب بين طرفين المفارِق والمفارَق وهو الدين.

وتوجيه قراءة (فرَّق) بالتشديد أنها من التفريق الذي يكون للإفساد حسب دلالة الفعل وذلك بمعنى أنهم آمنوا ببعض الدين وكفروا ببعضه ففرقوا بين دينهم وإيمانهم، يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ النساء/١٥٠وقوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾النساء/١٥٠ فهذا التفريق في الدين من فرّق هو نفسه خروج عن الدين من فارق فهم فرّقوا إيمانهم ففارقوه، ولم يكونوا كالمؤمنين الذين وصفوا بالإيمان كله كما قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ آل عمران/١١٩.

وأثر الاختلاف بين القراءتين واضح فالقراءة بالتشديد (فرّقوا) تفيد أنهم لم يؤمنوا بالدين كله بل فرّقوه فتفرقوا بذلك وخرجوا عن الدين. والقراءة بالألف (فارقوا) تعني أنهم خرجوا من الدين بسبب تفريقهم له ومؤدّى القراءتين واحد هو خروجهم عن الدين[4].

---

(1) يراجع في ذلك الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٥٧/١ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٥٣/٤ والحجة للقراء السبعة للفارسي ٤٢٥/٣.

(2) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٧٤.

(3) لسان العرب لابن منظور (فرق) ٣٣٩٨/٥وما بعدها.

(4) يراجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٥٨/١ وحجة القراءات لأبي زرعة ص ٢٧٨ والحجة للقراء السبعة للفارسي ٤٣٨/٣ وفتح القدير للشوكاني ٢٠٨/٢.

المبحث الثالث

الاختلافات الصرفية بين المجرد وبين المزيد وأثرها الدلالي

فيما يلي اختيارات القراء من القراءات التي تعاقبت على صيغ المجرد والمزيد من الأفعال، وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم:

(يخدعون) من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ البقرة/٩.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر (وما يخدعون) بفتح الياء وإسكان الخاء من غير ألف. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (وما يخادعون) بضم الياء وبألف بعد الخاء وكسر الدال.[١]

خدعه يخدعه خِدعًا بالكسر وخَدعًا بالفتح وخديعة وخُدعة أي أراد به المكروه وختله من حيث لا يعلم.. وخادعه مخادعة وخِداعًا. والخدع إظهار خلاف ما تخفيه.[٢]

أما من قرأ بغير ألف فقد جعله من الفعل المجرد (خدع) بمعنى أنهم بمحاولتهم خدع المسلمين فإنهم إنما يخدعون أنفسهم بحيث إنهم يطمئنون إلى أنهم أوقعوا المسلمين في الخديعة وهم في واقع الأمر قد خدعوا أنفسهم إذ لا يقع وبال عملهم إلا على أنفسهم.

وأما من قرأ (يخادعون) فقد جعله من الفعل المزيد (خادع) بزنة فاعل الذي يتضمن دلالة التشارك بين اثنين فأكثر في الفعل، وكذلك الموالاة أو التكثير ذلك أنهم بمحاولتهم إيقاع الخديعة بالمسلمين إنما يخادعون أنفسهم بحيث يقع تجاذب بينهم وبين أنفسهم فقد يطمئنون إلى أنهم أوقعوا الخديعة بالمسلمين وقد لا يطمئنون وقد احتج أبو عمرو لهذه القراءة بقوله: (إن الرجل يخادع نفسه ولا يخدعها)[٣]. وقال الأصمعي: (ليس أحد يخدع نفسه، إنما يخادعها).[٤]

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح فالمعنى على قراءة (وما يخدعون) أنهم بمحاولتهم خداع المسلمين إنما يوبقون أنفسهم، وذلك خدع لها. وعلى قراءة (وما يخادعون) أنهم بمحاولتهم إيقاع الخديعة بالمسلمين فإنما يحاولون إقناع نفوسهم بوقوع هذا الفعل وقد لا يطمئنون إلى ذلك.[٥]

(واعدنا) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ البقرة: ٥١.

قرأ أبو عمرو (وإذ وعدنا) بغير ألف وقرأ الباقون (وإذ واعدنا) بالألف.[٦]

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٧٢.

(٢) لسان العرب لابن منظور (خدع).

(٣) حجة القراءات لأبي زرعة ص ٨٧.

(٤) السابق ص٨٧.

(٥) يراجع ذلك في الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٢٥/١ والبحر المحيط لأبي حيان ٥٨/١.

(٦) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٧٣.

وعد يعد فعل مجرد معتل مثال واوي. وعده الأمرَ وبه عِـدة ووَعْـدًا وموعِـدًا ومَوعِـدةً وموعودًا وموعودة.

واعد يواعد فعل مزيد بالألف على وزن فَاعَل من المفاعلة التي تكون بين اثنين غالبًا وقـد تستعمل للواحد مثل عافاه الله. [1]

أما من قرأ بغير ألف (وإذ وعدنا) فقد اعتبر أن المواعدة إنما تكون من الآدميـين واسـتدل بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ طه/٨٦ ولم يقل (يواعدكم) كما اسـتدل بقولـه تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ إبراهيم/٢٢ وقد رد أبو إسحاق الزجاج هذه الحجة وقال: (وهذا الـذي ذكروه ليس مثل هذا)[2] يعني الوعد الذكور هنا.

وأما من قرأ بالألف (وإذ واعدنا) فقد جعله من المواعدة لأن الأمر من الله وعد ومن موسى قبول واتّباع فجرى مجرى المواعدة. ذلك أن الله تعالى وعد موسى لقاءه على الطور ليكمله ويناجيه واتبع موسى أمر ربه وسعى إليه، وذلك يقوم مقام الوعد، وفي القرآن ما يؤيد ذلك وهو قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ التوبة/٧٧ وفي ذلك إخبار بوعد منهم لله تعالى.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى حيث إن دلالات (فاعل) أن يأتي بمعنى (فعل) وفي هذه الآية يذكر الله تعالى بني إسرائيل بنعمه عليهم ومن ذلك وعده لموسى بأن يؤتيه الألواح فيهـا التوراة والبيان والهدى بعد تمام أربعين ليلة على طور سيناء.[3]

(تفادوهم) من قوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ البقرة/٨٥.

قرأ نافع وعاصم والكسائي (تفادوهم) بضم التاء وألف بعد الفاء وقرأ الباقون (تفدوهم) بفـتح التاء وإسكان الفاء من غير ألف.[4]

فدى يفدي فعل مجرد، ناقص معتل اللام، فديته فِدىً وفداءً وفادى يُفادي مفاداة، فادى فعـل مزيد بالألف من المفاعلة. وروى ابن برى عن الوزير بن المغربي قال: فدى إذا أعطى مالاً وأخذ رجلاً، وأفدى إذا أعطى رجلاً وأخذ مالاً، وفادى إذا أعطى رجلاً وأخذ رجلاً.[5]

أما من قرأ (تفادوهم) بضم التاء والألف فقد جعله من المفاعلة ذلك أن كل فريق يدفع ما عنده من الأسرى ويأخذ ما عند الفريق الآخر فكل واحد مفادٍ فاعل والفاعلان بابهما المفاعلة.

وأما من قرأ (تفدوهم) بفتح التاء من غير ألف فقد بناه على أن أحد الفريقين يفدي أو يشتري أصحابه المأسورين لدى الفريق الآخر وحجة هذه القراءة أن من تعاليم دين اليهود ألا يتركوا أسيرًا من أهل ملتهم في إسار غيرهم وأنه يتوجب عليهم أن يفدوهم بكل حال، وكذلك عادة المغلـوب أن يفتدي أسراه من الغالب فالفعل على هذه القراءة من واحد حيث لا يكون الفريقان غالبين.

---

(1) لسان العرب لابن منظور (وعد) ٤٨٧١/٦.

(2) السابق (وعد) ٤٨٧١.

(3) يراجع ذلك في الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٣٩/١ وحجة القراءات لأبي زرعة ص ٩٦.

(4) التيسير في القراءات السبع للداني ص٧٤.

(5) لسان العرب لابن منظور (فدى) ٣٣٦٦/٥

وقد يجوز أن يكون القتال سجالا بين فريقين أو ينتهي القتال على حال يكون لدى كل فريق أسارى فتقع بينهما المبادلة.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح إذ إن تفادوهم تقتضي أن يكون لدى كل فريق أسرى يبادلهم بأسراه. وتفدوهم تقتضي أن يفدى الأسرى بالمال.(١)

(ننسخ) من قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ البقرة/١٠٦.

قرأ ابن عامر (نُنْسِخ) بضم النون الأولى وكسر السين.

وقرأ الباقون: (نَنْسَخْ) بفتح النون الأولى وفتح السين.(٢)

نُنسخ بضم النون مضارع من أنْسَخْ على وزن (أفعل) المزيد بالهمزة ونَنسخ بفتح النون مضارع من نسخ المجرد بزنة (فعل).

أما قراءة (نُنسِخ) بضم النون الأولى فإنها لا تخلو من ثلاثة أوجه:

أحدهما: أن يكون (أفعل) لغة في (فعل) نحو بدأ الخلق، وأبدأ الخلق، وحلّ من إحرامه وأحلّ. ولكن لم يثبت ذلك في هذا الفعل، قال الفارسي: (لم نعلم أحدًا حكى ذلك ولا رواه عن أحد).(٣)

الثاني: أن تكون الهمزة للنقل ولا يحسن أن تكون للنقل والتعدية هنا لأن المعنى سيكون: ما نُنَزِّل عليك من آية أو نُنسها نأت بخير منها وذلك أن إنساخه إياها إنما هو إنزال في المعنى ويكون معنى الإنساخ أنه منسوخ من اللوح المحفوظ أو من الذكر وبهذا يتغير رأسًا فيصير أن كل آية أنزلت عليك أُتي بخير منها وبهذا يكون القرآن كله منسوخاً وهذا لا يمكن لأنه لم ينسخ إلا اليسير من القرآن.(٤)

الثالث: أن تكون (أفعل) هنا: الوجود على صفة. قال ابن الحاجب: (وأفعل للتعدية غالبًا نحو أجلسته، وللتعريض نحو أبعته، ولصيرورته ذا كذا نحو أغدَّ البعير ومنه أحصد الزرع ولوجوده على صفة نحو أحمدته وأبخلته وللسلب نحو أشكيته وبمعنى فعل نحو قِلته وأقلته) قال الشارح: وليست هذه الزيادات قياسًا مطردًا..بل يحتاج في كل باب إلى سماع استعمال اللفظ المعين. وقد جاء من ذلك قول عمرو بن معد يكرب لمجاشع بن مسعود السلمي وقد سأله فأعطاه: لله درُّكم يا بني سُلَيْم، سألناكم فما أبخلناكم وقاتلناكم فما أجبناكم وهاجيناكم فما أفحمناكم، أي ما وجدناكم بخلاء ولا جبناء ولا مُفحمين).(٥)

وعلى هذا يكون نُنْسِخ: نجده منسوخاً وإنما نجده كذلك لنسخه إياه من قبل وإذا كان كذلك تكون كقراءة نَنْسخ بفتح النون متفقتان في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ.

---

(١) يراجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٥١/١-٢٥٢ وحجة القراءات لأبي زرعة ص ١٠٤.

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني ص٧٦.

(٣) الحجة للقراء السبع لأبي علي الفارسي ١٨٥/٢.

(٤) السابق ١٨٥/٢.

(٥) شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي ٨٣/١-٩١.

وأما قراءة (نَنْسخ) فهي على الأصل وهو المعنى الظاهر المستعمل. والنسخ في التنزيل هو رفع الآية وتبديلها، وقد ترفع تلاوتها وحكمها، أو تثبت تلاوتها ويرفع حكمها فقط.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: ما نرفع من حكم آية وتلاوتها أو نُنْسِكَها يا محمد نأت بخير منها لكم أو مثلها في التعبد.(1)

(نُنسها) من قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ البقرة/١٠٦.

قرأ أبو عمرو وابن كثير (نَنْسأها) بفتح النون الأولى والسين والهمز.

وقرأ الباقون (نُنْسِها) بضم النون الأولى وكسر السين بلا همزٍ.(2)

نسأ الشيء ينسؤه نسأً، وأنسأه: أخّره. فعل وأفعل بمعنى واحد. والاسم النسيئة والنسيء. ونسأ الله في أجله وأنسأ أجله: أخره أو مدّ له في الأجل.(3)

فمن قرأ (ننسأها) بالهمز فقد جعله من التأخير. وتأخير النسخ يكون على وجهين:

أحدهما أن يؤخر تنزيل الآية فلا تنزل من اللوح المحفوظ. والثاني أن تنزل الآية فتتلى ويعمل بها ثم تؤخر فيُنسخ العمل بها دون لفظها، أو ينسخ لفظها ويبقى العمل بها، أو ينسخ لفظها والعمل بها معًا، وعلى هذا يكون المعنى: ما ننسخ من آية أو نؤخر نسخ لفظها نأت بخيرٍ منها أو مثلها.

وأما من قرأ (نُنسها) فقد جعله من النسيان الذي هو ضد الذكر وهي من الفعل أنسى المزيد فيه بالهمزة للنقل والتعدية على معنى: أو نُنْسِكَها يا محمد حيث تمت تعدية الفعل إلى مفعولين هنا وهما: النبي صلى الله عليه وسلم والضمير (ها) العائد إلى الآية. ولكن اسم النبي صلى الله عليه وسلم مقدر محذوف. فيكون المعنى على هذا: ما ننسخ من آية أو ننسكها يا محمد نأت بخيرٍ منها أو مثلها.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير إذ هو على القراءة بالهمز (ننسأها) ما ننسخ من آية أو نؤخر نسخ لفظها نأت بخير منها أو مثلها وهو على القراءة بغير همز (ننسها) ما ننسخ من آية أو ننسكها يا محمد نأت بخير منها أو مثلها.(4)

(ولا تقاتلوهم) (حتى يقاتلوكم) (فإن قاتلوكم) من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ البقرة/١٩١.

قرأ حمزة والكسائي: (ولا تقتلوهم..حتى يقتلوكم..فإن قتلوكم) بغير ألف.

وقرأ الباقون: (ولا تقاتلوهم..حتى يقاتلوكم...فإن قاتلوكم) بالألف.(5)

---

(1) يراجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٥٧/١-٢٥٨ والحجة للقراء السبعة للفارسي ١٨٠/٢-١٨٢.

(2) التيسير في القراءات السبع للداني ص٧٦.

(3) لسان العرب لابن منظور (نسأ) ٤٤٠٣/٦.

(4) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٥٨/١-٢٦٠ والحجة للقراء السبعة للفارسي ١٨٦/٢-١٩٦.

(5) التيسير للداني ص٨٠.

قتله يقتله قتلاً. فعل مجرد على وزن (فَعَلَ). وقاتله يقاتله قِتالاً وقيتالاً فعل مزيد بالألف بزنة فاعل.(١)

أما من قرأ بالألف فقد جعله من القتال من فَاعَل المزيد بالألف، وذلك لإجماعهم على قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾ البقرة/١٩٠كما أجمعوا على قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ البقرة/١٩٣ فهذا أمر بالقتال. وهناك حجة أخرى وهي أن القتال إنما يؤمر به الأحياء المقاتلون فأما المقتولون فإنهم لا يقاتلون حتى يؤمروا به وإذا قرئ (فإن قتلوكم فاقتلوهم..) كان ظاهره أمرًا للمقتول بقتل القاتلين وذلك محال إذا حمل على الظاهر.

وأما من قرأ بغير ألف فقد جعله من القتل من (قتل) بزنة فعل. ويرى أصحاب هذه القراءة أن وصف المؤمنين بالقتل في سبيل الله أبلغ في المدح والثناء عليهم وأن معنى الآية: (ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوا بعضكم فإن قتلوا بعضكم فاقتلوهم) ولهم حجة أخرى هي أنه(لا تبدءوهم بالقتل عند المسجد الحرام فإن بدءوكم بالقتل فاقتلوهم.)(٢)

ولعل الفرق اليسير المترتب على القراءتين في المعنى هو أنه على القراءة بغير ألف: لا يجوز القتال عند المسجد الحرام حتى يقع قتل بين المؤمنين أي حتى يُقتل جزء منهم. أما على القراءة بالألف فإنه يجوز القتال بمجرد المقاتلة قبل أن يقع القتل.

(يطهرن) من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ ﴾البقرة/٢٢٢.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص (يَطْهُرن) بإسكان الطاء وضم الهاء. يَطْهُرن يَطَّهَّرْنَ، وقرأ الباقون (يَطَّهَّرْنَ) بفتح الطاء والهاء مع تشديدهما.(٣)

طَهَر وطَهُر يَطْهُر طُهْرًا وطهارة. وطهَّرته أنا تطهيرًا وتطهَّرت بالماء. والطُّهْر: نقيض الحيض. والطُّهْر: نقيض النجاسة والجمع أطهار. طَهَرَت المرأة، وطَهُرت، وهي طاهر: انقطع عنها الدم ورأت الطهُّر. فإذا اغتسلت بالماء قيل: تطهَّرت واطَّهَّرت.(٤)

أما من قرأ (يطهُرن) مضموم الهاء مخففًا، فقد جعله من الطُّهر وهو انقطاع دم الحيض، ولكن لا تتم الفائدة إلا بقوله: (فإذا تطهَّرن) من التطهُّر بالماء أي اغتسلن، فبهذا تتم الفائدة ويجوز إتيانهن وذلك لاتصال الكلام بعضه ببعض. ولا يحسن أن تتم الفائدة بـ(يطهُرن) مخففًا لأنه بهذا يجيز إتيان المرأة إذا انقطع عنها الدم وإن لم تتطهر بالماء، وبهذا يكون (فإذا تطهّرن) لا فائدة له فلا بد إذن من اتصال جزءي الآية ليتم الحكم والفائدة.

ولو حمل الأول (يطهُرن) المخفف على الثاني بالتشديد لجاز أن توطأ الحائض إذا تطهرت بالماء وإن لم ينقطع عنها الدم. ففي تخفيف الأول بيان للشرطين اللذين مع وجودهما توطأ الحائض

---

(١) لسان العرب لابن منظور (قتل) ٣٥٢٧/٥-٣٥٢٩.

(٢) يراجع في ذلك حجة القراء لأبي زرعه ص١٢٨ والكشف لمكي بن أبي طالب ٢٨٥/١ والحجة للقراء السبعة للفارسي٢٨٦/٢.

(٣) التيسير للداني ص٨٠.

(٤) لسان العرب لابن منظور (طهر) ٢٧١٢/٤.

وهما: انقطاع الدم، والتطهُّر بالماء. وليس مع تشديد الطاء دليل على أن انقطاع الدم شرط للوطء فالقراءة بالتخفيف فيها بيان للحكم.

وأما من قرأ بالتشديد (يطَّهَّرن) فقد حمله على التطهُّر بالماء، واستدل على ذلك بإجماع القراء على التشديد في قوله تعالى: (فإذا تطهَّرن) فحمل الأول على الثاني. كما أن القراءة بالتخفيف توهم بجواز إتيان الحائض بمجرد انقطاع الدم، وهي ممنوعة من الصلاة ومن مراجعة زوجها إذا كانت مطلقة ما لم تتطهر بالماء وإن كان الدم قد انقطع وهذا قول نفر من كبار الصحابة رضوان الله عليهم منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وابن عباس.(١)

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح وهو أن القراءة بالتخفيف (حتى يطهرن) بها ما يفيد جواز وطء الحائض بمجرد انقطاع الدم وإن لم تغتسل بالماء وقد أجازه الإمام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه في أكثر الحيض خاصة.(٢)

وعلى قراءة التشديد (حتى يطهَّرن) فإنه لا يجوز أن توطأ الحائض إلا بعد الاغتسال بالماء.

ويلمح الباحث أثرًا لطيفاً لاختلاف القراءتين وهو أن الدم قد ينقطع عن الحائض وقد لا تجد الماء أو يتعذر عليها استعماله فيترجح قول الإمام أبي حنيفة عندئذٍ ويقوى أثر اختلاف القراءتين.

(آتيتم) من قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾البقرة/٢٣٣.

قرأ ابن كثير (ما أتيتم) بالقصر. وقرأ الباقون (ما آتيتم) بالمد.(٣)

أتى فعل مجرد ناقص معتل اللام. وآتى فعل مزيد بالألف بزنة فَاعَل، آتاه إيتاءً أي أعطاه إعطاءً(٤) قال تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾النمل/ ٢٣.

أما من قرأ بالقصر (أتيتم) فقد جعله من باب المجيء، وذلك لأن أتى الذي من باب المجيء يتعدى إلى مفعول واحد بحرف الجر وبغير حرف الجر، وأما آتى بالمد فإنه يتعدى إلى مفعولين، فلما لم يكن في الكلام إلا مفعول واحد بحرف جر حمل على أتى من باب المجيء. والفعل من هذا الباب يتعدى إلى مفعولين واحد بحرف جر كقوله تعالى: ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾الأنبياء/٤٧، وبغير حرف جر مثل قوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾الحشر/٢.

وأما من قرأ بالمد (آتيتم) فقد جعله من باب الإعطاء لأنه يراد به إعطاء النفقة للأم أو للمرضعة في الرضاعة والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾النساء/٢٤ وقوله سبحانه: ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ المائدة/ ٥وعلى هذا أجمع القراء فحمل عليه.

---

(١) يراجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٩٣/١-٢٩٤ الحجة للفارسي ٣٢٢/٢. والكشاف للزمخشري ٢٩٣/١.

(٢) الكشاف للزمخشري ٢٩٣/١.

(٣) التيسير للداني ص٨١.

(٤) لسان العرب لابن منظور (أتى) ٢١/١-٢٣.

وأثر الاختلاف بين القراءتين واضح فالمعنى على القراءة بالقصر: لا بأس عليكم أن تسترضعوا أولادكم غير أمهاتهم إذا سلمتم ما فعلتم من معروف إلى المرضعات. وعلى قراءة المد: إذا سلمتم ما أردتم إعطاءه إلى المرضعات بالمعروف.(١)

(تمسوهن) من قوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ البقرة/٢٣٦.

قرأ حمزة والكسائي (تُماسُّوهن) بضم التاء وألف بعد الميم. وقرأ الباقون (تَمسُّوهن) بفتح التاء من غير ألف.(٢)

(تَمسُّوهن) بفتح التاء من الفعل المجرد مَسَّ يَمَسُّ. و(تُماسُّوهن) بضم التاء من باب المفاعلة من الفعل المزيد بألف. ماسَّه يُماسه.

فمن قرأ بالألف فقد جعل الفعل لاثنين لأن كل واحد من الزوجين يمس الآخر بالوطء أو المباشرة فبابه المفاعلة. ويجوز أن يكون فاعل بدلالة فعل فتكون القراءتان بمعنى واحد. والمسُّ من الزوج خاصة لأنه الواطئ والمباشر، ويؤيد القراءة بالألف قوله تعالى: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ المجادلة/٣ فوقع الفعل للزوجين.

وأما من قرأ بغير ألف فذلك لأن المسّ هنا كناية عن الوطء أو المباشرة والواطئ الرجل دون المرأة فهو فعل من واحد فبابه (فَعَل) لا (فاعَل) وقد أجمعوا على ترك الألف في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ﴾ آل عمران/٤٧ ولم يقل يُماسسني فدل ذلك على أن الفعل للزوج.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: لا إثم عليكم إن طلقتم النساء قبل الدخول بهن أو تسمية صداقهن.(٣)

(فأذنوا) من قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ البقرة/٢٧٩.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي وحفص (فأْذَنوا) بالقصر وفتح الذال. وقرأ شعبة وحمزة (فآذِنوا) بالمد وكسر الذال.(٤)

أذِن يأذَن إذنًا وأذانًا وأذانةً: عَلِمَ ثلاثي مجرد. وآذن رباعي مزيد بالهمزة أصله (أأذن) على وزن أفعل يقال آذنته بكذا إيذانًا إذا أعلمته.(٥)

وجه القراءة بالقصر أنه أمر للمخاطبين بترك الربا والمعنى: فإن لم تتركوا الربا فأيقنوا بحرب من الله ورسوله.

---

(١) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٢٩٦-٢٩٧، والكشاف للزمخشري ١/٣٠٩ وفتح القدير للشوكاني ١/٢٨٣.

(٢) التيسير للداني ص ٨١.

(٣) يراجع في ذلك: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢/٢٣١، والكشف لمكي بن أبي طالب ١/٢٩٧-٢٩٨، وفتح القدير للشوكاني ١/٢٩٢.

(٤) التيسير للداني ص ٨٤.

(٥) لسان العرب لابن منظور (أذن) ١/٥١.

ووجه القراءة بالمد أنهم أمروا بترك الربا وإن لم يفعلوا فليُعلموا غيرهم ممن هم على حالهم بالحرب من الله ورسوله. والمد يتضمن معنى القصر لأنهم إذا أعلموا غيرهم بالحرب فقد علموا هم ذلك أولاً فالمد أعمّ وآكد.(١)

وأثر الاختلاف بين القراءتين واضح من خلال دلالة الفعلين إذ القصر يفيد أن يوقنوا بوقوع الحرب عليهم إن لم يتركوا الربا، والمد يفيد أن يعلموا غيرهم ممن يقيمون على الربا بذلك.

(يقتلون) من قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ آل عمران/٢١.

قرأ حمزة بضم الياء وفتح القاف وألف بعدها وكسر التاء (يُقاتِلون) وقرأ الباقون بفتح الياء وإسكان القاف وضم التاء (يَقْتُلون).(٢)

أما من قرأ (يُقاتِلون) بمعنى يحاربون فقد أخبر عنهم بالسبب الذي يكون منه القتل كما أن ذلك يوافق قراءة عبدالله بن مسعود (وقاتلوا الذين يأمرون بالقسط) ذلك أن القتل أكثر ما يكون بالمقاتلة. ويجوز في هذه القراءة أن تكون حكاية للحال فيكون المراد الماضي على الرغم من مجيئها بلفظ المضارع. وهذه القراءة من الفعل (قاتل) المزيد بالألف ومنه المقاتلة.

وأما من قرأ (يَقْتُلون) من الفعل المجرد (قتل) فقد عطف على ما قبله (ويقتلون النبيين) وهو إجماع بين القراء حيث أخبر عنهم بقتلهم للأنبياء، فقتل من هم دون الأنبياء أهون عليهم في كفرهم. ومن تجرأ على قتل نبي فهو أجرأ على قتل من هو دون النبي من المؤمنين فحمل آخر الكلام على أوله في الإخبار عنهم بالقتل.(٣)

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى لأن المقاتلة سبب للقتل فكأن الذين (يقتلون الذين يأمرون بالقسط) قد قاتلوهم لأن المقاتلة سبب للقتل.

(كفّلها) من قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ آل عمران/٣٧.

قرأ الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي (كفّلها) بتشديد الفاء وقرأ الباقون بتخفيفها (كفَلها).(٤)

كفله يكفله فعل مجرد متعد إلى مفعول واحد. وكفّله فعل مزيد بتضعيف العين بزنة (فعَّله) فتعدى بذلك إلى مفعولين.

أما من قرأ بالتشديد فقد أضاف الفعل إلى الله عز وجل امتدادًا لقوله تعالى: (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتًا حسنًا) ثم جاء (كفّلها) ليجري على ذات النسق فالله تعالى يخبر عن نفسه بأنه كفّلها زكريا أي ألزمه كفالتها والقيام بولاية أمرها فيكون زكريا المفعول الثاني (لكفّلها) ويقوي

---

(١) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣١٨/١، البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣٣٨/٢.

(٢) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لسراج الدين عمر بن زين الدين قاسم بن محمد النشار ٢٢٥/١ تحقيق علي محمد معوض وآخرين. نشر عالم الكتب ببيروت ط١/١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٣) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٣٨/١-٣٣٩ وحجة القراءات لأبي زرعه ص١٥٨ والحجة للقراء السبعة للفارسي ٢٥/٢.

(٤) التيسير للداني ص ٨٧.

ذلك أنها وردت في مصحف أُبي بالهمزة (أكفلها) والهمزة كالتشديد في تعدية الفعل، والفاعل هو الضمير العائد إلى (ربها) في قوله تعالى: (فتقبلها ربها).

وأما من قرأ بالتخفيف (كَفَلها) فقد أسند الفعل إلى زكريا فأخبر الله عنه بأنه هو الذي تولّى كِفالتها، وذلك بأمر الله.(١)

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح فالقراءة بالتشديد تسند إلى الله تبارك وتعالى بأنه هو الذي تولى أمر إلزام زكريا بكفالتها وتولّي أمرها وفي ذلك مزيد من الشرف. وعلى القراءة بالتخفيف أسند الفعل إلى زكريا فهو الفاعل للكفالة. ومؤدّى القراءتين واحد لأن كل الأفعال بأمر الله تعالى وتقديره.

(يُبشرك) من قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ آل عمران/٣٩

قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففاً (يَبْشُرُك). وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددًا (يُبَشِّرُك).(٢)

بَشَرَ بالأمر يبشُره بالضم بَشْرًا وبُشُورًا وبُشرًا. وبَشَّره وأبشره فَبَشِرَ به أي فرح.(٣) وقال أبو عبيدة: يُبَشِّرك ويَبْشُرك واحد.(٤)

وقال أبو علي الفارسي: (إذا كانت هذه اللغات في الكلمة شائعة فأخذ القارئ بإحداها وجمعه بينهما مستقيم سائغ).(٥)

والذي يتضح أن الصيغتين المزيدتين: بَشَّر وأبشر بالتضعيف وزيادة الهمزة كلاهما يستعمل بمعنى بشر المجرد حسبما أورده أبو عبيدة معمر بن المثنى.

ولهذا لا يترتب على اختلاف القراءتين أثر على المعنى وهو: أن الله يفرحك بيحيى. ولعل في القراءة بالتشديد دلالة التكثير من الفرح.(٦)

(تُعلِّمون) من قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ آل عمران/٧٩

قرأ الكوفيون وابن عامر (تُعَلِّمون) بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددًا. وقرأ الباقون (تَعْلَمون) بفتح التاء واللام مخففًا وإسكان العين.(٧)

أما من قرأ (تُعَلِّمون) بالتشديد فقد جعله من الفعل المزيد بالتضعيف علَّم يعلِّم تعليمًا. والتعليم إنما هو من العلم لأن كل معلم عالم بما يعلم وليس كل عالم بشيء معلمًا فالتشديد يدل على العلم والتعليم.

---

(١) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٤١-٣٤٢، والكشاف للزمخشري ١/٣٨٦.

(٢) التيسير للداني ص ٨٧.

(٣) لسان العرب لابن منظور (بشر) ١/٢٨٧.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى ١/٩١.

(٥) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣/٤٢-٤٣.

(٦) حجة القراءات لأبي زرعه ص١٦٣.

(٧) التيسير للداني ص ٨٩.

والتخفيف إنما يدل على العلم فقط فالتعليم أبلغ وأمدح.

وأما من خفف (تَعْلَمون) فقد جعله من الفعل المجرد (عَلِمَ) وجعله من العلم إذ الأصل عَلِمَ يَعْلَم علمًا، وقد حمل على ما بعده من قوله تعالى: (وبما كنتم تدرسون) بإجماع القراء ولم يقل (تُدَرِّسون) وكل من درس علم وليس كل من درس علَّم، فحمل الفعلين على معنى واحد أليق في المطابقة والمجانسة.(١)

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح وهو على القراءة بالتخفيف (تَعْلَمون) من علم المجرد فإنها تفيد مجرد الاتصاف بالعلم. وأما على القراءة بالتشديد من علَّم المنقول بالتضعيف من المتعدي إلى واحد إلى مفعولين فإنها تفيد القيام بالتعليم لأن الباء في (بما) للسببية و(ما) مصدرية، وأول المفعولين محذوف والتقدير: تعلمون الناس الكتاب.(٢)

(قُتلوا) من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴾ آل عمران/١٦٩.

قرأ ابن عامر (قُتِّلوا) بتشديد التاء وقرأ الباقون بتخفيفها (قُتِلوا).(٣)

أما من قرأ بالتشديد فقد أراد تكثير الفعل أو لأن المقتولين كثر فحسن التشديد لدلالة مضعف العين من المزيد فيه على التكثير.

وأما من خفف فلأن التخفيف يدل على التقليل والتكثير في الفعل فهو كالتشديد في أحد وجهيه.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: أن الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء حياة محققة وأنهم في الجنة يرزقون.(٤)

(يحزنك) من قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ آل عمران/١٧٦.

قرأ نافع وحده (ولا يُحْزِنْك) بضم الياء وكسر الزاي. وقرأ الباقون (ولا يَحزُنك) بفتح الياء وضم الزاي حيث وقع.(٥)

أما قراءة نافع (يُحْزِنُك) بضم الياء وكسر الزاي فإنها من (أحزن) المنقول من (حزِنَ) الثلاثي المجرد اللازم وذلك بالهمزة حيث تمت تعديته بها إلى مفعول واحد، كما يمكن تعديته بدون همزة. قال سيبويه في باب: (هذا باب افتراق فعلت وأفعلت في الفعل للمعنى): (وتقول: فَتَن الرجل وفتنته. وحَزِن وحزَنته، ورجع ورَجَعته، وزعم الخليل أنك حيث قلت فتنته وحزنته لم ترد أن تقول: جعلته حزيناً وجعلته فاتناً، كما أنك حين قلت: أدخلته أردت جعلته داخلاً، ولكنك أردت أن تقول: جعلت فيه حزناً وفتنةً فقلت فتنته كما قلت كحلتُه أي جعلت فيه كحلاً.. فجئت بفعلته على حدةٍ ولم ترد

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٥١/١.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٥٠٦/٢.

(٣) التيسير للداني ص ٩١.

(٤) يراجع في ذلك: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١١٣/٣. والكشف لمكي بن أبي طالب ٣٦٤/١.

(٥) التيسير للداني ص ٩١-٩٢.

بفعلته ههنا تغيير قوله حزِن وفتن، ولو أردت ذلك لقلت: أحزنته وأفتنته.. وقال بعض العرب: أفتنت الرجل، وأحزنته، وأرجعته، وأعورت عينه أرادوا جعلته حزينًا وفاتنًا فغيروا فعل..)[1]

فقراءة نافع من أحزن يُحزِن إذا جعله حزينًا.

وأما قراءة من قرأ (يَحزُنك) بفتح الياء وضم الزاي فإنها من حَزَنَه يَحْزُنه إذا جعل فيه حزنًا. وذلك لا يرقى إلى مرتبة أحزنه إذا جعله حزينًا.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير فالقراءة بفتح الياء وضم الزاي تفيد أن الله تعالى نهى نبيه عن أن تجعل ردة من ارتد عن الدين في نفسه حزنًا ولو يسيرًا.

والقراءة بضم الياء وكسر الزاي تفيد أن الله تعالى نهى نبيه الكريم عن أن يكون حزينًا مفرطًا في الحزن بسبب ردة المرتدين عن الدين.[2]

(يميز) من قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾آل عمران/١٧٩

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم (حتى يَميز) بفتح الياء والتخفيف.

وقرأ حمزة والكسائي (حتى يُميِّز) بضم الياء والتشديد.[3]

ماز يميز مَيْزًا. ومَيَّز يُميِّز تمييزًا. وأماز يُمِيز إمازةً، كله بمعنى مازه. ومازه يعني عزله وفرزه عن غيره.[4]

ماز مجرد وميَّز مزيد بالتضعيف وهما لغتان وكلاهما بمعنى، والتشديد في ميَّز يُميِّز للتكثير مثل قتَّل يُقتِّل وليس التشديد في هذا لتعدية الفعل، تقول مِزت المتاع وميَّزت المتاع فلا يحدث التشديد تعديًا لم يكن في التخفيف فالقراءتان بمعنى واحد.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى، وفيه خطاب هو عند جمهور المفسرين للكفار والمنافقين، أي ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه من الكفر والنفاق حتى يعزل الخبيث عن الطيب.[5]

(عقدت) من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾النساء/ ٣٣.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي (عقدت) بغير ألف وقرأ الباقون (عاقدت) بالألف.[6]

أما من قرأ بالألف (عاقدت)، فقد أجراه على ظاهر اللفظ من فاعلين فهو من باب المفاعلة من الفعل المزيد بالألف (عاقد) على وزن (فَاعَل). وهو من قبيل ما جرى الكلام فيه على غير من

---

(1) الكتاب لسيبويه ٥٦/٤-٥٧.

(2) يراجع في ذلك: الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب٣٦٥/١ والحجة للقراء السبعة للفارسي ٩٩/٣-١٠٠ وفتح القدير للشوكاني ٤٠٣/١ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٢١/٣.

(3) التيسير للداني ص ٩٢.

(4) تاج العروس للزبيدي مادة (ماز) ٨٣/٤ .

(5) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب٣٦٩/١، والحجة للقراء السبعة للفارسي ١١١/٣-١١٢ وفتح القدير للشوكاني ٤٠٤/١.

(6) التيسير للداني ص ٩٦.

هو له، فجعلت الأيمان هي العاقدة، والمعنى: أن العاقد هو الحالف، وإذا كان العاقد هو الحالف وجب أن يجيء على المفاعلة لأن كل واحد من الفريقين عقد حلفًا للآخر، ذلك أنه كان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل أي يحالفه فيستحق من ميراثه نصيبًا، ثم أقر ذلك في صدر الإسلام بهذه الآية، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ الأنفال/٧٥.

وأما من قرأ بغير ألف (عقدت) فقد أضاف الفعل إلى الأيمان، والمراد إضافة الفعل إلى المخاطبين المتحالفين في المعنى دون من خالفهم، وفيه حذف مفعول والتقدير: والذين عقدت أيمانكم حلفهم، ثم حذف، فهو محمول على لفظ الأيمان فأسند الفعل إليها دون أصحاب الأيمان، فلما أسند الفعل إلى الأيمان في ظاهر اللفظ لم يحتج إلى المفاعلة لأن يمين القوم الآخرين لا فعل لها.

فالفعل في هذه القراءة محمول على لفظ الأيمان دون أصحاب الأيمان، وهو في القراءة الأخرى محمول على أصحاب الأيمان وهم فريقان كل واحد حالف محلوف له فحمل على المفاعلة. وهو باب المعاقدة بالأيمان.(١)

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح، فهو على القراءة بغير ألف (عقدت): والذين عقدت أيمانكم حلفهم فآتوهم نصيبهم المستحق لهم بهذا العقد. والمعنى هنا محمول على ظاهر لفظ الأيمان فأسند الفعل إليها.

وعلى القراءة بالألف (عاقدت) يكون المعنى: والذين حالفتموهم فآتوهم نصيبهم. والمعنى هنا محمول على أصحاب الأيمان فهو من باب المفاعلة بين فريقين.

(لامستم) من قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ النساء/٤٣.

قرأ حمزة والكسائي: (أو لمستم) بغير ألف. وقرأ الباقون (أو لامستم) بالألف.(٢)

أما من قرأ (لمستم) بغير ألف فقد أضاف الفعل للرجال دون النساء فجرى الفعل من واحد والدليل على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ مريم/٢٠ وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ الرحمن/٥٦ فقد جاء هذا المعنى مؤيدًا لفعلتم.

وأما من قرأ (لامستم) فقد جعل الفعل من اثنين والمقصود الجماع الذي يكون بين اثنين فجرى على المفاعلة من الفعل المزيد (فاعل) على أن لامستم هنا لا تفيد أكثر من لمستم قال أبو حيان: (وفاعل هنا موافق فعل المجرد نحو جاوزت الشيء وجزته).(٣)

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: إذا كنتم مرضى أو مسافرين، أو جئتم الغائط أو أصاب أحدكم لذة بجماع أو غيره فلم تجدوا ماءً للتطهر فتيمموا بالصعيد إلى حين وجود الماء أو القدرة على استعماله.(٤)

---

(١) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٨٨/١-٣٨٩، والحجة للقراء السبعة للفارسي ١٥٦/٣.

(٢) التيسير للداني ص ٩٦.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٥٨/٣.

(٤) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٩١/١-٣٩٢، والحجة للقراء السبعة للفارسي ١٦٦/٣.

(تعدوا) من قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ النساء/١٥٤.

قرأ ورش عن نافع (لا تعَدّوا) بفتح العين وتشديد الدال. وقرأ قالون عن نافع بإخفاء حركة العين وتشديد الدال، والنص عنه بالإسكان (لا تعْدُّوا) وقرأ الباقون بإسكان العين وتخفيف الدال (لا تَعْدُوا).(١)

أما قراءة نافع في روايتي ورش وقالون بتشديد الدال فأصلها (لا تعتدوا) على وزن (لا تفتعلوا) وحجته في ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ البقرة/٦١.

وقد قرأ ورش بفتح العين وتشديد الدال وذلك هو الأصل إذ إنه ألقى حركة التاء الثانية من تعتدوا على العين قبلها وأدغم التاء في الدال.

وأما ما يروى عن قالون من السكون المحض فشيء لا يراه النحويون لأنه جمع بين ساكنين على غير حدهما إذ إن الأول منهما ليس حرف مدٍّ ولين مثل دابَّة وتُمودّ الثوب ولا حرف لين مثل ثوَّب والمشهور عن قالون أنه قرأ باختلاس حركة العين لأنها حركة عارضة عليها، إذ الأصل في العين السكون وقد ألقيت عليها حركة التاء فاختلسها ليخبر بذلك أنها حركة غير أصلية فكره تمكين الحركة لأجل ذلك.

وأما من قرأ (لا تَعْدُوا) مخففة الدال فإنها على وزن (لا تفعلوا) من عدا يعدو وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ الأعراف/١٦٣ وقوله سبحانه: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المؤمنون/٧ فكل هذا من عدا يعدو والأصل (تعدوُوا) لأن الواو الأولى لام الكلمة والواو الثانية هي الضمير ثم أعلّ بحذف الواو الأولى فصار (تعدوا) حيث حذفت ضمة الواو الأولى التي هي لام الكلمة فسكنت ثم حذفت لالتقاء الساكنين فوزنه (تفعلوا).(٢)

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى لأن عدا واعتدى كلاهما بمعنى تجاوز وظلم وهو خطاب موجه لليهود بمعنى لا تتجاوزوا فتأخذوا ما أمرتم بتركه من حيتان البحر.(٣)

(عقدتم) من قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ المائدة/٨٩.

قرأ أبو بكر شعبة وحمزة والكسائي (عقدتم) بتخفيف القاف من غير ألف. وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر (عاقدتم) بألف مخففاً. وقرأ الباقون (عقَّدتم) بتشديد القاف من غير ألف.(٤)

أما من قرأ (عقَّدتم) بالتشديد بزنة (فعَّلتم) المزيد فيه بتضعيف العين، فقد أراد به التكثير على معنى عقد بعد عقد، أو تكثير العاقدين للأيمان بدلالة قوله تعالى: (ولكن يؤاخذكم) فخاطب جماعة.

---

(١) التيسير للداني ص ٩٨.

(٢) يراجع في ذلك: الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/٤٠١-٤٠٢، والبدور الزاهرة للنشار ١/٢٨٥، والحجة للقراء السبعة للفارسي ٣/١٩٠.

(٣) فتح القدير للشوكاني ١/٥٣٣.

(٤) التيسير للداني ص ١٠٠.

ويرى أبو عمرو بن العلاء أن (عقَّدتم) معناها وكَّدتم ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ النحل/٩١ والتوكيد ضد اللغو في اليمين، واللغو ما لم يكن باعتقاد.

وأما من قرأ بالتخفيف (عقدتم) بزنة (فعلتم) فحجته أن من حلف مرة واحدة لزمه البر أو الكفارة، وليست الكفارة لا تلزم إلا من كرر الأيمان، ولأن باب (فعَّلت) يراد به التكثير وإذا ضعفت القاف سبق إلى وهم السامع أن الكفارة لا تجب على الحانث بحلف مرة واحدة حتى يكرر الحلف وهذا يخالف إجماع الأمة، فإذا خفف دُفع هذا الإشكال.

وأما من قرأ (عاقدتم) بزنة (فاعلتم) فإنه يراد به المرة الواحدة لأن دلالة فاعل قد تطابق (فعل) مثل عافاه الله فيكون في المعنى بمنزلة قراءة من خفف بغير ألف. ويجوز أن يراد به اثنان فأكثر فتكون اليمين من الحالفين المتعاهدين، فالمعنى على هذا أن تكون اليمين من كل واحد للآخر على أمر عقدوه.(١)

ولا نقول إن هناك اختلافًا بين هذه القراءات ولكنها تتكامل في المعنى ويؤازر بعضها بعضًا لتشمل جميع أحوال اليمين الموجبة للبر أو الكفارة فالقراءة بـ(عقّدتم) تفيد توكيد الأيمان وتخرج اللغو، وقراءة (عقدتم) بالتخفيف تفيد أن الحلف المؤكد ملزم ولو كان مرة واحدة لا يحتاج إلى تكثير وقراءة (عاقدتم) بألف مخففاً تفيد أن اليمين الملزمة قد تكون من الواحد أو بين أكثر من واحد، والله تبارك وتعالى لا يؤاخذ على اللغو في الكلام وهو اليمين غير المقصودة ولكن يؤاخذ على اليمين الموثقة بالقصد والنية إذ حنث فيها الحالف.(٢)

(ليحزنك) من قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ الأنعام/٣٣.

تقدم الكلام على القراءات التي تعاورت الفعل (يحزنك) عند الحديث عن الآية (١٧٦) من سورة آل عمران في هذا المبحث.

(فتحنا) من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ الأنعام/٤٤.

قرأ ابن عامر (فتَّحنا علهم) بتشديد التاء، وقرأ الباقون (فتحنا عليهم) بتخفيفها.(٣)

أما قراءة ابن عامر (فتّحنا) بالتشديد بزنة (فعَّلنا) فإنها تفيد التكثير، أي مرة بعد مرة وذلك بدلالة قوله تعالى: (أبواب كل شيء) فذكر الأبواب بالجمع كما قال تعالى: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ ص/٥٠.

وأما قراءة جمهور القراء (فتحنا) بالتخفيف فإنها جاءت على الأصل على وزن (فعلنا) وذلك لأن التخفيف يصلح للقليل والكثير من الفعل.(٤)

---

(١) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٤١٦/١، حجة القراءات لأبي زرعه ص٢٣٤.

(٢) فتح القدير للشوكاني ٧١/٢.

(٣) التيسير للداني ص ١٠٢.

(٤) حجة القراءات لأبي زرعه ص٢٥٠-٢٥١.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الأمم البائدة لما أعرضوا فتح الله تعالى عليهم أبواب الخير حتى إذا فرحوا وبطروا أخذهم بغتة حتى يئسوا من الخير من شدة ما نزل بهم.(١)

(خرقوا) من قوله تعالى: ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾الأنعام/١٠٠.

قرأ نافع (وخرّقوا) بتشديد الراء وقرأ الباقون بتخفيفها (خرقوا).(٢)

خرق السبسب والثوب يخرُقه ويخرِقه من حدي نصر وضرب: جابه ومزقه.. ومن المجاز خرق الرجل إذا كذب.(٣)

أما من قرأ بتخفيف الراء (خرقوا) فهو بمعنى الاختلاق. قال الفراء: (ويقال خرق الإفك وخلقه واختلقه واخترقه واقتلعه وافتراه وخرصه إذا كذب فيه).(٤)

وأما من قرأ بالتشديد (خرّقوا) فإنه يدل على التكثير لأن المشركين ادّعوا أن لله بنات، وهم الملائكة. والنصارى ادّعت أن عزيزًا ابن الله. فكثّر ذلك من كفرهم فشُدد الفعل لمطابقة المعنى تعالى الله عن ذلك.(٥)

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير وهو أن الكفار من أهل الكتاب والمشركين افتروا وادعوا أن لله بنين وبنات بغير علم.(٦)

(درست) من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾الأنعام/١٠٥.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بألف بعد الدال وإسكان السين وفتح التاء (دَارَسْتَ).

وقرأ ابن عامر بغير ألف وفتح السين وإسكان السين وفتح التاء (دَرَسَتْ)

وقرأ الباقون بغير ألف وإسكان السين وفتح التاء (دَرَسْتَ).(٧)

أما من قرأ بألف بعد الدال فقد جعله من باب المفاعلة يعني دراستَ أهل الكتاب ودارسوك وذاكرتهم وذاكروك ودل على هذا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾الفرقان/٤ وقولهم في آية أخرى: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ﴾النحل/ ١٠٣.

وأما من قرأ بدون ألف وأسكن التاء فقد أسند الفعل إلى الآيات فأخبر عنهم أنهم يقولون إن الآيات عفت وامّحت وتقادمت يشيرون بذلك إلى أنها من أحاديث الأولين ويدل على ذلك قوله

---

(١) فتح القدير للشوكاني ١٣٢/٢.

(٢) التيسير للداني ص ١٠٥.

(٣) تاج العروس للزبيدي (خرق)٣٢٧/٦.

(٤) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٤١/٤.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٤٣/١.

(٦) فتح القدير للشوكاني ١٤٧/٢.

(٧) التيسير للداني ص ١٠٥.

تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ النحل/٢٤ أي هو شيء قديم. وهو فعل ماض اتصل بتاء التأنيث.

وأما من قرأ بفتح التاء من غير ألف (درستَ) فقد أضاف الفعل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر ذلك أنهم يقولون: درس محمد كتب الأولين فأتى بهذا القرآن منها ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الفرقان/٥ أي تكرر عليه بالدرس فيحفظها.[١]

وأثر اختلاف القراءات على المعنى واضح فالمعنى على القراءة بالألف: دارست أهل الكتاب ودارسوك. والمعنى على القراءة بإسكان التاء من غير ألف أن هذه الآيات بليت وعفت وامّحت. والمعنى على القراءة بفتح التاء: أنك يا محمد درست كتب الأولين وحفظتها.[٢]

(قتلوا) من قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾الأنعام/١٤٠.

قرأ ابن كثير وابن عامر بالتشديد (قتّلوا) وقرأ الباقون بالتخفيف (قتلوا).[٣]

أما من قرأ بالتشديد (قتّلوا) فقد جعله من الفعل المزيد بتضعيف العين (فعّل) والتشديد يفيد التكثير أي مرة بعد مرة.

وأما من قرأ بالتخفيف (قتلوا) فقد جعله من الفعل المجرد (قتل) والتخفيف يفيد القليل والكثير من الفعل.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو تأكيد وخسران من قتلوا بناتهم بالوأد سفهًا وطيشًا بغير علم ولا حجة.[٤]

---

(١) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٤٣/١-٤٤٤. والحجة للقراء السبعة للفارسي ٣٧٣/٣-٣٧٥.

(٢) فتح القدير للشوكاني ١٧٠/٢.

(٣) التيسير للداني ص ١٠٧.

(٤) الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٥٥/١، وحجة القراءات لأبي زرعه ص٢٧٥، وفتح القدير للشوكاني ١٩٠/٢.

المبحث الرابع

الاختلافات الصرفية بين المبني للمعلوم وبين المبني للمجهول وأثرها الدلالي

ينقسم الفعل إلى مبني للمعلوم، وهو ما ذكر معه فاعله مثل فَهم الطالبُ الدرسَ، وإلى مبني للمجهول، وهو ما حذف فاعله وأنيب عنه غيره، مثل فُهِم الدرسُ، وعند بناء الفعل للمجهول تتغير صورته عن أصلها وذلك كما يلي:

أولا: الفعل الماضي:

الأصل فيه أن يُضم أوله ويُكسر ما قبل آخره مثل: ضُرِب، فُهِم، عُلِمَ، أُكرِم، فإذا كان مبدوءًا بتاءٍ زائدة وجب ضم أوله وثانيه وكسر ما قبل آخره مثل: تُعُلِّم، تُنُودي، تقوتل، وإذا كان مبدوءًا بهمزة وصل وجب ضم الحرف الثالث منه زيادة على ضم الحرف الأول مثل: أُنطُلِق، اسـتُخرِج، استُغفِر.

وإذا كانت عينه ألفًا قلبت ياءً وكُسر أوله إما بإخلاص الكسر أو إشمامه الضم كما في قال وباع واختار فيكون قِيل، بِيع، واختير. وبعض العرب يبقي الضم ويقلب الألف واوًا فيكون قول وبوع، كما قال رؤبة(١):

ليتَ وهل ينفع شيئًا ليتُ ليتَ شبابًا بُوع فاشتريتُ

ثانيًا: المضارع:

يُضم أوله ويُفتح ما قبل آخره مثل: يُفْهَم، ويُسمَع، ويُقال ويُباع.

ولا يبنى الفعل اللازم للمجهول إلا مع الظرف أو المصدر المتصرفين المختصين، أو المجرور الذي لم يلزم الجارُّ له طريقة واحدة مثل: سير يومُ الخميس، ووُقف أمام الملك، وجُلِس جلوس حسن، وفرح بقدوم الغائب.

هذا وقد اختلفت بعض القراءات القرآنية فاختار بعض القراء بناء الفعل للمعلوم واختار البعض الآخر بناء الفعل للمجهول حيث تغيرت صور هذه الأفعال بحسب ما يقتضيه حالها وذلك كما يلي:

(نغفر) من قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة/٥٨.

قرأ نافع بالياء المضمومة وفتح الفاء (يُغفَر لكم). وقرأ ابن عامر بالتاء المضمومة وفتح الفاء (تُغفَر لكم) وقرأ الباقون بالنون المفتوحة وكسر الفاء (نَغْفِر لكم).(٢)

(نغفرْ) فعل مضارع مجزوم واقع في جواب الطلب، وهو في الحقيقة مجزوم بشرط محذوف تقديره: إن تقولوا ذلك نغفرْ لكم، وإعرابه كذلك على القراءتين الأخريين، وخطاياكم نائب فاعل في موضع رفع في حالتي بناء الفعل للمجهول.

---

(١) ملحق ديوان رُؤبة، ص ١٧١ وشرح التصريح ٢٩٥/١ وشرح شواهد المغني ٨١٩/٢.

(٢) التيسير للداني ص٧٣.

أما من قرأ بالياء (يُغفَر) فقد احتج بأنه قد فصل بين الفعل والفاعل بالجار والمجرور فصار هذا الفاصل كالعوض عن التأنيث، وحجة أخرى هي أن الخطايا جمع مؤنث غير حقيقي فيشبه بجمع ما يعقل من النساء كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾يوسف/٣٠ فلذلك ذُكر الفعل.

وأما من قرأ بالتاء (تُغفَر لكم) فقد أنث الفعل لتأنيث لفظ الخطايا. وأما من قرأ بالنون (نغْفِر لكم) حيث بني الفعل للمعلوم أو للفاعل فذلك لأنه وقع بين خبرين من أخبار الله تعالى عن نفسه قد أخرجا بالنون الأول السابق هو قوله تعالى: (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) فخرج ذلك بالنون ولم يقل: (وإذ قيل) حتى يقال (تُغفر) أو (يُغفر) بالبناء للمجهول. والخبر الثاني اللاحق هو قوله تعالى: (وسنزيد المحسنين) ولم يقل: (وسيزاد المحسنون) فالقراءة بالنون وبالبناء للفاعل تأتي على نسق واحد مع هذين الخبرين السابق لها واللاحق.(١)

وأثر الاختلاف في المعنى يسير بين هذه القراءات مرده إلى جواب الأمر بين الفعل المبني للمعلوم والآخر المبني للمجهول والمعنى إجمالاً هو: إن تدخلوا الباب سجدًا مع قولكم حطّ عنا ذنوبنا نغفر لكم خطاياكم والذنوب لا يغفرها إلا الله.(٢)

(تُسأل) من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ البقرة/١١٩.

قرأ نافع (ولا تَسأل) بفتح التاء وجزم اللام. وقرأ الباقون بضم التاء ورفع اللام (ولا تُسألُ).(٣)

أما من قرأ: (ولا تَسألْ) بفتح التاء والجزم فقد جعله نهيًا حقيقيًا، فقد نُهي صلى الله عليه وسلم عن أن يسأل عن أحوال الكفار في الآخرة، وفي هذا النهي دلالة على التعظيم لما هم فيه من العذاب.

وأما من قرأ: (ولا تُسألُ) فيجوز أن تكون الجملة مستأنفة فتكون الواو استئنافية، ولا نافية، وتُسأل فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره أنت و(عن أصحاب الجحيم) جار ومجرور متعلقان بتُسأل. ويجوز أيضًا أن تكون الجملة في موضع الحال عطفًا على قوله تعالى: بشيرًا ونذيرًا والتقدير: إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا ولست مسؤولاً عن أصحاب الجحيم.(٤)

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح. فالمعنى: على قراءة (ولا تَسألْ) بفتح التاء والجزم النهي عن السؤال عن أحوال الكفرة استعظامًا لما هم فيه من العذاب كمن إذا سأل عن إنسان واقع في مصيبة فيقال له: لا تسأل عنه. والمعنى على قراءة (ولا تُسألُ) بالبناء للمجهول: إنك يا محمد بعثت بالحق بشيرًا ونذيرًا ولست تسأل عن أصحاب الجحيم فليس عليك هداهم.(٥)

---

(١) يراجع في ذلك حجة القراءات لأبي زرعه ص٩٨، وإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري ٣٨/١، والكشف لمكي بن أبي طالب ٢٤٣/١.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٢٤/١.

(٣) التيسير للداني ص٧٦.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٦٢/١.

(٥) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣٦٧/١-٣٦٨.

(يَرون) من قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ البقرة/١٦٥.

قرأ ابن عامر (يُرون) بضم الياء. وقرأ الباقون (يَرون) بفتحها.[١]

أما من قرأ (يُرون) بالبناء للمجهول فإنه لم يضف الفعل إليهم، ويُرون من (أريت) المنقول من رأيت. فتعدى الفعل بذلك إلى اثنين أولهما قام مقام الفاعل وهو الواو والثاني هو العذاب.

وأما من قرأ (يَرون) بالبناء للمعلوم من رأى فقد أضاف الفعل إلى الظالمين.

والاختلاف المترتب على القراءتين في المعنى يسير وهو أن هؤلاء الظالمين سيدركون فداحة ما حلّ بهم من خطب حين يرون العذاب وذلك على القراءة بفتح الياء بالبناء للمعلوم أو حين يريهم الله العذاب على القراءة بالبناء للمجهول.[٢]

(ترجع) من قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾البقرة/٢١٠

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (تَرجِع) بفتح التاء وكسر الجيم حيث وقع. وقرأ الباقون (تُرجَع) بضم التاء وفتح الجيم.[٣]

أما من قرأ (تَرجِع) بفتح التاء وكسر الجيم فقد بنى الفعل للفاعل لأنه المقصود. ويقوي ذلك إجماع القراء على قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ الشورى/٥٣ حيث بني الفعل للفاعل فحملوا هذا على ذلك.

وأما من قرأ (تُرجَع) بضم التاء وفتح الجيم فقد بنى الفعل للمجهول أي للمفعول ويقوي ذلك إجماعهم على قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾الأنعام/٦٢ حيث بني الفعل للمجهول فألحق هذا به.[٤]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن جميع الأمور تُرد إلى الله تعالى في سؤاله عنها ومجازاته عليها.

(يخافا) من قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾البقرة/٢٢٩.

قرأ حمزة بضم الياء (يُخافا). وقرأ الباقون بفتحها (يَخافا)[٥]

أما من قرأ بضم الياء فقد بنى الفعل للمجهول والضمير في (يُخافا) يعود إلى الزوجين، وهو في محل رفع نائب فاعل، والفاعل محذوف وهم ولاة الأمر والحكام، وقد خرج الكلام بعد ذلك مباشرة من الغيبة إلى الخطاب بقوله تعالى: (فإن خفتم) وهو موجه هنا إلى ولاة الأمر والحكام لأنهم المنوطون بتطبيق حدود الله، وعلى هذه القراءة يكون الفعل قد اكتفى بمفعول واحد وهو الضمير في (يخافا) حيث لا يمكن أن يتعدى إلى مفعول آخر إلا بواسطة حرف الجر حسبما ذهب

---

(١) التيسير للداني ص٧٨.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٧٣/١.

(٣) التيسير للداني ص٨٠.

(٤) يراجع في ذلك: الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٨٩/١، وحجة القراءات لأبي زرعه ص١٣١.

(٥) التسير للداني ص٨٠.

إليه الخليل والكسائي وعلى هذا يكون (أن) وما بعدها في (ألا يقيما) في موضع جر بإضمار حرف الجر اللازم لتعدية الفعل إلى (عدم إقامتهما) والتقدير: إلا أن يُخافا على ألا يقيما.[1] فحرف الجر محذوف، ولكثرة حذفه مع (أن) فكأنه ملفوظ به فحسن عمله هنا، وعليه تكون (أن) وما بعدها في محل جر بحرف جر مقدر. وعند غير الخليل والكسائي في موضع نصب لحذف حرف الجر.

وأما من قرأ بفتح الياء فقد بنى الفعل للمعلوم وحمله على ظاهر الخطاب فالفعل هنا يراد به الزوجان إذا خافا ألا يقيما حدود الله بينهما وحينئذٍ يحل للزوجة أن تفتدي نفسها. فالفاعل على هذه القراءة الضمير في (يخافا) والعائد إلى الزوجين والمفعول هو (أن) وما بعدها، وهو على هذه القراءة في موضع نصب مفعول به.[2]

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير وهو أنه لا يحل للأزواج أن يأخذوا شيئًا مما دفعوا إلى نسائهم إلا إذا خاف الزوجان ألا يقيما حدود الله بينهما وهي حسن العشرة والطاعة (وذلك على القراءة بفتح الياء) أو: إلا إذا خاف ولاة الأمر على عدم إقامة الزوجين حدود الله بينهما، وذلك على القراءة ببناء الفعل للمجهول بضم الياء؛ فحينئذٍ يحل الافتداء.

(ترجعون) من قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ البقرة/٢٨١.

قرأ أبو عمر بفتح التاء وكسر الجيم (تَرجِعون) وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم (تُرجَعون).[3]

أما من قرأ ببناء الفعل للمجهول فقد حمله على قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾الأنعام/٦٢، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ الكهف/٣٦ وفي ذلك مزيد اعتناء بأمر الرُّجعى إلى الله تعالى دفعًا لتكذيب المكذبين باليوم الآخر.

وأما من قرأ ببناء الفعل للمعلوم فقد حمله على قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ﴾الغاشية/٢٥ حيث أضيف المصدر إلى الفاعل فهذا بمنزلة (تَرجعون) وآبوا يعني رجعوا ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾يونس/٤٦ حيث أضيف المصدر إلى الفاعل وقوله سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾ الأعراف/٢٩.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو تأهبوا للقاء ربكم في هذا اليوم بما تقدمون من العمل الصالح حيث ستوفى كل نفس وتعطى جزاء ما قدمت إلا أن القراءة بالبناء للمجهول تولي مزيدًا من العناية بأمرٍ كَذّب به الكافرون وهو اليوم الآخر.[4]

---

(1) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٩٨/٢.

(2) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٩٤/١-٢٩٥. والحجة للقراء السبعة للفارسي ٣٣٠/٢-٣٣١. وفتح القدير للشوكاني ٢٧٤/١.

(3) التيسير للداني ص٨٥.

(4) يراجع في ذلك: والحجة للقراء السبعة للفارسي ٤١٧/٢-٤١٨. والكشف لمكي بن أبي طالب ٣١٩/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣٤١/٢.

(قاتل) من قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ آل عمران/١٤٦.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر (قَاتل) بفتح القاف وألف بعدها. وقرأ الباقون (قُتِل) بضم القاف وكسر التاء من غير ألف.(١)

أما من قرأ بالألف (قاتل) فقد جعله من القتال: قاتله مقاتلةً وقتالاً(٢) وهذه القراءة تحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون أسند الفعل (قاتل) إلى النبي. ويكون (معه ربيون) مبتدأ وخبر والجملة صفة لـ(نبي)، كما يجوز أن تكون الجملة في محل نصب حال للضمير المستتر في (قاتل) والهاء في معه تعود إلى ذلك الضمير، وإذا اعتبرت الجملة صفة لنبي يعود الضمير معه على (نبي).

وثانيهما: أن يسند الفعل إلى الربيين دون النبي، فيكون أخبر عنهم بالقتال دون النبي ويكون على هذا (قاتل معه ربيون) صفة لـ(نبي) و(ربيون) اسم مرفوع بالفعل (قاتل).

وأما من قرأ بغير ألف (قُتِل) فقد جعله من القتل: قتله يقتله قتلاً، وهذه القراءة تحتمل وجهين أيضًا:

أحدهما: أن يكون (قُتِل) مسندًا إلى النبي على ما لم يسمّ فاعله وما بعده خبر مقدم ومبتدأ مؤخر صفة للنبي فأخبر أن النبي قد يُقتَل بدلالة قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ آل عمران/١٤٤ وقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ البقرة/٦١، وهذا من قتل النبي في غير قتال، فحمل ذلك على هذا المعنى: أنه قُتل في غير قتال.

وثانيهما: أن (قُتِل) وما بعده صفة لـ(نبي) والفعل مسند إلى (ربيين) فـ(ربيون) على هذا الوجه اسم مرفوع بـ(قُتل) باعتباره نائب فاعل للفعل (قُتل).

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير فالمعنى على القراءة بالألف أعمّ وأمدح لأن الله تعالى إذا مدح من قاتل كان من قتل داخلاً فيه، وإذا حمدت من قُتل لم يدخل فيه من قاتل ولم يقتل فقاتل أعم وأمدح.(٣)

والمعنى: كثير من الأنبياء قتل معه ربيون كثير، أو قاتل معه ربيون فما ضعُفوا لما أصابهم في الجهاد.(٤)

(يغل) من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ آل عمران/١٦١

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين (يَغُل) وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين (يُغَل).(٥)

غلّ يغُل غُلولاً وأغلَّ: خان.. وخصّ بعضهم به الخون في الفيء والمغنم وأغلّه: خوَّنه.(٦)

---

(١) التيسير للداني ص٩٠.

(٢) لسان العرب لابن منظور (قتل) ٣٥٢٩/٥.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٥٩/١-٣٦٠.

(٤) فتح القدير للشوكاني ٣٨٦/١.

(٥) التيسير للداني ص٩١.

(٦) لسان العرب لابن منظور (غلل) ٣٢٨٥/٥.

أما من قرأ بفتح الياء وضم الغين (يَغُل) فقد نفى الغلول عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد ثبت أن الغلول وقع من غيره فلا يحسن أن ينفى الغلول عن غيره وإنما ينفى الغلول عنه صلى الله عليه وسلم، وكان بعض المنافقين اتهم النبي صلى الله عليه وسلم في شيء فأنزل الله تعالى: (وما كان لنبي أن يغل) أي يخون أمته في المغانم.

وأما من قرأ بضم الياء وفتح الغين (يُغَل) فقد جعله نفيًا للغلول عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أي أنهم لا يخونوه في المغانم وفيه معنى النهي عن فعل ذلك فدل على هذا المعنى قوله تعالى: (ومن غل يأت بما غل يوم القيامة) ويجوز أن يكون المعنى على هذه القراءة: ما كان لنبي أن ينسب إلى الغلول أي لا يقال له: أغللت.[1]

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح فهو بالبناء للمعلوم (يَغُل): أي ما كان لنبي أن يخون في شيء من المغنم فيأخذه لنفسه وفيه تنزيه للأنبياء عن الغلول. والمعنى على البناء للمجهول (يُغَل) أنه ما يصح لنبي أن يُخان أي يؤخذ من غنيمته أو لا يصح أن يُخَوَّن أي ينسب إلى الغلول.[2]

(قاتلوا وقتلوا) من قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ آل عمران/١٩٥.

قرأ حمزة والكسائي: (وقتلوا وقاتلوا) بتقديم المفعول على الفاعل وقرأ الباقون بتقديم الفاعل على المفعول: (وقاتلوا وقتلوا).[3]

أما من قدم المبني للمجهول فذلك لأن الواو لا تعطي ترتيبًا فليس العطف بها كالعطف بالفاء، ووجه قراءة تقديم المفعول أنه لما قتل منهم نفر قاتلوا فلم يهنوا ولم يضعفوا بسبب القتل الذي أوقع بهم كما قال سبحانه: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ﴾آل عمران/١٤٦وقيل إن المعنى: وقُتل بعضهم وقاتل الباقون ولم يهنوا بعد قتل أصحابهم وهذا أبلغ في مدحهم.

وأما من قدم الفاعل بالقراءة على البناء للمعلوم (وقاتلوا وقتلوا) فذلك لأن القتل لا يكون إلا بعد القتال فالمقتول متأخر عن القتال وإنما يحدث له القتل بعد القتال فهو أولى أن يكون متأخرًا فالتقديم ينبغي أن يكون لمن له المعنى في التقديم سواء أقدمته أم أخرته والواو لا تعطي رتبة في التقديم.[4]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى لا يضيع عمل العاملين ذكورًا كانوا أم إناثًا ولا يترك جزاءهم على أعمالهم.[5]

---

(1) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٦٣/١-٣٦٤.

(2) فتح القدير للشوكاني ٣٩٤/١.

(3) التيسير للداني ص٩٣.

(4) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٧٣/١.

(5) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٤٤/٣.

(وسيَصلَون) من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾النساء/١٠

قرأ أبو بكر شعبة وابن عامر (وسيُصلَون) بضم الياء. وقرأ الباقون بفتحها (وسيَصلَون).[١]

أما من قرأ بضم الياء فقد بنى الفعل للمجهول ولم يضفه إليهم في الحقيقة على معنى: أن الله تعالى يأمر من يصليهم سعيرًا، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾النساء/٥٦.

وأما من قرأ بفتح الياء فقد أضاف الفعل إليهم والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾يس/٦٤وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ الصافات/١٦٣.[٢]

وأثر اختلاف القراءتين واضح وهو على القراءة بضم الياء أن الله يأمر من يصليهم النار. وعلى القراءة بفتح الياء أنهم دخلوا النار واصطلوا بحرها.[٣]

(يوصي) من قوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾النساء/١١.

قرأ ابن كثير وابن عامر وشعبة (يوصَي بها) بفتح الصاد في الموضعين وتابعهم حفص على الثاني في الآية التالية وقرأ الباقون بكسر الصاد فيهما (يوصِي).[٤]

أما من قرأ بكسر الصاد فقد بنى الفعل للفاعل، وذلك أنه لما تقدم ذكر الميت في صدر الآية في قوله تعالى: (فإن كان له أخوة فلأمه السدس من بعد وصية) والمفروض في تركته إضافة الفعل إليه حقيقةً لأنه هو الموصي كأنه قال: من بعد وصية يوصي بها الميت.

وأما من قرأ بفتح الصاد فإنه لما كان هذا الحكم ليس يراد به واحد بعينه، وإنما هو أمر شائع في جميع الخلق أجري الفعل على ما لم يسمّ فاعله فأخبر عن غير معين بالبناء للمجهول.

ولعل في قراءتي حفص عن عاصم موافقة لمقتضى الحال لكلا الوجهين فإنه قرأ بكسر الصاد بالبناء للمعلوم عندما تعلق الفعل الأول بالميت الوارد بلفظِ المذكر.

وأما الفعل الثاني في الآية الثانية عشرة فإن الفعل يعود على (رجل أو امرأة) في قوله تعالى: (وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة) فقد فتح الصاد بالبناء للمجهول ليحتمل الفعل كلا الجنسين.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير ففي القراءة بكسر الصاد تخصيص للميت وفي القراءة بفتح الصاد تعميم للحكم باعتباره شائعًا في جميع الخلق.[٥]

(وأُحل لكم) من قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم﴾النساء/٢٤.

قرأ حفص وحمزة والكسائي (وأُحل لكم) بضم الهمزة وكسر الحاء. وقرأ الباقون بفتحها (وأَحَلّ).[٦]

أما من قرأ بفتح الهمزة والحاء فقد بنى الفعل للفاعل وهو الله سبحانه وتعالى، وعطف الفعل على ما قبله مباشرة، مما أضيف الفعل فيه إلى الله تعالى في قوله سبحانه: (كتاب الله عليكم) أي كتب الله ذلك عليكم وأحل لكم ما وراء ذلك فـ(ما) في موضع نصب على المفعولية بأحلّ.

---

(١) التيسير للداني ص٩٤.

(٢) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٧٨/١، والحجة للقراء السبعة للفارسي ١٣٦/٣.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٤٩٤/١

(٤) التيسير للداني ص ٩٤.

(٥) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٨٠/١. والحجة للقراء السبعة للفارسي ١٤٠/٣.

(٦) التيسير للداني ص ٩٥.

وأما من ضمّ الهمزة فقد بنى الفعل للمجهول وذلك بالنظر إلى ما جرى من الكلام في أول الآية في قوله تعالى: (حرمت عليكم أمهاتكم) إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾النساء/٢٤ ثم قال: (وأحل لكم ما وراء ذلكم) فطابق بين أول الكلام وآخره، فكأنه حرم عليكم كذا، وأحل لكم كذا فهذا أليق بتجانس الكلام وارتباط بعضه ببعض وعليه تكون (ما) في موضع رفع نائب فاعل.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير، فإذا قرئ بفتح الهمزة فإن من أحل هو الله تعالى، وكذلك إذا قرئ بضم الهمزة.[1]

(فإذا أُحصِنَّ) من قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾النساء/٢٥

قرأ شعبة وحمزة والكسائي (فإذا أَحصَنّ) بفتح الهمزة والصاد. وقرأ الباقون بضم الهمزة وكسر الصاد (فإذا أُحصِنّ).[2]

أما من ضمّ الهمزة وكسر الصاد فقد بنى الفعل للمجهول وأضاف الفعل إلى الأزواج أو إلى الأولياء، فحذف الفاعل وأقامهن مقامه بعد حذفه وهنّ الإماء، فإذا أحصنهن الأزواج بالنكاح، أو أحصنهن الأولياء بالتزويج، فزنين فعليهن نصف ما على الحرائر من المسلمات اللواتي لم يتزوجن من الحد إذا زنين وذلك خمسون جلدة.

وأما من قرأ بفتح الهمزة والصاد فقد أسند الفعل إليهن، على معنى فإذا أسلمن، وقيل فإذا عففن، وقيل فإذا أحصنّ أنفسهن بالتزويج، فالحد لازم لهن في الوجوه الثلاثة، والفعل هنا مبني للمعلوم وقد أسند إليهنَّ حقيقةً.[3]

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح. فعلى القراءة بضم الهمزة وكسر الصاد يكون المعنى أن الحد لازم لهؤلاء الإماء إذا زنين بعد تزويجهن فقط.

وأما على القراءة بفتح الهمزة والصاد فإن الحد يكون لازمًا لهن إذا زنين في وجوه المعنى كلها يعني إذا أسلمن أو عففن أو تزوجن.

وقد أجمع الفقهاء على وجوب الحد على المملوكة إذا زنت وإن لم تكن ذات زوج وذلك يتوافق مع القراءة بفتح الهمزة والصاد، فقد روى مسلم من حديث الإمام علي بن أبي طالب قال: خطب عليّ فقال: (يا أيها الناس أقيموا على أرقائكم الحد، من أحصن منهم ومن لم يُحصَن، فإن أَمَةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم زنت فأمرني أن أجلدها.)[4]

---

(1) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٨٥/١. والحجة للقراء السبعة للفارسي ١٥٠/٣.

(2) التيسير للداني ص ٩٥.

(3) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٨٥/١-٣٨٦.

(4) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، كتاب الحدود – (باب تأخير الحد عن النفساء حديث رقم _١٧٠٥) نشر دار الخير بدمشق ط/٥ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(تسوى) من قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾النساء/٤٢.

قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو (لو تُسَوَّى) مضمومة التاء خفيفة السين.

وقرأ نافع وابن عامر (لو تَسَّوَّى) مفتوحة التاء مشددة السين.

وقرأ حمزة والكسائي (لو تَسَوَّى) مفتوحة التاء خفيفة السين، والواو ممالة مشددة.(١)

أما من قرأ بضم التاء فقد بنى الفعل للمجهول فهو على وزن تُفَعَّل مضارع سوَّى من التسوية، وأقام الأرض مقام الفاعل على معنى: لو يُجعلون والأرض سواءً، أي ترابًا كما فُعل بالبهائم والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا ﴾النبأ/٤٠.

وأما من قرأ بفتح التاء وتشديد السين فقد بنى الفعل على (تتفعّل) مضارع (تسوى) من التسوية، فأسنده إلى الأرض ثم أدغم التاء في السين وهي التاء الثانية وذلك مثل (تسَّاءلون به) النساء/٧ ومثل (تظّاهرون) البقرة/٨٥ وفي هذا الوجه اتساع لأن الفعل مسند إلى الأرض وليس المراد: ودوا لو تصير الأرض مثلهم، إنما المعنى: ودوا لو تبتلعهم فيتسوون بها.

وأما من قرأ بفتح التاء وتخفيف السين فهو (لو تتسوّى) مثل القراءة السابقة فحذفت التاء التي أدغمها من قرأ (لو تَسَّوَّى) لأنها كما أعلت هناك بالإدغام أعلت هنا بالحذف، وهو مضارع (تسوَّى).

وأما إمالة الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء في قراءة حمزة والكسائي فذلك لانقلاب ألف هذا الفعل في نحو يتسويان ولهذا حسنت الإمالة.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح، فهو على قراءة (تسَّوَّى) و(تَسوَّى) بفتح التاء وتشديد السين وتخفيفها تكون الأرض فاعلة بمعنى أن الأرض لو تنشق ويكونون فيها وتتسوى هي في نفسها عليهم، وقال آخرون: لو تسوى هي معهم في أن يكونوا ترابًا كالبهائم.

وعلى قراءة: (تُسوَّى) بضم التاء فالمعنى لو أن الله يفعل ذلك بأن يجعلهم ترابًا ويسوِّى بهم الأرض.(٢)

(يدخلون) من قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴾ النساء/١٢٤

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة (يُدخَلون) بضم الياء وفتح الخاء. وقرأ الباقون (يَـدخُلون) بفتح الياء وضم الخاء.(٣)

أما من قرأ (يُدخَلون) بالبناء للمجهول فقد أضاف الفعل إلى غيرهم، لأنهم لا يدخلون الجنة من تلقاء أنفسهم ولكن بعد أن يأذن الله لهم في ذلك، ويُدخلهم الجنة برحمته، فهم مفعول بهم في المعنى إذ الفعل (دخل) فعل مجرد متعد إلى مفعول واحد، و(أدخل) معدًّى بالهمزة إلى مفعولين، ويُدخَلون مضارع (أدخل) المتعدي إلى مفعولين: المؤمنين والجنة. ودليل من قرأ بالبناء للمجهول

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٢٣٤.

(٢) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٩٠/١، والحجة للقراء السبعة للفارسي ١٢٦/٣، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٥٣/٣.

(٣) التيسير للداني ص ٩٧.

قوله تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ إبراهيم/٢٣ ويؤيد ذلك ما جاء بعد (يُدخلون) حيث قال: (ولا يُظلَمون) بالبناء للمجهول فيجري بذلك الكلام على نسق واحد.

وأما من قرأ (يَدخُلون) بفتح التاء وضم الخاء فهو مضارع (دخل) المجرد أضاف الفعل إليهم باعتبارهم الداخلين، لأنهم الداخلون بأمر الله تعالى في قوله لهم: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ﴾الأعراف/٤٩ وقوله: ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ﴾ الحجر/٤٦.

والقراءتان متداخلتان لأنهم إذا أمروا بالدخول دخلوا، ولأنهم لا يدخلونها حتى يدخلهم الله إياها فهم داخلون مُدْخَلون.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن جميع من يعمل الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فإنهم يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئًا.[1]

(نزّل وأنزل) من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾النساء/١٣٦.

قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي (الذي نَزّل.. والكتاب الذي أنزَل) بفتح أول الفعلين وفتح الزاي.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (الذي نُزّل،، والكتاب الذي أُنزِل) بضم أول الفعلين وكسر الزاي.[2]

أما من قرأ بفتح أول الفعلين وفتح الزاي فقد بنى الفعل للمعلوم أي للفاعل ورده إلى اسم الله تعالى المذكور قبله وهو قوله: (آمنوا بالله ورسوله) ففي نزّل وأنزَل بالبناء للمعلوم ضمير يعود على لفظ الجلالة، وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ الحجر/٩ وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ ﴾النحل/٤٤.

وأما من قرأ بضم أول الفعلين وكسر الزاي فقد بنى الفعل للمجهول أي للمفعول وعلى ما لم يسمّ فاعله وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ النحل/٤٤ وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ الزمر/١ حيث أضيف المصدر إلى المفعول به فالكتاب على هذا مُنْزَل. وحجتهم في قوله (الذي أُنزِل) قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾الأنعام/١١٤.

والقراءتان متداخلتان وفي كل واحدة تناسق ورد لآخر الكلام على أوله وانتظام بعضه ببعض. ولا أثر لاختلافهما على المعنى العام وهو: يا أيها الذين آمنوا اثبتوا على إيمانكم وآمنوا بالكتاب الذي أنزل على رسوله وهو القرآن الكريم و(أل) فيه للعهد وكل ما أنزل قبله من كتاب و(أل) فيه للجنس.[3]

([1]) راجع الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٣٩٩/١. وحجة القراءات لأبي زرعه ص٢١٣.

([2]) التيسير في القراءات السبع للداني ص٩٨.

([3]) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٠٠/١، والحجة للقراء السبعة للفارسي ١٨٧/٣، وفتح القدير للشوكاني ٥٢٤/١.

(نزّل) في قولـــه تعـــالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ ﴾ النساء/١٤٠.

قرأ عاصم بفتح النون والزاي (نَزّل) وقرأ الباقون بضم النون وكسر الزاي (نُزِّل).(١)

أما من قرأ بفتح النون والزاي فقد بناه للمعلوم أي للفاعل ورده إلى لفظ الجلالة المذكور في الآية السابقة لهذه الآية في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾النساء/١٣٩ وأما من قرأ بضم النون وكسر الزاي (نُزِّل) فقد بناه للمجهول وجعله خبرًا مستأنفًا.(٢)

ولا ثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو نهي المسلمين عن الجلوس مع الذين يخوضون في آيات الله ويستهزئون بها حتى لا يخوضوا في حديث غير ذلك.

(استحق) من قولــه تعـــالى: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ ﴾المائدة/١٠٧.

قرأ حفص بفتح التاء والحاء (استَحَقَّ) وإذا ابتدأ كسر الألف. وقرأ الباقون بضم التاء وكسر الحاء (استُحِقَّ) وإذا ابتدءوا ضمّوا الألف.(٣)

أما من قرأ بفتح التاء والحاء فقد بنى الفعل للمعلوم. والفاعل هو الأوليان والمفعول محذوف والتقدير: من الذين استحق عليهم الأوليان بالميت وصيته. أو من الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا كذب الكاذبين. فالأوليان فاعل (اســتَحَق)، ومفعوله إما (وصيته) أو (أن يجردوهما) أي (تجريدهما).

وأما من قرأ بضم التاء وكسر الحاء (استُحِقَّ) فقد بنى الفعل للمجهول. والتقدير: من الــذين استُحِق عليهم الإثم أي جُني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته فإنهم أحق بالشهادة أو اليمــين مــن غيرهم.(٤)

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير فعلى القراءة بالبناء للمعلوم يكون المعنى: أنـــه إذا عثر على أن الشاهدين قد استحقا إثمًا فيقوم شاهدان آخران من أهل الميت أوليان بوصيته فيقسمان بالله لَشهادتنا أحق من شهادتهما.

والمعنى على القراءة بالبناء للمجهول: يقوم شاهدان من أهل الميت، وهم الذين استُحِق عليهم الإثم أي جُني عليهم فيقسمان بالله لَشهادتنا أحقّ من شهادتهما.(٥)

(يصرف) من قوله تعالى: ﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾الأنعام/١٦.

قرأ أبو بكر شعبة وحمزة والكسائي (من يَصرِف) بفتح الياء وكسر الراء. وقرأ الباقون (من

---

(١) التيسير للداني ص ٩٨.

(٢) حجة القراءات لأبي زرعه ص٢١٧.

(٣) التيسير للداني ص ١٠٠.

(٤) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٢٠/١. والحجة للقراء السبعة للفارسي ٢٧٠/٣. وإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري١/٢٣٠.

(٥) فتح القدير للشوكاني ١٠٠/٢.

يُصرَف) بضم الياء وفتح الراء.(١)

صَرَف يصرِف صرفًا من باب ضرب، يبنى مضارعه للمجهول بضم أوله وفتح ما قبل الآخر (يُصرَف).

أما من قرأ (يَصرِف) بفتح الياء وكسر الراء فقد بنى الفعل للمعلوم أي للفاعل والفاعل تقدم ذكره في قوله تعالى: (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) ويؤيد ذلك قراءة أبي بن كعب (من يصرف الله عنه) وفي قراءة ابن مسعود: (يصرف الله عنه) فالمعنى: من يصرف الرب عنه يومئذٍ العذاب فقد رحمه، فالمفعول محذوف وهو (العذاب)، وهو مستفاد من الكلام السابق لدلالته عليه.

وأما من قرأ (يُصرَف) بضم الياء وفتح الراء فقد بنى الفعل للمجهول وأضمر فيه ذكر العذاب الذي تقدم ذكره وأقامه مقام الفاعل فلا حذف حينئذٍ في الكلام، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾هود/٨ أي العذاب فبناه لما لم يسمّ فاعله، وأضمر فيه العذاب وأقامه مقام الفاعل أيضًا. والقراءة بالبناء للمجهول أقل إضمارًا من القراءة الأخرى.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: من ينجيه الله فيصرف عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه.(٢)

(ليضلون) من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾الأنعام/١١٩

قرأ عاصم وحمزة والكسائي (ليُضِلّون) بضم الياء. وقرأ الباقون (ليَضلون) بفتح الياء.(٣)

أما من قرأ بفتح الياء (ليَضلون) فقد جعله مضارع ضلَّ الفعل الثلاثي اللازم. ضل يضل ضلالاً يقال فلان يضيل في نفسه فالفعل قائم بنفسه لا يتعداه إلى غيره.

وأما من قرأ (ليُضلون) بضم الياء فقد جعله مضارع الفعل أَضَل المزيد بالهمزة حيث أصبح فعلاً متعديًا إلى مفعول واحد وهو ههنا محذوف، والمعنى: ليُضلون الناس. فالفعل: أضل يُضل إضلالاً وأضله جعله ضالاً.. والإضلال ضد الهداية والإرشاد.(٤)

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح فالمعنى على قراءة (يَضلون) بفتح الياء يَضلون في أنفسهم فلا يهتدون، وهو على قراءة (يُضلون) بضم الياء أنهم يُضلون الناس وهم الكفار الذين كانوا يحرّمون البحيرة والسائبة وأنهم بهذه الأفعال المبنية على الجهل يُضلون الناس فيتبعونهم ولا يعلمون، وذلك أبلغ في ذمهم.(٥)

(فَصَّل) و(حَرَّم) من قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾الأنعام/١١٩.

قرأ نافع وحفص (فَصَّل) بفتح التاء والصاد و(حَرَّم) بفتح الحاء والراء.

---

(١) التيسير للداني ص ١٠١.

(٢) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٢٥/١، وحجة القراءات لأبي زرعه ص٢٤٣.

(٣) التيسير للداني ص ١٠٦.

(٤) لسان العرب لابن منظور (ضلل) ٢٦٠١/٤.

(٥) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٤٩/١، وفتح القدير للشوكاني ٩٣/٢ و١٧٨.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (فُصِّل) بضم الفاء وكسر الصاد و(حُرِّم) بضم الحاء وكسر الراء. وقرأ أبو بكر شعبة وحمزة والكسائي (فَصَّل) بفتح الفاء والصاد و(حُرِّم) بضم الحاء وكسر الراء.[1]

أما من قرأ (فَصَّل) و(حَرَّم) بالبناء للمعلوم في الفعلين فقد أضافهما لله تبارك وتعالى لتقدم ذكره في قوله تعالى: (مما ذكر اسم الله عليه) وقد أجمعوا على بناء الفعل للمعلوم في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَـٰتِ﴾ الأنعام/٩٧فحُمل الفعلان على نظام واحد لأن المُفَصَّل هو المُحَرَّم في المعنى. الواو حالية و(قد) حرف تحقيق و(فصَّل) فعل ماض والفاعل ضمير مستتر، و(لكم) جار ومجرور متعلقان بفصَّل و(ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به وجملة (حرَّم عليكم) صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

وأما من قرأ ببناء الفعلين للمجهول (فُصِّل) و(حُرِّم) فقد حملهما على قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ المائدة/٣وقوله تعالى: ﴿أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا﴾الأنعام/١١٤فهو من فصَّل، ولما ضم أول الفعل الأول ضم أول الفعل الثاني لأن فاعل الأول هو فاعل الثاني في المعنى ولتناسق الكلام وليأتلف اللفظان على نظام واحد.

وأما من قرأ (فَصَّل) بالبناء للمعلوم و(حُرِّم) بالبناء للمجهول فقد حمل الفعل الأول على القرب من لفظ الله تعالى فبناه للفاعل والمعنى: وقد فصَّل الله لكم. ثم قرأ (حُرِّم) بترك تسمية الفاعل بدلالة ما جاء في القرآن الكريم من التحريم بترك تسمية الفاعل في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾المائدة/٣، وقوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾المائدة/٩٦ وتلك مواضع إجماع بين القراء فحملوا ما اختلفوا فيه من ذلك على ما اتفقوا عليه. ثم إن الكلام أتى بعد ذلك بترك تسمية الفاعل فقال تعالى: (إلا ما اضطررتم إليه) فألحق قوله: (حُرِّم) ليكون لفظا المستثنى والمستثنى منه متفقين.[2]

ولا أثر لاختلاف هذه القراءات على المعنى وهو: ما غرضكم في الامتناع من أكل ما ذكر اسم الله عليه وهو استفهام يتضمن الإنكار على من امتنع من ذلك، أي لاشيء يمنع منه وقد فصل لكم في هذه السورة ما حرم عليكم مما لم يحرم عليكم.[3]

---

(1) التيسير للداني ص ١٠٦.

(2) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٤٨/١، وحجة القراءات لأبي زرعه ص٢٦٨-٢٦٩.

(3) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢١١/٤.

الباب الثالث

الاختلافات النحوية في الربع الأول من القرآن الكريم
وأثرها الدلالي

الفصل الأول

الاختلافات النحوية بين الأسماء وأثرها الدلالي

المبحث الأول: الاختلافات النحوية بين الأسماء التي قرئت منصوبة فقط

المبحث الثاني: الاختلافات النحوية بين الأسماء التي قرئت مرفوعة فقط مضافة وغير مضافة

المبحث الثالث: الاختلافات النحوية بين الأسماء التي قرئت منصوبة ومرفوعة

المبحث الرابع: الاختلافات النحوية بين الأسماء التي قرئت منصوبة ومجرورة

المبحث الخامس: الاختلافات النحوية بين الأسماء التي قرئت مرفوعة ومجرورة

المبحث الأول

الاختلافات النحوية بين الأسماء التي قرئت منصوبة بالفتحة وبالكسرة

فيما يلي بيان باختيارات القراء من القراءات الواردة بالنصب وحده، منونة وغير منونة. أو منصوبة بالفتحة تارة وبالكسرة تارة أخرى، وذلك في فرعين:

الفرع الأول: الأسماء المنصوبة منونة وغير منونة:

(درجات) من قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الأنعام/٨٣.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي (درجاتٍ) بالتنوين. وقرأ الباقون (درجاتِ) بغير تنوين.[1]

وتوجيه القراءة بالتنوين أن الفعل (نرفع) قد أعمل في (مَن) لأنه المرفوع في الحقيقة. والدرجات على هذه القراءة ليست المقصودة بالرفع، إنما المرفوع صاحبها فهو كقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ البقرة/ ٢٥٣ وفي نصب درجات على هذه القراءة خمسة أوجه:

الأول: أنها منصوبة على الظرفية، و(من) مفعول نرفع. أي نرفع من نشاء مراتب ومنازل.

الثاني: أنها منصوبة على أنها مفعول ثانٍ قدم على الأول وذلك يقتضي تضمين (نرفع) معنى (نعطي) لأنه يتعدى لاثنين. أي نعطي بالرفع من نشاء درجات. فالدرجات تكون مرفوعة وإذا رفعت الدرجة فقد رفع صاحبها.

الثالث: أنها منصوبة على حذف حرف الجر. أي: إلى منازل أو إلى درجات.

الرابع: أنها منصوبة على التمييز ويكون محولاً من المفعولية، فتؤول إلى القراءة الأخرى إذ الأصل: (نرفع درجاتِ من نشاء) بالإضافة ثم حُوِّل كقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ القمر/١٢ أي عيون الأرض.

الخامس: أنها منصوبة على الحال، وذلك على حذف مضاف، أي ذوي درجات. ويشهد لهذه القراءة قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ الأنعام/ ١٦٥، وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ الزخرف/ ٣٢.

والذي يراه الباحث أن الوجه الأول أقوى دلالة على المعنى المراد.

أما توجيه القراءة بغير تنوين، فإن الفعل قد أوقع على (درجات) وأضاف الدرجات إلى (من) لأن الدرجات إذا رفعت فصاحبها مرفوع إليها ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ غافر/١٥ فأضاف الرفع إلى الدرجات وهو سبحانه الرفيع المتعال. وفي هذه الحال تكون (درجات) مفعول به منصوب للفعل (نرفع) وهو مضاف، و(مَن) مضاف إليه.[2]

---

(1) التيسير للداني ص١٠٤.

(2) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٤٣٧-٤٣٨، ومشكل إعراب القرآن الكريم لمكي بن أبي طالب ص٢٤٢، وإملاء ما منَّ به الرحمن للعكبري ١/٢٥٠-٢٥١.

وهنالك فارق في المعنى بين القراءتين إذ المعنى على القراءة بالتنوين أن الفعل واقع على (من) وهو العبد يرفعه ربه. وعلى القراءة بغير تنوين يقع الفعل على الدرجات وإذا رفعت الدرجات فقد رفع العبد في العلم والحكمة.(١)

الفرع الثاني: الأسماء التي قرئت منصوبة بالفتحة ثم بالكسرة:

(رسالته) من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ المائدة/ ٦٧.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص وحمزة والكسائي (رسالته) بالتوحيد ونصب التاء.

وقرأ نافع وابن عامر وشعبة (رسالاته) بالجمع وكسر التاء.(٢)

(رسالته) من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ الأنعام/ ١٢٤.

قرأ ابن كثير وحفص (رسالته) بالتوحيد ونصب التاء.

وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي (رسالاته) بالجمع وكسر التاء.(٣)

رسالته أو رسالاته في كلا الآيتين في موضع نصب مفعول به بالفعل (بلَّغ) في آية المائدة، وبالفعل (يجعل) في آية الأنعام، وهي منصوبة بالفتحة الظاهرة في قراءة التوحيد (رسالتَه) ومنصوبة بالكسرة نيابة عن الفتحة في قراءة الجمع (رسالاتِهِ) لأنها جمع مؤنث سالم.

والخطاب في آية المائدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحجة من اختار القراءة بلفظ المفرد أن الرسالة على انفراد لفظها تدل على الكثرة فهي كالمصدر في دلالته على نوعه بلفظه لا يثنى ولا يجمع.

وأما حجة من اختار القراءة بصيغة الجمع أن كل آية أو سورة من القرآن تعتبر رسالة واجبة التبليغ فور نزولها وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم استجابة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ المائدة/ ٦٧.

وحجة اختيار القراءة بلفظ المفرد في آية الأنعام أن المكان الذي تحل فيه رسالة الله مفرد وهو قلب كل رسول أرسله الله تعالى، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ الشعراء/ ١٩٣ – ١٩٤.

وحجة من اختار القراءة بلفظ الجمع أنه لما كان كل رسول يأتي بضروب من الشرائع حسن الجمع إذ ليس ما جاءوا به رسالة واحدة.(٤)

---

(١) الكشاف للزمخشري ٤١/٢.

(٢) التيسير للداني ص١٠٠.

(٣) السابق ص١٠٦.

(٤) يراجع في ذلك حجة القراءات لأبي زرعة ص٣٠١ والكشف لمكي بن أبي طالب ٤٤٩/١-٤٥٠.

المبحث الثاني

الاختلافات النحوية بين الأسماء التي قرئت مرفوعة فقط مضافة وغير مضافة

فيما يلي بيان باختيارات القراء من القراءات التي وردت بالرفع وحده في بعض الأسماء مضافةً وغير مضافة، وأثر ذلك على المعنى، وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم.

(فديةٌ) من قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ البقرة/١٨٤.

قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي (فديةٌ طعام مسكين) (فديةٌ) منون ورفع (طعامُ) وإفراد (مسكين).

وقرأ نافع وابن عامر: (فديةُ طعامِ مساكين) (فديةُ) مضاف و(طعام) بالجر و(مساكين) جمع.[1]

أما من قرأ بالتنوين من غير إضافة فدلالة ذلك انه سمى الشيء الذي يفدي به الصائم (فدية) ثم أبدل الطعام منها بدل شيء عن شيء وهو هو، حيث بيّن الله تعالى به الفدية من أي شيء تكون أبالطعام أم بغيره.

وفديةٌ على هذا مبتدأ مؤخر، وعلى الذين متعلق بمحذوف خبر مقدم.

وأما من قرأ بالإضافة من غير تنوين فدلالة قراءته أنه سمي الطعام الذي يفدي به الصائم (فدية) ثم أضافه إلى طعام على سبيل إضافة البعض إلى الكل مثل خاتم حديد وثوب خز.[2]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الشيخ الكبير أو المريض الذي لا يرجى برؤه وكل من يجد مشقة كبيرة إذا صام فإن لهم أن يفطروا ويطعموا عن كل يوم مسكيناً.[3]

(فجزاءٌ) من قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ المائدة/٩٥.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي (فجزاءٌ مثلُ) بتنوين (جزاء) ورفع (مثل).

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (فجزاءُ مثلِ) بغير تنوين وخفض (مثل).[4]

أما توجيه القراءة بالتنوين فهو أن (فجزاءٌ) مبتدأ مرفوع، وخبره محذوف والتقدير: فعليه جزاءٌ، ويجوز أن يكون (فجزاءٌ) في محل رفع خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير: فالواجب جزاءٌ، أو أن يكون فاعلاً والتقدير: فيلزمه جزاءٌ.

و(مثلُ) صفة لهذا المرفوع في كافة هذه الاحتمالات.

وأما توجيه القراءة بغير تنوين أن (جزاءُ) مصدر مضاف لمفعوله الثاني وهو (مثل) والتقدير: فعلى القاتل أن يجزي المقتول مثله من النعم فحذف المفعول الأول وهو المقتول لدلالة

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص١٧٦.

(٢) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٢٨٢-٢٨٣.

(٣) فتح القدير للشوكاني ١/٢٠٩.

(٤) التيسير للداني ص١٠٠.

الكلام عليه وأضيف المصدر إلى المفعول الثاني. (فجزاءُ) مبتدأ مضاف و(مثلِ) مضاف إليه مجرور بالإضافة.(١)

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن المُحرِم إذا قتل صيدًا بريًا فكفارته أن يأتي بحيوان مماثل في الخلقة لما قتله فيذبح بمكة لفقراء الحرم. فإن لم يجد فعليه شراء طعام بمثل قيمة ذلك الحيوان فإن لم يجد فعليه أن يصوم أيامًا بعدد أمداد ذلك الطعام.(٢)

(كفارة) من قوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ المائدة/٩٥.

قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو والكسائي (كفارةٌ) منونًا و(طعامُ) رفعًا.

وقرأ نافع وابن عامر (كفارةُ) رفعًا غير منون (طعام) مجرور بالإضافة.(٣)

وتوجيه القراءة بتنوين (كفارةٌ) أنها مرفوعة على الابتداء والخبر محذوف تقديره: فعليه كفارة، وطعام بدل من كفارة أو عطف بيان، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي طعامُ مساكين.

وتوجيه القراءة بغير تنوين أن (كفارة) مبتدأ مرفوع بالابتداء كذلك وهو مضاف وطعامِ مضاف إليه مجرور بالإضافة.(٤)

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو بيان الكفارة الواجبة على من قتل صيدًا بريًا وهو محرم.

---

(١) يراجع في ذلك: الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤١٨/١ والحجة للقراء السبعة للفارسي ٢٥٤/٣-٢٥٥.

(٢) فتح القدير للشوكاني ٩١/٢.

(٣) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٢٤٨.

(٤) يراجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ٤١٨/١-٤١٩، والحجة للفارسي ٢٥٥/٣-٢٥٦.

المبحث الثالث

الاختلافات النحوية بين الأسماء التي قرئت منصوبة ومرفوعة وأثرها الدلالي

فيما يلي بيان باختيارات القراء من القراءات الواردة بالنصب والرفع في عدد من الأسماء وأثر ذلك على المعنى وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم.

(آدم) و(كلمات) من قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ البقرة/ ٣٧.

قرأ ابن كثير بنصب (آدمَ) ورفع (كلمات). وقرأ الباقون برفع (آدم) ونصب (كلمات).[١]

أما من نصب (آدم) ورفع (كلمات) فقد جعل الكلمات هي الفاعل وأسند الفعل إليها بأنها أنقذت آدم فيكون دلالة تلقى (أتى) فالكلمات أتت إلى آدم واستنقذته بتوفيق الله له بأن دعا بها فتاب الله عليه.

وكان الأصل على هذه القراءة أن يقال: فتلقت آدمَ من ربه كلماتٌ ولكن ذُكرِّ الفعل لأسباب منها: أن المؤنث مجازي، أو للفصل بين الفعل والفاعل، وقيل إنما ذكر لأنه محمول على المعنى لأن الكلام والكلمات بمعنى واحد.

وأما من قرأ برفع آدم ونصب كلمات فقد جعل آدم هو الفاعل بأنه تلقى هذه الكلمات، ولأنه هو الذي قبلها ودعا بها وعمل بها فتاب الله عليه فهو الفاعل لقبوله الكلمات والكلمات هي المقبولة وهي المفعول به.

وفي تقديم آدم على الكلمات تقوية لحجة من جعله فاعلاً إذ الأصل تقديم الفاعل وعلى ذلك جمهور القراء.[٢]

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح من حيث إسناد الفعل فمن قرأ برفع الكلمات جعلها فاعلاً لإنقاذ آدم ومن قرأ برفع آدم جعله فاعلاً تلقى الكلمات ودعا بها وقد جمع الفراء بين القراءتين قائلاً: إن ما لقيك فقد لقيته وما نالك فقد نلته.[٣]

(لكن الشياطين) من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾البقرة/١٠٢.

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (لكنِ الشياطينُ) بتخفيف نون لكن وكسرها ورفع ما بعدها وقرأ الباقون بتشديد نون لكنّ ونصب ما بعدها (لكنّ الشياطين)[٤]

وتوجيه القراءة بتخفيف نون (لكن) ورفع ما بعدها أن (لكن) حرف إذا شددت نونه كان من أخوات (إنّ) تنصب الاسم وترفع الخبر، وإذا خففت نونه كان حرف عطف لا عمل له يرتفع ما بعده على الابتداء والخبر على رأي الجمهور، وذهب يونس إلى أنها ليست من حروف العطف

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ص٧٣.

(٢) يراجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٣٦/١-٢٣٧. وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي ٣٨٨/١.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٨/١.

(٤) التيسير للداني ص٧٥.

ووافقه أبو حيان الأندلسي لعدم ما يؤيد ذلك من لسان العرب بل إذا جاء بعدها ما يـوهم العطـف كانت مقرونة بالواو كقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ الأحزاب/٤٠

والظاهر أن (لكن) تفيد الاستدراك مخففة ومشددة، وتعمل عمل (إنّ) إذا شددت. فلما لم تلزم ولم تعمل مخففة رجع الكلام بعدها إلى أصله وهو الابتداء والخبر.

وأيضًا فإنها لما غيرت بالتخفيف، وكانت تحدث في الكلام معنى الاسـتدراك، فارقـت (أن) الخفيفة لأنها لا تحدث في الكلام سوى التأكيد فلم تعمل عمل أن الخفيفة.

وهي في هذه القراءة بالتخفيف تعرب حرف استدراك لا عمل لها، والشياطين مبتدأ مرفـوع وكفروا جملة فعلية في محل رفع خبر المبتدأ.

وتوجيه القراءة بتشديد النون من (لكنّ) أنها تعتبر من أخوات (إنّ) فهي حرف استدراك مشبه بالفعل والشياطين اسمها منصوب و(كفروا) جملة فعلية في محل رفع خبر (لكنّ).

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو نفي الكفر عن سليمان عليـه السـلام وكـان الشياطين في خدمته فقد يتوهم واهم أنهم لا يكفرون إذ هم في خدمة نبي فاستدرك أنهم كفروا إمـا بتعليم السحر أو باختلاقهم إياه ونسبته إليه عليه السلام.(١)

(البر) من قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ البقرة/ ١٧٧.

قرأ حفص وحمزة (البرَّ) بالنصب. وقرأ الباقون (البرُّ) بالرفع.(٢)

توجيه القراءة بالنصب أن (ليس) من أخوات كان تدخل على المبتدأ والخبر فتجعـل أيهمـا شئت اسماً لها والآخر خبرًا. فلما كان (البر) معرفة، والمصدر المنسبك من أن ومـا بعـدها (أن تولوا) معرفة بمعنى (التولية) جعل البر الخبر فنصب وجعل (أن تولوا) الاسم فقدر رفعه، وذلـك لأن المصدر أولى بأن يكون اسمًا لأنه لا يتنكر والبر قد يتنكر. و(أن والفعل) أقوى في التعريـف لأنهما يؤوّلان بمصدر، كما أنها وصلتها تشبه المضمر لأنها لا توصف، كما لا يوصف المضمر، ومن الأصول أنه إذا اجتمع مع (ليس) وأخواتها مضمر ومظهر فالمضمر هو الاسم لأنه أعـرف، فلما كانت أن وصلتها كالمضمر كانت أولى بأن تكون هي اسم ليس وقوي ذلك لأن أن وصلتها في تقدير الإضافة إلى المضمر لأن معناها (توليتكم) والمضاف إلى المضمر أعرف مما فيه الألـف واللام، والأعرف أولى أن يكون هو الاسم لـ (كان) وأخواتها لأنه هو المخبر عنه ولا يخبـر إلا عن الأعرف دون الأنكر، كما أن(البر) يدل على الجنس وتعريف الجنس ضعيف لأنـه كـالنكرة فصار (أن) والفعل أقوى من (البر) في التعريف بكثير فوجب أن يكـون الأعـرف هـو الاسـم، وهو(أن) وما بعدها فوجب نصب البر على الخبر.

وتوجيه القراءة برفع (البر) أن (ليس) واسمها كالفعل والفاعل، ورتبة الفاعل أن يلي الفعـل، وأن ينوى بالبر التأخير فيكون الكلام على رتبته التي أتت بها التلاوة أولى من أن يحدث فيـه مـا يحتاج معه إلى التقديم والتأخير. ويقوي رفعه أيضًا، رفع (البر) التالي في الآية (١٨٩) في قولـه

---

(١) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٢٥٦-٢٥٧ وانظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١/٣٢٦-٣٢٧.

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٧٩.

تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ حيث لا يجوز إلا رفع (البر) فحمل الأول على الثاني أولى من مخالفته له. كما يقوي رفع البر أيضًا أن في مصحف ابن مسعود: (ليس البر بأن تولوا..) بزيادة (باء) وهذا لا يكون معه إلا رفع (البر) وقد ورد ذلك أيضًا في مصحف أُبيّ.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى والخطاب موجه لعموم المسلمين وأهل الكتاب أن الخير ليس قاصرًا على الصلاة بل لا بد من إتيان أنواع الطاعات الأخرى المذكورة إلى جانب الصلاة.(١)

(لكن البر) من قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾البقرة/ ١٧٧.

قرأ نافع وابن عامر (لكنِ البرُّ) بكسر النون ورفع الراء. وقرأ الباقون (لكنَّ البرَّ) بالتشديد ونصب الراء.(٢)

والتوجيه النحوي للقراءة برفع (البر) هو أن (لكن) وردت ساكنة النون فهي حرف استدراك لا عمل لها. و(البرُّ من آمن) مبتدأ وخبر، والكلام على تقدير حذف مضاف وذلك لأن البرّ مصدر من بَرّ يَبَرُّ بِرًّا و(من آمن) جثة أو شخص، وحتى يكون الخبر هو المبتدأ فلا بد من تقدير يوصل إلى ذلك، وعلى هذا يمكن تقدير البر بمعنى البار اسم فاعل من برّ يبرُّ أو مصدر وصف به مثل عدل فصار كالجثة. والوجه الثاني أن يكون التقدير: ولكن ذا البرّ من آمن، والوجه الثالث أن يكون التقدير: ولكن البر برّ من آمن. وإنما لزم تقدير شيء من هذه الوجوه الثلاثة حتى يصير الخبر هو المبتدأ في المعنى.

وتوجيه القراءة بنصب (البرّ) أن (لكنّ) وردت مشدّدة النون فهي على هذا حرف استدراك وتوكيد من أخوات (إنّ) تدخل على المبتدأ والخبر فتنصب المبتدأ اسمًا لها وترفع الخبر خبرًا لها.

واسمها في هذه القراءة (البرَّ) وخبرها (من آمن) مع تقدير حذف مضاف كما سبقت الإشارة إليه.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن البر يتمثل في التقوى بإتيان كل الطاعات المذكورة في الآية.(٣)

(فلا رفث) (ولا فسوق) من قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ البقرة/١٩٧.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (فلا رفثٌ ولا فسوقٌ) بالرفع والتنوين فيهما. وقرأ الباقون (فلا رفثَ ولا فسوقَ) بالنصب من غير تنوين.(٤)

أما القراءة بالرفع ففيها وجهان: أظهرهما أن (لا) ملغاة وما بعدها مرفوع بالابتداء. وسوّغ الابتداء بالنكرة تقدم النفي عليها. و(في الحج) خبر المبتدأ الثالث وحذف خبر الأول والثاني لدلالة خبر الثالث عليهما. ويجوز أن يكون (في الحج) خبر المبتدأ الأول وحذف خبر الثاني والثالث لدلالة

---

(١) يرجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٢٨٠-٢٨١، وحجة القراءات لأبي زرعة ص ١٢٣.

(٢) التيسير للداني ص ٧٩.

(٣) يراجع في ذلك إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري ١/٧٧، وفتح القدير للشوكاني ١/١٩٩-٢١٨.

(٤) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٨٠.

خبر الأول عليهما. أو يكون خبر الثلاثة. ولا يجوز أن يكون خبر الثاني مع حذف خبر الأول والثالث لقبح مثل هذا التركيب ولتأديته إلى الفصل.

والوجه الثاني للرفع أن تكون (لا) عامله عمل (ليس) وهي تعمل عملها بشروط منها: تنكير الاسم وألا يتقدم خبرها على اسمها، ولا ينتقض النفي. فيكون (رفثٌ) اسمها وما بعده عطف عليه. و(في الحج) الخبر، حسبما تقدم. وقد جوَّز هذا الوجه ابن عطية، وضعّفه أبو حيان الأندلسي معتبرًا أن إعمال (لا) عمل (ليس) قليل جدًا في لسان العرب لم يجئْ منه إلا ما لا بال له فلا ينبغي أن يحمل عليه كلام الله الذي هو أفصح الكلام وأجلّه ويعدل عن الوجه الكثير الفصيح[1].

وأما من قرأ بالفتح من غير تنوين فقد جعل (لا) نافية للجنس لتدل على النفي العام فنفي جميع الرفث. ونفي جميع الفسوق، ولا يكون ذلك إذا رفع ما بعدها لأنها تصير حينئذٍ بمعنى ليس ولا تنفي إلا الواحد[2].

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح وهو أن أيام الحج محددة لا يجوز فيها التبديل والتغيير بالتقديم أو التأخير كما كان يفعل كفار قريش فمن أوجب على نفسه فيهن الحج فلا يجوز له شيء من الرفث ولا شيء من الفسوق ولا الجدال. والقراءة بالفتح تفيد النفي العام أكثر من القراءة بالرفع.

(العفو) من قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ البقرة/ ٢١٩.

قرأ أبو عمرو بالرفع (العفوُ) وقرأ الباقون بالنصب (العفوَ).[3]

وتوجيه القراءة برفع العفو أنه على اعتبار أن (ما) و(ذا) اسمين، (ذا) اسم موصول بمعنى الذي و(ما) استفهامية مبتدأ و(ذا) خبره فجملة السؤال ابتدائية، ويجب أن يكون الجواب كذلك من مبتدأ وخبر والتقدير: الذي تنفقونه العفوُ. فيكون الجواب في الإعراب كالسؤال في الإعراب. والهاء محذوفة من الصلة فهي مقدرة محذوفة. والعفو على هذا خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: الذي ينفقون العفو بإضمار المبتدأ.

وتوجيه القراءة بنصب العفو أن تكون (ماذا) اسمًا واحدًا في موضع نصب بـ (ينفقون) ويكون الجواب أيضًا منصوبًا كأن تقول: ما أنفقت؟ فيقال: درهمًا. أي أنفقت درهمًا. ولا هاء محذوفة مع النصب ولا مبتدأ مضمر، إنما تضمر فعلاً تنصب به (العفو) يدل عليه الفعل الأول والتقدير: يسألونك أيَّ شيء ينفقون قل ينفقون العفو، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًا﴾ النحل/٣٠ فهنا (ما) و(ذا) بمنزلة اسم واحد في موضع نصب بـأنزل، وخيرًا جواب منصوب كالسؤال بفعل محذوف يدل عليه الفعل الأول والتقدير: أنزل خيرًا.[4]

---

(1) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢/٨٧-٩٢.

(2) الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٨٦/١، وحجة القراءات لأبي زرعة ص ١٢٨-١٢٩.

(3) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٨٠.

(4) يراجع في ذلك الحجة للقراء السبعة للفارسي ٣٢٠/٢، والكشف لمكي بن أبي طالب ٢٩٢/١-٢٩٣.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: يسألونك ماذا ينفقون من أموالهم قل العفو أي ما يفضل عن الأهل والعيال وكان هذا قبل أن تفرض الزكاة.(1)

(وصية) في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ البقرة/٢٤٠.

قرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص وحمزة (وصيةً) بالنصب، وقرأ الباقون (وصيةٌ) بالرفع.(2)

أما من قرأ بالنصب فقد حمله على معنى الأمر بالإيصاء فتنصب وصية على أحد وجهين:

أحدهما: أن تعرب مفعولاً مطلقًا والتقدير: يوصون وصيةً.

والآخر: أن تعرب مفعولاً به والتقدير: فليتركوا وصيةً.

فالذين مبتدأ وجملة يتوفون صلة والواو نائب فاعل و(منكم) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال و(يذرون) معطوف على يتوفون وأزواجًا مفعول به و(وصيةً) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: يوصون وصيةً، أو مفعول به لفعل محذوف والتقدير: فليتركوا وصية. وهذه الجملة الفعلية (يوصون وصيةً) خبر للذين.

وأما من قرأ بالرفع فقد حمله على الابتداء، فيكون الذين مبتدأ، ويتوفون صلة ومنكم متعلق بمحذوف حال ويذرون معطوف على يتوفون وأزواجًا مفعول به، ووصيةٌ مبتدأ وهي نكرة موصوفة في المعنى والتقدير: وصية منهم أو من الله ولأزواجهم خبر والجملة الاسمية (وصية لأزواجهم) في موضع رفع خبر الذين.

ويجوز أن يكون وصية مبتدأ ولأزواجهم صفة لوصية والخبر محذوف تقديره: فعليهم وصية لأزواجهم فيحسن الابتداء بالنكرة الموصوفة، ويقوي القراءة بالرفع قراءة ابن مسعود (الوصية لأزواجهم).(3)

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أمر من الله تعالى للأزواج الذين يشعرون بدنو آجالهم أن يوصوا لزوجاتهم بما ينتفعن به حولاً كاملاً من النفقة والسكنى والكسوة ثم نسخ الله تعالى ذلك بآية المواريث ونسخت عدة الحول بأربعة أشهر وعشرة أيام.(4)

(بيع، خلة، شفاعة) من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ البقرة/٢٥٤.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (لا بيعَ فيه ولا خلةَ ولا شفاعةَ) بالفتح من غير تنوين.

---

(1) فتح القدير للشوكاني ٢٢٣/١.

(2) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ١٨٤.

(3) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٩٩/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٤٥/٢.

(4) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ٢٢٦/٣ نشر مكتبة الغزالي بدمشق بدون تاريخ.

وقرأ الباقون (لا بيعٌ فيه ولاخلةٌ ولا شفاعةٌ) بالرفع والتنوين.(١)

أما من قرأ بالفتح فقد أراد النفي العام المستغرق لجميع الوجوه من البيع والخلة والشفاعة، وجعل (لا) نافية للجنس فبني ما بعدها على الفتح، وكأنه جواب لمن قال: هل فيه من بيع فسأل سؤالاً عامًا فأجيب جوابًا عامًا بالنفي. وبناء الاسم بعد (لا) النافية للجنس يجعلها وما دخلت عليه في موضع رفع بالابتداء وما بعدهما الخبر وهو (فيه) وينطبق هذا الكلام على (خلة) و(شفاعة) فخبرهما محذوف دل عليه خبر الأول.

وأما من قرأ بالرفع والتنوين فله في الرفع وجهان:

أحدهما: أنه على الابتداء و(لا) أداة نفي ملغاة والخبر (فيه) وقد ألغيت (لا) لتكررها.

والآخر: أن (لا) عاملة عمل (ليس) فبيع اسمها و(فيه) خبرها.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى يحث عباده على الإنفاق في سبيله، ويحذرهم من الإمساك وعواقبه يوم القيامة الذي لا فيه بيع ولا فدية ولا صداقة نافعة ولا شفاعة إلا لمن ارتضى.(٢)

(تجارة حاضرة) من قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾البقرة/٢٨٢.

قرأ عاصم بالنصب (تجارةً حاضرةً) وقرأ الباقون بالرفع (تجارةٌ حاضرةٌ).(٣)

ووجه القراءة بالنصب أنّ (تكون) فعل مضارع، وهو فعل ناقص يطلب اسمًا مرفوعًا وخبرًا منصوبًا وقد اضمر فيه الاسم ونصبت (تجارة) على أنها الخبر و(حاضرة) نعت لـ (تجارة) والتقدير: إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة. وذلك لأن التجارة تقليب للأموال في البيع والشراء.

ووجه القراءة بالرفع أن (تكون) اعتبرت تامة بمعنى تحدث أو تقع فهي بهذا لا تحتاج لاسم ولا لخبر بل تكون فعلاً مكتفيًا بفاعله وهو تجارة، وحاضرة نعت له.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى أمر بتوثيق الدَّين واستثنى من ذلك التجارة والتبايع الذي يتم يدًا بيد، يعني يجب المكاتبة في عموم المداينة، إلا إذا وقعت تجارة حاضرة بمعنى تسلمون العرض وتقبضون الثمن فلا حرج في عدم المكاتبة عندئذٍ.(٤)

(كله) من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾آل عمران/١٥٤.

قرأ أبو عمرو (كلُّه) برفع اللام. وقرأ الباقون (كلَّه) بنصبها.(٥)

وتوجيه القراءة برفع اللام أن (كل) مبتدأ مرفوع بالضمة وضمير الغائب مضاف إليه و(لله) الخبر، وجملة (كله لله) في محل رفع خبر إن.

---

(١) التيسير في القراءات السبع للداني ص٨٢.

(٢) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٠٥-٣٠٦، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢/٢٧٦.

(٣) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٨٥.

(٤) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٢١-٣٢٢.

(٥) التيسير في القراءات السبع للداني ص٩١.

وتوجيه القراءة بالنصب أن (كلّه) منصوب على توكيد الأمر المنصوب لأنه اسم (إن) والجار والمجرور (لله) متعلق بمحذوف خبرها، ويجوز عند الأخفش أن يكون (كله) بدلاً من الأمر و(لله) الخبر في الوجهين.

وقد ذكر ابن عطية أن بعضهم رجح القراءة بالنصب لأن التأكيد أملك بلفظة (كل)، وقد أنكر أبو حيان الأندلسي ذلك لتواتر القراءتين، ولأن الابتداء بكل كثير في كلام العرب فليس ثمة ما يرجح إحداهما على الأخرى.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو على المنافقين الذين قالوا يوم أحد (هل لنا من الأمر من شيء) يريدون أمر الهزيمة والنصر فأوحى الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: إن تصاريف الوجود وما يجري فيه تأتي وفق قضاء الله وقدره.(1)

(قتلهم) من قوله تعالى: ﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ آل عمران/١٨١.

قرأ حمزة وحده (سيُكتب ما قالوا وقتلُهم الأنبياء..) ببناء (سيُكتب) للمجهول ما اقتضى جعل (ما) في موضع رفع نائب فاعل وعطف (قتلُهم) عليها ورفعه كنائب فاعل كذلك.

وقرأ الباقون (سنكتب ما قالوا وقتلَهم الأنبياء..) ببناء سنكتب للفاعل (للمعلوم) ما اقتضى نصب (قتلَهم) لكونه مفعولاً به.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى سجل على اليهود قولهم (إن الله فقير) وسيجازيهم على ذلك.(2)

(واحدة) من قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ﴾ النساء/١١.

قرأ نافع (واحدةٌ) بالرفع. وقرأ باقي السبعة (واحدةً) بالنصب.(3)

أما توجيه القراءة برفع (واحدة) أنه على اعتبار (كان) تامة بمعنى حدث أو وقع وهي بهذا مكتفية بمرفوعها. وقوّى ذلك أنه لما كان القضاء في إرث الواحدة لا في نفسها وجب أن يكون التقدير: فإن وقع أو حدث إرث واحدة أو حكم واحدة أو نحو ذلك. وكان يلزم على هذا الرفع في (نساء) في قوله تعالى: (فإن كنَ نساءً فوق اثنتين) إلا أنه جمع بين المذهبين والمعنيين فأضمر اسم (كان) مع (نساءً) وترك الإضمار مع (واحدة) والقياس واحد.

وأما توجيه القراءة بنصب (واحدة) أن (كان) اعتبرت ناقصة تطلب اسمًا مرفوعًا وخبرًا منصوبًا، فأضمر اسمها فيها ونصبت (واحدة) على الخبر. فوفق في ذلك بين آخر الكلام وأوله ذلك أن أول الكلام (فإن كنَّ نساءً) نصب بإجماع القراء حيث أضمر اسم (كان) فيها وأجرى (واحدةً) على ذلك، لأن الآخر قسيم الأول فجرى على لفظه وحكمه لأنه تعالى ذكر جماعة البنات وحكمهن

---

(1) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٦١/١، والحجة للقراء السبعة للفارسي ٩٠/٣ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٨٨/٣.

(2) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٦٩/١-٣٧٠، وفتح القدير للشوكاني ٤٠٥/١-٤٠٦.

(3) التيسير في القراءات السبع للداني ص٩٤.

في ميراثهن، ثم ذكر حكم الواحدة في ميراثها فجرت الواحدة في الإعراب مجرى الجماعة لأن قبل كل واحدة من اللفظتين (كان) والتقدير: فإن كان المتروكات نساءً..وإن كانت المتروكة واحدةً.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير إذ المعنى على قراءة الرفع: إن وجدت واحدةٌ أي إن حدث حكمُ واحدة فلها النصف.

والمعنى على القراءة بالنصب: وإن كانت المتروكة واحدة فلها النصف.[1]

(تجارة) من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ ﴾النساء/٢٩.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي (تجارةً) بالنصب. وقرأ الباقون بالرفع (تجارةٌ).[2]

أما من قرأ بالنصب فقد اعتبر (تكون) فعلاً مضارعاً ناقصًا يطلب اسمًا مرفوعًا وخبرًا منصوبًا، واسمه ضمير يعود على الأموال والتقدير: إلا أن تكون الأموال تجارةً، فأضمر الأموال لتقدم ذكرها، وفيه على هذا حذف مضاف تقديره: إلا أن تكون الأموال أموال تجارة ليكون الخبر هو الاسم، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مكانه.

وأما من رفع (تجارة) فقد جعل تكون فعل مضارع تامًا بمعنى تقع أو تحدث وهو فعل يستغنى بمرفوعه عن الخبر لعدم الحاجة إليه والتقدير: إلا أن تحدث تجارةٌ، والعرب تقول كان أمرٌ أي حدث أمر.[3]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: لا يأخذ بعضكم مال بعض بوجه غير شرعي كالسرقة والغصب وغير ذلك من وجوه السحت ولكن يباح لكم التعامل التبادلي المرضي للبائع والمشتري.

والاستثناء منقطع لأن التجارة عن تراضٍ بين الطرفين ليست من أكل المال بالباطل كما أن الاستثناء إنما وقع على الكون، والكون معنى من المعاني وليس مالاً من الأموال.

(حسنة) من قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾النساء/٤٠.

قرأ ابن كثير ونافع بالرفع (وإن تك حسنةٌ) وقرأ الباقون بالنصب (حسنةً).[4]

أما من قرأ بالرفع فقد جعل (تكُ) مضارع (كان) التام وهو مكتف بمرفوعه.

وأما من قرأ بالنصب فقد جعل (تك) مضارع (كان) الناقص الذي يطلب اسمًا مرفوعًا وخبرًا منصوبًا يتم به معناه، وقد اضمر الاسم فيها والتقدير: إن تك زنة الذرة حسنةً يضاعفها.[5]

([1]) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٧٨/١، والحجة للقراء السبعة للفارسي ١٣٦/٣.

([2]) التيسير في القراءات السبع للداني ص ٩٥.

([3]) الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٨٦/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٣١/٣.

([4]) التيسير في القراءات السبع للداني ص٩٦.

([5]) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٨٩/١، والحجة للقراء السبعة للفارسي ١٦٠/٣، وحجة القراءات لأبي زرعه ص٢٠٣.

وتك في القراءتين مضارع مجزوم بـ(إن) الشرطية وعلامة جزمه سكون على النون التي حذفت للتخفيف والأصل (تكونُ) فلما دخل عليه حرف جزم صار (تكونْ) بسكون آخره فعندئذٍ التقى ساكنان الواو والنون فحذفت الواو لالتقاء الساكنين فأصبح (تكن) وهو القياس وقد ورد كثيرًا في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ النساء/١٠٥. ولكن حذفت النون تخفيفًا لكثرة الاستعمال وهو لا يلزم. قال ابن مالك:

ومن مضارع لكان منجزم تحذف نون وهو حذفٌ ما التزم(١)

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى لن يظلم أحدًا من عباده ولو كان لأحدهم مثقال ذرة من خير لوجده مضاعفًا عند الله يوم القيامة.

(قليل) من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ النساء/٦٦.

قرأ ابن عامر وحده (إلا قليلاً منهم) بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع (إلا قليلٌ منهم).(٢)

أما قراءة ابن عامر بالنصب فإنها على الاستثناء، وعلى إتباع مرسوم الخط لأن هذا الاسم كان مرسومًا بالألف في مصاحف أهل الشام. والنصب جائز نحويًا في مثل هذا التركيب وهو استثناء تام غير موجب (أي منفي) فيجوز فيه نصب المستثنى أو رفعه على البدل من المستثنى منه وهو مرفوع.

وتوجيه قراءة الجمهور بالرفع أنه على البدل، ذلك أن (إلا) ملغاة على مذهب البصريين لأنها توسطت بين عامل مفرّغ ومعموله (قليل) بالرفع وهو بدل من واو الجماعة الواقع فاعلاً في (فعلوه) بدل بعض من كل.(٣)

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: ولو أمرنا الذين اتبعوك أن يقتلوا أنفسهم أو يهاجروا من بلادهم حتى نتوب عليهم من معصية عبادة الأصنام لما فعل ذلك إلا قليل منهم وسبب نزول هذه الآية أن بعض الصحابة فاخروا اليهود الذين قالوا إن الله كتب علينا أن نقتل أنفسنا فقتلنا حتى بلغ القتلى سبعين ألفًا فقال بعض الصحابة: لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا فنزلت الآية.(٤)

(غير) من قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ النساء/٩٥.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة (غيرُ أولى الضرر) برفع غير، وقرأ الباقون بنصبها.(٥)

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢٤٥/١.

(٢) التيسير في القراءات السبع للداني ص٩٦.

(٣) يراجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٩٢/١، والحجة للقراء السبعة للفارسي ١٦٩/٣-١٧١.

(٤) الكشاف للزمخشري ٥٦٢/١.

(٥) التيسير للداني ص٩٧.

أما توجيه القراءة برفع (غير) أنها جعلت صفة للقاعدين، وهو قول سيبويه كما هي عنده صفة في قوله تعالى: (غير المغضوب عليهم) صفة للذين إذ لا يقصد بهم أشخاص بأعيانهم فاللفظ لفظ المعرفة، والمعنى معنى النكرة، وكذلك (القاعدون) فلذلك وصفوا بغير، وهي لا تكون إلا صفة للنكرة، ومثل ذلك قول لبيد بن ربيعة العامري:

وإذا أُقرضت قرضًا فاجزه　　　إنما يجزى الفتى غيرُ الجمل

حيث نعت الفتى وهو معرفة بغير وإن كانت نكرة، والذي سوغ ذلك أن التعريف بالألف واللام يكون للجنس فلا يخص واحدًا بعينه فهو مقارب للنكرة، كما أن غير وردت مضافة إلى معرفة فقاربت المعارف.[١]

وأما توجيه القراءة بنصب غير فإنها جعلت استثناءً من القاعدين ويؤيد ذلك أن هذه الآية نزلت على مرحلتين، فقد روى البخاري من حديث زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُمِلُّها عليَّ قال يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت عليّ حتى خفت أن تَرُضَّ فخذي ثم سُرِّى عنه فأنزل الله (غير أولى الضرر)[٢]، فاستُثني بها قوم لم يقدروا على الخروج، فلو كانت صفة لم يكن النزول فيهما إلا في وقت واحد.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: لا يستوي المتخلفون عن الجهاد مع المجاهدين في الأجر والثواب إلا أهل الضرر منهم بذهاب أبصارهم وغير ذلك من العلل.[٣]

(النفس، والعين، والأنف، والأذن، والسن، والجروح) من قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾المائدة/٤٥

لا خلاف بين القراء على أن (النفس) بالنصب للجميع، وإنما الخلاف من العين إلى الجروح فقرأ الكسائي من (العين) إلى (الجروح) بالرفع. ورفع ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو (الجروح) فقط. وقرأ نافع وعاصم وحمزة كل ذلك بالنصب.[٤]

أما توجيه قراءة من نصب الجميع، أن كل هذه الأسماء معطوفة على اسم (أنّ) حيث جعل الواو للإشراك في نصب (أنّ) ولم يقطع الكلام مما قبله فصارت كل هذه الأسماء في محل نصب اسم (أنّ).

وأما من رفع هذه الأسماء الخمسة بعد نصب النفس، فإنه حمل ذلك على ثلاثة أوجه:

أولها: أن تكون الواو عاطفة جملة على جملة وليست للإشراك في العامل فتكون (العين) على هذا مبتدأً مرفوعًا وكذلك بقية الأسماء الواقعة بعدها مبتدآت مرفوعة.

---

(١) الكتاب لسيبويه ٢/٣٣٣. والشاهد في بيت لبيد نعت الفتى بكلمة غير.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير باب (٢٩٤) حديث (١٠١٨) ٦/٣٧٨-٣٧٩.

(٣) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٩٦-٣٩٧، والحجة للقراء السبعة للفارسي٣/١٧٩.

(٤) التيسير للداني ص٩٩.

وثانيها: أنه حمل الكلام على المعنى وهو: قلنا لهم: النفسُ بالنفس والعينُ بالعين، ثم بقية الجمل التالية.

وثالثها: أن تكون الواو عاطفة مفردًا على مفرد، وهو أن يكون العين معطوفًا على الضمير المستكن في الجار والمجرور أي بالنفس هي والعين وكذلك ما بعدها وتكون المجرورات على هذا أحوالاً مبينة للمعنى لأن المرفوع على هذا فاعل، إذ عطف على فاعل، وجاز العطف من غير توكيد كما في قوله تعالى: ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾الأنعام/١٤٨ فلم يؤكد بضمير منفصل كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ الأعراف/٢٧.

وأما من رفع (الجروح) فقط فإنه قطع الكلام عن أوله واستأنف بالجروح لأن خبر الجروح يتبين فيه الإعراب. وخبر الاسم الأول مثل خبر الاسم الثاني والثالث والرابع والخامس فأشبه الكلام بعضه بعضًا، ثم استأنفوا الجروح، فقال: (والجروحُ قصاص) برفع الجروح على الابتداء وقصاص خبره. وبما أنه مرفوع على القطع والاستئناف فيكون ليس مما كتب عليهم في التوراة أي والجروح قصاص في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

فإذا عطفت الجروح على ما قبله ونصبته يكون مما كتب عليهم في التوراة، وبما أنه رفع على القطع والاستئناف لم يعتبر كذلك، فيتبين بذلك أثر اختلاف القراءات في الجروح وحدها، وبهذا يكون المعنى هو: فرضنا عليهم فيها أن النفس تقتل بالنفس والعين تُفقأ بالعين، والأنف تجدع بالأنف والأذن تستأصل بالأذن، والسن تقلع بالسن والجروح تكون بالاقتصاص من الجارح بعد أن يبرأ المجروح.(١)

(يوم) من قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾المائدة/١١٩.

قرأ نافع (هذا يومَ) بنصب الميم وقرأ الباقون (هذا يومُ) برفعها.(٢)

وتوجيه القراءة بنصب (يوم) أنه نصب على الظرفية الزمانية، حيث جعلت الإشارة بهذا إلى ما تقدم من أحداث في الآيات السابقة من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾المائدة/١٠٩ وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ﴾ المائدة/١١٠ وما تلاهما من آيات تذكر عددًا من الأحداث ستقع يوم القيامة ثم قال: (هذا يومَ ينفع) يعني الذي ذكر سيقع يومَ ينفع الصادقين صدقهم وهو يوم القيامة، وعلى هذا يكون اسم الإشارة (هذا) في محل نصب مفعول بالفعل (قال) أي قال الله هذا القول في يوم..، ويمكن أن يكون مبتدأ ويوم ظرف للخبر المحذوف والتقدير: هذا يقع يومَ ينفع.. فيوم تكون منصوبة على الظرفية الزمانية. والمعنى على هذه القراءة: قال الله عز وجل: هذا الذي ذكرناه يقع في يوم ينفع الصادقين صدقهم.

---

(١) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٠٩/١-٤١٠، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٩٤/٣، وإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري ٢١٦/١-٢١٧، وحجة القراءات لأبي زرعة ٢٢٦-٢٢٧، والكشاف للزمخشري ٦٧٢/١، وفتح القدير للشوكاني ٥٤/٢.

(٢) التيسير للداني ص ١٠١.

وتوجيه القراءة برفع (يومُ) أنه رفع على اعتباره خبرًا، بحيث يكون (هذا) اسم إشارة مبتدأ و(يومُ ينفع) خبره والجملة في محل نصب مقول القول، أي هذا اليوم يوم منفعة الصادقين، فقد أضيف (يوم) إلى الفعل ينفع باعتبار أنه أضيف إلى المصدر والتقدير: هذا يوم نفع الصادقين لأن أسماء الزمان تضاف إلى الأفعال في المعنى مثل قوله: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾آل عمران/١٠٦أي يوم ابيضاض الوجوه ويوم اسوداد الوجوه. والمعنى على القراءة بالرفع: هذا اليوم هو اليوم الذي سينفع الصادقين صدقهم.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح: فالمعنى على القراءة بنصب (يوم) هو قال الله هذا الذي ذكرناه سابقًا يقع في يوم ينفع الصادقين صدقهم، وأخبار الله تعالى التي يخبر أنها ستكون هي بمنزلة الكائنة لأن وقوعها أكيد كأنها وقعت في الماضي.

والمعنى على القراءة برفع (يومُ): هذا اليوم هو اليوم الذي سينفع فيه الصادقين صدقهم.[(١)]

(فتنتهم) من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾الأنعام/٢٣

قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص (فتنتُهم) بالرفع. وقرأ الباقون بالنصب (فتنتَهم).[(٢)]

أما من قرأ (فتنتُهم) بالرفع فقد جعل فتنتهم اسم (تكن) وخبره المصدر المؤول من أن وما دخلت عليه في (أن قالوا والله ربنا) والتقدير: لم تكن فتنتُهم إلا قولهم: والله ربنا.

وأما من قرأ (ففتنتَهم) بالنصب، فلأنه لما وقع بعد (تكن) معرفتان، وكان أحدهما أعرف وهو المصدر المؤول من (أن) وما دخلت عليه جعله اسم (تكن) وجعل (فتنتَهم) خبره في محل نصب، وإنما كان المصدر المؤول من أن وما دخلت عليه أعرف لأنه لا يوصف كما لا يوصف الضمير، ولأنه لا يتنكر كما تتنكر الفتنة وتنفصل عما أضيفت إليه فأشبه لذلك الضمير.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن هؤلاء المشركين لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم إلا أن جحدوه وتبرءوا منه ونفوا تدينهم به وسمي ذلك فتنتهم لأنهم كانوا كاذبين حين يقسمون بالله تعالى أنهم لم يكونوا في الدنيا مشركين به.[(٣)]

(سبيل) من قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾الأنعام/٥٥.

قرأ نافع بنصب اللام (سبيلَ) وقرأ الباقون برفعها (سبيلُ).[(٤)]

أما من قرأ بنصب اللام فقد جعل (سبيل) مفعولاً به للفعل (تستبين) المتعدي والتاء فيه للخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي: لتستبين يا محمد سبيلَ المجرمين أي لتستوضحها، وتستبين فعل مضارع متعد من الفعل استبان بزنة استفعل وسبيل مفعول به والفاعل المخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٢٣/١-٤٢٤، حجة القراءات لأبي زرعة ص٢٤٢، إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري ٢٣٤/١.

(٢) التيسير للداني ص ١٠٢.

(٣) الكشاف للزمخشري ١٤/٢. وانظر حجة القراءات لأبي زرعه ص٢٤٣-٢٤٤.

(٤) التيسير للداني ص ١٠٣.

وأما من قرأ برفع اللام فقد جعل (سبيل) فاعلاً للفعل (تستبين) على لغة من جعل (سبيل) مؤنثًا لأن السبيل يذكّر ويُؤنث، وقد جاء القرآن الكريم بالوجهين فالتأنيث قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾يوسف/١٠٨ والتذكير قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾الأعراف/١٤٦. (لتستبين) مضارع لازم منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل (سبيل) فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح فعلى قراءة النصب هو: لتستوضح يا محمد سبيل المجرمين، وعلى قراءة الرفع هو: أن الله تعالى وضح للمؤمنين ما يحتاجون إليه وفصّل لهم الآيات ليتضح سبيل المجرمين فيتضح ضمنًا سبيل المؤمنين.(١)

(بينكم) من قوله تعالى: ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾الأنعام/٩٤.

قرأ نافع وحفص والكسائي بنصب النون (بينَكم) وقرأ الباقون برفعها (بينُكم)(٢) البين في كلام العرب جاء على وجهين: يكون فُرقة ويكون وصلاً، بان يبين بينًا وبينونةً وهو من الأضداد، ويجمع المعنيين قول الشاعر:

وكنا علـى بينٍ ففرِّق شملنا ... فأعقبه البين الذي شتت الشملا

فيا عجبًا ضدان واللفظ واحد ... فلله لفـظ ما أمـرَّ وما أحلى(٣)

ويكون البين اسمًا وظرفًا متمكنًا.

وتوجيه القراءة برفع (البين) أنه جعل اسمًا على سبيل التوسع في الظرف فأسند الفعل إليه فصار اسمًا كما استعمل في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ الكهف/٧٨ فاستعمل هنا اسمًا بمعنى الوصل، والمعنى: لقد تقطع وصلكم وما كنتم تتألفون عليه.

وتوجيه القراءة بنصب (البين) أنه جعل ظرفًا وفاعل تقطع محذوف والتقدير: لقد تقطع وصلكم بينَكم، ودل على حذف الوصل قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ﴾الأنعام/٩٤ فدل هذا على التقاطع والتهاجر بينهم وبين شركائهم وتقاطعهم هو ترك وصلهم فحسن إضمار (الوصل) بعد (تقطّع) لدلالة الكلام عليه. وفي قراءة ابن مسعود ما يدل على النصب فيه حيث قرأ: (لقد تقطع ما بينكم) وهذا لا يجوز فيه إلا النصب فكأنه قال: (لقد تقطع الوصل بينكم).

ويجوز أن تكون القراءة بالنصب كالقراءة بالرفع على أن (بينًا) اسم لكنه لما كثر استعماله ظرفًا منصوبًا جرى في إعرابه في حال كونه غير ظرف، على ذلك ففتح وهو في موضع رفع، وهذا مذهب الأخفش، فالقراءتان على هذا بمعنى واحد.(٤)

---

(١) فتح القدير للشوكاني ١٣٧/٢. وانظر حجة القراءات لأبي زرعه ص١٠٣.

(٢) التيسير للداني ص١٠٥.

(٣) تاج العروس للزبيدي (بين) ١٤٨/٩.

(٤) يراجع في ذلك الحجة للقراء السبعة للفارسي ٣٥٨/٣، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٨٢/٤-١٨٣ والكشف لمكي بن أبي طالب ٤٤١/١.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: لقد تقطع الوصل بينكم وبين شركائكم الذين عبدتموهم وقلتم: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.[1]

(قتل) من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ الأنعام/١٣٧.

قرأ ابن عامر (زُين) بضم الزاي و(قتلُ) برفع اللام و(أولادَهم) بالنصب و(شركائهم) بالخفض وقرأ الباقون (زَيّن) بفتح الزاي و(قتلَ) بنصب اللام (أولادِهم) بخفض الدال و(شركاؤهم) بالرفع.[2]

أما توجيه قراءة ابن عامر، فإنها ببناء (زين) للمجهول، ورفع (قتل) باعتباره نائبًا عن الفاعل ونصب (أولادَهم) على أنه مفعول به منصوب لوقوع القتل عليهم وجر (شركائهم) بالإضافة إلى (القتل) والتقدير: (قتلُ شركائهم أولادَهم) ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول وهي مسألة مختلف في جوازها فجمهور البصريين يمنعونها إلا في ضرورة الشعر، وقد أجازها بعض النحاة ومنهم أبو حيان الأندلسي الذي شدد النكير على الزمخشري حين رد هذه القراءة بقوله: (إن الفصل بين المضاف والمضاف إليه لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر كان سمجًا مردودًا فكيف به في القرآن المعجز نظمه وجزالته)[3] فقال أبو حيان: (وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت..).[4]

وما ينبغي للزمخشري أن يرد قراءة متواترة كهذه القراءة وهو من هو علماً وفضلاً وقد تجاوز أبو حيان الأندلسي في رده الشديد عليه.

وأما توجيه قراءة الجمهور فإنه ببناء الفعل (زيّن) للمعلوم ونصب (قتل) على المفعولية بزين وجر(الأولاد) بالإضافة إلى القتل ورفع الشركاء بفعلهم التزيين وهو الأصل. لأن المصدر تجوز إضافته إلى المفعول أو إلى الفاعل والأصل أن يضاف إلى الفاعل لأنه الذي أحدثه ولأنه لا يستغني عن الفاعل وقد يستغني عن المفعول، وإنما جاز أن يضاف إلى المفعول كما جاز أن يحل المفعول محل الفاعل، وقد ارتفع الشركاء بـ(زين) لأنهم لو ارتفعوا بالقتل كما في القراءة السابقة لبقي التزيين بغير فاعل، والشركاء ليسوا قاتلين حقيقة وإنما هم مزينون والقاتلون حقيقة هم المشركون والتقدير: (زين لكثير من المشركين قتلهم أولادَهم شركاؤهم) ثم حذف المضاف إليه (هم) وهو الفاعل وأقيم الأولاد وهو مفعول بهم مقام الفاعل فجر بالإضافة.[5]

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح. فعلى قراءة الجمهور يكون المشركون فاعلي القتل بتزيين من شركائهم.

---

(1) فتح القدير للشركاني ٢/١٤٠.

(2) التيسير للداني ص١٠٧.

(3) الكشاف للزمخشري ٢/٦٦.

(4) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤/٢٣٠.

(5) حجة القراءات لأبي زرعة ص٣٧٣، والكشف لمكي بن أبي طالب ١/٤٥٣-٤٥٤.

وعلى قراءة ابن عامر يكون الشركاء هم القاتلون والتقدير: زُين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادَهم.(١)

(ميتة) من قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ الأنعام/١٣٩.

قرأ ابن كثير وابن عامر (ميتةٌ) بالرفع وقرأ الباقون (ميتةً) بالنصب.(٢)

أما من رفع (ميتةٌ) فقد اعتبر (يكن) مضارع كان فعلاً تامًا بمعنى يقع أو يحدث فيكون (ميتة) فاعلاً لـ(يكن) الذي يكتفي بمرفوعه ولا يحتاج إلى خبر.

وأما من قرأ بنصب (ميتةً) فقد جعل (يكن) فعلاً ناقصًا يحتاج إلى خبر وأضمر الاسم فيه وهو ضمير يعود إلى (ما) في قوله تعالى في صدر الآية: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ ونصب (ميتة) على أنها خبر (يكن) والتقدير: وإن يكن ما في بطون هذه الأنعام ميتةً فهم في أكلهِ شركاء.

الواو عاطفة، وإن شرطية. ويكن فعل الشرط. واسم يكن مستتر تقديره: وإن يكن ما في بطونها، وميتةً خبر والفاء رابطة لجواب الشرط. وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، وشركاء خبر. وفيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أو بشركاء.(٣)

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الكفار كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب: ما ولد منها حيًا فهو خالص لذكورنا لا تأكل منه الإناث وما ولد منها ميتًا اشترك في أكله الذكور والإناث.

وكان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر، بحروا أذنها أي شقوها، وحرموا ركوبها ولا تطرد من ماء ولا مرعى وسموها البَحيرة. وكان يقول الرجل: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبَحيرة في تحريم الانتفاع بها، وما شرع الله ذلك ولا أمر به(٤) قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ المائدة/١٠٣.

(ميتةً) في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ الأنعام/١٤٥.

قرأ ابن عامر (ميتةٌ) بالرفع وقرأ الباقون (ميتةً) بالنصب.(٥)

مرّ الحديث على توجيه القراءتين نحويًا عند الكلام على الآية رقم (١٣٩) السابقة.

---

(١) فتح القدير للشوكاني ١٨٨/٢ والكشاف للزمخشري٢/٦٥-٦٦.

(٢) التيسير للداني ص١٠٧.

(٣) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٥٥/١، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ص٢٥٧ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٣٣/٤.

(٤) الكشاف للزمخشري ٧١٧/١، ٦٧/٢.

(٥) التيسير للداني ص١٠٨.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على معنى هذه الآية وهو أمر من الله تعالى لرسوله صـــلى الله عليه وسلم ليقول للمشركين: لا أجد فيما أوحاه الله إليه طعامًا محرمًا إلا الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير أو ما ذكر عليه عند ذبحه اسم غير الله تعالى.(١)

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٢/١٧٢.

المبحث الرابع

الاختلافات النحوية بين الأسماء التي قرئت منصوبة ومجرورة وأثرها الدلالي

فيما يلي بيان باختيارات القراء من القراءات الواردة بالنصب والجر في عدد من الأسماء وأثر ذلك على المعنى وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم.

(غير) من قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة/٧.

قرأ (غير) بِخفض الراء نافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي.

واختلف عن ابن كثير فروي عنه النصب والجر.[1]

(غير) مفرد مذكر دائمًا وإذا أريد به المؤنث جاز تذكير الفعل حملاً على اللفظ وتأنيثه حملاً على المعنى، ومدلوله المخالفة بوجهٍ مّا، وأصله الوصف ويستثنى به ويلزم الإضافة لفظًا أو معنى.. ولا يتعرف وإن أضيف إلى معرفة. ويرى ابن السراج أنه إذا كان المغاير واحدًا تعرف بإضافته إليه بمعنى أن الشيء إذا كان معرفة وله ضد واحد وأردت إثباته ونفي ضده فوصفته بغير وأضفت غير إلى ضده فهو معرفة وذلك نحو: عليك بالحركة غير السكون، فغير السكون معرفة وهي الحركة.

أما القراءة بجر (غير) ففيه ثلاثة أوجه:

أولها: أن يكون بدلاً من الهاء والميم في (عليهم).

وثانيها: أن تكون بدلاً من الذين.

وثالثها: أن تكون صفة للذين. وقد ذهب الزجاج إلى جواز وصف (الذين) وهي معرفة بـ(غير) وهي نكرة لأن (الذين) ههنا قريب من النكرة لأنه لم يقصد به قصد قوم بأعيانهم. ولأن معنى الذين أنعمت عليهم: كل من أنعم الله عليهم منذ زمن آدم إلى قيام الساعة. وقد روى عن أبي بكر بن دريد قوله: لا يضاد المنعَم عليهم إلا المغضوب عليهم فصارت (غير) بذلك معرفة وجاز أن توصف بها (الذين).

وأما القراءة بنصب (غير) ففيه ثلاثة أوجه كذلك:

أولها: أن يكون نصبًا على الحال من الضمير في عليهم فكأنه قال: صراط الذين أنعمت عليهم لا مغضوبًا عليهم.

وثانيها: أن يكون نصبًا على الاستثناء على رأي الأخفش والزجاج وغيرهما وهو استثناء منقطع إذ لم يتناوله اللفظ السابق.

وثالثها: أن يكون نصبًا على إضمار (أعني)، كأنه قال: أعني غير المغضوب عليهم وقد ذهب إلى ذلك الخليل بن أحمد رحمه الله حيث أجازه على الصفة والقطع من الأول كما يجيء في المدح.[2]

---

(1) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص١١١.

(2) يراجع في ذلك: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١/٢٨-٢٩، والحجة للقراء السبعة للفارسي ١/١٤٣ وما بعدها. وإعراب القرآن المنسوب للزجاج ١/١٦٥-١٦٦ تحقيق إبراهيم الأبياري، نشر دار الكتاب المصري-القاهرة ودار الكتاب اللبناني ببيروت ط/٤ سنة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى، وهو دعاء كما جاء في صحيح مسلم من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثًا غير تمام فقيل لأبي هريرة: إنّا نكون وراء الإمام فقال: اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: (الحمد لله رب العالمين) قال الله تعالى: حَمِدني عبدي وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: (مالك يوم الدين) قال: مجَّدني عبدي وقال مرة فوّض إليَّ عبدي، فإذا قال: (إياك نعبد وإياك نستعين) قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.).(1)

(الأرحام) من قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ النساء/١.

قرأ حمزة (والأرحامِ) بخفض الميم. وقرأ الباقون (والأرحامَ) بنصبها.(2)

أما توجيه القراءة بالنصب فإنها تحتمل وجهين:

أولهما: أن يكون معطوفًا على موضع الجار والمجرور (به) لأن ذلك في موضع نصب كما تقول مررت بزيد وعمرًا لأن معنى مررت بزيد: جاوزت زيداً فهو موضع نصب.

ثانيهما: أن يكون معطوفًا على اسم الجلالة في (واتقوا اللهَ) على معنى: واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

وأما توجيه القراءة بخفض الأرحام فظاهره أنها معطوفة على الضمير المجرور في (به) من غير إعادة الجار، ويؤيد ذلك قراءة عبدالله: (وبالأرحام) فقد كانوا يتناشدون بذكر الله والأرحام.

وقد اعترض البصريون على هذه القراءة بحجة أن ذلك بعيد في القياس قليل في الاستعمال، ولأن الضمير في (به) عوض عن التنوين، ولأن المضمر المخفوض لا ينفصل عن الحرف كأنهما شيء واحد والمضمر المخفوض كأنه حرف في الكلمة ولا يعطف على حرف من الكلمة، كما أن المعطوف والمعطوف عليه شريكان يحسن في أحدهما ما يحسن في الآخر ويقبح في أحدهما ما يقبح في الآخر، وكما لا يجوز مررت بزيد وك فكذلك لا يجوز مررت بك وزيدٍ، فإذا أعيد الخافض حسن أن تقول: مررت بك وبزيد(3).

وأجاز الكوفيون العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الخافض مستشهدين بقراءة حمزة لهذه الآية وبأبيات من الشعر منها:

فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب

---

(1) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، كتاب الصلاة – باب وجوب قراءة الفاتحة حديث رقم (٣٩٥) نشر دار الخير بدمشق ط/٥ ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

(2) التيسير للداني ص٩٣.

(3) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٧٥/١، والحجة للقراء السبعة للفارسي ١٢١/٣ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٥٧/٣-١٥٨.

بخفض الأيام معطوفًا على الضمير المخفوض في (بك) من غير إعادة الخافض.(١)

قال القيسي: (وما ذهب إليه أهل البصرة وتبعهم فيه الزمخشري وابن عطيه من امتناع العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار ومن اعتلالهم لذلك غير صحيح بل الصحيح مذهب الكوفيين في ذلك وأنه يجوز).(٢)

وليس من شاهد أقوى على ذلك من هذه الآية القرآنية بقراءة حمزة وهي قراءة سبعية أجمعت الأمة على قبولها وصحة سندها الذي ينمو بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد ومن ردّ مثل هذه القراءة المتواترة كان رادًا على النبي صلى الله عليه وسلم لا على القارئ الذي اختار القراءة بها.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: اتقوا الله واتقوا قطع الأرحام.

(أرجلكم) من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ المائدة/٦.

قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص (وأرجلَكم) بنصب اللام.

وقرأ الباقون (وأرجلِكم) بجرها.(٣)

أما من قرأ (وأرجُلَكم) بالنصب فقد حمله على العطف على الوجوه والأيدي ومحلها النصب بفعل الأمر (اغسلوا) فالأرجل بهذا معطوفة على الوجوه والأيدي وجملة (وامسحوا برؤوسكم) معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه.

والعامل في قراءة النصب (فاغسلوا) ما يدل على وجوب غسل القدمين في الوضوء لوقوع أثر هذا العامل عليها.

وأما من قرأ (وأرجلِكم) بجر اللام فقد عطف الأرجل على الرؤوس وهي مجرورة بالباء. قال أبو علي الفارسي: (الحجة لمن جرّ فقال (وأرجلِكم) أنه وجد في الكلام عاملين أحدهما الغسل، والآخر الباء الجارة، ووجه العاملين إذا اجتمعا في التنزيل أن تحمل على الأقرب منهما دون الأبعد)(٤)

ولعل الحكم الذي يترتب على هذه القراءة هو وجوب مسح الأرجل في الوضوء لان الأرجل عطفت على الرؤوس التي حكمها المسح.(٥)

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح إذ إن القراءة بنصب الأرجل يترتب عليه وجوب غسلها في الوضوء لأنها معطوفة على الوجوه والأيدي وهي تغسل وجوبًا في الوضوء.

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٥٨/٣-١٥٩.

(٢) الدّرّ اللقيط من البحر المحيط، لتاج الدين القيسي، بهامش البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٥٨/٣.

(٣) التيسير للداني ص٩٨.

(٤) الحجة للقراء السبعة للفارسي ٢١٤/٣.

(٥) يراجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٠٧/١، والبحر المحيط لأبي حيان ٤٣٧/٣-٤٣٨.

وأما القراءة بجر الأرجل فيترتب عليها وجوب مسح الأرجل في الوضوء لأنها معطوفة على ما حكمه المسح. وقد كان الأمر كذلك ثم نسخ وصار الواجب غسل القدمين في الوضوء ويدل على ذلك ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: (تخلف النبي صلى الله عليه وسلم عنا في سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقنا العصر فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته: ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثًا). [(١)]

وقد تواترت الروايات في صفة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان يغسل قدميه إلا في حالة لبسه خفين فإنه كان يمسح عليهما.

(الكفار) من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ﴾ المائدة/٥٧.

قرأ أبو عمرو والكسائي (والكفارِ) بخفض الراء. وقرأ الباقون (والكفارَ) بنصبها.[(٢)]

أما من قرأ بالجر فقد عطفه على أقرب العاملين منه وهو قوله تعالى: (من الذين أوتوا الكتاب) فحمل على عامل الجر حيث كان الأقرب إلى المعمول. من عامل النصب. وحسن الحمل على عامل الجر لأن فرق الكفار الثلاث: المشركين والمنافقين والكتابيين الذين لم يسلموا قد كان منهم الهُزء، فساغ لذلك أن يكون (الكفار) مجرورًا وتفسيرًا للموصول وموضحًا له، والدليل على استهزاء المشركين قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ الحجر/٩٥-٩٦. والدليل على استهزاء المنافقين قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ البقرة/١٤والدليل على استهزاء الكتابيين الذي لم يسلموا قوله تعالى: ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ المائدة/٥٧ ويجمع كل هؤلاء لفظ (كفار) بدلالة قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ البينة/١.

وأما من قرأ بالنصب فإنه عطفه على (الذين) الأول في قوله تعالى: (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا) و(الكفار أولياء) أي لا تتخذوا هؤلاء وهؤلاء أولياء.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير وهو أن الله تعالى ينهى المؤمنين عن اتخاذ الكفار المستهزئين بالإسلام أولياء وذلك على كلا القراءتين.

وقراءة الجر تجعل المشركين والذين أوتوا الكتاب كلاهما مستهزئين بالإسلام. وعلى قراءة النصب فالموصوف بالهُزء واللعب هم اليهود لا غير.[(٣)]

(ربنا) من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام/٢٣.

قرأ حمزة والكسائي (ربَّنا) بنصب الباء. وقرأ الباقون (ربِّنا) بخفضها.[(٤)]

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الوضوء. حديث رقم (١٥٩) نشر دار القلم – لبنان – بدون تاريخ.

(٢) التيسير للداني ص١٠٠.

(٣) يراجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ٤١٣/١-٤١٤. والحجة للقراء السبعة للفارسي ٢٣٤/٣-٢٣٥.

(٤) التيسير للداني ص١٠٢.

أما توجيه القراءة بنصب الباء أنه نصب على النداء يا ربَّنا، وحجة ذلك أن ما قبل هذه الآية قوله تعالى مخاطبًا إياهم: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ الأنعام/٢٢فجرى جوابهم على نحو المخاطبة فقالوا: (والله ربَّنا) أي والله يا ربنا ما كنا مشركين. فأجابوه مخاطِبين كما سألهم مخاطَبين، وقد فصل بين القسم والمقسم عليه بالمنادى.

وأما توجيه القراءة بخفض الباء أن هذا الاسم المضاف قد جُعل وصفًا للفظ الجلالة المفرد أو أنه بدل منه أو عطف بيان.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن المشركين يقسمون بالله تعالى كذبًا يوم القيامة على أنهم لم يكونوا في الدنيا مشركين، فيختم الله تعالى على أفواههم فتفضحهم أعضاؤهم شاهدة عليهم بالكفر.[١]

(الليل) من قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا﴾ الأنعام/٩٦.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي (وجعل الليلَ) بنصب اللام.

وقرأ الباقون (وجاعل الليلِ) بجر اللام من الليل.[٢]

أما من نصب (الليل) فقد جعله مفعولاً به للفعل (جعل) وقد أراد بهذا أن يتم التناسق مع الأفعال الماضية في الآيات الثلاث التالية لهذه الآية حيث جاءت صدورها مبدوءة بالأفعال الماضية وهي:

١- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا﴾الأنعام/٩٧.

٢- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم﴾الأنعام/٩٨.

٣- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾الأنعام/ ٩٩.

فاختار القراءة بنصب (الليل) بالفعل الماضي (جعل) حتى يحدث التناسق مع هذه الآيات.

وأما من قرأ بخفض (الليل) فقد جعله مضافًا إلى (جاعل) التي قرئت هنا بصيغة اسم الفاعل. وحجة ذلك أن في هذه القراءة تناسقًا بينها وبين ما في صدر الآية وما في الآية السابقة ففي صدر هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾وفي الآية السابقة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ و﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ ثم يأتي على هذه القراءة (وجاعل الليل) ويقوي ذلك أن حكم الأسماء أن تعطف على أسماء مثلها فكان عطف فاعل على فاعل أولى من عطف (فعل) على اسم.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى جعل ضوء الفجر يعقب ظلمة الليل وجعل الليل وقت راحة وسكون بعد عناء النهار ومشاقه في السعي والحركة.[٣]

---

(١) يراجع في ذلك: حجة القراءات لأبي زرعة ص٢٤٤ والكشف لمكي ٤٢٧/١.

(٢) التيسير للداني ص١٠٥.

(٣) الكشف لمكي بن طالب ٤٤١/١-٤٤٢.

(أولادهم) مــن قولــه تعــالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾الأنعام/١٣٧.

قرأ ابن عامر: (زُين) بضم الزاي وكسر الياء، (قتلُ) برفع اللام (أولادَهم) بنصب الدال، (شركائهم) بخفض الهمزة.

وقرأ الباقون: (زَين) بفتح الزاي (قتلَ) بنصب اللام (أولادِهم) بخفض الدال (شركاؤهم) برفع الهمزة.[1]

(أولادَهم) منصوب على المفعولية في قراءة ابن عامر، لوقوع القتل عليهم. وهو مجرور بالإضافة إلى القتل في قراءة الجمهور.

وقد مر توجيه هذه القراءات عند الحديث على هذه الآية الكريمة في المبحث الأول من هذا الفصل.

---

(١) التيسير للداني ص ١٠٧.

المبحث الخامس

الاختلافات النحوية بين الأسماء التي قرئت مرفوعة ومجرورة

فيما يلي بيان باختيارات القراء من القراءات التي وردت بالرفع والجر في بعض الأسماء وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم.

(طعام) من قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾ البقرة/١٨٤.

قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي (فديةٌ طعامُ مسكين) (فديةٌ) منون، ورفع (طعام) وإفراد (مسكين).

وقرأ نافع وابن عامر (فديةُ طعامِ مساكين)(فدية) مضاف و(طعامِ) بالجر و(مساكين) جمع.[١]

أما من قرأ برفع (طعام) فقد رفعه على البدل من (فدية) وهي مبتدأ مؤخر (وعلى الذين) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، (يطيقونه) فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والهاء مفعول به والجملة لا محل لها من الإعراب صلة الموصول.

وأما من قرأ بجر (طعام) فإنه جره بالإضافة إلى (فدية).[٢]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الشيخ الكبير أو المريض الذي لا يرجى شفاؤه وكل من يجد مشقة كبيرة ولا يستطيع الصوم فإنه يفطر ويطعم مكان كل يوم مسكينًا.[٣]

(طعام) من قوله تعالى: ﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾ المائدة/ ٩٥.

قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي (أو كفارةٌ) منونًا (طعامُ) رفعًا.

وقرأ نافع وابن عامر (أو كفارةُ) رفعًا غير منون (طعامِ) مجرور بالإضافة.[٤]

أما من قرأ برفع (طعام) فقد رفعه على البدل من (كفارةٌ) أو عطف بيان أو أنه خبر عن مبتدأ مضمر والتقدير هي طعام مساكين.

وأما من قرأ بجر (طعام) فقد جعله مجرورًا بالإضافة إلى (كفارةُ) المرفوعة بالعطف على جزاء وهو مبتدأ خبره محذوف أي فعليه جزاء.[٥]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو بيان لحكم شرعي يتعلق بمن قتل صيدًا بريًا وهو محرم فكفارة هذا الذنب أهداء المذنب مثل ما قتل من النعم إلى فقراء مكة فإن لم يستطع فعليه إطعام مساكين بقيمة مماثلة أو صيام أيام بعدد أمداد ذلك الطعام.[٦]

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص١٧٦.

(٢) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٨٢/١-٢٨٣، والحجة للقراء السبعة للفارسي ٢٧٣/٢.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٢٠٩/١.

(٤) السبعة لا بن مجاهد ص ٢٤٨.

(٥) يراجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ٤١٨/١، واملاء ما منّ به الرحمن للعكبري ٢٢٧/١.

(٦) الكشاف للزمخشري ٧١١/١.

(مثل) من قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ المائدة/ ٩٥.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي (فجزاءٌ مثلُ) منونة مرفوعة ورفع (مثلُ).

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (فجزاءُ مثلِ) مرفوعة مضافة وبخفض(مثلِ).[1]

أما من قرأ برفع (مثل) فقد جعله نعتًا لـ(جزاءٌ) وهو مبتدأ خبره محذوف والتقدير: فعليه جزاءٌ مثلُ ما قتله من النعم. وقد بعدت إضافة الموصوف لصفته في المعنى لأنه في الحقيقة ليس على قاتل الصيد جزاءُ مثل ما قتل إنما عليه جزاء المقتول بعينه وليس مثله لأن مثل المقتول من الصيد لم يقتله وبهذا يكون المعنى على الإضافة: عليه جزاء ما لم يقتل.

وأما من قرأ بغير تنوين وجر (مثل) فقد جر مثل على الإضافة وحجته أن العرب تستعمل في إرادة الشيء مثله فيقولون: أنا أُكرم مثلك أي أكرمك وقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾البقرة/ ١٣٧ أي بما آمنتم به وعلى هذا يكون المعنى على هذه القراءة فجزاء المقتول من الصيد يحكم به ذوا عدل منكم.[2]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وقد ذكر عند الكلام على الآية السابقة.

(وللدار الآخرة) من قوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام/٣٢.

قرأ ابن عامر بلام واحدة وخفض الآخرة (ولدار الآخرةِ)، وقرأ الباقون بلامين ورفع الآخرة (وللدارُ الآخرةُ).[3]

أما من قرأ بلامين فقد أدخل لام الابتداء على الدار ورفعها بالابتداء وجعل الآخرة نعتًا لها، والخبر (خيرٌ للذين) والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ القصص/٨٣ وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾العنكبوت/٦٤ فالآخرة في هذه الآيات صفة للدار وجب أن يجري عليها الإعراب لا أن يضاف إليها وبما أن الآخرة صفة للدار فقد أقيمت مقامها في قوله تعالى: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾الضحى/٤.

وأمام من قرأ بلام واحدة، فإنه لم الآخرة صفة للدار، فهو قد حذف الموصوف على قول البصريين فالأمر عندهم من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه والتقدير: ولدار الحياة الآخرة ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾الأنعام/ ٣٢ وحيث إن دار أضيفت إلى (الحياة) المحذوفة فإنه لم يمكن دخول الألف واللام عليها بسبب الإضافة و(الآخرة) في الأصل هي صفة (للحياة) كأنه قال: ولدار الحياة الآخرة، فوصف الحياة بالآخرة كما وصف اليوم بالآخر فيقوله تعالى: ﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ العنكبوت/٣٦ لكن توسع في هذه الصفة فاستعملت استعمال الأسماء فجازت الإضافة إليها كما فعلوا ذلك في (الدنيا) وهي في الأصل صفة من (الدنو).[4]

---

(1) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٢٤٧-٢٤٨.

(2) الكشف في القراءات لابن مجاهد ص٢٤٧-٢٤٨.

(3) التيسير للداني ص ١٠٢.

(4) الكشف لمكي بن أبي طالب ص١/٤٢٩-٤٣٠ وانظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤/١٠٩.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الدار الآخرة خير للـــذين يتقــون الشــرك والمعاصي لما أعد الله تعالى لهم فيها من النعيم المقيم، وخير هنا أفعل التفضيل وحذف المفضـــل عليه للعلم به وهو من الحياة الدنيا.

الفصل الثاني

الاختلافات النحوية بين الأفعال وأثرها الدلالي

المبحث الأول: الاختلافات النحوية في الأفعال بين النصب والرفع وأثرها الدلالي.

المبحث الثاني: الاختلافات النحوية في الأفعال بين الفتح والجــزم وأثــرها الدلالي.

المبحث الثالث: الاختلافات النحوية في الأفعال بين الرفع والجزم وأثرها الدلالي.

المبحث الرابع: الاختلافات النحوية في الأفعال بين التذكير والتأنيث وأثرها الدلالي.

المبحث الخامس: الاختلافات النحوية في الأفعال بين الغيبة والخطاب وأثرها الدلالي.

المبحث الأول

الاختلافات النحوية في الأفعال بين النصب والرفع وأثرها الدلالي

فيما يلي بيان باختيارات القراء من القراءات الواردة في بعض الأفعال بين النصب والرفع وأثرها الدلالي وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم.

(فيكون) من قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ البقرة/ ١١٧.

(فيكون) من قوله تعالى: ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ آل عمران/ ٤٧.

قرأ ابن عامر بالنصب (فيكونَ) وقرأ الباقون (فيكونُ) بالرفع.(١)

أما توجيه القراءة بنصب (فيكونَ) فأنه جواب على لفظ (كن) لأنه جاء بلفظ الأمر فشبه بالأمر الحقيقي، وقد استشكل ذلك كثير من العلماء، قال مكي بن أبي طالب: (فوجه النصب مشكل ضعيف وذلك أنه جعله جوابًا بالفاء للفظ (كن) إذا كان لفظه لفظَ الأمر وإن كان معناه غير الأمر فهو ضعيف لأن (كن) ليس بأمر، إنما معناه الخبر، إذ ليس ثَمَّ مأمور يكون (كن) أمرًا له...ويدل على أن (فيكون) ليس بجواب لـ(كن) أن الجواب بالفاء مضارَع به الشرط وإلى معناه يؤول في التقدير، فإذا قلت: اذهب فأكرمك، فمعناه: إن تذهب فأكرمك، ولا يجوز أن تقول اذهب فتذهب، لأن المعنى يصير: إن تذهب تذهب، وهذا لا معنى له وكذلك (كن فيكون) يؤول معناه، إذا جعلت فيكون جوابًا أن تقول له: (إن يكون فيكون) ولا معنى لهذا).(٢)

وقد رد أبو حيان الأندلسي هذا الزعم بعد أن استعرض أمثاله مستندًا إلى ما قرره ابن عطية والمهدوي من أن المعتقد في هذه الآية أن الله لم يزل آمرًا للمعدومات بشرط وجودها قادرًا مع تأخر المقدورات عالمًا مع تأخر وقوع المعلومات.. ومعنى (فإنما يقول له كن فيكون) يقول من أجله، وقيل قال له: كن وهو معدوم لأنه بمنزلة الموجود إذ هو عنده معلوم، وقد ذهب إلى أن وجه النصب أنه على جواب لفظ (كن) لأنه جاء بلفظ الأمر فشبه بالأمر الحقيقي.(٣)

وأما توجيه قرأة من قرأ بالرفع فهو أنه جعل (فيكونُ) منقطعًا مما قبله مستأنفًا لما امتنع أن يكون جوابًا في المعنى، فرفعه على الابتداء والتقدير: فهو يكونُ.

ولا يترتب على اختلاف القراءتين أثر على المعنى الذي هو أن الله تعالى إذا أراد إحداث أمر من الأمور فإنما يقول له كن فيكون.

(يقول) من قوله تعالى: ﴿ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ ﴾ البقرة/ ٢١٤.

قرأ نافع بالرفع (يقولُ) وقرأه الباقون بالنصب (يقولَ).(٤)

---

(١) التيسير للداني ص٧٦.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١/٢٦١.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١/٣٦٤-٣٦٦.

(٤) التيسير للداني ص٨٠.

وتوجيه القراءة بالرفع أن الفعل دال على الحال التي كان عليها الرسول ولا تعمل حتى في حال. وإذا كان المضارع بعد حتى فعل حال فلا يخلو أن يكون حالاً في حين الإخبار بحيث يكون الفعل الذي قبل حتى قد مضى والفعل المسبب لم يمض ولم ينقطع نحو قولك: مرض حتى لا يرجونه، أي: مرض فيما مضى حتى هو الآن لا يُرجى، فالحال التي هم عليها الآن (لا يرجونه) فيرتفع الفعل.

وإما أن يكون حالاً قد مضت فيحكيها على ما وقعت، وفي هذا الوجه يكون الفعلان جميعًا قد مضيا أي الفعل الذي قبل حتى، والفعل المسبب نحو قولك: سرت حتى أدخلها، أي سرت فدخلت فالدخول متصل بالسير والدخول والسير قد مضيا، فحكيت الحال التي كانت لأن ما مضى لا يكون حالاً إلا على الحكاية[1]، وعلى هذا الوجه تُحمل الآية في قراءة نافع.

وتوجيه القراءة بالنصب أن حتى جعلت غاية للزلزلة فنصبت بمعنى (إلى أن) لأن الفعل بعد حتى ينصب إما على الغاية وإما على التعليل أي: وزلزلوا إلى أن يقول الرسول. أو وزلزلوا كي يقول الرسول. والمعنى الأول: أظهرن لأن المس والزلزال ليسا معلولين لقول الرسول والمؤمنين .

وهنا جعل قول الرسول غاية لخوف أصحابه أي: لم يزالوا خائفين إلى أن قال الرسول. فالفعلان قد مضيا جمعيًا، وإذا انتصب الفعل بعد حتى على معنى (إلى أن) فالفعل ماضٍ، وإذا انتصب على معنى (كي) فالفعل مستقبل، نحو قولك: أسلمت حتى أدخل الجنة أي: كي أدخلَ الجنة فالإسلام كان والدخول لم يكن فهو مستقبل.

وبما أن خوفهم وقول الرسول قد مضيا جميعًا، فالأظهر أن يكون منصوبًا على التقدير: (إلى أن) بمعنى الغاية وليس التعليل.[2]

وليس ثمة أثر لاختلاف القراءتين على معنى الآية وهو: أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تمتحنوا بمثل ما امتحن به من كان قبلكم الذين زلزلوا وخُوِّفوا وأزعجوا ازعاجًا شديدًا إلى غاية قول الرسول ومن معه متى نصر الله.

(فيضاعفه) من قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ البقرة/٢٤٥.

قرأ ابن عامر وعاصم (فيضاعفَه) بنصب الفاء وشدد ابن عامر العين بغير ألف (فيضعِّفَه) وقرأ الباقون برفع الفاء (فيضاعفُه) وشدد ابن كثير العين بغير ألف (فيضعِّفُه).[3]

أما من قرأ بنصب الفاء فقد حمل الكلام على المعنى فجعله جوابًا للاستفهام على المعنى لأن المستفهم عنه وإن كان المقرض في اللفظ فهو عن الاقراض في المعنى فكأنه قال: أيقرض الله أحدٌ

---

(1) شرح كافية ابن الحاجب في النحو لرضي الدين الاستراباذي ٢٤٢/٢ نشر دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م. وانظر شرح المفصل لابن يعيش ١٨/٨-١٩.

(2) يراجع في ذلك: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٤٠/٢، والكشف لمكي بن أبي طالب ٢٨٩/١-٢٩٠ وفتح القدير للشوكاني ٢١٥/١.

(3) التيسير للداني ص٨١.

فيضاعفَه له، ولا يجوز أن يكون جواب الاستفهام على اللفظ لأن المستفهم عنه في اللفظ المقــرض لا القرض.

ويجوز أن يكون النصب بالعطف على مصدر يقرض في المعنى وهو (قرض) ولا يصــح ذلك إلا بإضمار (أن) ليصير مصدرًا معطوفًا على مصدر فينصب الفعل بأن مضمرة والتقدير: من ذا الذي يكون منه قرض فمضاعفة من الله.

وأما قرأ برفع الفاء فإما أن يكون بالعطف على (يقرض) والتقدير: من ذا الذي يقــرضُ الله فيضاعفُ الله له.

أو أن يرفع على الاستئناف وذلك بقطعه عما قبله والتقدير: من ذا الذي يقــرض الله. فــالله يضاعف له.[1]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: من ذا الذي ينفق في سبيل الله فيضاعف الله له الأجر والثواب.

(ولا يأمركم) من قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾آل عمران/ ٨٠.

قرأ عاصم وحمزة وابن عامر بالنصب (ولا يأمرَكم) وقرأ الباقون بالرفع (ولا يأمرُكم).

وتوجيه قراءة من نصب (ولا يأمركم) أنه عطفه على (أن يؤتيته) من قوله تعــالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾آل عمران/٧٩ ففي يأمركم ضمير (بشر) المتقدم ذكره والمراد بــه النبــي صلى الله عليه وسلم، وذلك أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: أتريد يا محمد أن نتخــذك ربًا؟ فأنزل الله تعالى ردًا عليهم: (ما كان لبشر أن يؤتيه الكتاب والحكم والنبوة ثم يقــول للنــاس كونوا عبادًا لي من دون الله ــ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا من دون الله).

وتوجيه القراءة برفع (ولا يأمركم) أنه قطعه مما قبله فابتدأ الكلام فقال: (ولا يــأمرُكم الله أن تتخذوا الملائكة..) ردًا على قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم الآنف.

ويقوي الرفع أنه في قراءة عبد الله (ولن يأمركم) فهذا يدل على الاستئناف والضــمير فــي قراءة الرفع، وفي قراءة عبد الله يعود على الله عز وجل في (يأمرُكم).

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير وهو: ليس له أن يأمركم بعبادة نفسه ولا يــأمركم باتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا، على القراءة بالنصب. والمعنى علــى القــراءة بــالرفع: أن الله لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا.[2]

(يقولُ) من قوله تعالى: ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾المائدة/٥٢ – ٥٣.

قرأ أبو عمرو (يقولَ) بنصب اللام وقرأ الباقون (يقولُ) بالرفع.[3]

---

(1) إملاء ما من به الرحمن للعكبري ١٠٢/١.

(2) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٥٠/١-٣٥١، وفتح القدير للشوكاني٣٥٥/١.

(3) التيسير للداني ص ٩٩.

أما توجيه القراءة بنصب يقول (يقولَ) أنه عطف على (أن يأتيَ) على تقدير تقديمها لتكون بجنب عسى مباشرة لأنه لا يجوز: عسى الله أن يأتي وعسى الله أن يقول الذين آمنوا كما أنه لا يجوز أن تقول عسى زيدٌ أن يقوم عمرو. فإذا قدرت تقديم أن يأتي حملاً على المعنى لأن عسى أن يأتي الله هي في المعنى مثل عسى الله أن يأتي عند ذلك يجوز لأن التقدير يصبح عسى الله أن يأتي الله وعسى أن يقول الذين آمنوا.

ويجوز أن نجعل (أن يأتي) بدلاً من لفظ الجلالة فيصير التقدير: عسى الله أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا.

وأما توجيه القراءة بالرفع أنه على جعل الواو عاطفة جملة على جملة وليست عاطفة مفرد على مفرد، ويقوي القراءة بالرفع قراءة من قرأ بحذف الواو إذ لا يجوز مع حذف الواو إلا الرفع على الاستئناف والاستغناء بالضمير الذي في الجملة الثانية عن حرف العطف.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أنه لما انكشف نفاق المنافقين المعاضدين لليهود عندما نزل بهم ما نزل قال المؤمنون: أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم.[1]

(تكون) من قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ المائدة: ٧١.

قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي (ألا تكونُ) بالرفع وقرأ الباقون (ألا تكونَ) بالنصب.[2]

أما من قرأ برفع (تكونُ) فقد جعل (أن) من (ألاّ) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف والتقدير: و(حسبوا أنه) و(لا) نافية لا عمل لها، و(تكون) تامة وهي فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، وصارت (لا) عوضًا عن المحذوف والتقدير: وحسبوا أنه لا تكونُ فتنة أي لا تقع ولا تحدث ولا تحتاج (تكون) إلى خبر لأنها تامة تكتفي بفاعلها وهو فتنة، والجملة خبر أن وهي مفسرة لضمير الشأن، وعلى هذا فـ(حسب) هنا لليقين وليست للشك، وذلك لأن الأفعال ثلاثة أضرب فعل يدل على الثبات والاستقرار وذلك نحو العلم والتَّيقن والتبيُّن والتثبُّت، وفعل يدل على خلاف الاستقرار والثبات نحو أطمع وأخشى وأشفق وأرجو، وفعل يجذب مرة إلى هذا القبيل وأخرى إلى هذا القبيل، قال أبو علي الفارسي: (فما كان معناه العلم وقعت بعده "أنّ" الثقيلة. ولم تقع بعده الخفيفة الناصبة للفعل وذلك أنّ الثقيلة معناها ثبات الشيء واستقراره والعلم وبابه كذلك أيضًا، ومثالها: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ النور: ٢٥.

وأما ما كان معناه لم يثبت ولم يستقر..فهذه ونحوها تستعمل بعدها الخفيفة الناصبة للفعل وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي﴾ الشعراء/ ٨٢ وقوله: ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ الأنفال/ ٢٦. وأما ما يجذب مرة إلى هذا الباب ومرة إلى باب الأول فنحو حسبت وظننت وزعمت فهذا النحو يُجعل مرة بمنزلة أرجو وأطمع من حيث كان أمرًا غير مستقر ومرة يجعل بمنزلة العلم من حيث استعمل استعماله.. فأما استعمالهم إياه استعمال العلم فهو أنهم قد أجابوه بجواب القسم حكى سيبويه: (ظننت ليسبقنِّي) وكلا الأمرين قد جاء به التنزيل. فمثل قول من نصب

---

(1) الكشف لمكي بن أبي طالب ٤١١/١-٤١٢، وانظر التبيان في إعراب القرآن للعكبري ص٣٠١.

(2) التيسير للداني ص١٠٠.

"أن لا تكونَ" قوله تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَا ﴾العنكبوت/ ٤ ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ ﴾الجاثية/ ٢١ ومثل قراءة من رفع: ﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ ﴾الزخرف/٨٠ ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴾المؤمنون/٥٥ ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ القيامة/ ٣ وهذه مخففة من الشديدة وقوله: ﴿ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ﴾الجن/ ٧ فـ"أن" ههنا المخففة من الشديدة لأن الناصبة للفعل لا يقع بعدها "لن" لاجتماع الحرفين في الدلالة على الاستقبال كما لا تجتمع الناصبة مع السين كما لا يجتمع الحرفان لمعنى واحد فمن ثم كان "أن" في قوله تعالى: ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ ﴾المزمل/٢٠ المخففة من الشديدة.)[١]

ولهذا تكون (أن) من (ألا) على هذه القراءة مخففة من الشديدة كما بيَّن أبو علي.

وأما من قرأ بنصب (تكونَ) فقد اعتبر (أن) هذه ناصبة للمضارع دخلت على فعل منفي بـ(لا) و(لا) حرف لا يمنع عمل ما قبله فيما بعده من ناصب ولا جازم ولا جار فالناصب كهذه الآية في قراءة من نصب والجازم كقوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ ﴾الأنفال/ ٧٣ والجار نحو (جئت بلا زادٍ). وحسب ههنا أجريت على بابها للشك فأتت معها أن الناصبة للمضارع لأنها لأمر غير ثابت مثل ما قبلها فهي ملائمة لما قبلها من الشك كما كانت أن المخففة من الثقيلة في القراءة الأولى ملائمة لما قبلها إذ هما جميعًا لليقين.

وحُكى عن بعض النحويين أنه قال: من رفع هذا الفعل كتب (أن لا) منفصلة لأن الهاء المضمرة المقدرة تحول في المعنى بين (أن) و(لا) ومن نصب الفعل كتبه غير منفصل إذ لا شيء يقدر يحول بين (أن) و(لا).

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن بني إسرائيل حسبوا أنه لا يصيبهم من الله فتنة أي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة وذلك اغترارًا بقولهم (نحن أبناء الله وأحباؤه)[٢]

(ولا نكذب...ونكون) من قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الأنعام/٢٧.

قرأ حمزة وحفص (ولا نكذبَ ونكونَ) بالنصب، وقرأ ابن عامر بنصب (ونكونَ) فقط وقرأ الباقون بالرفع فيهما (ولا نكذبُ..ونكونُ).[٣]

أما توجيه القراءة بنصب الفعلين أنهما قد جعلا في جواب التمني لأن الجواب بالواو ينصب كما ينصب بالفاء. قال الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتيَ مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم[٤]

---

(١) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣/٢٤٦-٢٥٠.

(٢) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٤١٦ والكشاف للزمخشري ١/٦٩٦.

(٣) التيسير للداني ص١٠٢.

(٤) خزانة الأدب للبغدادي ٣/٦١٧ وانظر الكتاب لسيبويه ١/٤٢٤.

فيكون معنى الآية على هذا: ليت ردُّنا وقع ولا نكذبَ أي: إن رددنا لم نكذب وهذا النصب عند جمهور البصريين يكون بإضمار (أن) بعد الواو حيث ينسبك مصدر مرفوع من أن المضمرة والفعل بعدها معطوف على مصدر متوهم مقدر من الجملة السابقة، والتقدير: يا ليتنا يكون لنا ردٌّ وانتفاءُ تكذيب وكونٌ من المؤمنين. فلا بد إذن من إضمار (أن) لتكوّن مع الفعل مصدرًا فيعطف مصدر على مصدر وبه يتم النصب في الفعلين.

وأما توجيه القراءة بالرفع فيهما ففي ذلك وجهان:

أحدهما: أنه بالعطف على نفس الفعل (نردُّ) فيكون قوله: (لا نكذب..ونكون) داخلين في التمني.

والثاني: أنهما مرفوعان بالقطع من الأول والتقدير: يا ليتنا نردُّ. ونحن لا نكذب بآيات ربنا ونكونُ من المؤمنين، رُددنا أو لم نرد، قال الزجاج: المعنى أنهم تمنوا الردّ وضمنوا أنهم لا يكذبون) لأنهم شاهدوا ما لا يكذبون معه أبدًا.(١)

وأما توجيه قراءة ابن عامر برفع (نكذب) ونصب (نكون) فقد رفع الأول بالعطف على (نردُّ) فيكون داخلاً في التمني. أو بالقطع، أي: ونحن لا نكذب، والتقدير: يا ليتنا نردُّ ونحن لا نكذب رددنا أو لم نرد. ثم نصب (نكون) على جواب التمني والمعنى: يا ليتنا نردُّ، فنكون من المؤمنين.(٢)

ولا أثر لاختلاف هذه القراءات على معنى الآية وهي تحكي عن الأماني الكاذبة للمشركين حين يرون العذاب فيتمنون أن يُرَدُّوا إلى دار الدنيا واعدين بألاّ يكذبوا بآيات الله التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكونوا من المؤمنين العاملين بها.(٣)

---

(١) حجة القراءات لأبي زرعة ص٢٤٥.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٠٢/٤ والكشاف للزمخشري ١٦/٢.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٢//١٢٤.

المبحث الثاني

الاختلافات النحوية في الأفعال بين الفتح والجزم

فيما يلي بيان باختيارات القراء من القراءات الواردة في بعض الأفعال بين الفتح والجزم وأثرها الدلالي وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم.

(تطوع) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة/ ١٥٨.

قرأ حمزة والكسائي (يطّوعْ) بالياء وتشديد الطاء والجزم.

وقرأ الباقون (تطوعَ) بالتاء وتخفيف الطاء وفتح العين.[(١)]

أما من قرأ (يطَّوعْ) بالتشديد والجزم فقد حمله على لفظ الاستقبال في اللفظ والمعنى وجعله فعلاً مضارعًا، وأصله (يتطوعْ) مضارع مجزوم بـ(من) الشرطية قبله فهو فعل الشرط، ثم ادغمت التاء في الطاء فشددت الطاء لذلك فانتقلت التاء إلى القوة وكان الاستقبال أولى به لأن الشرط لا يكون إلا للاستقبال فطابق بذلك بين اللفظ والمعنى. وجملة (فإن الله شاكر عليم) جواب الشرط.

وأما من قرأ (تطوعَ) فقد استغنى بأداة الشرط عن لفظ الاستقبال لأن أداة الشرط تدل على الاستقبال، فأتى بلفظ الماضي لأنه أخف والفعل الماضي (تطوعَ) في موضع جزم بأداة الشرط (من).

ويجوز في هذه القراءة أن تكون خبرًا غير شرط وتكون (من) على هذا موصولة بمعنى (الذي) والماضي لفظه كمعناه ماضٍ أيضًا فيكون المعنى: فالذي تطوع فيما مضى خيرًا فإن الله شاكر لفعله عليم به. وفي هذا الاحتمال تكون (من) موصولة في محل رفع مبتدأ وتطوع صلة (من) وجملة فإن الله شاكر عليم في محل رفع خبر المبتدأ.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن من يتطوع بعمل الخير فإن الله شاكر لفعله عليم به وقد أغنت القراءتان عن تخصيص الزمن الماضي أو الحاضر أو المستقبل فكانت دلالتهما شاملة للزمن في كل أحواله.[(٢)]

(وليحكم) من قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ المائدة/ ٤٧.

قرأ حمزة وحده بكسر اللام ونصب الميم (ولِيحكمَ).

وقرأ الباقون بإسكان اللام وجزم الميم (ولْيحكمْ) وورش على أصله يحرك الميم بإلقاء حركة همزة أهل عليها.[(٣)]

---

(١) التيسير للداني ص ٧٧.

(٢) يراجع في ذلك البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٥٨/١ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٦٩/١-٢٧٠.

(٣) التيسير للداني ص٩٩.

وتوجيه القراءة بكسر اللام ونصب الميم أن اللام جعلت لام (كي) فانتصب الفعل بها، وقد جعلت هذه اللام متعلقة بقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ المائدة/٤٦ لأن إيتاء الإنجيل يعني إنزال ذلك عليه فصار مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ النساء/١٠٥ فكأن المعنى هنا: آتيناه الإنجيل.. لِيحكمَ.

وتوجيه القراءة بالجزم أن اللام جعلت لام الأمر، فهو إلزام مستأنف يبتدأ به. أمر الله أهل الإنجيل بالحكم بما أنزل الله فيه كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالحكم بما أنزل عليه في قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ المائدة/ ٤٩.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو توجيه من الله تعالى لأهل الإنجيل بأن يحكموا بما أنزل الله فيه إلا أن القراءة بالجزم تفيد أنه أمر لازم وتفيد قوة الأمر.(١)

---

(١) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٤١٠/١-٤١١، والحجة للقراء السبعة للفارسي ٢٢٧/٣-٢٢٨.

المبحث الثالث

الاختلافات النحوية في الأفعال بين الرفع والجزم وأثرها الدلالي

فيما يلي بيان باختيارات القراء من القراءات الواردة في بعض الأفعال بين الرفع والجزم وأثرها الدلالي وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم.

(لا تضارَّ) من قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾ البقرة/ ٢٣٣.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالرفع (لا تضارُّ) وقرأ الباقون بفتح الراء (لا تضارَّ).[١] أما توجيه القراءة بالرفع فإنه قد جعله نفيًا لا نهيًا أي أن (لا) في هذه القراءة نافية، وحجة من قرأ بالرفع أنه اتبعه ما قبله من قوله تعالى: (لا تكلفُ نفس إلا وسعها) وأيضا فإن النفي خبر والخبر قد يأتي في موضع الأمر نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ ﴾ البقرة/ ٢٢٨ فهذا أمر أتى بلفظ الخبر. وعلى هذا تعتبر (لا) نافية لا عمل لها وتضارُّ فعل مضارع مرفوع.

وأما توجيه القراءة بفتح الراء أنه جعله نهيًا على ظاهر الخطاب فـ(لا) ناهية والفعل تضارَّ مضارع مجزوم بـ(لا) الناهية، وقد فتحت الراء لالتقاء الساكنين أي سكون الراء وسكون التشديد. وخصها بالفتح دون الكسر لتكون حركتها موافقة لما قبلها وهو الألف، والحجة في جعله نهيًا أن يوافق صيغة الأمر الآتي بعد في قوله تعالى: (وعلى الوارث مثل ذلك) وأما (والدة) فيحتمل أن تكون فاعلة و(تضارّ) بمعنى (يفاعِل) (يضارِرْ) أي لا تضارر بولدها فتطلب على إرضاعه ما ليس لها.

ويحتمل أن تكون نائب فاعل –مفعولة حلت محل الفاعل بعد حذفه– وتضارَّ بمعنى (تفاعَل) مبنيًا للمجهول على معنى: لا تُضارَرْ والدةٌ بولدها فتمنع من ولدها في الرضاع فهي تأخذ مثل ما يأخذ غيرهما ولا تُمنع من نفقته.[٢]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: لا تضارِرْ والدةٌ الأب بسبب الولد فتطلب منه ما لا يقدر عليه. أو لا تضارَرْ من قبل الزوج بأن يقتّر عليها أو ينتزع منها ولدها بلا سبب.[٣]

(أعلم) من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ البقرة/ ٢٥٩.

قرأ حمزة والكسائي (قال اعلمْ) بوصل الألف والجزم. وقرأ الباقون بقطع الألف والرفع (أعلمُ).[٤]

أما من قرأ بالقطع ورفع الفعل، فقد أخبر عن نفسه وذلك عندما عاين من قدرة الله على أحيائه الموتى، فأقرّ أنه يعلم أن الله على كل شيء قدير. وأعلمُ على هذا فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا وأنّ واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي (أعلم).

---

(١) التيسير للداني ص٨١.

(٢) يراجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٩٦/١، والحجة للقراء السبعة للفارسي ٢٣٣/٢-٢٣٤.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٢٤٥/١.

(٤) التيسير للداني ص٨٢.

وأما من قرأ بالوصل وجزم الفعل (اعلمْ) فقد جعله أمرًا معناه الخبر فكأنه خاطب نفسه لما رأى قدرة الله فقال اعلمْ يا نفس هذا العلم اليقين. ويبعد أن يكون ذلك أمرًا من الله عز وجل له بالعلم لأنه تعالى قد أظهر إليه قدرة وأراه أمرًا يتقن صحته وأقرّ بالقدرة فلا معنى لأن يأمره الله بعلم ذلك بل هو يأمر نفسه بذلك. وهذا مما تفعله العرب ينزل أحدهم نفسه منزلة الأجنبي فيخاطبها كما تخاطبه ومن ذلك قول الأعشى: (١)

ودع هريرة أن الركب مرتحل ... وهل تطيق وداعًا أيها الرجل

ويقصد نفسه، ومنه قوله:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وعادك ما عاد السليمَ المسهَّدا

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن العُزَيْر مرّ على قرية خراب فتساءل:كيف يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه وأراه الإحياء بعينه فلما تيقن قال أعلم أن الله لا يستعصي عليه شيء من الأشياء.(٢)

(يكفِّر) من تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ البقرة/٢٧١.

قرأ ابن كثير وشعبة وأبو عمرو (ونكفّرُ) بالنون ورفع الراء، وقرأ حفص وابن عامر (ويكفرُ) بالياء والرفع، وقرأ الباقون بالنون والجزم (ونُكفِّرْ).(٣)

أما أم من قرأ بالياء (ويكفر) فقد حمله على ما جاء بعده (والله بما تعملون خبير) ولم يقل (ونحن) فلما كان ذلك كذلك أتى بلفظ الغائب في (يكفِّر) لما بعدها من لفظ الغائب. ويجوز أن يكون حمله على الاعطاء في قوله (وتؤتوها الفقراء) فالمعنى ويكفر الاعطاء من سيئاتكم.

وأما من قرأ بالنون (ونفكر) فقد أجراه على الإخبار من الله تعالى عن نفسه لأنه هو الذي يكفر السيئات وحسُن أن يأتي ذلك بضمير العظمة وجاء المفرد (والله بما تعلمون) بعد لفظ الجمع (ونكفر) فقد فازداد البيان حسناً.

وتوجيه القراءة بالجزم أنه عطف الفعل على موضع الفاء في قوله: (فهو خير لكم) لأن ذلك جواب الشرط وهو موضع جزم.

وتوجيه القراءة بالرفع، أنه قطع الفعل عما قبله وجعله خبرًا لمبتدأ محذوف والتقدير: (ونحن نكفرُ عنكم) أو (والله يكفرُ عنكم) على القراءة بالياء.(٤)

ولا أثر لاختلاف هذه القراءات على المعنى وهو: إن تظهروا الصدقات فنعم شيئًا إظهارها. وان تخفوها وتعطوها الفقراء فالإخفاء خير لكم والله يكفر عنكم من سيئاتكم على قراءة الياء

---

(١) ديوان الأعشى ص١٣٥.

(٢) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣١٢/١-٣١٣، والحجة للقراء السبعة للفارسي ٣٨٣/٢-٣٨٤.

(٣) التيسير للداني ص٨٤.

(٤) الكشف لمكي بن أبي طالب ٣١٧/١.

أو ونحن نكفر عنكم على القراءة بالنون.[1]

(فيغفر..ويعذب) من قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ٢٨٤.

قرأهما عاصم وابن عامر (فيغفرُ..ويعذبُ) بالرفع، وقرأ الباقون يجزمهما.[2]

أما من رفع الفعلين فذلك لأن الفاء يُستأنف ما بعدها فرفع على القطع مما قبله. ويجوز على وجهين آخرين: الأول: أن يكون باضمار مبتدأ والتقدير: فالله يغفرُ لمن يشاء ويعذُب من يشاء. والآخر: أن يعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدم والتقدير على هذا: فيغفر الله لمن يشاء ويعذب من يشاء.

وأما من قرأ بالجزم فقد عطف على (يحاسبْكم) وهو جزاء الشرط، وهذا أقرب للمشاكله بين أول الكلام وآخره.[3]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: إن تظهروا ما في أنفسكم أو تضمروه من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن استوجب المغفرة بالتوبة ويعذب من استوجب العقوبة بالاصرار.[4]

---

(1) الكشاف للزمخشري ٣٤٤/١.

(2) التيسير للداني ص٨٥.

(3) الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٢٣/١.

(4) الكشاف للزمخشري ٣٥٧/١.

المبحث الرابع

الاختلافات النحوية في الأفعال بين التذكير والتأنيث وأثرها الدلالي

فيما يلي بيان باختيارات القراء السبعة من القراءات الواردة في بعض الأفعال بين التـذكير والتأنيث وأثرها الدلالي وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم.

(يُقبل) من قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ البقرة/ ٤٨.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (ولا تُقبل) بالتاء. وقرأ الباقون بالياء (ولا يُقبل).[١]

أما من قرأ بالتاء فقد أنث الفعل لتأنيث لفظ الشفاعة فهو على الظاهر والفعل مضارع مرفوع بالضمة والشفاعة نائب فاعل.

وأما من قرأ بالياء فذلك لأسباب أربعة هي:

١- أنه لمّا فرق بين المؤنث والفعل قام التفريق مقام التأنيث وجاز تذكير الفعل.

٢- أن تأنيث الشفاعة غير حقيقي إذ لا ذَكَر لها من لفظها فحينئذٍ يجوز تـذكير الفعـل لأن التذكير هو الأصل.

٣- أنه لما كانت الشفاعة والشفيع بمعنى واحد حمل التذكير على الشفيع.

٤- ما روى عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالا: إذا اختلفتم في اليـاء والتاء فاجعلوها ياءً، فإن أكثر ما جاء في القرآن من هذا النوع أتى مذكرًا بإجماع القراء قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ آل عمران/١٣ ، وقال: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الأنعام/ ١٥٧، وقال: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ هود/ ٦٧، ويقوي التذكير إجماع القـراء على تذكير الفعل مع ملاصقته للمؤنث في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ يوسف/ ٣٠ وقولـه: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ﴾ الأعراف/٨٧.

٥- فإذا جاء التذكير بغير حائل، فهو مع الحائل أجود وأقوى.[٢] ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: واتقوا يوم الحساب حيث لا يدفع أحد عن أحد العذاب.[٣]

(فنادته) من قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ آل عمران/ ٣٩.

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر (فنادته) بالتاء. وقرأ حمـزة والكسـائي (فناداه) بألف على التذكير وإمالة الألف.[٤]

---

(١) التيسير للداني ص٧٣.

(٢) الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٣٨/١.

(٣) تفسير البيضاوي ٦٠/١.

(٤) التيسير للداني ص٨٧.

أما من قرأ بالتاء (فنادته) فقد أنث الفعل لموضع الجماعة، والجماعة ممن يعقل في جمع التكسير يجري مجرى ما لا يعقل فتقول: هي الرجال، وهي الأيام وهي الجذوع وهي الجِمال، وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾الحجرات/ ١٤ كما قال: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾آل عمران/ ٤٥

وأما من قرأ (فناداه) بالألف فإنه ذكّر الفعل على المعنى، وقد أجمعوا على التذكير في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ يوسف/٣٠ كما جاء التذكير في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ الأنعام/٩٣ وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم﴾الرعد/ ٢٣ كما أن التفريق بين المؤنث وفعله بالهاء قد قوى التذكير.[١]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى.

(يغشى) من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾آل عمران/١٥٤

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر (يغشى) بالياء. وقرأ حمزة والكسائي (تغشى) بالتاء.[٢]

أما من قرأ بالياء فقد ذكّر الفعل حملاً على تذكير النعاس لأن النعاس هو الذي غشيهم والضمير يعود عليه. وأيضًا لأن النعاس بدل من الأَمَنة فكأن الأَمَنة محذوفة من الكلام لقيام المبدل منها مقامها، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾الأنفال/ ١١ فيغشي أقرب إلى النعاس وإسناد الفعل إليه أولى كما انه الأقرب إلى الفعل.

وأما من قرأ بالتاء فقد رد الفعل إلى الأمنة فأنث الفعل لتأنيث الأمنة فهي المقصودة بالغشيان لهم ولأن الناعس لا يغشاه النعاس إلا ومعه أمنة، وقد تحدث الأمنة ولا نعاس معها، فالأمنة أولى بإضافة الفعل إليها.[٣]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى قد أمَّن الصحابة يوم أُحُد بنعاس غشيهم، وإنما ينعس من يأمن.[٤]

(تكن) من قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾النساء/ ٧٣.

قرأ ابن كثير وحفص (كأن لم تكن) بالتاء. وقرأ الباقون بالياء (كأن لم يكن).[٥]

أما من قرأ بالتاء فلأن الفاعل المسند إليه الفعل مؤنث في اللفظ فحمل على ظاهر اللفظ فأنث الفعل لتأنيث لفظ المودة.

---

(١) يراجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٤٢/١، والحجة للقراء السبعة للفارسي ٣٧/٣-٣٨.

(٢) التيسير للداني ص٩١.

(٣) الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٦٠/١ وانظر الحجة للقراء السبعة للفارسي ٨٨/٣-٨٩.

(٤) فتح القدير للشوكاني ٣٩٢/١.

(٥) التيسير للداني ص٩٦.

وأما من قرأ بالياء، فلأن التأنيث ليس حقيقيًا، ولأنه قد فرق بين المؤنث وفعله بقوله (بينكم وبينه) والتفريق يقوم مقام التأنيث، ويؤيد تذكير الفعل من أجل الفصل قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾هود/ ٦٧، وقوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾البقرة/ ٢٧٥.

ويلاحظ أن قوله تعالى: (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) اعتراض بين المفعول وفعله، فكما أن قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾النساء/٧٢في موضع نصب بالفعل (قال) قبله، كذلك قوله تعالى: (يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما) في موضع نصب بقوله: (ليقولن). واتصال قوله تعالى: (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) إنما هو بقوله تعالى: (قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدا) (..كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) أي لا يعاضدكم على قتال عدوكم ولا يرعى الذمام الذي بينكم.[1]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقسم ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو (وهم المنافقون) فإن أصابتكم مصيبة من قتل أو هزيمة قال: قد أنعم الله على إذ لم أشهد معهم كأن لم يكن بينكم وبينه عهد أو مودة.[2]

(تكن) من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾الأنعام/ ٢٣.

قرأ حمزة والكسائي (ثم لم يكن) بالياء. وقرأ الباقون (ثم لم تكن) بالتاء.[3]

أما من قرأ (ثم لم يكن) فقد ذكّر الفعل، ويجوز تذكير الفعل في هذه القراءة وان كان المسند مؤنثًا لأن تأنيث الفتنة مجازي.

وأما من قرأ (ثم لم تكن) فقد أنّث الفعل لتأنيث لفظ الفتنة.[4]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وقد مضى الحديث عنه عند الحديث عن هذه الآية في المبحث الثالث من الفصل الأول من هذا الباب.

(ولتستبين) من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾الأنعام/ ٥٥.

قرأ حمزة والكسائي وشعبه (وليستبين) بالياء بتذكير الفعل وقرأ الباقون (ولتستبين) بالتاء ورفع سبيل بتأنيث الفعل أما نافع فقد قرأ (لتستبين) بالتاء مع نصب سبيل على الخطاب.[5]

وقد مضى الحديث عن تذكير هذا الفعل وتأنيثه عند الحديث عن هذه الآية في المبحث الثالث من الفصل الأول من هذا الباب.

(توفته) من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾الأنعام/٦١.

قرأ حمزة (توفاه) بألف ممالة. وقرأ الباقون (توفته) بالتاء.

---

(1) الحجة للقراء السبعة للفارسي ١٧١/٣، وانظر الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٩٢/١.

(2) الكشاف للزمخشري ٥٦٤/١-٥٦٥.

(3) التيسير للداني ص١٠١.

(4) الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٢٦/١-٤٢٧ وانظر الحجة للقراء السبعة للفارسي ٢٨٧/٣-٢٩٠.

(5) التيسير للداني ص١٠٢.

أما قراءة حمزة بالألف فقد جاءت على تذكير الفعل بسبب تذكير الجمع وحجته في ذلك أنه فعل متقدم مسند إلى مؤنث غير حقيقي وإنما التأنيث على معنى الجماعة فهو مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ يوسف/٣٠ ، ومثل هذا كثير في القرآن الكريم مما تأنيثه تأنيث الجمع وخط المصحف يحتمل ذلك فإنه بياء غير منقوطة وذلك أصلح للإمالة التي قرأ بها لأن هذه الألف أصلها الياء.

وأما قراءة الجمهور بالتاء (توفته) فقد جاءت على تأنيث معنى الجماعة، جماعة الرسل وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ إبراهيم/ ٩ وقوله عز وجل: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ إبراهيم/١٠ وقوله: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾ الحجرات/١٤ ومثل هذا هو الأكثر في القرآن الكريم.[١]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى.

(استهوته) من قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِي ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ﴾ الأنعام/٧١.

قرأ حمزة (استهواه) بالألف الممالة. وقرأ الباقون (استهوته) بالتاء.[٢]

أما قراءة حمزة (استهواه) فقد جاءت بتذكير الفعل على تذكير الجمع –جمع الشياطين وأما قراءة الجمهور (استهوته) بالتاء فقد جاءت بتأنيث الفعل حملاً على تأنيث لفظ الجماعة.[٣]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى.

(تكون) من قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ الأنعام/١٣٥.

قرأ حمزة والكسائي (من يكون له) بالياء. وقرأ الباقون بالتاء (من تكون له).[٤]

أما من قرأ بالياء (يكون) فقد ذكّر الفعل وذلك لما فرّق بين المؤنث (عاقبة الدار) وفعله بالجار والمجرور (له)، ولأن العاقبة تأنيثها غير حقيقي حيث لا ذكر لها من لفظها.

وأما من قرأ بالتاء (تكون) فقد أنث الفعل لتأنيث العاقبة. وقد ورد التأنيث والتذكير في مثل هذه الأحوال كثيرًا في آي الذكر الحكيم.[٥]

(مَن) في محل نَصب مفعول بتعلمون، ويجوز أن يكون اسم استفهام مبتدأ و(تكون) خبره والجملة في موضع المفعول إن كان تعلمون معديً إلى واحد، أو في موضع المفعولين إن كان يتعدى إلى مفعولين.[٦]

---

(١) يراجع في ذلك: حجة القراءات لأبي زرعة ص٢٥٤-٢٥٥، والحجة للقراء السبعة للفارسي ٣٢١/٣ والكشف لمكي بن أبي طالب ٤٣٥/١.

(٢) التيسير للداني ص١٠٣.

(٣) حجة القراءات لأبي زرعة ص٢٥٦.

(٤) التيسير للداني ص١٠٧.

(٥) يراجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٥٣/١، وحجة القراءات لأبي زرعة ص٢٧٢.

(٦) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٢٦/٤.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: سوف تعلمون من ينال العاقبة المحمودة سواء بالنصر في الدنيا ووراثة الأرض والفوز في الآخرة وتذكير الفعل وتأنيثه متعادلان والتأنيث هو الأصل.

(يكن) من قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ الأنعام/١٣٩

قرأ ابن عامر وشعبه (وإن تكن) بالتاء. وقرأ الباقون (وإن يكن) بالياء.[١]

أما من قرأ بالتاء فقد أنَّث الفعل لتأنيث لفظ الميتة، أو بالنظر إلى الأجنة جمع جنين والمعنى وان تكن الأجنة التي تخرج ميتة.

وأما من قرأ بالياء (يكن) فقد ذكّر الفعل لأن تأنيث الميتة غير حقيقي كما أن (ميتة) و(ميتًا) بمعنى واحد. قال أبو عمرو: (ويقوى هذه القراءة قوله: فهم فيه شركاء ولم يقل: فيها).[٢]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن ما كان في بطون البحائر والسوائب من الأنعام ما ولد منها حيًا فهو خالص للذكور ولا تأكل منه الإناث، وما ولد ميتًا اشترك فيه الذكور والإناث.[٣]

(يكون) من قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ الأنعام/ ١٤٥.

قرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة (إلا أن تكون) بالتاء. وقرأ الباقون (إلا أن يكون) بالياء.[٤]

أما من قرأ بالتاء (تكون) فقد حمله على المعنى لأن المحرم لا بد أن يكون عينًا أو نفسًا أو جثة وهذه كلها مؤنثة فأنث الفعل تبعًا لذلك.

وأما من قرأ بالياء (يكون) فقد حمل الكلام على اللفظ لأن (لا أجد) يدل على نفي الموجود، كما أن الاسم المضمر في (يكون) مذكر وهو قوله تعالى: (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما) ولم يقل محرمة، قال الزجاج: (تقديره إلا أن يكون المأكول ميتةً أو ذلك الشيء ميتةً).[٥]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: قل يا محمد لا أجد فيما أوحي إلي محرمًا على طاعم يطعمه إلا أن يكو الموجود ميتةً أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير.

(تأتيهم) من قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الأنعام/١٥٨.

قرأ حمزة والكسائي (إلا أن يأتيهم) بالياء. وقرأ الباقون بالتاء (تأتيهم).[٦]

---

(١) التيسير للداني ص١٠٧.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٣٣/٤.

(٣) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٥٤/١-٤٥٥، والكشاف للزمخشري ٦٧/٢.

(٤) التيسير للداني ص١٠٨.

(٥) يراجع في ذلك حجة القراءات لأبي زرعة ص٢٧٦، والكشف لمكي بن أبي طالب ٤٥٦/١.

(٦) التيسير للداني ص ١٠٨.

أما من قرأ بالياء فقد ذكر الفعل لتذكير معنى الملائكة، كما أن الملائك والملائكة واحـد، ولا فرق بين الفعل والفاعل بالضمير فقوي التذكير لذلك.

ووجه القراءة بالتاء أنه أنث الفعل لتأنيث لفظ الملائكة، أو لتأنيث لفظ الجماعة والجماعة ممن يعقل في التكسير يجري مجرى ما لا يعقل وذلك يؤنث له الفعل. مثل: هي الأيام، وهي الرجـال، وقالت الأعراب.[١]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى.

---

(١) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٤٥٨.

المبحث الخامس

الاختلافات النحوية في الأفعال بين الغيبة والخطاب وأثرها الدلالي

فيما يلي بيان باختيارات القراء من القراءات الواردة في بعض الأفعال بين الغيبة والخطاب وأثرها الدلالي وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم.

(تعملون) من قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ البقرة/٧٤.

قرأ ابن كثير وحده (عما يعملون) بالياء. وقرأ الباقون بالتاء (عما تعملون).[١]

أما من قرأ بالياء (يعملون) فقد رده على قوله تعالى قبله: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ البقرة/٧١، كما رده على ما بعده من قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ البقرة/٧٥.

فلما كان ما قبله وما بعده على لفظ الغيبة أجراه على ذلك. ولم يجره على قوله (أفتطمعون) لأنه خطاب للمؤمنين و(يعملون) يراد به اليهود.

وأما من قرأ بالتاء (تعملون) فقد رده على الخطاب في ذات الآية من قوله تعالى: (ثم قست قلوبكم) فجرى آخر الكلام على أوله بالخطاب كله لليهود.

(وما الله بغافل عما يعملون) الواو استئنافية و(ما) نافية حجازية تعمل عمل (ليس) الله، اسمها المرفوع (بغافل) الباء حرف جر زائد وغافل مجرور لفظًا بالباء منصوب محلاً على أنه خبر (ما) و(عما) جار ومجرور متعلقان بغافل (تعملون) جملة لا محل لها من الإعراب صلة الموصول.

ويجوز في (بغافل) أن يكون في موضع رفع على أن تكون (ما) تميمية، وقد صحح أبو حيان الأندلسي دخول الباء في خبر المبتدأ بعد (ما) التميمية خلافًا لأبي علي الفارسي والزمخشري.[٢]

وهناك اختلاف في المعنى بين القراءتين: فعلى القراءة بالتاء (تعملون) يكون الخطاب موجهًا إلى اليهود ذاكرًا قسوة قلوبهم بعد الآيات البينات وما يترتب على قسوة قلوبهم من الأعمال الفاسدة فيجيء الوعيد بقوله تعالى: (وما الله بغافل عن أعمالكم أيها الجاحدون بنبوة محمد بل يحصيها عليكم ثم يجزيكم عليها).

وعلى قراءة (يعملون) يحتمل أن يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنّ الله ليس غافلاً عن أعمالهم وأنه سيجازيهم عليها.

كما يجوز أن يكون مع اليهود ويكون ذلك على سبيل الالتفات إذ خرج من الخطاب في قوله تعالى: (ثم قست قلوبكم) إلى الغيبة في قوله (يعملون) وذلك يفيد الإعراض عن مخاطبتهم وإبرازهم في صورة من لا يقبل عليهم بالخطاب لسوء أعمالهم.[٣]

---

(١) التيسير للداني ص٧٤.

(٢) البحر المحيط لابن حيان الأندلسي ١/٢٦٧.

(٣) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٢٤٨ وانظر مجمع البيان للطبرسي ١/٢٨١.

(تعبدون) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾البقرة/٨٣.

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لا يعبدون) بالياء. وقرأ الباقون (لا تعبدون)بالتاء.(١)

أما من قرأ بالياء (لا يعبدون) فقد حمله على لفظ الغيبة قبله من قوله تعالى: (وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل) فهذا إخبار عن غيب، وإجراء الكلام على ما ابتُدئ به أولى وأشبه من الانصراف عنه إلى الخطاب.

وأما من قرأ بالتاء (لا تعبدون) فقد نظر إلى الخطاب الآتي بعده في ذات الآية حيث قال تعالى: (وقولوا للناس حسنا..وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فحكى ما خاطبهم به في كل هذه الكلمات وكلها ألفاظ خطاب ومواجهه فلهذا جاءت القراءة بالتاء على الخطاب على نسق الخطاب في بقية الآية.(٢)

ولا هنا نافية، وتعبدون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل ولا يختلف الإعراب في قراءة يعبدون، وإلا أداة حصر ولفظ الجلالة (الله) في محل نصب بتعبدون، والجملة في محل نصب على البدل من قوله: ميثاق بني إسرائيل والتقدير: أن لا تعبدوا إلا الله، حذفت (أن) فارتفع الفعل، والجملة على قراءة (لا تعبدون) حال عند المبرد وقطرب والتقدير: (غير عابدين إلا الله).

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو توبيخ بني إسرائيل وتقريعهم وتبيين ما أخذ عليهم من عهد وميثاق لعبادة الله والتحلي بمكارم الأخلاق من صلة الأرحام والإحسان إلى المساكين ثم ذكر توليهم عن ذلك ونقضهم لذلك الميثاق.(٣)

(تعملون) من قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾البقرة/ ٨٥.

قرأ نافع وابن كثير وشعبه (يعملون) بالياء. وقرأ الباقون (تعملون) بالتاء.(٤)

أما من قرأ (يعملون) بالياء التحتية فقد حمله على قوله تعالى قبل ذلك: (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب) بلفظ الغائب. وكذلك ما جاء بعد ذلك: (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) فكل ذلك جاء بلفظ الغائب فحمل عليه (وما الله بغافل عما يعملون).

وأما من قرأ بالتاء الفوقية (تعملون) فقد حمله على ما تقدم من لفظ الخطاب في قوله عز وجل: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾البقرة/٨٥ فلما تكرر الخطاب في صدر هذه الآية حمل عليه ختامها (وما الله بغافل عما تعملون).(٥)

---

(١) التيسير للداني ص٧٤.

(٢) الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٤٩/١ وحجة القراءات لأبي زرعة ص١٠٢-١٠٣.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٨٢/١-٢٨٣ ومجمع البيان للطبرسي ٢٩٦/١.

(٤) التيسير للداني ص٧٤.

(٥) الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٥٣/١ وانظر حجة القراءات لأبي زرعة ص ١٠٥ والبحر المحيط لأبي حيان ٢٩٤/١.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو وعظ يفيد أن الله تعالى بالمرصاد لكل كافر وعاصي.

(تقولون) من قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾البقرة/١٤٠.

قرأ حفص وابن عامر وحمزة والكسائي (أم تقولون) بالتاء. وقرأ الباقون (أم يقولون) بالياء.(١)

أما من قرأ بالتاء على الخطاب (أم تقولون) فتحتمل (أم) فيه وجهين:

الأول: أن تكون متصلة والتعادل بين هذه الجمل وبين قوله تعالى: (أتحاجوننا في الله) فالاستفهام عن وقوع أحد هذين الأمرين: المحاجّة في الله، أو الادعاء على إبراهيم ومن معه من الأنبياء أنهم كانوا هودًا أو نصارى وهو استفهام إنكاري يجمل دلالة التوبيخ لأن كلا الأمرين باطل.

والثاني: أن تكون منقطعة فتقدر بـ(بل) والهمزة والتقدير: بل أتقولون، فأضرب عن الجملة السابقة وانتقل إلى الاستفهام عن هذه الجملة اللاحقة على سبيل الإنكار أيضًا فقد نفي القرآن تلك الدعوى في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾آل عمران/٦٧، وقد جاء في التوراة والإنجيل أنهم كانوا على التوحيد والحنيفية، فما يدعيه هؤلاء باطل لا برهان له.

وأما من قرأ بالياء على الغيبة (أم يقولون) فالراجح فيه أن (أم) منقطعة، وحكى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري عن بعض النحاة أنها متصلة لأنك إذا قلت: أتقوم أم يقوم عمرو، أيكون هذا أم هذا؟ وقد رد ابن عطية هذا القول لأن القائل فيه واحد والمخاطب واحد. والقول في الآية من انثين، والمخاطب اثنان غيران، وإنما تتجه معادلة (أم) للألف على الحكم المعنوي كأن معنى: قل أتحاجوننا، أيحاجوننا يا محمد أم يقولون.

والقول في الآية من اثنين يعني: أتحاجوننا من قول الرسول إذ أمران يخاطبهم بذلك. واتقولون بالتاء من قول الله تعالى. والمخاطبان الأول في قوله أتحاجوننا والثاني للرسول وأمته الذين خوطبوا بقوله: أم يقولون. وقال الزمخشري: وفيمن قرأ بالياء لا تكون إلا منقطعة.(٢)

وقد جمع أبو حيان بين القراءتين فقال: (ويمكن الاتصال فيها مع قراءة التاء ويكون ذلك من الالتفات إذ صار فيه خروج من خطاب إلى غيبة والضمير لناس مخصوصين والأحسن أن تكون "أم" في القراءتين معًا منقطعة وكأنه أنكر عليهم محاجتهم في الله ونسبة أنبيائه لليهودية والنصرانية، وقد وقع منهم ما أنكر عليهم ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾آل عمران/ ٦٥ وإذا جعلناها متصلة كان ذلك غير متضمن وقوع الجملتين بل إحداهما وصار السؤال عن تعيين إحداهما وليس الأمر كذلك إذ وقعا معًا).(٣)

---

(١) التيسير للداني ص٧٧.

(٢) الكشاف للزمخشري ١/٢٢٣.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١/٤١٤

وهذا القول يقوي اعتبار (أم) منقطعة في كلا القراءتين.

والاختلاف واضح بين القراءتين فهو على القراءة بالتاء: أتحاجوننا في الله، أم تقولون إن هؤلاء الأنبياء على دينكم وكلا الأمرين باطل. والمعنى على القراءة بالياء تكون أم منقطعة أي بل يقولون أن هؤلاء الأنبياء على دينهم وذلك باطل كذلك.(١)

(يعملون) من قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ البقرة/١٤٤.

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (تعملون) بالتاء. وقرأ الباقون (يعملون) بالياء التحتية.(٢)

أما من قرأ بالتاء (تعملون) على الخطاب فقد أعاد الضمير على المؤمنين المخاطبين قبل ذلك بقوله تعالى: ﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ البقرة/ ١٤٤ ثم قال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ البقرة/١٤٤ أي من توليتكم فارتبط الكلام بما قبله.

وأما من قرأ بالياء (يعملون) على الغيبة فقد أجراه على ما قرب منه من لفظ الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ﴾ البقرة/ ١٤٤ ثم قال: (وما الله بغافل عما يعلمون) أي عما يعمل أهل الكتاب في أمر القبلة ثم جاء بعد ذلك مباشرة: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَ﴾ البقرة/ ١٤٥ ثم قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡ﴾ البقرة/ ١٤٥ ثم ﴿وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖ﴾ البقرة/١٤٥ وقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ البقرة/ ١٤٥ فكل ذلك أتى بلفظ الغيبة فحمل (يعملون) عليه. والتقدير: وما الله بغافل عما يعملون ولئن أتيتهم بكل آية ما تبعوا قبلتك يعني بذلك اليهود وهم غُيَّب وعلى هذه القراءة جاء أكثر الكلام على نسق واحد.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير فهو على القراءة بالتاء أن الله ليس غافلاً عما تعلمون أيها المؤمنون من عمل في شأن القبلة فالمؤمنون منَّ الله عليهم بالقبلة وهم متبعون لنبيهم.

وعلى القراءة بالياء أن اليهود لو أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل آية فإنهم لن يتبعوا قبلته وما الله غافلاً عما يعملون.(٣)

(تعملون) في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ البقرة/ ١٤٩.

قرأ أبو عمرو بالياء (يعملون) على الغيبة. وقرأ الباقون بالتاء (تعملون) على الخطاب.(٤)

مضى الحديث عن اختلاف القراء حول قراءة هذا الفعل بين الغيبة والخطاب وهو في شأن القبلة وذلك في معرض الحديث عن الآية السابقة.

---

(١) فتح القدير للشوكاني ١/١٧٢.

(٢) التيسير للداني ص٧٧.

(٣) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٢٦٧-٢٦٨.

(٤) التيسير للداني ص٧٧.

ولاختلاف القـراءتين في هذه الآية أثر يسيـر على المعنى وهو: ولّ يا محمد وجهـك شطر المسجـد الحرام وولوا وجوهكـم أيها المؤمنون نحو المسجد الحرام وما الله غافلاً عما تعملون في امتثال هذا التكليف الذي هو تحويل القبلة وهو محض التعبد. وذلك على القراءة بالتاء.(١)

وعلى القراءة بالياء أن الله ليس غافلاً عمّا يعمل من يخالفك من اليهود وغيرهم فـي أمـر القبلة، ويؤيد ذلك قـول تعـالى فـي الآيـة التاليـة: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾البقرة/ ١٥٠.

(يرى) من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾البقرة/١٦٥.

قرأ نافع وابن عامر (ترى) بالتاء. وقرأ الباقون (يرى) بالياء.(٢)

أما من قرأ بالتاء الفوقية (ترى) فقد جعله على المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم لأن عليه نزل القرآن فهو مخاطب به أولاً وهو الفاعل لـ(ترى)، ويقوي ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾الزمر/٦٠ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟﴾الأنعام/ ٢٧ وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾الأنفال/٥٠ وكل ذلك محل إجماع على الخطاب للنبي صـلى الله عليه وسلم فجرى هذا على نظائره، والخطاب له صلى الله عليه وسلم خطاب للأمـة بـل للخلـق أجمعين. ويجوز أن يكون الخطاب في هذه الآية للظالمين والتقدير: قل يا محمد للظالم: (ولو ترى الذين ظلموا) فتكون القراءتان بمعنى واحد على هذا التأويل.

وأما من قرأ بالياء التحتية (يرى) فقد أجراه على الغيبة وجعل الفعل للذين ظلمـوا لأنهـم لا يعلمون فداحة ما ينتظرهم من خطب حين يرون العذاب فهم أولى بأن يسند إليهم الفعل –لجهلهم بما يؤول إليه أمرهم– من أن يسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان عالمًا بذلك. وأيضًا فقد تقدم قبل ذلك لفظ غيبة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾البقرة/ ١٦٥ فجرى علـى لفظ الغيبة ثم جاء بعد خبر عن غيب في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾البقرة/ ١٦٧ فأجري كله على نسق واحد.(٣)

ولأبي علي الفارسي فذلكة لطيفة في ترجيح لفظ الغيبة على لفظ الخطاب في هذه الآية وذلك لسببين:

أولهما: أن لفظ الغيبة أشبه بما قبله وبما بعده من حيث النظم فكلاهما جرى على لفظ الغيبة.

وثانيهما: من جهة الإعراب، ذلك أن قوله: (ولو يرى) في قراءة من قرأ باليـاء يحتمـل أن يكون من رؤية البصر فيكون (أن القوة) هي المفعول لأنه حينئذٍ يتعدى لمفعول واحد. ويحتمـل أن

---

(١) البحر المحيط لابن الأندلسي ٤٣٩/١، والكشف لمكي بن أبي طالب ٢٦٨/١-٢٦٩.

(٢) التيسير للداني ص٧٨.

(٣) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٧٢/١-٢٧٣، واملاء ما من به الرحمن للعكبري ٧٣/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٧١/١-٤٧٢.

يكون من رؤية القلب فتسد (أن) وما دخلت عليه مسد المفعولين لأن رؤية القلب في تقدير (علم) المتعدية إلى مفعولين.

ولو قرئ بالتاء –أي على الخطاب– (ولو ترى) يحتمل أن يكون من رؤية البصر فيكون (الذين ظلموا) مفعول (ترى) المتعدي إلى مفعول واحد، فتبقى (أن القوة) لا عامل فيها.

وعلى احتمال أن يكون من رؤية القلب فإنه يكون من باب (علم) المتعدي إلى مفعولين: الأول (الذين ظلموا) ولا مفعول ثان في الكلام. ولا يحسن أن يكون (أن القوة) المفعول الثاني، لأن المفعول الثاني في هذا الباب هو الأول في المعنى، لأنه إنما يدخل على المبتدأ والخبر، وليس (أن القوة) هي (الذين ظلموا) فلا بد حينئذٍ من إضمار فعل يعمل في (أن القوة) تقديره لرأيت يا محمد أن القوة أو لعلمت أن القوة أو لرأوا، أو لعلموا أن القوة. ولا بد في قراءة (ترى) أن يقتصر على رؤية البصر إذ ليس في الكلام مفعول ثانٍ.

وعلى هذا تكون القراءة بالياء أقوى في المعنى، وفي الإعراب، وفي قلة الإضمار.(١) (ولو) الواو استئنافية، ولو شرطية غير جازمة، (يرى) فعل مضارع (الذين) فاعل (ظلموا) جملة فعلية صلة الموصول لا محل لها من الإعراب (إذ) ظرف للزمان الماضي متعلق بيرى (يرون) جملة فعلية في محل جر بالإضافة إلى الظرف والواو فاعل (العذاب) مفعول به أول. والمفعول الثاني تقديره نازلاً بهم وقت رؤيتهم (أن القوة) أنّ واسمها، (لله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر، وأنّ وما دخلت عليه سد مسد مفعولي (يرى).

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح فيكون المعنى على قراءة (ولو يرى): لو يعلم الذين ظلموا حقيقة قوة الله وشدة عذابه (وجواب لو محذوف) تقديره لتبينوا ضرر اتخاذهم آلهة من دونه.

ويكون المعنى على قراءة: (ولو ترى): لو ترى يا محمد الذين ظلموا حال رؤيتهم العذاب وفزعهم منه لعلمت أن القوة لله جميعًا. والنبي صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك فيكون الخطاب للأمة.(٢)

(ستغلبون وتحشرون) من قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ آل عمران: ١٢.

قرأهما حمزة والكسائي (سيغلبون ويحشرون) بالياء. وقرأهما الباقون بالتاء (ستغلبون وتحشرون).(٣)

وحجة من قرأ بالتاء على الخطاب أنه أمر من الله تعالى لنبيه أن يخاطبهم بهذا المعنى فهو خطاب للكفار من النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قيل إن الخطاب لليهود والمشركين لأن كل فريق منهم كافر فخوطبوا بذلك.

---

(١) الحجة للقراء السبعة للفارسي ٢/٢٦٢-٢٦٣.

(٢) فتح القدير للشوكاني ١/١٩١.

(٣) التيسير للداني ص ٨٦.

وحجة من قرأ بالياء على الغيبة أنهم غُيَّب، حين أمر الله نبيه بالقول لهم، ويقوي لفظ الغيبة إجماعهم على قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾الأنفال/ ٣٨ وإجماعهم على الياء من قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ ﴾الجاثية/ ١٤ وقوله سبحانه: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾النور/٣٠.[١]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن يخبر الكفار بأنهم سيغلبون ويحشرون إلى جهنم وقد وقع ذلك بهم.[٢]

(يرونهم) من قوله تعالى: ﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِ ﴾آل عمران/ ١٣.

قرأ نافع بالتاء (ترونهم) وقرأ الباقون (يرونهم) بالياء.[٣]

أما من قرأ بالتاء فقد جعله على الخطاب لورود خطاب قبله في قوله تعالى (قد كان لكم) فجرى (ترونهم) على الخطاب في (لكم)، ويمكن أن يكون الخطاب للمسلمين، وضمير النصب في (ترونهم) وضمير الجر في (مثليهم) عائدين على الكافرين والتقدير: ترون أيها المؤمنون الكافرين مثلي ما هم عليه من العدد فيكون ذلك أبلغ في التأييد للمسلمين إذ إنهم رأوا المشركين مثلي عددهم ومع ذلك نصرهم الله عليهم. واستبعدوا هذا المعنى لأنهم جعلوا هذه الآية وآية الأنفال قصة واحدة فهناك نص على أن الله تعالى قلل المشركين في أعين المؤمنين. ويحتمل أن يكون المعنى: ترون أيها المسلمون المشركين مثليكم في العدد، وقد كانوا ثلاثة أمثالهم فقللهم الله في أعين المسلمين لتقوى أنفسهم ويجسروا على لقائهم، وتصديق هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا ﴾الأنفال/ ٤٤.

وأما من قرأ بالياء على الغيبة، فقد أجراه على لفظ الغيبة قبله وهو قوله تعالى: (فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة) فالرؤية للفئة المقاتلة في سبيل الله والمرئية الفئة الكافرة فضمير الجر في (مثليهم) للفئة المقاتلة في سبيل الله، والمعنى: يُري الفئة المقاتلة في سبيل الله الفئة الكافرة مثلي الفئة المؤمنة، وقد كانت الفئة الكافرة ثلاثة أمثال الفئة المؤمنة فقللهم الله في أعينهم فصاروا مثلين، وقد ضمن الله الغلبة للمؤمنين في مثل هذه الأحوال بقوله: ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِ ﴾ الأنفال/ ٦٦.

ويكون الخطاب حينئذٍ في لكم لليهود وانتصاب (مثليهم) على الحال لأن (ترى) من رؤية البصر بدلالة (رأي العين) وهو لا يتعدى إلى مفعولين. و(رأي العين) مفعول مطلق مؤكد لفعله،

---

(١) الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٣٥/١-٣٣٦، والحجة للفارسي ١٨/٣.

(٢) الكشاف للزمخشري ٣٦٨/١.

(٣) التيسير للداني ص ٨٦.

وجملة (ترونهم) يجوز أن تكون في موضع جر نعتًا لفئتين لأن فيها ضميرًا يعود عليهما. ويجوز أن تكون في موضع نصب حالاً من الكاف في لكم.(١)

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى لكثرة الاحتمالات المترتبة على (مثيلهم) قال العكبري: (وأما القراءة بالياء فيجوز أن يكون في معنى التاء إلا أنه رجع من الخطاب إلى الغيبة والمعنى واحد.)(٢)

(وضعت) من قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ آل عمران/ ٣٦.

قرأ ابن عامر وشعبه (وضعْتُ) بإسكان العين وضم التاء. وقرأ الباقون (وضعَتْ) بفتح العين وإسكان التاء.(٣)

أما من ضم التاء فقد جعله من كلام أم مريم لاتصال كلامها وما بعده في قوله قبل ذلك: (رب إني وضعتها أنثى) ثم قال بعد ذلك (وليس الذكر كالأنثى، وإني سميتها مريم، وإني اعيذها بك) فكله من كلام أم مريم فحمل وسط هذا الكلام على أوله وعلى آخره وحسن ذلك للمطابقة والمجانسة.

وأما من قرأ بإسكان التاء فقد جعله من كلام الله عز وجل فالله تعالى يعلم ذلك قالته أم لم تقله. ويقوي ذلك أنه لو كان من قول أم مريم لكان السياق يقتضي أن تقول: وأنت أعلم بما وضعتُ لأنها نادته في أول الكلام بقولها: (رب إني وضعتها) والمنادي مخاطب فلما قال: (والله أعلم) كان الإخبار عنه نفسه تعالى فقال (وضعَتْ) والجملة على هذا اعتراضية. الله مبتدأ وأعلم خبر وبما جار ومجرور متعلقان بأعلم، وجملة وضعت لا محل لها من الإعراب صلة (ما).

والاختلاف بين مدلول القراءتين يسير فالقراءة بضم التاء تفيد الاعتذار لا الإعلام وهي التفات من الخطاب إلى الغيبة.

والقراءة بإسكان التاء تفيد التنبيه على عِظم قدر هذا المولود والتجهيل لها بقدر ما وُهب لها منه.

وعلى كلا القراءتين فالله تعالى أعلم بما وضعت وبقدره وبما سيؤول إليه أمره الذي كان في طي الغيب.(٤)

(يُعلِّمه) من قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ آل عمران/ ٤٨.

قرأ نافع وعاصم (ويُعلِّمه) بالياء. وقرأ الباقون (ونُعلِّمه) بالنون.

---

(١) يراجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٣٦/١ و البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣٩٤/٢.

(٢) املاء ما من به الرحمن للعكبري ١٢٦/١

(٣) التيسير للداني ص ٨٧.

(٤) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٤٠/١ و املاء ما من به الرحمن للعكبري ١٣١/١.

أما من قرأ بالياء (ويعلمه) على الغيبة فقد رده على لفظ الغيبة قبله من قوله تعالى: (إن الله يبشرك) أي يبشرك بعيسى ويعلمه الكتاب، وأيضًا فإن قبله ﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾آل عمران/٤٧ وقوله: (إذا قضى أمرًا) فكله بلفظ الغيبة فجرى (ويعلمه) على ذلك.

وأما من قرأ بالنون (ونعلمه) على الخطاب فقد حمله على الإخبار من الله تعالى عن نفسه أنه يعلمه الكتاب وحسن ذلك لأنه قبله إخبارًا من الله عن نفسه في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾آل عمران/ ٤٠ فهو إخبار من الله تعالى عن نفسه لأنه هو الذي يعلمه وحسن ذلك لمجيئه على لفظ المخبر للتفخيم والتعظيم.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى فالله تعالى هو الذي يعلمه الكتاب وقيل الخط وقيل الكتب المنزلة من عند الله تعالى و(أل) للجنس.[١]

(فيوفيهم) من قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ ﴾آل عمران/٥٧

قرأ حفص بالياء (فيوفيهم) وقرأ الباقون بالنون (فنوفيهم).

أما من قرأ بالنون فقد حمله على الإخبار عن الله تعالى لأن قبله إخبارًا عنه سبحانه في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ ﴾آل عمران/ ٥٦ فقوله (فنوفهم) بالنون في المعنى مثل (فأعذبهم) ولكنه جاء بالنون الدالة على التعظيم للمتكلم ولم يأت بالهمزة كما جاء في الآية السابقة ليخالف في الإخبار بين النسبة الاسنادية فيما يفعله بالكافر وبالمؤمن كما خالف في الفعل، ولأن المؤمن العامل للصالحات عظيم عند الله فناسبه الإخبار عن المُجازِي بنون العظمة.[٢] ثم جاء بعد ذلك إخبار أيضًا في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ ﴾آل عمران/ ٥٨ فحمل الكلام على نسق واحد أوسطه كأوله وآخره.

الواو عاطفة، (أما) حرف شرط وتفصيل. والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة الموصول وعملوا الصالحات عطف والفاء رابطة لجواب (أما) ويوفيهم مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) على قراءة (الياء) و(نحن) على قراءة (النون) والهاء مفعول به أول وأجورهم مفعول به ثان والجملة خبر للذين.

وأما من قرأ بالياء فقد حمله على ما قبله من لفظ الغيبة في قوله عز وجل: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾آل عمران/٥٥ أو على سبيل الالتفات من الخطاب في قوله: (فأعذبهم) إلى الغيبة في (فيوفيهم).[٣]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى سيجزي عباده المؤمنين بأحسن ما كانوا يعملون.

---

(١) الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٤٤/١، وانظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٦٣/٢-٤٦٤.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٧٥/٢.

(٣) الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٤٥/١ وانظر الحجة للقراء السبعة للفارسي ٤٥/٣.

(يبغون) (يرجعون) من قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ آل عمران/ ٨٣.

قرأ حفص وأبو عمرو (يبغون) بالياء. وقرأ حفص (وإليه يرجعون) بالياء. وقرأ الباقون بالتاء فيهما على الخطاب.[١]

أما من قرأ بالتاء فقد أجراه على الخطاب لهم، قال أبو علي الفارسي: (هذا مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم بدلالة قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ آل عمران/٨٤ فإذا كان كذلك كان هذا حجةً لمن قرأ بالتاء على تقدير: قل لهم: "أفغير دين الله تبغون" "وإليه ترجعون")[٢] أمر الله تعالى نبيه الكريم أن يقول لهم ذلك لأنهم كانوا ينكرون البعث وينتحلون غير دين الله.

وأما من قرأ بالياء فقد جعله إخبارًا عن غُيَّب لأنهم لم يكونوا حاضرين، وأيضًا فإن قبله لفظ غيبة في قوله عز وجل: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ آل عمران/ ٨٢ وقوله (فمن تولى بعد ذلك) فجرى الكلام على ما قبله من لفظ الغيبة.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو استفهام إنكاري للكفار: أفغير دين الله يبغون والتقدير: أتتولون فغير دين الله تبغون وله اسلم من في السموات ومن في الأرض وفي الكلام على القراءتين دلالة التهديد والوعيد.[٣]

(يفعلوا، يُكفروه) من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ آل عمران/١١٥.

قرأهما حفص وحمزة والكسائي بالياء (وما يفعلوا من خير فلن يُكفروه) وقرأهما الباقون بالتاء.[٤]

أما من قرأ بالتاء فقد رده على الخطاب الذي قبله في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران/ ١١٠ ثم جاء قوله تعالى: (وما تفعلوا من خير فلن تُكفروه) وقد أجمع القراء على آيات مماثلة منها: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ البقرة/ ٢٧٢ و ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ البقرة/١٩٧ وكلها في ذات المعنى فجرى الخطاب على ذلك.

وأما من قرأ بالياء فقد رده على لفظ الغيبة الأقرب إليه من لفظ الخطاب وذلك قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ آل عمران/١١٣ - ١١٤ ثم جاء قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ آل عمران/ ١١٥ فذلك كله لفظ غيبة متصل على نسق واحد بدون فاصل، فذلك أولى به من لفظ الخطاب الذي بَعُد عنه.[٥]

---

(١) التيسير للداني ص ٨٩.

(٢) الحجة للقراء السبعة للفارسي ٣/٦٩-٧٠.

(٣) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٥٣، وتفسير البيضاوي ١/١٦٨.

(٤) التيسير للداني ص ٩٠.

(٥) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٥٤.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن من يفعل الخير فلن يُحرم ثوابه. ويلاحظ أن (يكفروه) قد عُدي إلى مفعولين وهو لا يتعدى في أصل وضعه إلا إلى واحد ولكن ضُمِّن دلالة الحرمان كأنه قيل: فلن يُحْرَموه.

(تعملون) من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾آل عمران/ ١٥٦.

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء (يعملون) وقرأ الباقون بالتاء (تعملون).(١)

أما من قرأ بالياء (يعملون) فقد رده على لفظ الغيبة الذي قبله في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾آل عمران/١٥٦ ثم قال: ﴿لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾آل عمران/ ١٥٦.

وأما من قرأ بالتاء (تعملون) فقد رده على لفظ الخطاب في قوله تعالى: (لا تكونوا كالذين كفروا) فالضمير في (تعملون) للمؤمنين، وفي (يعملون) للكفار.(٢)

أثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير، ويلاحظ أن ذلك علق بالبصر لا بالسمع على رغم أن الصادر من الكفار قول مسموع لا عمل مرئي (وقالوا لإخوانكم) ولما كان ذلك القول قصد منه إلى عمل يحاولونه وهو عدم الخروج في سبيل الله فقد خص البصر بذلك، وهو وعيد للمنافقين على القراءة بالياء، ونهى للمؤمنين ألا يكونوا كالكافرين على القراءة بالتاء.(٣)

(يجمعون) من قوله تعالى: ﴿لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾آل عمران/١٥٧.

قرأ حفص بالياء (يجمعون). وقرأ الباقون بالتاء (تجمعون).(٤)

أما من قرأ بالياء فقد حمله على لفظ الغيبة على معنى: لمغفرة من الله لكم ورحمة خير مما يجمع غيركم ممن ترك القتال في سبيل الله و اشتغل بجمع الدنيا و لم يقاتل معكم.

و أما من قرأ بالتاء فقد رده على الخطاب الذي قبله في قوله تعالى:(ولئن قتلتم في سبيل الله أومتم) ليكون المعنى: لمغفرة من الله ورحمة خير لكم مما تجمعون من أعراض الدنيا لو بقيتم. وفي ذلك مشاكلة لأول الكلام بآخره.(٥)

و الاختلاف بين القراءتين يسير على المعنى وهو أن ما ينتظر المقتول في سبيل الله من رحمة خير له مما يجمع غيره من الدنيا على القراءة (بالياء) أو مما يجمع هو لو بقى على قيد الحياة على القراءة (بالتاء)

(يحسبن) من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡ﴾آل عمران/ ١٧٨.

قرأ حمزة بالتاء (تحسبن) وقرأ الباقون بالياء (يحسبن).(٦)

---

(١) التيسير للداني ص٩١.

(٢) الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٦١/١.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٩٥/٣.

(٤) التيسير للداني ص ٩١.

(٥) الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٦٢/١،و الحجة للقراء السبعة للفارس ٩٤/٣

(٦) التيسير للداني ص ٩٢

أما من قرأ بالياء فقد أسند الفعل إلى(الذين كفروا) فهم الفاعلون ، وذلك بالنظر إلى تقدم ذكرهم قبل هذه الآية في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾آل عمران/ ١٧٦ وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾آل عمران/ ١٧٧ فالفاعلون هم (الذين كفروا) وقوله تعالى:(أنما نملي) يسد مسد مفعولي (حسب) و (ما) في (إنما) موصولة بمعنى الذي والهاء محذوفة من (نملي) لأنه صلة (ما). و يجوز أن تكون (ما) وما بعدها في تأويل مصدر فلا يقدر حذف الهاء. و التقدير: ولا يحسبن الذين كفروا أن الذي نملى لهم خير لأنفسهم. والتقدير على تأويل المصدر: ولا يحسبن الذين كفروا أن الإملاء خير لهم.

وأما من قرأ بالتاء فقد جعله خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الفاعل و(الذين كفروا) مفعول أول للفعل (حسب) و(أنما نملى) بدل من (الذين) في موضع نصب فيسد مسد المفعولين كما يسد لو لم يكن بدلا، و(ما) بمعنى الذي والهاء محذوفة من (نملي) والتقدير: ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا أن الذي نمليه لهم خير لأنفسهم، ويكون التقدير إذا حذفنا المبدل منه: ولا تحسبن يا محمد أن الذي نمليه للذين كفروا خير لهم.

ولا يجوز على هذه القراءة أن نجعل (ما) والفعل مصدرًا مؤولاً لأن المفعول الثاني في هذا الباب هو الأول في المعنى. والإملاء غير الذين كفروا إلا إذا قدرنا مع المفعول الأول حذف مضاف هو الإملاء في المعنى (شأن) أو (حال) ويكون التقدير ولا تحسبن يا محمد شأن الذين كفروا الإملاء هو خير لهم، أو تضمر (حال الذين كفروا) أو (أمر الذين كفروا) مما يكون الإملاء فيه هو المعنى.

ويجوز في القراءة بالياء أن الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم كالتاء على تقدير: ولا يحسبن محمد الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم فتكون القراءتان بمعنى واحد.(١)

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح فهو على القراءة بالياء (يحسبن). لا يحسبن الكافرون إنما نملي لهم بطول العمر ورغد العيش أو بما أصابوا من الظفر يوم أحد خير لأنفسهم فليس الأمر كذلك إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين.

وعلى القراءة بالتاء: لا تحسبن يا محمد أن الإملاء للذين كفروا خير لأنفسهم بل هو شر واقع عليهم ونازل بهم.(٢)

(يحسبن) من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾آل عمران/ ١٨٠

قرأ حمزة بالتاء (تحسبن) وقرأ الباقون بالياء (يحسبن).(٣)

وجه القراءة بالياء أنه على إضافة الفعل إلى (الذين يبخلون) فهم الفاعلون وذلك على الغيبة، والمفعول الأول للفعل (يحسب) محذوف، والتقدير: ولا يحسب الذين يبخلون البخل خيرًا لهم، فحذف البخل لدلالة يبخلون عليه. ويجوز أن يكون الفعل للنبي صلى الله علليه وسلم على تقدير: ولا يحسبن محمد بخل الذين يبخلون هو خير لهم.

---

(١) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٦٥-٣٦٦.

(٢) فتح القدير للشوكاني ١/٤٠٣.

(٣) التيسير للداني ص ٩٢.

ووجه القراءة بالتاء انه على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فهو الفاعل و(الذين يبخلون) مفعول به أول للفعل (تحسب) على تقدير حذف مضاف أي (بخل الذين) ولا بد من الإضمار في القراءتين جميعًا ليكون المفعول الثاني هو الأول في المعنى لأن (الذين) غير (خير). ولا بد من إضمار شيء يكون خبرًا في المعنى والنفي إنما وقع على أن البخل ليس هو خيرًا لهم و(خيرًا) هو المفعول الثاني، و(هو) ضمير فصل لا محل له من الإعراب.[1]

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح فالقراءة بالياء تعني لا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرًا لهم، بل هو شر لهم وسيحملون عقاب ما بخلوا به.

والقراءة بالتاء تعني: ولا تحسبنّ يا محمد بخل الذين يبخلون خيرًا لهم بل هو شر لهم.

(تعملون) من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ آل عمران/ ١٨٠.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء (يعملون). وقرأ الباقون بالتاء (تعلمون).[2]

أما من قرأ بالياء فقد اتبعه ما قبله وهو لفظ الغيبة في قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ آل عمران/ ١٨٠ ثم جاء (والله بما يعملون خبير) بسبب منعهم الحقوق من أموالهم فيجازيهم على ذلك.

وأما من قرأ بالتاء (تعلمون) فلأن قبله خطابًا هو قوله تعالى: ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ آل عمران/ ١٧٩ قال الفارسي: (فالغيبة أقرب إليه من الخطاب)[3] وقال أبو حيان: (وقرأ الباقون بالتاء على الالتفات فيكون ذلك خطابًا للباخلين).[4]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى باعتبار أن القراءة بالتاء التفاتًا لأن ختم الآية بهذه الصفة يحمل معنى التهديد والوعيد على قبيح مرتكبهم من البخل على كلا القراءتين.[5]

(لتبيننه للناس ولا تكتمونه) من قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ آل عمران/ ١٨٧

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر شعبه (ليُبيننه للناس ولا يكتمونه) بالياء. وقرأ الباقون بالتاء.[6]

أما من قرأ بالياء فقد حمله على لفظ الغيبة لأن المخبر عنه غائب وردوه إلى ما تقدم من ذكر الغيبة القريبة منه في قوله تعالى: (الذين أوتوا الكتاب) وعلى ما أتى بعده من لفظ الغيبة في قوله

---

(1) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٦٦-٣٦٧.

(2) التيسير للداني ص٩٢.

(3) الحجة للقراء السبعة للفارسي ٣/١١٣.

(4) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣/١٢٩.

(5) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٦٩.

(6) التيسير للداني ص٩٣.

سبحانه: (فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلاً فبئس ما يشترون) فجاء كله بلفظ الغيبة فحمل ما قبله عليه لينتظم الكلام على سنن واحد ويأتلف على طريقة واحدة.

وأما من قرأ بالتاء فقد حمله على الخطاب لأن في القراءة بالتاء معنى المواجهة وتوكيد الأمر والتقدير: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب، فقال لهم: لتبيننه للناس ولا تكتمونه.[1]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى سوى توكيد الأمر في القراءة بالتاء والآية في مجملها جاءت في معرض التوبيخ لأهل الكتاب الذين أخذ الله تعالى عليهم العهد لتبيين الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم وجحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو مكتوب عندهم.

(تحسبن) من قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾آل عمران/١٨٨.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتاء (لا تحسبنّ). وقرأ الباقون بالياء (لا يحسبنّ).[2]

أما من قرأ بالياء فقد أضاف الفعل إلى (الذين يفرحون) فالذين فاعلون ولم يُعدَّ (يحسبنّ) إلى شيء وقد كره ذلك الاخفش لأن تعديته أعظم في الفائدة. لكن من قرأ (فلا يحسبنهم) بالياء أيضًا يجوز أن يكون أبدل (فلا يحسبنهم) من (لا يحسبنَّ الذين يفرحون) وقد تعدى (فلا يحسبنهم) إلى مفعولين، فاستغنى بذلك عن تعدي (لا يحسبن) لأن المبدل منه قام مقامه في التعدي ولا تمنع الفاء البدل لأنها زائدة ولأنها ليست عاطفة وليست التي تدخل في جواب الشرط فهي زائدة.

فأما من قرأ الثاني بالتاء والأول بالياء فلا يحسن فيه البدل لاختلاف فاعليهما ففي هذه الحالة لا يكون الفعل الأول متعديًا إلى شيء فهو كمن يقول حسبت وعلمت وظننت فيخبر أنه وقع منه حسبان وعلم وظن ولا يخبر على أي شيء وقع ذلك. فالكلام فيه فائدة وإن لم يعدَّ الفعل، لكن الفائدة مع تعدي الفعل أعظم وأبين. وحسن ترك تعدي الأول في هذا لدلالة تعدي الثاني على ذلك وهو (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) وكأن مفعولي الأول حذفا لدلالة مفعولي الثاني عليهما والتقدير: لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، بمفازة من العذاب فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب، ثم حذف الأول لدلالة الثاني عليه.

وأما من قرأ بالتاء فقد أضاف الفعل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجرى على المخاطبة و(الذين يفرحون) مفعول أول، لـ(حسب) وحذف الثاني لدلالة ما بعده عليه وهو قوله: (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) ويجوز أن يكون المفعول الثاني قوله: بمفازة من العذاب الذي بعد (تحسبنهم) يراد به التقديم ويكون مفعول (تحسبنهم) محذوفًا لدلالة الأول عليه، كأن تقول: ظننت زيدًا ذاهبًا وظننت عمرًا. ويحسن أن يكون (تحسبنهم) في قراءة من قرأ بالتاء بدلاً من (لا تحسبن) لاتفاق الفاعلين. والفاء زائدة، فإذا حسن البدل فمفعولا (تحسبنهم) هما مفعولا (لا تحسبنَّ) لأن المبدل منه كأنه لم يذكر، فأما من قرأ (لا تحسبنّ) بالتاء وقرأ (فلا يحسبنهم) بالياء فلا يحسن فيه البدل كما مرّ لاختلاف الفاعلين ولكن لا بد من حذف مفعولي (لا يحسبنّ) لدلالة مفعولي (فلا

---

(1) الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٧١/١.

(2) التيسير للداني ص ٩٢.

تحسبنهم) على ذلك. ويكون (بمفازة من العذاب) هو المفعول الثاني لقوله (لا يحسبن) ويكون المفعول الثاني لقوله (فلا تحسبنهم) محذوفًا لدلالة الأول عليه.(١)

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح حيث اسند الفعل على القراءة بالياء إلى الذين يفرحون على سبيل الغيبة..بينما أسند الفعل على قراءة التاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الخطاب ليكون (الذين يفرحون) مفعولا أول للفعل (حسب).

(تحسبنهم) من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آل عمران/ ١٨٨.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (فلا تحسبُنَهم) بالياء وضم الباء. وقرأ الباقون بالتاء وفتح الباء (تحسبنهم).(٢)

مضى الحديث عن اختلاف القراءتين لهذا الفعل عند الحديث عن اختلاف القراء حول قراءة الفعل (تحسبن) في ذات الآية.

وقد ضُمت الباء في قراءة ابن كثير وأبي عمرو لهذا الفعل (تحسبُنّهم) لتدل على الواو المحذوفة التي للجمع التي حذفت لسكونها وسكون أول المشدد وهو النون وقد أثبتوا الواو مع المشدد في قوله تعالى: ﴿أَتُحَاجُّونِّي﴾ الأنعام/٨٠ وقامت المدة هنا مقام الحركة.وإنما لم تثبت في (تحسبُنّهم) وتمد للتشديد لأنها قد حذفت مع النون الخفيفة في قولك: لا تحسبن زيدًا قائمًا، فلما حذفت الواو مع الخفيفة ولم تمد كان حذفها مع المشدد لازمًا.

وإنما لم تحذف الواو في (أتحاجّونّي) في قراءة من شدّد كما حذفت في (تحسبُنّهم) لأن النون في (أتحاجّونّي) أصلها الحركة والإسكان عارض دخل للإدغام، وليست كذلك نون (تحسبُنّهم) فأصل الأول في المشدد السكون لا الحركة لأن الفعل أمر.(٣)

(يدخله) من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ النساء/ ١٣. **وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾** النساء/ ١٤.

قرأ نافع وابن عامر (ندخله) بالنون فيهما. وقرأ الباقون بالياء (يدخله).(٤)

أما من قرأ بالنون فقد أجرى الكلام على الإخبار من الله عز وجل عن نفسه بعد لفظ الغيبة وذلك كثير في القرآن الكريم.

وأما من قرأ بالياء فقد رد آخر الكلام على أوله فلما أتى أوله بلفظ الغيبة في قوله تعالى: (ومن يطع الله ورسوله) قال: (يدخله جناتٍ) وقوله تعالى: (ومن يعص الله ورسوله) قال: (يدخله نارًا خالدًا فيها) بلفظ الغيبة فيهما ليأتلف الكلام على نسق واحد وذلك أليق بسياق الكلام.(٥)

---

(١) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٦٧-٣٦٨.

(٢) التيسير للداني ص ٩٣.

(٣) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٧١-٣٧٣.

(٤) التيسير للداني ص٩٤.

(٥) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٨٠ وانظر الحجة للقراء السبعة للفارسي ٣/١٤٠.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى إذ الفاعل في كلا الحالين هو الله تبارك وتعالى سواء بلفظ الغيبة أو بلفظ الإخبار.

(تظلمون) من قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ النساء/ ٧٧.

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (ولا يظلمون) بالياء. وقرأ الباقون بالتاء (ولا تظلمون).[١]

أما من قرأ بالياء فقد حمله على ما تقدم من ذكر الغيبة في أول الآية وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟﴾ النساء/ ٧٧ ثم قال:(والآخرة خير لمن اتقى ولا يظلمون فتيلا.)

وأما من قرأ بالتاء على الخطاب فكأنه ضمّ إليهم في الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فغُلّب الخطاب على الغيبة، ويؤكد الخطاب قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ النساء/ ٧٧. وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ومخاطبة النبي خطاب للأمة.[٢]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: أن الآخرة خير لكم من المتاع القليل في الدنيا ولا تظلمون شيئًا ولو كان حقيرًا يسيرًا.[٣]

(نؤتيه) من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء/ ١١٤.

قرأ حمزة وأبو عمرو (فسوق يؤتيه) بالياء. وقرأ الباقون بالنون (نؤتيه).[٤]

أما من قرأ بالياء فقد رده إلى لفظ الغيبة الذي قبله في قوله تعالى: (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف يؤتيه) أي: فسوف يؤتيه الله أجرًا عظيمًا.

وأما من قرأ بالنون فقد أجراه على الإخبار من الله تعالى عن نفسه وذلك كثير في القرآن الكريم مثل قوله سبحانه: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ آل عمران/١٥١ بعد قوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ آل عمران/ ١٥٠. والقراءة بالنون هي التفات من الغيبة إلى التكلم ليناسب ما بعده من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ النساء/ ١١٥ فيكون إسناد الثواب والعقاب إلى ضمير المتكلم العظيم.[٥]

(يؤتيهم) من قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ النساء/ ١٥٢.

قرأ حفص (يؤتيهم) بالياء. وقرأ الباقون (نؤتيهم) بالنون.[٦]

أما من قرأ بالياء فقد حمله على لفظ الغيبة لتقدم ذكر اسم الله تعالى في صدر الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ النساء/١٥٢ ثم قال: (سوف يؤتيهم).

---

(١) التيسير للداني ص٩٦.

(٢) الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٩٣/١ وانظر الحجة للقراء السبعة للفارسي ١٧٢/٣.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٥٦٤/١.

(٤) التيسير للداني ص٩٧.

(٥) الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٩٧/١ وانظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣٤٩/٣.

(٦) التيسير للداني ص٩٨.

وأما من قرأ بالنون (نؤتيهم) فقد جعله إخبارًا من الله تعالى عن نفسه.[١]

أي: نحن نؤتيهم. ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى.

(يبغون) من قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾المائدة/ ٥٠.

قرأ ابن عامر بالتاء (تبغون). وقرأ الباقون بالياء (يبغون).[٢]

أما من قرأ بالياء (يبغون) فقد أجراه على الغيبة في قوله تعالى: (﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾المائدة/ ٤٩ وقوله: ﴿ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾المائدة/٤٩ والكلام على هذا يرتبط بعضه ببعض ويطابق بعضه بعضًا.

وأما من قرأ بالتاء (تبغون) فقد جعله على الخطاب بمعنى قل لهم يا محمد: أفحكم الجاهلية تبغون.

ولا أثر الاختلاف القراءتين على المعنى وهو استفهام على سبيل الإنكار على اليهود لأنهم أهل كتاب فيه تحليل وتحريم من الله تعالى ومع ذلك يعرضون عنه ويختارون حكم الجاهلية.[٣]

(يستطيع) من قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾المائدة/١١٢.

قرأ الكسائي بتاء الخطاب: (هل تستطيع ربَّك) ونصب باء ربك مع إدغام لام هل في التاء على أصله في الإدغام. وقرأ الباقون (هل يستطيع ربُك) بياء الغيبة ورفع الباء.[٤]

أما من قرأ بالتاء فقد أجراه على مخاطبة الحواريين لعيسى عليه السلام، وفيه معنى التعظيم للرب تبارك وتعالى إذ هو سبحانه مستطيع وقادر على ذلك والمعنى: هل تستطيع يا عيسى سؤال ربك على معنى: هل تفعل هل تفعل لنا ذلك ولابد من إضمار السؤال، إذ لا يجوز أن يقال: هل تستطيع أن يفعل غيرك كذا؟ فأن وما دخلت عليه في محل نصب مفعول بالمصدر المحذوف وهو السؤال. والتقدير: هل تستطيع سؤال ربك؟ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

وأما من قرأ بالياء (هل يستطيع ربك) فليس على أنهم شكوا في قدرة الله تبارك وتعالى على ذلك لأنهم كانوا مؤمنين عارفين. ولكن كأنهم قالوا: نحن نعلم قدرته على ذلك فليفعله بمسألتك إياه ليكون ذلك دليلاً على صدق رسالتك حتى لا تنازعهم شبهة في أمره عليه السلام ويؤيد ذلك قولهم: ﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ المائدة/ ١١٣كما قال إبراهيم عليه السلام من قبل: ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ البقرة/ ٢٦٠ وقد كان يعلم يقينا أن الله تعالى قادر على أحياء الموتى فأراد علم المعاينة أو عين اليقين التي لا يعترضها إشكال ولا شبهة.

---

(١) حجة القراءات لأبي زرعة ص٢١٨.

(٢) التيسير للداني ص٩٩.

(٣) الكشف لمكي بن أبي طالب ٤١١/١ وانظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٥٠٤/٣.

(٤) التيسير للداني ص ١٠١.

وأثر اختلاف القراءتين يسير وهو على القراءة بالتاء: هل تستطيع سؤال ربك أن يفعل ذلك أو هل تفعل لنا ذلك.

والمعنى على القراءة بالياء هل يفعل ربك ذلك بمسألتك تصديقًا لرسالتك.(١)

(تعقلون) من قوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ الأنعام/٣٢.

قرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء (تعقلون). وقرأ الباقون بالياء (يعقلون).(٢)

أما من قرأ بالياء (يعقلون) فقد رده على لفظ الغيبة قبله من قوله تعالى: (خير للذين يتقون) على معنى: أفلا يعقل الذين يتقون أن الدار الآخرة خير لهم من هذه الدار فلا يفترون عن طلب ما يوصل إليها.

وأما من قرأ بالتاء (تعقلون)فقد جعله خطابًا للذين أخبر عنهم. بما قبله على سبيل الالتفات، أو أنه خطاب مواجهة لمن كان بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من منكري البعث.(٣)

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الحياة الدنيا كاللهو واللعب لا طائل وراءها وأن الدار الآخرة هي دار القرار والخير أفلا تعقلون ذلك.(٤)

(أنجانا) من قوله تعالى: ﴿تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الأنعام/٦٣.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي (لئن أنجانا) بالألف. وقرأ الباقون (لئن أنجيتنا) بالياء والتاء.(٥)

أما من قرأ بالألف (أنجانا) فقد أجراه على لفظ الغيبة مراعاة لقوله تعالى: (تدعونه) وقوله بعد ذلك: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ الأنعام/ ٦٤ وبعد ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ﴾ الأنعام/٦٥ والضمير في كل ذلك للغائب. وأمال حمزة والكسائي ألف (أنجانا) لأن أصلها الياء إذ هي رابعة. وحجة من قرأ بالألف أنها في مصحف الكوفة بالألف من غير تاء.

وأما من قرأ أنجيتنا بالتاء بعد الجيم والتاء، فقد أجراه على الخطاب أي لئن أنجيتنا يا ربنا وقد حملوه على ما أجمعوا عليه في سورة يونس ﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ يونس/ ٢٢ فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه، وهو أبلغ في الدعاء والابتهال والسؤال، كما أنها في مصاحف تلك الأمصار بالياء والتاء.(٦)

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو دعاء وتضرع إلى الله تعالى لئن كتب لهم النجاة من هول البحر ليكونن من الشاكرين، والجملة في محل نصب على تقدير القول أي: قائلين لئن أنجانا من هذه الشدة.(٧)

---

(١) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٢٣/١ والحجة للقراء السبعة للفارسي ٢٧٣/٣-٢٧٤ والبدور الزاهرة للنشار ٣٠٩/١-٣١٠ واملاء ما من به الرحمن للعكبري ٢٣٢/١.

(٢) التيسير للداني ص ١٠٢.

(٣) الحجة للقراء السبعة للفارسي ٢٩٧/٣ وانظر الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٢٩/١.

(٤) فتح القدير للشوكاني ١٢٧/٢.

(٥) التيسير للداني ص ١٠٣.

(٦) الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٣٥/١ وانظر حجة القراءات لأبي زرعة ص٢٥٥.

(٧) فتح القدير للشوكاني ١٤٣/٢.

(تجعلونه، تبدونها، وتخفون) من قوله تعالى: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾الأنعام/٩١.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء في الثلاثة: (يجعلونه، يبدونها ويخفون).

وقرأ الباقون بالتاء في الثلاثة (تجعلونه، تبدونها، وتخفون). [1]

أما من قرأ بالياء فقد حمله على لفظ الغيبة في صدر الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾الأنعام/ ٩١ وعلى هذا يكون في قوله تعالى (وعُلمتم) تأويلان:

أحدهما: أنه خطاب لهم على سبيل الالتفات.

والثاني: أنه خطاب للمؤمنين اعترض به بين الأمر في قوله: (قل من أنزل الكتاب) وبين قوله (قل الله).

وأما من قرأ بالتاء فقد رده على المخاطبة التي قبله مباشرة في قوله تعالى: (قل من أنزل الكتاب) فذلك أقرب إليه، وهو أولى بأن يحمل عليه، وأيضًا فإن بعده خطابًا في قوله تعالى: (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) فحمل على ما قبله وما بعده من الخطاب، فذلك أحسن في المشاكلة والمطابقة واتصال بعض الكلام ببعضه.[2]

ولا أثر لاختلاف القراءتين فالكلام موجه إلى اليهود على سبيل التبكيت لهم والتقريع حين يسألهم: من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فيلجئهم إلى الاعتراف بما أنكروه ثم يصف فعلهم مع هذا الكتاب بأنهم يجعلونه في قراطيس بغرض التحريف والتبديل وهذا ذم لهم.[3]

(ولتنذر) من قوله تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾الأنعام/٩٢

قرأ أبو عمرو (ولينذر) بالياء. وقرأ الباقون (ولتنذر) بالتاء.[4]

أما من قرأ بالياء (ولينذر) فقد جعله على الغيبة ورد الضمير على (الكتاب) فأسند فعل الإنذار إليه والحجة في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾إبراهيم/ ٥٢ وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾الأنبياء/٤٥.

وأما من قرأ بالتاء (ولتنذر) فقد حمله على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فهو فاعل الإنذار وهو النذير والحجة في ذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾النازعات/ ٤٥ وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾الأنعام/٥١.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير إذ المعنى على القراءة بالتاء: لتنذر يا محمد بهذا القرآن أم القرى ومن حولها من الناس.

---

(1) التيسير للداني ص ١٠٥.

(2) الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٤٠/١ وانظر حجة القراءات لأبي زرعة ص٢٦٠-٢٦١.

(3) فتح القدير للشوكاني ١٣٩/٢.

(4) التيسير للداني ص ١٠٥.

وعلى القراءة بالياء: لينذر القرآن بمواعظه وأوامره.(1)

(لا يؤمنون) من قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾الأنعام/١٠٩.

قرأ ابن عامر وحمزة بالتاء (لا تؤمنون). وقرأ الباقون بالياء (لا يؤمنون).(2)

أما من قرأ بالتاء (تؤمنون) فقد جعله خطابًا وفي ذلك ما يناسب (يشعركم) على أنها للمشركين فـ(يشعركم) خطاب للمشركين الذين أقسموا، فقال الله عز وجل: وما يدريكم أنكم تؤمنون، فالضمير في تؤمنون للكفار، وكذلك في (يشعركم) على القراءة بالتاء.

وأما من قرأ بالياء (لا يؤمنون) فقد جعله على الغيبة إخبارًا عن الكافرين ويقوي ذلك ما جاء قبله على لفظ الغيبة في قوله تعالى: (وأقسموا بالله) فذلك إخبار عنهم، وأيضًا ما جاء بعد في قوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ الأنعام/١١٠ إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾الأنعام/١١١فكل ذلك إخبار عنهم جاء بلفظ الغيبة فحمل (يؤمنون) في لفظه على ما قبله وما بعده فاتسق الكلام كله على نظام واحد.

والخطاب في (يشعركم) على هذه القراءة للمؤمنين في المعنى: وما يدريكم أيها المؤمنون أن الآية إذا جاءتهم يؤمنون.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى يسير يدور حول اعتبار الضمير في (يشعركم) فعلى القراءة بالتاء يكون الضمير في (يشعركم) للكفار والمعنى: وما يدريكم أيها الكفار بما يكون منكم لعل الآيات إذا جاءت لا تؤمنون، أو إنها إذا جاءت لا تؤمنون بكسر همزة إن على الاستئناف.

وعلى القراءة بالياء يكون الضمير في (يشعركم) للمؤمنين والمعنى: وما يدريكم أيها المؤمنون أن الآيات إذا جاءتهم يؤمنون، أو وما يدريكم أيها المؤمنون إيمانهم، إنها إذا جاءت لا يؤمنون.(3)

(يحشرهم) من قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾الأنعام/١٢٨.

قرأ حفص بالياء (يحشرهم) وقرأ الباقون بالنون (نحشرهم).(4)

أما من قرأ بالياء (يحشرهم) فقد جعله على الغيبة وأعاد الضمير فيه إلى (ربهم) في قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾الأنعام/١٢٧.

وأما من قرأ بالنون (نحشرهم) فقد جعله على الإخبار من الله عز وجل عن نفسه فأتى بلفظ الإخبار بعد الغيبة وهو كثير في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى ﴾العنكبوت/٢٣ (5)

---

(1) حجة القراءات لأبي زرعة ص٢٦١ وانظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٧٩/٤.

(2) التيسير للداني ص١٠٦.

(3) الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٤٦/١ وانظر اتحاق فضلاء البشر للدمياطي ٢٦/٢-٢٧.

(4) التيسير للداني ص ١٠٧.

(5) الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٥١/١-٤٥٢.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى يوم يحشر جميع الخلق يوم القيامة يقول يا جماعة الجن قد استكثرتم من إغواء الإنس وإضلالهم حتى صاروا في حكم الأتباع لكم فحشرناهم معكم.[١]

(يعملون) من قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ الأنعام/١٣٢.

قرأ ابن عامر بالتاء (تعملون) وقرأ الباقون بالياء (يعملون).[٢]

أما من قرأ بالتاء (تعملون) فق أجراه على الخطاب في الآية التالية وهو قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ الأنعام/ ١٣٣ وذلك أدعى لا تساق الكلام على نظام واحد.

وأما من قرأ بالياء (يعملون) فقد جعله على الغيبة وحمله على لفظ الغيبة قبله في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ الأنعام/١٣١.[٣]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أنه لكل من الجن والإنس درجات متفاوتة مما عملوا فالمطيع في الجنة والعاصي في النار وما ربك بغافل عما يعملون.[٤]

---

(١) فتح القدير للشوكاني ١٨٣/٢.

(٢) التيسير للداني ص ١٠٧.

(٣) الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٥٢/١.

(٤) فتح القدير للشوكاني ١٨٦/٢.

الفصل الثالث

الاختلافات النحوية في الحروف وأثرها الدلالي

المبحث الأول: الاختلافات النحوية في الحروف بين الفتح والكسر

المبحث الثاني: الاختلافات النحوية في الحروف بين الإثبات والحذف والإعمال والإهمال

المبحث الأول

الاختلافات النحوية في الحروف بين الفتح والكسر

فيما يلي بيان باختيارات القراء من القراءات الواردة في بعض الحروف بين الفتح والكسر هي ثلاثة فروع:

الفرع الأول: إنّ المشددة النون:

(إنّ الدين) من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾آل عمران/ ١٩.

قرأ الكسائي بفتح الهمزة (أنّ الدين) وكسرها الباقون (إنّ الدين).[١]

ووجه القراءة بفتح الهمزة أن الكلام جُعل متصلاً بما قبله فأبدلوا (أن) مما قبلها فيجوز أن يكون بدلاً من (أنّ) في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ آل عمران/ ١٨ فتكون (أنّ) في موضع نصب كأنه قال: (شهد الله أنه لا إله ألا هو.. وشهد أنّ الدين عند الله الإسلام) فهو بدل الشيء من الشيء وهو هو لأن التوحيد والعدل هو الإسلام. والإسلام هو التوحيد والعدل. ويجوز أن يكون بدلاً من (أنه) على بدل الاشتمال، لأن الإسلام يشتمل على التوحيد والعدل والشرائع والسنن وغير ذلك فيكون الثاني مشتملاً على الأول.

ويجوز أن تكون (أنّ) بدلاً من القسط في موضع خفض على بدل الشيء من الشيء لأن القسط هو العدل والعدل هو الإسلام والإسلام هو العدل.

ووجه القراءة بكسر الهمزة أنه على الابتداء والاستئناف لأن الكلام قد تم عند قوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾آل عمران/١٨ ثم استأنف وابتدأ بخبر آخر فكسر (إنّ) لذلك وهذا أبلغ في التأكيد والمدح والثناء.[٢]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى فهو سواء على البدل من (شهد الله أنه لا إله إلا هو) أو على الابتداء بـ (إن الدين عند الله الإسلام) فالإسلام هو التوحيد والعدل والانقياد لأوامر الله على كلا القراءتين.

(أنّ الله) من قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ ﴾ آل عمران/ ٣٩.

قرأ ابن عامر وحمزة بكسر همزة إنّ (إنّ الله) وفتحها الباقون (أنّ الله).[٣]

([١]) التيسير للداني ص ٨٧.

([٢]) حجة القراءات لأبي زرعة ص١٥٨ وانظر الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٣٨/١، والكشاف للزمخشري ٣٧٣/١.

([٣]) التيسير للداني ص ٨٧.

وتوجيه القراءة بفتح الهمزة أن المعنى (فنادته الملائكة بأن الله) فلما حذف حرف الجر من (أنّ) وصل الفعل إليها فنصبها فـ(أن) في موضع نصب بحذف حرف الجر.

ومذهب الخليل أنها في موضع جر على إعمال حرف الجر، عمل محذوفًا لكثرة حذفه مع (أنّ) وعلى ذلك أجاز سيبويه (اللهِ لقد كان) فخفض وأعمل حرف الجر وهو محذوف لكثرة حذفه في القسم.

وتوجيه القراءة بكسر الهمزة أنه أضمر القول فكأنه قال: فنادته الملائكة فقالت: (إن الله) فحذف القول كما حذف في قول من كسر همزة (إن) في قوله تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴾ القمر/ ١٠ وإضمار القول كثير في هذا النحو منه قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ ﴾ الأنعام/ ٩٣ وقوله سبحانه: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم ﴾ آل عمران/ ١٠٦.

ويقوي القراءة بالكسر أن في قراءة ابن مسعود: (فنادته الملائكة يا زكريا إن الله) وفتح الهمزة على هذه القراءة لا يجوز لأن (نادى) قد استوفى مفعوليه أحدهما الضمير والثاني المنادى فلا يتعدى لثالث بحرف ولا بغير حرف، فيتعين الكسر في همزة (إن) لأنه لا يوجد شيء يتعلق به فتح الهمزة.(١)

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو تأكيد للبشرى من الله تعالى لزكريا بالإجابة في طلب الذرية.

(أني أخلق) من قوله تعالى: ﴿ قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم ﴾ آل عمران/٤٩.

قرأ نافع بكسر همزة (إن) (إني أخلق) وفتحها الباقون (أني أخلق).(٢)

أما من قرأ بفتح الهمزة فقد جعل الكلام متصلا فأبدل (أنّ) من (آية) فصار التقدير: قد جئتكم بأنّي أخلق لكم. فـ(أنّ) في موضع جر على البدل من آية وهو بدل الشيء من الشيء وهو هو.

وأما من قرأ بكسر الهمزة فإن ذلك يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه استأنف وقطع الكلام مما قبله.

والثاني: أنه فسر الآية بقوله: إني أخلق لكم من الطين، كما فسر الوعد في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ المائدة/٩ بقوله: ﴿ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ ﴾ المائدة/ ٩ وكما فسر المثل في قوله: ﴿ كَمَثَلِ

---

(١) الحجة للقراء للفارسي ٣/٣٨-٣٩ وانظر الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٤٣.

(٢) التيسير للداني ص٨٨.

ءَادَمَ ﴾آل عمران/٥٩ بقوله: ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾آل عمران/٥٩. قال الفارسي: وهذا الوجه أحسن ليكون في المعنى كمن فتح وأبدل من (آية).[١]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل: (إني جئتكم بعلامة دالة على نبوتي أني أصور لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله).[٢]

(أنّ الله) من قوله تعالى: ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾آل عمران/١٧١.

قرأ الكسائي بكسر الهمزة (وإنّ الله) وقرأ الباقون بفتحها (وأنّ الله).[٣]

أما توجيه القراءة بكسر الهمزة فإن ذلك على الابتداء والاستئناف، وهو مع ذلك متعلق بما قبله لأنه إذا لم يضعه فهو واصل أجره إليهم.

وأما توجيه القراءة بفتح الهمزة فإنها معطوفة على ما قبلها وهو (بنعمة) أي يستبشرون بالنعمة والفضل وبأن الله لا يضيع الأجر فـ(أن) في موضع نصب على نزع الخافض. أو في موضع خفض على تقدير الخافض المحذوف على مذهب الخليل.[٤]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله لا يضيع أجر شيء من أعمال المؤمنين.[٥]

(أنه من عمل.. فأنه غفور) من قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾الأنعام/٥٤.

قرأ عاصم وابن عامر (أنه من عمل) (فأنه غفور رحيم) بفتح الهمزتين وقرأ نافع بفتح الأولى فقط وقرأ الباقون بكسرهما.[٦]

أما توجيه القراءة بالكسر في الأولى فإن ذلك من ثلاثة أوجه:

أولها: أنها مستأنفة وأن الكلام تام قبلها وجيء بها وبما بعدها تفسيرًا للرحمة.

الثاني: أنها كسرت بعد قول مقدر، أي: قال الله ذلك، والهمزة تكسر بعد القول.

---

(١) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣/٤٣-٤٤.

(٢) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٤٤ وانظر مجمع البيان للطبرسي ٣/٣٦٥.

(٣) التيسير للداني ص٩١.

(٤) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٦٤-٣٦٥.

(٥) فتح القدير للشوكاني ١/٣٩٩.

(٦) التيسير للداني ص١٠٢.

الثالث: أنه أجري (كتب) مجرى (قال) فكسرت بعده كما تكسر بعد القول الصريح خلافًا للبصريين.

وأما كسر الثانية فإنه من وجهين:

الأول: أنها على الاستئناف بمعنى أنها في صدر جملة وقعت خبرًا لـ(من) الموصولة أو جوابًا لها إن كانت شرطية.

الثاني: أنها عطف على الأولى وتكرير لها، واعتُرض على هذا بأنه يلزم بقاء المبتدأ بلا خبر والشرط بلا جزاء، وأجاب أبو البقاء على ذلك بأن خبر (من) محذوف دل عليه الكلام أي فأنه غفور له.

وأما توجيه القراءة بفتح الهمزة فيهما، فإن فتح الأولى يكون على أربعة أوجه:

الأول: أنها بدل من الرحمة على بدل الشيء من الشيء فاعمل فيها كتب كأنه قال: كتب ربكم على نفسه (أنه من عمل..).

الثاني: أنها في محل رفع على أنها مبتدأ والخبر محذوف أي: (عليه أنه من عمل..).

الثالث: أنها فتحت على تقدير حذف حرف الجر. والتقدير (لأنه من عمل..).

الرابع: أنها مفعول به لـ(كتب) والرحمة مفعول لأجله، أي: أنه كتب أنه من عمل.. لأجل رحمته إياكم.

وأما فتح الثانية فمن ثلاثة أوجه:

الأول: أنها في محل رفع على أنها مبتدأ والخبر محذوف تقديره: فغفرانه ورحمته حاصلان أو كائنان، أو فعليه غفرانه ورحمته، وذلك لأن ما بعد الفاء مبتدأ.[1]

وقد اجمع القراء على فتح الهمزة بعد فاء الجزاء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾التوبة/٦٣ وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ ﴾ الحج/٤ كما أجمعوا على كسرها في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ الجن/ ٢٣.

الثاني: أنها في محل رفع على أنها خبر مبتدأ محذوف والتقدير: فأمره أو شأنه أنه غفور رحيم.

الثالث: أنها مرفوعة على الفاعلية، والتقدير: فاستقر أنه غفور رحيم، أي استقر وثبت غفرانه.[2]

---

(1) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣/٣١١.

(2) يراجع في ذلك: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤/١٤١، واملاء ما من به الرحمن للعكبري ١/٢٤٤، والكشف لمكي بن أبي طالب ١/٤٣٣ وحجة القراءات لأبي زرعة ص٢٥٢-٢٥٣.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك إيجاب فضل وإحسان أنه من عمل سوءًا بجهالة لا يعلم ضرره ثم تاب وأصلح فإن الله غفور رحيم له.(١)

(أنها إذا) من قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾الأنعام: ١٠٩.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر شعبة بخلاف عنه (إنها إذا) بكسر الهمزة. وقرأ الباقون بفتحها (أنها إذا).(٢)

أما توجيه القراءة بفتح الهمزة (أنها إذا) فذلك على جعل (أنّ) بمنزلة (لعلّ) فقد روى الخليل عن بعض العرب (ائت السوق أنك تشتري لنا شيئًا) أي: لعلك، وهذه لغة فيها.(٣) ويقوى ذلك قراءة أبيّ: (لعلها إذا جاءت لا يؤمنون) وقال حُطائط بن يعفر(٤)

أريني جوادًا مات هزلاً لأنني   أرى ما ترين أو بخيلا مخلّدًا

أي لعلني أرى ما ترين. وقال امرؤ القيس:

عوجا على الطلل المحيل لأننا   نبكي الديار كما بكى ابن خُذَامِ

أي لعلنا.(٥)

فالمعنى على هذا: وما يشعركم لعلَها إذا جاءت لا يؤمنون.

ويدل على صحة ذلك وجودته في المعنى أنه قد جاء في التنزيل لعل بعد العلم. قال تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾عبس/٣ وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾الشورى/١٧ وذلك لأن شعرت بالشيء مثل دريت به، وما يشعركم مثل وما أدراكم فكلاهما يتعدى بالحرف تارة وبغير الحرف تارة أخرى.

ويجوز أن يكون فتح همزة (أنّ) من (أنها) على إعمال الفعل (يشعركم) لأن معنى شعرت به: دريت. قال أبو علي: (والتأويل الآخر..أن يكون أنها في قوله: (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) أنّ الشديدة التي تقع بعد الأفعال التي هي عبارات عن ثبات الشيء وتقرّره نحو علمت، وتبينت، وتيقنت، على أن تكون (لا) زائدة فيكون التقدير: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون، والمعنى على

---

(١) فتح القدير للشوكاني ١٣٧/٢.

(٢) التيسير للداني ص ١٠٦

(٣) الكتاب لسيبويه ١٢٣/٣.

(٤) الحجة للقراء لأبي علي الفارسي ٢٢٥/٢.

(٥) الكشاف للزمخشري ٥٤/٢.

هذا: أنها لو جاءت لم يؤمنوا).[1] والتقدير: وما يدريكم أيها المؤمنون أن الآية إذا جاءت يؤمنون، أي أنهم لا يؤمنون بالياء فيكون (يشعركم) خطاباً للمؤمنين. والضمير في (يؤمنون) يعود للكفار وأما من قرأ (تؤمنون) بالتاء فالخطاب في (يشعركم) للكفار.

ويقوي هذا المعنى قوله تعالى بعد ذلك: ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾الأنعام/١١١. وأما توجيه القراءة بكسر الهمزة (إنها إذا) أنه قد أنهى الخبر قبلها، ثم استؤنف بها والتقدير: بسابق علمه فيهم فقال: (إنها إذا جاءت لا يؤمنون).

ولا يحسن فتح همزة (إن) على إعمال يشعركم فيها و(لا) غير زائدة، لأن ذلك يكون عذرًا ويصير المعنى: وما يدريكم أيها المؤمنون أن الآية إذا جاءت لا يؤمنون، أي لعلهم يؤمنون إذا جاءتهم، فكون تأخير الآية عذرًا لهم في ترك الإيمان، وهذا لا يجوز لأن الله تعالى قد أخبرنا عنهم بأنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية، وأن ذلك بمشيئته وإرادته، فإن جعلت (لا) زائدة في هذه الحال حسن عمل يشعركم في (أنّ) ويكون التقدير: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون؟ أي: لا يؤمنون إذا جاءتهم الآية.

قال سيبويه: (سألته – يعني الخليل– عن قوله عز وجل: "وما يشعركم إنها إذا جاءت لا يؤمنون" ما منعها أن تكون كقولك: وما يدريك أنه لا يفعل؟ فقال: لا يحسن ذلك في هذا الموضع إنما قال: "وما يشعركم؟" ثم ابتداء فأوجب فقال: "إنها إذا جاءت لا يؤمنون". ولو قال: "وما يشعركم أنها" كان ذلك عذرًا لهم..).

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الكفار اقترحوا الآيات، وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾الإسراء/٩٠ إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾الإسراء/٩٣ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾الأنعام/١٠٩ بمعنى لعلها إذا جاءتهم لا يؤمنون أو ما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون أي أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية. وقال الفراء: سأل الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالآية التي نزلت في سورة الشعراء: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾الشعراء/٤ وقال المؤمنون: يا رسول الله سل ربك أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا، فأنزل الله: (وما يشعركم أنها إذا جاء لا يؤمنون) أي إذا حتى جاءتهم لا يؤمنون.[2]

([1]) الحجة للفارسي ٣/٣٨٠.

([2]) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٤٤٤-٤٤٥، وحجة القراءات لأبي زرعة ٢٦٥-٢٦٧، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤/٢٠١-٢٠٣.

(أنَّ) من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ الأنعام/١٥٣.

قرأها ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو مفتوحة الهمزة مشددة النون. (وأنّ هذا) وخفف ابن عامر النون. وقرأ حمزة والكسائي (وإنّ هذا) مكسورة الهمزة مشددة النون.(١)

ووجه قراءة من فتح الهمزة (وأنّ هذا) مع التشديد أنه حمله على إضمار اللام فقال (فاتبعوه) وذلك مثل قوله تعالى: (لإيلاف قريش) ثم قال (فليعبدوا) قال سيبويه: (وسألت الخليل عن قوله جل ذكره: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ الأنبياء/٩٢ فقال: إنما هو على حذف اللام كأنه قال: ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون. وقال: ونظيرها: (لإيلاف قريش) لأنه إنما هو: لذلك (فليعبدوا) فإن حذفت اللام من أن فهو نصب، كما أنك لو حذفت اللام من لإيلاف كان نصبًا).(٢)

ومثل ذلك: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ الجن/١٨ ، فكذلك: لأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه.

ووجه قراءة من خفف النون مع فتح الهمزة أنه جعلها المخففة من الثقيلة والتقدير: وأنه هذا صراطي مستقيمًا على أن الهاء ضمير الشأن والحديث، وعليه تكون (هذا) في محل رفع مبتدأ خبره صراطي.(٣)

ووجه قراءة من كسر الهمزة من تشديد النون أنه استأنف بها على اعتبار أن الكلام قد انتهى عند انقضاء الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأنعام/١٥٢ فالمراد الاستئناف هنا فكسر لذلك، فالفاء على هذه القراءة في قوله تعالى: (فاتبعوه) عاطفة جملة على جملة، وهي على القراءة السابقة زائدة مثل الفاء في قولك: (بزيد فامرر).(٤)

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى قد بين للمسلمين ما يأتون وما يذرون من الأمور وقال إن هذا صراطه المستقيم ثم أمرهم بإتباعه ونهاهم عن إتباع سائر السبل التي تفرق بهم عن سبيله.(٥)

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٢٧٣.

(٢) الكتاب لسيبويه ١٢٦/٣-١٢٧.

(٣) الكشاف للزمخشري ٧٦/٢.

(٤) يراجع في ذلك/ الحجة للقراء السبعة للفارسي ٤٣٧/٣، والكشف لمكي بن أبي طالب ٤٥٧/١ وحجة القراءات لأبي زرعة ص٢٧٧.

(٥) فتح القدير للشوكاني ٢٠٣/٢.

الفرع الثاني: أن المخففة النون

(أن تضل) من قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ البقرة/٢٨٢.

قرأ حمزة بكسر الهمزة (إن تضل) وقرأ الباقون بفتحها (أن تضل).[١]

أما قراءة حمزة بكسر الهمزة ورفع الراء من (فتذكر) فتوجيهها على اعتبار جعل (إن) شرطية. وتضلَّ فعل الشرط في محل جزم وفتحة اللام حركة بناء لالتقاء الساكنين، والفاء في (فتذكر) واقعة في جواب الشرط والفعل مرفوع على القطع بعد الفاء فهو مستأنف ولذلك رُفع. والشرط وجوابه في محل رفع صفة لـ(امرأتان) و(فرجل وامرأتان) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: فمن يشهد رجل وامرأتان، ويجوز أن يكون رجلٌ مبتدأ وامرأتان معطوف عليه وخبر المبتدأ محذوف تقديره: فرجل وامرأتان يشهدون. (ممن ترضون من الشهداء) ممن جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ(رجل وامرأتان) وجملة ترضون لا محل لها من الإعراب صلة الموصول (مَن) في (ممن) ومن الشهداء جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف أي (ترضونه كائناً من الشهداء).

وأما القراءة بفتح الهمزة فتوجه على جعل (أن) مصدرية ناصبة للفعل (تضل) والمصدر المكون من أن والفعل في محل نصب مفعول لأجله والتقدير: لأن تضل إحداهما فتذكر أحداهما الأخرى.

وتساءل العكبري كيف يقدر هذا المصدر باللام، وليس الغرض من استشهاد المرأتين مع الرجل أن تضل إحداهما؟ والجواب عن هذا نقله عن سيبويه بقوله: (إن هذا كلام محمول على المعنى وعادة العرب أن تقدم ما فيه السبب فيجعل في موضع المسبب لأنه يصير إليه، ومثله قولك: أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه بها، ومعلوم أنك لم تقصد بإعداد الخشبة ميل الحائط وإنما المعنى لأدعم بها الحائط إذا مال فكذلك الآية تقديرها: لأن تذكر إحداهما الأخرى إذا ضلت أو لضلالها، ولا يجوز أن يكون التقدير: مخافة أن تضل لأنه عطف عليه فتذكر، فيصير المعنى: مخافة أن تذكر إحداهما الأخرى إذا ضلت وهذا عكس المراد).[٢]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو: أشهدوا على كتابة الدين شهيدين فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان لأن تذكر إحداهما الأخرى إذا نسيت الشهادة.[٣]

---

(١) التيسير للداني ص٨٥.

(٢) إملاء ما من به الرحمن لأبي البقاء للعكبري ١/١١٩.

(٣) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٢٠، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢/٣٤٨-٣٤٩.

(أن صدوكم) من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ المائدة/٢.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (إنْ صدوكم) بكسر الهمزة. وقرأ الباقون بفتحها (أنْ صدوكم).(١)

أما توجيه القراءة بكسر الهمزة (إن صدوكم) فذلك بجعل (إن) شرطية، ويؤيد ذلك قراءة ابن مسعود: (إن يصدوكم) على معنى: إن وقع هذا الفعل فلا يكسبنكم بغضهم الاعتداء. وقد أنكر ابن جرير والنحاس وغيرهما هذه القراءة بكسر (إن) وقالوا: إنما صد المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عام الحديبية، والآية نزلت عام الفتح سنة ثمانٍ والحديبية سنة ست فالصد قبل نزول الآية، والكسر يقتضي أن يكون بعد، قال أبو حيان: (وهذا الإنكار منهم لهذه القراءة صعب جدًا فإنها قراءة متواترة إذ هي في السبعة والمعنى معها صحيح والتقدير: إن وقع صد في المستقبل مثل ذلك الصد الذي كان زمن الحديبية وهذا النهي تشريع في المستقبل).(٢)

فهذا تخريج يرد به على من أنكر هذه القراءة وهناك أمر آخر وهو ما روي عن اليزيدي أنها نزلت قبل أن يصدوهم فعلى هذا يكون الشرط واضحًا.

وأما توجيه القراءة بفتح الهمزة (أن صدوكم) فهو أنه جعل تعليلاً للشنآن على أنه مفعول لأجله، والتقدير: لا يجر منكم شنآن قوم لأن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا. والمصدر المؤول من أن وصدوكم في موضع نصب مفعول له، وأما المصدر المؤول من أن وتعتدوا فإنه المفعول الثاني لـ(يجرمنّ) ومفعوله الأول هو الكاف والميم أي الضمير المتصل به.

وأثر اختلاف القراءتين على المعنى واضح، فالمعنى على القراءة بكسر همزة (إن) هو: لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء إن صدوكم. أي إن وقع ذلك في المستقبل. والمعنى على القراءة بفتح الهمزة: لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء لأجل أن صدوكم عن المسجد الحرام.(٣)

الفرع الثالث: اللام.

(لما آتيتكم) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ آل عمران/٨١.

قرأ حمزة (لِما آتيتكم) بكسر اللام. وقرأ الباقون بفتحها (لَما آتيتكم).(٤)

وتوجيه قراءة حمزة بكسر اللام أن اللام للتعليل حيث علق بالأخذ، أي أخذ الله الميثاق لهذا الأمر، لأن من أوتي الحكمة يؤخذ عليه الميثاق لِما أوتوه من الحكمة لأنهم من خيار الناس و(ما)

---

(١) التيسير للداني ص ٩٨.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٢٢/٣.

(٣) الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٠٥/١.

(٤) التيسير للداني ص ٨٩.

موصولة (وآتيتكم) صلة الموصول والعائد محذوف والتقدير: (آتيتكموه). و(ثم جـاءكم) معطـوف على الصلة والرابط لها بالموصول إما إضمار (به) على الرأي المنسوب لسيبويه، أي مصدق به، وإما هذا الظاهر الذي هو (لما معكم) لأنه في المعنى هو الموصول علـى مـذهب أبـي الحسـن الأخفش، وجواب أخذ الله ميثاق النبيين هو لتؤمننّ به والضمير في (به) عائد على (رسول).[1]

وتوجيه قراءة الجمهور بفتح اللام أنهم جعلوا اللام للابتداء، وما موصولة مبتـدأ وصـلتها آتيتكم والعائد محذوف تقديره: (آتيتكموه) و(ثم جاءكم) معطوف على الصلة، والعائد منهـا علـى الموصول محذوف وتقديره: ثم جاءكم رسول به، حذف لدلالة المعنى عليه وخبر المبتدأ (لتـؤمنن به)، واللام المفتوحة في (لَمَا) جعلت جوابًا لما هو في معنى القسم وهو الميثاق الذي يكون بالأيمان والتقدير: أخذ الله الميثاق على النبيين للذي آتيتكموه من كتاب وحكمه.

قال أبو علي الفارسي: (ولتؤمننّ متعلق بقسم محذوف والمعنى: والله لتؤمنن به) ويحتمل في توجيه القراءة بفتح اللام أن تكون (ما) شرطية، فإذا قدرت (ما) شرطية تكون (مـا) مفعـول بـه منصوب بآتيتكم. و(جاءكم) في موضع جزم بالعطف على آتيتكم فهو في حيز الشرط واللام الداخلة على (ما) لا تكون موطئة للقسم وإنما موطئة لمجيء ما بعدها جوابًا للقسم فهي مثل قوله تعـالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾الأحزاب/٦٠ وطأ لمجيء اللام في قوله تعالى بعد (لنغريك بهم) فاللام الداخلة على (إن) في (لئن) لا يعتمد القسم عليها فلذلك جاز إثباتها تارة كما سبق وحذفها تارة أخرى كمـا فـي قولـه تعـالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾المائدة/ ٧٣. وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه وجواب القسم هو (لتؤمنن به).[2]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أن الله تعالى قد أخذ ميثاق الأنبياء أن يصـدق بعضهم بعضًا بالإيمان، ويأمر بعضهم بعضًا بذلك فهذا معنى النصرة. بحيـث يـؤمن الأول مـن الأنبياء بما جاء به الآخر وينصره.[3]

---

(1) الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٥٢/١، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٥١١/٢.

(2) الحجة للقراء السبعة للفارسي ٦٢/٣-٦٧، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٥٠٩/٢.

(3) فتح القدير للشوكاني ٣٥٦/١.

المبحث الثاني

الاختلافات النحوية في الحروف بين الإثبات والحذف والإعمال والإهمال

فيما يلي بيان باختيارات القراء من القراءات الواردة في بعض الحروف إثباتا وحذفًا وإعمالاً وإهمالاً في بعض الآيات القرآنية وهي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم، وذلك في فرعين:

الفرع الأول: الإثبات والحذف:

(وقالوا) من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَـٰنَهُۥ﴾البقرة/١١٦.

قرأ ابن عامر (قالوا اتخذ الله) بغير واو. وقرأ الباقون (وقالوا اتخذ الله) بالواو.[١]

أما من قرأ بحذف الواو فقد جعله مستأنفًا غير معطوف على ما قبله، أو أنه استغنى عن الواو لملابسة هذه الجملة لما قبلها في قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾البقرة/١١٤ ومن منع مساجد الله هم الكفار. والذين قالوا اتخذ الله ولدًا هم من جملة هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم.

وأما من قرأ بالواو (وقالوا أخذ الله ولدًا) فإنه على العطف على ما قبله لأن الذين أخبر الله تعالى عنهم بمنع الذكر في المساجد والسعي في خرابها هم الذين قالوا اتخذ الله ولدًا فوجب عطف آخر الكلام على أوله لأنه كله إخبار عن الكافرين.[٢]

ولا يتأثر المعنى باختلاف القراءتين.

(يتسنه) من قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾البقرة/٢٥٩.

قرأ حمزة (لم يتسنه) بحذف الهاء في الوصل خاصة. وقرأ الباقون بإثباتها في الحالين.[٣]

وحجة من حذف الهاء في الوصل أنها إنما جيء بها للوقوف، لبيان حركة ما قبلها، ولذلك سميت هاء السكت لأن الوقف يكون بالسكون ولا تتضح معه حركة الحرف. فإذا لم يكن وقف واتصل الكلام استغنى عنها لأنه لا خوف على حركة الحرف الذي قبلها عندئذٍ.

وحجة من أثبت الهاء أنه وصل الكلام ونيته الوقف عليها لكنه لم يسترح بالوقف عليها بل وصل الكلام.

---

(١) التيسير للداني ص ٧٦.

(٢) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٢٦٠، وانظر الحجة للقراء السبعة للفارسي ٢/٢٠٣.

(٣) التيسير للداني ص ٨٢.

وأيضًا فإن يتسنه يحتمل أن تكون الهاء فيه أصلية وسكونها للجزم فلا بد من إثباتها في الوصل ولا يجوز حذفها على هذا، وذلك أن (السنة) تستعمل على ضربين:

أحدهما: أن يراد بها الحول والعام.

والثاني: أن يراد بها الجدب ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾الأعراف/١٣٠ أي بالجدب وذلك لأن بعده (ونقص من الثمرات). ومن ذلك قوله تعالى صلى الله عليه وسلم: (سنين كسني يوسف).(١)

فيكون (يتسنه) لمن أثبت الهاء في الوصل مشتقًا من (سانهت) ومن السنة وأصل السنة: سنْهَة بوزن جبْهَة فحذفت لامها ونقلت حركتها إلى النون فصارت سنَة لأنها من سنهت النخلة وتسنهت إذا أتى عليها السنون.. قال ابن الاثير: (وقيل أصلها سَنَوَة بالواو فحذفت الهاء.. ولهذا يقال على الوجهين: استأجرته مسانهة ومساناة وتصغيره سنيهة وسُنية وتجمع سنوات وسنهات..).(٢)

فالهاء على هذا هي لام الفعل وسكونها للجزم ولا يجوز حذفها على هذا البتة. فيكون المعنى: انظر إلى طعامك وشرابك لم تذهب طراوته وغضارته بالجدب.

والضرب الثاني أن تكون السنة بمعنى العام والحول، ويكون المعنى: لم يتغير بمرور الزمن من قولهم: من ماء مسنون أي متغير ومن قولهم: سنّ اللحم إذا تغير ريحة فيكون المعنى انظر إلى طعامك وشرابك لم يتغير ريحه. فيكون أصل يتسنه (يتسنن) على (يتفعّل) ثم أبدلوا من النون الأخيرة ياءً لاجتماع ثلاث نونات وقلبت ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها مثل قوله تعالى: (يتمطى) القيامة/٣٣ أصله (يتمطط) ثم أبدلوا من الطاء الأخيرة ياءً لاجتماع ثلاث طاءات وقلبت ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها.

ومنه قوله تعالى: ﴿دَسَّىٰهَا ﴾الشمس/١٠ أصلها (دسسها) ثم أبدلت السين الأخيرة ياءً ثم قلبت ألفًا كما مر.

وفي (يتسنن) أبدلت من النون الأخيرة ياءً ثم قلبت ألفًا فصارت (يتسنى) ثم حذفت الألف للجزم فبقي (يتسنَّ) فالفتحة تدل على الألف المحذوفة. فلما كان الوقف يذهب بالفتحة ولا يبقى دليل على الألف أُتي بهاء السكت لبيان الفتحة التي على النون فأصبحت (يتسنَّه).(٣)

ولا أُثر لاختلاف القراءات على المعنى وهو: انظر إلى طعامك وشرابك لم تذهب طراوته ولم يتغير.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة.

(٢) لسان العرب لابن منظور (سنة) ٢١٢٧/٣

(٣) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٠٧/١-٣٠٩ والحجة للقراء السبعة للفارسي ٣٦٩/٢.

(وسارعوا) من قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ آل عمران/١٣٣

قرأ نافع وابن عامر (سارعوا) بغير واو. وقرأ الباقون (وسارعوا) بالواو.(١)

أما من قرأ بغير واو، فقد جعله على الاستئناف والقطع، وذلك لأن هذه الآية ملتبسة بما قبلها وهو قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ آل عمران/١٣٢ (سارعوا) فالجملة الثانية ملتبسة بالأولى مستغنية بالتباسها بها عن عطفها بالواو.

وقد جاء الأمران في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ الكهف/٢٢ حيث جاء: (ثلاثة رابعهم) بغير واو. ثم قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ الكهف/٢٢ معطوفًا بالواو.

وأما من قرأ بالواو فلأنه عطف الجملة على الجملة والمعطوف عليه قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ آل عمران/١٣٢ ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ آل عمران/١٣٣.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أمر بالمبادرة إلى أسباب المغفرة والجنة.(٢)

(بالبينات والزبر) من قوله تعالى: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ آل عمران/١٨٤.

قرأ ابن ذكوان: (بالبينات وبالزبر) بزيادة (باء) في الزبر).

وقرأ هشام: (بالبينات وبالزبر وبالكتاب) بزيادة (باء) في (الزبر والكتاب).

وقرأ الباقون (بالبينات والزبر والكتاب) بغير باء فيهما.(٣)

أما من قرأ بغير إثبات الباء في الكلمتين فقد استغنى بالواو عن تكرير العامل، كما تقول مررت بزيد وعمرو وخالد، ولو لزم تكرير العامل لوجب أن يقال: جاءني زيد وجاءني عمرو وجاءني خالد، وهذا ثقيل. فالواو تغنى عن تكرير العامل سواء أكان فعلاً أم حرفًا.

وأما من قرأ بزيادة الباء فإنه أعاد الحرف للتأكيد، وإثبات الحرف هو الأصل إلا أنه ترك استعماله في أكثر القرآن وكلام العرب استخفافًا.

---

(١) التيسير للداني ص ٩٠.

(٢) يراجع في ذلك: الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٥٦/١، والحجة للقراء السبعة للفارسي ٧٧/٣-٧٨.

(٣) التيسير للداني ص ٩٢.

ولا أثر لاختلاف هذه القراءات على المعنى وهو خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التسلية بعد تكذيب الكفار له بأنه إن كذبوه فقد سبق تكذيبهم لرسل جاءوا بما يوجب الإيمان من المعجزات والآيات الواضحة وفي تكرير الباء تأكيد لهذا المعنى.(١)

(ويقول) من قوله تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ المائدة/٥٢-٥٣.

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر (يقول الذين) بغير واو قبل الياء. وقرأ الباقون بالواو (ويقول الذين).(٢)

أما من قرأ (يقول) من غير واو فهي جملة مستأنفة سيقت جوابًا لاستفهام مقدر كأنه لما تقدم قوله تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ المائدة/٥٢ سأل سائل فقال: ماذا قال المؤمنون حينئذٍ؟ فأجيب بقوله تعالى: (يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا..).

ومن جهة أخرى فإن من حذف الواو استغنى عن حرف العطف لأن في الجملة الثانية ضميرًا يعود على الأولى وذلك الضمير يغنى عن حرف العطف. كما أن الواو ليست مثبتة في مصاحف مكة والمدينة والشام فالقراءة بحذف الواو إتباع للرسم كذلك.

وأما من أثبت الواو (ويقول الذين) فقد جعله لعطف جملة على جملة كما أنه اتبع الرسم لأن الواو ثابتة في مصاحف الكوفة والمشرق وقد قرأ بإثبات الواو الكوفيون وأبو عمرو.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أنه لما أجلي بنو النضير تأسف المنافقون على فراقهم، ولما قتل بنو قريظة لم يستر المنافقون ما في أنفسهم فلما رأى المسلمون حالهم قالوا: أهؤلاء الذين اقسموا بالله إنهم لمعكم تعجبًا من نفاقهم الذي ظهر جليًا عندما حل باليهود ما حل بهم.(٣)

(للدار الآخرة) من قوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام/٣٢.

قرأ ابن عامر بلام واحدة (ولدار الآخرة).

وقرأ الباقون بلامين (وللدار الآخرة).(٤)

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٣٢/٣-١٣٣ وانظر الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٧٠/١.

(٢) التيسير للداني ص ٩٩.

(٣) إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ٥٣٨/١ وانظر الكشف لمكي بن أبي طالب ٤١١/١-٤١٢.

(٤) التيسير للداني ص ١٠٢.

مضى القول على حذف اللام وإثباتها بين هاتين القراءتين عند الحديث عن هذه الآية الكريمة في المبحث الخامس من الفصل الأول من هذا الباب.

(أتُحاجّونّي) من قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ الأنعام/ ٨٠.

قرأ نافع وابن عامر (اتحاجوني) بتخفيف النون.

وقرأ الباقون (اتحاجّونّي) بالتشديد.(١)

أما توجيه القراءة بتشديد النون فهو أن الأصل فيه بنونين، الأولى علامة الرفع لأنه من الأفعال الخمسة، والثانية نون الوقاية التي تفصل بين الفعل وياء المتكلم، فلما اجتمع مثلان في فعل وذلك ثقيل أدغمت إحدى النونين في الأخرى فوقع التشديد لذلك ولا بد من مد الواو مدًا لازمًا لئلا يلتقي ساكنان: الواو وأول المشدد، فصارت المدة تفصل بين الساكنين كما تفصل الحركة بينهما.

وأما توجيه القراءة بالتخفيف فإنه على حذف النون الثانية استخفافًا لاجتماع المثلين متحركين، وللتضعيف الذي في الفعل في الجيم ولا يحسن أن يكون المحذوف هو النون الأولى لأنها علامة الرفع في الفعل، وحذفها علامة النصب والجزم، فلو حذفت استخفافًا لاشتبه المرفوع بالمنصوب والمجزوم، وأيضًا فإن الاستثقال إنما يقع بالتكرير فحذف ما يحدث به الاستثقال أولى من غيره.

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى، والمحاجة مفاعلة بين اثنين مختلفين في حكمين وحاجه قومه في توحيد الله تعالى فأجابهم بأن الله هداه بالبرهان القاطع على توحيده.(٢)

(اقتده) من قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ الأنعام/ ٩٠.

قرأ ابن ذكوان بكسر الهاء وصلتها (اقتدهِي) وقرأ هشام بكسرها من غير صلة (اقتدهِ) وقرأ حمزة والكسائي بحذف الهاء في الوصل (اقتدِ).

وقرأ الباقون بإثبات الهاء وصلاً ووقفًا (اقتدِهْ).(٣)

أما من قرأ بحذف الهاء وصلاً فقد احتج بأن هذه الهاء إنما أدخلت للوقف ولبيان حركة ما قبلها. فإذا وصل القارئ قراءته اتصلت الدال بما بعدها، فاستغني عن الهاء لزوال السبب الذي أدخلت من أجله. قال أبو حيان: (وقرأ الأخوان بحذفها وصلاً وإثباتها وقفًا وهذا هو القياس)(٤)

---

(١) التيسير للداني ص ١٠٤.

(٢) يراجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٤٣٦-٤٣٧، وحجة القراءات لأبي زرعة ص٢٥٧-٢٥٨ والكتاب لسيبويه ٢/١٧٩ والبحر المحيط لأبي الأندلسي ٤/١٦٩.

(٣) التيسير للداني ص ١٠٥.

(٤) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤/١٧٦.

وقال أبو علي الفارسي: (الوجه الوقف على الهاء ...ولا ينبغي أن يوصل والهاء ثابتة لأن هذه الهاء في السكت بمنزلة همزة الوصل في الابتداء، في أن الهاء للوقف، كما أن همزة الوصل للابتداء بالساكن، وكما لا تثبت الهمزة في الوصل، كذلك ينبغي ألا تثبت الهاء).[1]

وأما من قرأ بإثبات الهاء في الوصل فقد فعلوا ذلك على نية الوقف لا على نية الإدراج إتباعا للخط، وحجتهم في ذلك أنها مثبتة في المصحف فكرهوا إسقاط حرف من المصحف. وأجاز ابن الأنباري أن تكون الهاء كناية عن المصدر فيصح إثباتها في الوصل وتسكن كما أسكنت ﴿يُؤَدِّهِۦٓ﴾ آل عمران/٧٥ و﴿وَنُصْلِهِۦ﴾النساء/١١٥ على قراءة من أسكنها، وقد حكى ابن الأنباري أن من العرب من يثبت هاء السكت في الوصل والوقف.

وأما قراءة ابن عامر باختلاس الكسرة في رواية هشام، والإشباع في رواية ابن ذكوان فقد جعل الهاء ضميرًا لمصدر وهو الاقتداء كأن الأصل فيه (فبهداهم اقتدِ اقتداءً) ثم أضمر الاقتداء فقال: (فبهداهم اقتدهى).[2]

ولا أثر لاختلاف القراءتين على المعنى وهو أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بالأنبياء السابقين في التوحيد دون الشرائع التي تختلف باختلاف الأحوال والأمم والبيئات.[3]

---

(1) الحجة للقراء للفارسي ٣٥١/٣.

(2) يرجع في ذلك الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٣٩/١، وحجة القراءات لأبي زرعة ص٢٦٠ واتحاف فضلاء البشر للدمياطي ٢١/٢-٢٢.

(3) فتح القدير للشوكاني ١٥٧/٢.

الفرع الثاني: الإعمال والإهمال:

(لكن) من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾البقرة/١٠٢.

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (لكنِ الشياطينُ) بتخفيف نون (لكن) وكسرها ورفع ما بعدها.

وقرأ الباقون (لكنّ الشياطينَ) بتشديد نون (لكنّ) ونصب ما بعدها.[١]

أما من قرأ بتخفيف نون (لكن) ورفع ما بعدها، فقد جعلها حرف استدراك لا عمل له، فهي مهملة ويرفع ما بعدها على الابتداء.

وأما من قرأ بتشديد نون (لكن) فقد جعلها من أخوات (إنّ) تدخل على المبتدأ والخبر فتعمل النصب في المبتدأ ونرفع الخبر فهي حينئذٍ عاملة.

وقد مضى القول على هذه الاختلافات عند الحديث عن هذه الآية في المبحث الثالث من الفصل الأول من هذا الباب.

(لكن) من قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾البقرة/١٧٧.

قرأ نافع وابن عامر (لكنِ البُّر) بكسر النون ورفع الراء. وقرأ الباقون (لكنَّ البرَّ) بتشديد النون ونصب الراء.[٢]

مضى الحديث عن اختلاف القراءتين في هذه الآية في المبحث الثالث من الفصل الأول من هذا البحث.

---

(١) التيسير للداني ص ٧٥.

(٢) التيسير للداني ص ٧٩.

الخاتمـــة

نتائج وتوصيات

لقد أذن الله تبارك وتعالى لرسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم أن تقرأ أمته القرآن الكريم على سبعة أحرف وسعت كل القراءات القرآنية التي جاءت إعجازاً في جانبي اللفظ والمعنى تحقيقاً لفحوى قوله عز من قائل: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) القمر/ الآية ١٧، فالتيسير هنا متعلق بجوانب اللفظ والأداء وما يتصل بهما، والإدّكار متعلق بجوانب الفهم وأنواع المعاني وما تتسع له من أحكام.

ولقد خلصت الدراسة في هذا المجال إلى نتائج منها:

١. أن اختلاف القراءات القرآنية لا يؤدي إلى اختلاف في دلالاتها في كثير من الأحيان ولكنه يؤدي إلى تعدد كيفيات اللفظ والأداء وأساليب النظم كما هو الحال في اختلافـــات أصـــول القراءة حول الإدغام والفك والإمالة والفتح وأحكام الهمز وما إلى ذلك، واختلافات البنية في كثير من الكلمات مثل (الغداة) و(الغُدوة) و(يرتدَّ) و(يرتدد)، واختلافـــات الإعـــراب مثـــل (العفو) نصباً ورفعاً، و(أولادهم) بنصب الدال وجرها، وفي ذلك تيسير للأداء وإمداد لكـــل لهجات اللغة بأسباب الحياة والنماء.

٢. أن اختلاف الدلالة بين القراءات القرآنية قد أمدّ جانب المعنى بالكثير مـــن التنـــوع الـــذي تعددت معه الأحكام الشرعية التي تستنبط من أقل ما يمكن من الآيات الكريمة والكلمـــات بدلاً من إفراد كل حكم بآية أو آيات وذلك مثل الاختلاف المترتب على قـــراءة (أرجلكـــم) بنصب اللام وجرها في الآية السادسة من سورة المائدة، والاختلاف المترتب على قـــراءة (مبيِّنة) بالبناء للفاعل والبناء للمفعول في الآية التاسعة عشرة من ســـورة النســـاء، حيـــث اختلف الحكم الشرعي تبعاً لاختلاف القراءات القرآنية.

ولقد وسعت اللغة العربية كل ذلك لفظًا ومعنًى، وازدادت به ألقًا وتشريفًا وغنىً وعاشـــت منيعة الجانب ما كان الناس وثيقي الصلة بكتاب ربهم ومناط عزهم وفخرهم، فلما ضعف اتصـــال الناس بهذا الكتاب العزيز ضعفت ملكة هذه اللغة لديهم وكان ذلك مبدأ مختلف أدواء اللسان التـــي أثرت بدورها في مجمل منظومة الحياة اللغوية أخذًا وعطاءً.

ولعلّ أبرز ما أصاب الناس من ذلك هذا اللّحن الذي استشرى على الألسن فذهب بـــالكثير من جمال اللغة وبهائها حتى أفقد المتلقي متعة الاستماع إلا في القليل النادر وذلك حالٌ يُخشى معه على مقدرة مستخدمي اللغة على التواصل وتناقل الأفكار والمعاني.

على أنّ أنكى ما وصل إليه الحال في هذا الجانب هو هذا التحريف الذي طال عددًا من حروف العربية فاختلف النطق بها عمّا كان ينبغي أن تكون عليه، ومن ذلك اختلاف النطق بالضاد الذي سُمّيت به العربية، واختلاف النطق بالطاء كذلك، وهو اختلاف تغير معه جرس هذين الحرفين تمامًا على أكثر الألسن وذلك بسبب تغيير صفاتهما واستبدالها بعدد من الصفات الأخرى التي ليست لهما، وهناك حروف أخرى في سبيلها إلى ذلك المصير مثل الثاء والذال والظاء وغير ذلك مما تعرّضت له الدراسة الصوتية في الفصل الأول من هذا البحث.

ومما لا شك فيه أن تغير صفات الحروف بما يخرجها من أحيازها وينأى بها عن طبيعتها ويجعلها أصواتًا أخرى، يعتبر مرحلةً من الإنحدار يُخشى منها على حياة اللغة وتماسكها، ذلك أن تغيراتٍ كهذه قد كانت سببًا في اندثار كثيرٍ من اللغات، أو انحسارها حتى غدت رموزاً لا يحملها نطقٌ ولا يُعبّر عنها أداء. ولقد عصم الله تبارك وتعالى هذه اللغة العربية الشريفة من هذه الدركات بأنها الوعاء الواعب لخير الكلام والشعار الواقي لأعلى المعاني والأحكام، وذلك يوجب على أبناء العربية التماس الترياق الذي يدفع عنها مثل تلك العلل والأدواء، وفي سبيل ذلك فإن الباحث يوصي بما يلي:

١- إسناد مهمة تدريس القرآن الكريم في كافة المراحل التعليمية إلى حفظةٍ متصلي السند في القراءة ما أمكن ذلك، أو إلى مُجازين في إقراء القرآن الكريم من قِبل جهة مختصة أو مُقرئ متصل السند ضماناً لسلامة المشافهة والتلقين، وعلى كل الأحوال فلابد من أن يكون المعلم حافظًا للجزء الذي يقوم بتدريسه، أما أنْ يقوم بتعليم القرآن الكريم من لا يحسن قراءته فإن ذلك مما يعمّق مشاكل اللغة وتعليمها.

٢- الاهتمام بأمر التجويد من قِبل المؤسسات التعليمية وإلزام الدارسين بتطبيق أحكامه كاملة عند قراءة القرآن الكريم وتطبيق بعضها أثناء التحدث باللغة الفصحى مثل أحكام التفخيم والترقيق وبعض صفات الحروف.

٣- إقرار قدرٍ من القراءات القرآنية إلى جانب التجويد في كليات اللغة العربية لتوسيع مدارك الطلاب وإطلاعهم على مختلف أساليب النظم في اللغة العربية.

٤- الاتجاه إلى أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية بصفة خاصة للاستفادة من دورها في تقويم اللسان وذلك باستخدام ذوي الكفاية العالية في معرفة اللغة العربية وإخضاعهم إلى دورات تدريبية متواصلة على أساليب القراءة والنطق السليم حتى يستقيم نطقهم وينتفع المستمعون والناشئة من الاستماع إليهم.

وبذلك يستقيم أمر اللغة وتعود زاهية جميلة على ألسن المتحدثين بها ويعود إليها دورها المرجو في خدمة الحياة والأحياء. والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله وسلّم وبارك وأنعم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه.

الفهـــارس

الموضــــــــوع	الصفحة
أولاً: فهرس الآيات التي اختلفت بها القراءات القرآنية	٣٧٨
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة	٣٩٠
ثالثًا: فهرس الأبيات الشعرية	٣٩١
رابعاً: فهرس المصادر والمراجع	٣٩٥
خامسًا: فهرس موضوعات البحث	٤٠٣

أولاً: فهرس الآيات التي اختلفت بها القراءات القرآنية

رقم الآية	الآيــــــة	الصفحـــة
	الفاتحة	
٤	﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾	٢٠٠
٦-٧	﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾	٢١٧
٧	﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٣٠٩
	البقرة	
٩	﴿ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾	٢٥٩
٣٦	﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ﴾	٢٤٧
٣٧	﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ ﴾	٢٩٣
٤٨	﴿ وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ ﴾	٣٣٠
٥١	﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ﴾	٢٥٩
٥٤	﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ ﴾	٢٠١
٥٨	﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	٢٧٥
٦١	﴿ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ ﴾	٢١٠
٦٢	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾	٢١٢
٦٧	﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ ﴾	١٨٤
٧٤	﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾	٣٣٦
٨١	﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾	٢٢٨
٨٣	﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾	٣٣٧
٨٣	﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾	١٨٥
٨٥	﴿ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾	٢٤٧
٨٥	﴿ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ ﴾	٢٦٠
٨٥	﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾	٣٣٧
٨٧	﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ ﴾	٢١٧

٩٠	﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾	٢٤٨
٩٧	﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾	٢٢٣
٩٨	﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾	٢٢٤
١٠٢	﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ ﴾	٣٧٤،٢٩٣
١٠٦	﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾	٢٦٢،٢٦١
١١٦	﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾	٣٦٨
١١٧	﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	١١٧
١١٩	﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾	٢٧٦
١٢٤	﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾	٢٢٥
١٢٦	﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾	٢٤٩
١٣٢	﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾	٢٥٠
١٤٠	﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾	٣٣٨
١٤٣	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	٢٠١
١٤٤	﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾	٣٣٩
١٤٨	﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾	٢٠٤
١٤٩	﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	٣٣٩
١٥٨	﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾	٣٢٥
١٦٤	﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	٢٢٨
١٦٥	﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾	٣٤٠،٢٧٧
١٦٨	﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾	٢٣٦
١٧٧	﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾	٢٩٤
١٧٧	﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	٣٧٤،٢٩٥

١٨٢	﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾	٢٠٢
١٨٤	﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾	٣١٥،٢٩١
١٨٥	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾	١٨٥
١٨٥	﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ﴾	٢٥١
١٨٦	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾	٢٠٣
١٨٩	﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾	٢٣٦
١٩١	﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾	٢٦٢
١٩٧	﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾	٢٩٥
٢٠٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾	١٨٦
٢١٠	﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾	٢٧٧
٢١٤	﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾	٣١٩
٢١٩	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾	٢٠٣
٢١٩	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾	٢٩٦
٢٢٢	﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾	٢٦٣
٢٢٩	﴿ إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾	٢٧٧
٢٣٣	﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ﴾	٢٣٣
٢٣٣	﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾	٢٦٤
٢٣٦	﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾	٢٦٥
٢٣٦	﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾	١٨٧
٢٤٠	﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾	٢٩٧
٢٤٥	﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾	٣٢٠،٢٥١
٢٤٧	﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾	٢١٨
٢٤٩	﴿ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾	٢١٨
٢٥١	﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾	١٨٨

٢٥٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٢٩٧
٢٥٩	﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾	٣٦٨
٢٥٩	﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾	٢٤٩
٢٥٩	﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٣٢٧
٢٦٠	﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾	٢٤١
٢٦٥	﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾	٢١٩، ٢٣٧
٢٧١	﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾	٣٢٨
٢٧٣	﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾	٢٤١
٢٧٩	﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	٢٦٥
٢٨٠	﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾	٢١٩
٢٨٠	﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٢٤٢
٢٨١	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	٢٧٨
٢٨٢	﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾	٢٥٢
٢٨٢	﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾	٣٦٥
٢٨٢	﴿إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾	٢٩٨
٢٨٣	﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾	٢٢٩
٢٨٤	﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٣٢٩
٢٨٥	﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾	٢٣٠

آل عمران

١٢	﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾	٣٤١
١٣	﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾	٣٤٢

١٥	﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾	١٨٨
١٩	﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾	٣٥٨
٢١	﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾	٢٦٦
٢٧	﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾	٢٠٥
٣٦	﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾	٣٤٣
٣٧	﴿ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾	٢٦٦
٣٩	﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾	٣٥٨،٢٦٧
٤٧	﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	٣١٩
٤٨	﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾	٣٤٣
٤٩	﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم ﴾	٣٥٩
٤٩	﴿ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾	٢٣٠
٥٧	﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾	٣٤٤
٧٩	﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾	٢٦٧
٨٠	﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾	٣٢١
٨١	﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾	٣٦٦
٨٣	﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾	٣٤٥
٩٧	﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾	١٨٩
١١٥	﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ ﴾	٣٤٥
١٢٠	﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾	٢٤٢
١٢٤	﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾	٢١٣
١٢٥	﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾	٢١٤
١٣٣	﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾	٣٧٠
١٤٠	﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾	١٨٩
١٤٦	﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٢٢٠
١٥١	﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾	١٩٠

١٥٤	﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾	٣٣١
١٥٤	﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾	٢٩٨
١٥٦	﴿ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	٣٤٦
١٥٧	﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ﴾	٢٤٣
١٥٧	﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾	٣٤٦
١٥٨	﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾	٢٤٣
١٦١	﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ﴾	٢٧٩
١٦٩	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴾	٢٦٨
١٧١	﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٣٦٠
١٧٦	﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾	٢٦٨
١٧٨	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴾	٣٤٦
١٧٩	﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾	٢٦٩
١٨٠	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ﴾	٣٤٧
١٨٠	﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾	٣٤٨
١٨١	﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾	٢٩٩
١٨٤	﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾	٣٧٠
١٨٧	﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾	٣٤٨
١٨٨	﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾	٣٤٩
١٨٨	﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	٣٥٠
١٩٥	﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ ﴾	٢٨٠

النساء

١	﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾	٢٥٢، ٣١٠
٥	﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾	١٩٠
١٠	﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾	٢٨١
١١	﴿ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ﴾	٢٩٩
١١	﴿ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ﴾	٢٢١

١١	﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ ﴾	٢٨١
١٣	﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾	٣٥٠
١٤	﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾	٣٥٠
١٦	﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَا ﴾	٢٣٥
١٩	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا ﴾	١٩١
١٩	﴿ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	٢٠٥
٢٤	﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾	٢١٤
٢٤	﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم ﴾	٢٨١
٢٥	﴿ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖ ﴾	٢١٤
٢٥	﴿ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾	٢٨٢
٢٩	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ ﴾	٣٠٠
٣١	﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴾	١٩٢
٣٢	﴿ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾	٢٤٣
٣٣	﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ ﴾	٢٦٩
٣٧	﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾	١٩٣
٤٠	﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾	٣٠٠
٤٢	﴿ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ ﴾	٢٨٣
٤٣	﴿ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا ﴾	٢٧٠
٦٦	﴿ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡ ﴾	٣٠١
٧٣	﴿ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴾	٣٣١

٧٧	﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾	٣٥١
٩٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٢٥٣،١٩٣
٩٥	﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾	٣٠١
١١٤	﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾	٣٥١
١٢٤	﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾	٢٨٣
١٢٨	﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾	٢٥٣
١٣٥	﴿ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾	٢٤٤
١٣٦	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾	٢٨٤
١٤٠	﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ ﴾	٢٨٥
١٤٥	﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾	٢٢١
١٥٢	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	٣٥١
١٥٣	﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾	٢٥٤
١٥٤	﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾	٢٧١
١٦٣	﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾	٢٣٠

المائدة

٢	﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾	٣٦٦،١٩٤
٦	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾	٣١١
١٣	﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾	٢٠٦
٣٢	﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾	٢١١
٤٢	﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾	١٩٥

٤٥	﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾	٣٠٢
٤٧	﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾	٣٢٥
٥٠	﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾	٣٥٢
٥٢،٥٣	﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾	٣٢١،٣٧١
٥٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ﴾	٢٥٤
٥٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ﴾	٣١٢
٦٠	﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾	٢٢٢
٦٧	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾	٢٩٠
٦٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٢١٢
٧١	﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ﴾	٣٢٢
٨٩	﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ﴾	٢٧١
٩٥	﴿ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾	٢٩١،٣١٦
٩٥	﴿ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾	٢٩٢،٣١٥
٩٧	﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾	١٩٦
١٠٧	﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا ﴾	٢٣٤
١١٠	﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾	١٩٦
١١٢	﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾	٢٥٥،٣٥٢
١١٥	﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾	٢٠٧
١١٩	﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾	٣٠٣

الأنعام

١٦	﴿ مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾	٢٨٥
٢٣	﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾	٣٠٤،٣١٢،٣٣٢
٢٧	﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٣٢٣
٣٢	﴿ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	٣١٦،٣٥٣،٣٧١
٣٣	﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾	٢٥٥،٢٧٢
٤٠	﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾	٢٤٥
٤٤	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	٢٧٢
٤٦	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾	٢٤٥
٥٢	﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾	٢٢٢
٥٤	﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٣٦٠
٥٥	﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾	٣٠٤،٣٣٢
٥٧	﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾	٢٤٦
٦١	﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾	٣٣٢
٦٣	﴿ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾	٣٥٣
٦٤	﴿ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾	٢٥٦
٦٨	﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾	٢٥٦
٧١	﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ ﴾	٣٣٣
٨٠	﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾	٣٧٢
٨١	﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴾	٢٥٦
٨٣	﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٨٩
٨٦	﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾	٢٢٦
٩٠	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾	٣٧٢
٩١	﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾	٣٥٤
٩٢	﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾	٣٥٤

٩٤	﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾	٣٠٥
٩٦	﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾	٣١٣،٢٠٧
٩٨	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾	٩٨
٩٩	﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾	٢٣٨
١٠٠	﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	٢٧٣
١٠٥	﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٢٧٣
١٠٩	﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٣٦٢،٣٥٥
١١١	﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾	٢٣٨
١١٤	﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾	٢٠٩
١١٥	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	٢٣١
١١٩	﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾	٢٨٦
١١٩	﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	٢٨٦
١٢٢	﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾	٢٠٩
١٢٤	﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾	٢٩٠،٢٣٢
١٢٥	﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾	٢١٠،٢٠٩
١٢٥	﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾	٢٥٧
١٢٨	﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ﴾	٣٥٥
١٣٢	﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾	٣٥٦
١٣٥	﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾	٢٣٢
١٣٥	﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾	٣٣٣
١٣٦	﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾	١٩٧
١٣٧	﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾	٣١٤،٣٠٦
١٣٩	﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾	٣٣٤،٣٠٧

١٤٠	﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	٢٧٤
١٤١	﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾	٢٣٨
١٤١	﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾	١٩٧
١٤٣	﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ﴾	٢٣٩
١٤٥	﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾	٣٣٤
١٥٢	﴿ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	٢٥٧
١٥٣	﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾	٣٦٤
١٥٨	﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾	٣٣٤
١٥٩	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾	٢٥٨
١٦١	﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾	١٩٨
١٦٢	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٩٨

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

م	الحديث	الصفحة
١-	(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال: ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا..)	٤
٢-	(كنا عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم- نؤلف القرآن من الرقاع)	٤
٣-	(إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه)	٩
٤-	(أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)	١٠
٥-	(إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك)	١٢
٦-	(أرشدوا أخاكم)	١٢٩
٧-	(يا أيها الناس أقيموا على أرقائكم الحد)	٢٨٢
٨-	(فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُمِلُّها عليَّ قال يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت)	٣٠٣

ثالثاً: فهرس الأبيات الشعرية

الأبيـــــات		الصفحة
قافية الهمزة		
ليس من مات فاستــراح بمَيْتٍ	إنمــا المَيْــتُ مَيِّــتُ الأحيـــاءِ	٢٠٥
إنمــا المَيْــتُ من يعيش كئيبًا	كاســفًا بالُــه قليــل الرجـــاءِ	
وجبــريــل رســول الله فيــنا	وروح القــدْس ليـس لــه كِفــاء	٢١٨
قافية الباء		
ألاليت شعــري هل يلومنّ قومُه	زهيراً علــى ما جرّ من كل جانب	١٥٣
فمن يك أمســى بالمدينة رحلــه	فإنـــي وقيّـــار بهــا لغــريب	١٥٤
فــإن السِّـــلْم زائـــدةٌ نــوالاً	وإن نــوى المحــارب لا تــؤوب	١٩٤
فــلا يُبعد الله الشبــاب وقــولَنا	إذا ما صبــونا صبــوةً سنتــوب	٢٢٨
ليالِيَ أبصارُ الغواني وسمعُــها	إلــيَّ.. وإذ ريحــي لَهُنَّ جَنــوب	
فاليوم قد بت تهجــونا وتشتمنا	فاذهب فما بك والأيــام من عجب	٣١٠
قافية التاء		
جزى الله عنا جعفراً حين أزلفت	بنا نعلنـــا في الخــافقيــن فزلتِ	١٦٤
همُ خلطونا بالنفـــوس وألجأوا	إلى غرفـــات أدفــأت وأظــلتِ	
أبــوا أن يَمَلُّــونا ولــو أنّ أُمَّنا	تلاقـــي الذي يَلْقَــون منّــا لملّتِ	
ليتَ وهــل ينفــع شيئًــا ليــتُ	ليــتَ شبــابًا بُــوع فــاشتــريتُ	٢٧٥
قافية الحاء		
فبات خيــال طيــفك لي عنيــقاً	إلــى أن حيعــلَ الداعــي الفلاحاً	٤٧

قافية الدال

أقــول لها ودمــع العين جــار	ألــم يحــزنك حيعلــة المنــادي	٤٧
قالــت ألا لَيتَما هذا الحمــامُ لنا	إلــى حمــامتِنا ونصفُــــه فقــد	١٣٦
كسا حلمه ذا الحلم أثواب سؤددٍ	ورقّي نداه ذا الندى ذرى المجــد	١٥٣
ألم تغتمــض عينــاك ليلة أرمدا	وعادك ما عــاد السليمَ المســهَّدا	٣٢٨

قافية الراء

ذهــب النحــو جميــعاً كلـــــه ذاك إكمــــال وهـــــذا جــامع	غير مـــا أحدث عيسى بن عــمر فهمـــا للنــــاس شمــس وقمــر	١٣٣
لما رأى طالبــوه مصعباً ذعروا	وكاد لو ســاعد المقدور ينتصــر	١٥٢
جزى بنوه أبا الغيــلان عن كِبَرٍ	وعن حسنِ فعلٍ كما يُجزى سنِمار	١٥٣
وما نفعــت أعمالُه المــرءَ ناجيا	جزاءً عليها من سوى من له الأمر	١٥٣
حتى يقــول النــاس ممــا رأوا	يــا عجبًـــا للميــت النـــاشر	٢٥٠

قافية العين

إنمـــا النحــو قيـــاس يُتَّبـــع	وبــه فــي كــل أمــر يُنتَفــع	١٥١
عبــاسُ عباسٌ إذا احتدم الوغــى	والفضــلُ فضلٌ والربــيعُ ربيعٌ	١٧٥
ولقــد حَرِصــتُ بأن أدافع عنهم	فــإذا المنيــة أقبلــت لا تدفــع	١٨٨

قافية الفاء

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة	نفي الدراهيــم تنقاد الصياريف	٣٥

نطيـــع رســـولنا ونطيـــع ربّــاً	هو الرحمـــن كـــان بنا رؤوفا	٢٠٢

قافية القاف

فعينـــاشِ عيناها وجيدُش جيدها	ولكن عظم الســـاق منشِ دقيق	٢٧

قافية الكاف

يـــا خـــاتم النُّبَـــآءِ إنك مرســـل	بالحـــق كـــل هُدى الإله هداكا	٢١٠

قافية اللام

جـــزى ربُّه عني عديَّ بن حـــاتم	جزاء الكلاب العاويات وقد فعل	١٥٣
فذادوا عدوَّ السِّلم عن عقرِ دراهم	وأرسوا عمود الدين بعد التمايل	١٨٧
ودع هريرة أن الركـــب مرتحل	وهل تطـــيق وداعًا أيها الرجل	٣٢٨
وإذا أُقرضـــت قرضًـــا فاجـــزه	إنمـــا يجزى الفتـــى غيرُ الجمل	٣٠٢
وكنا علـــى بينٍ ففُـــرِّق شمـــلنا فيا عجبًا ضـــدان واللفظ واحـــد	فأعقبه البين الذي شتت الشمـــلا فلله لفـــظ ما أمـــرَّ وما أحلـــى	٣٠٥

قافية الميم

فتعرّفـــوني أننـــي أنـــا ذاكـــمُ	شاكٍ ســـلاحي في الحوادث مُعْلِم	١٠٠
أزيدُ أخا ورقاء إن كنـــت ثائراً	فقد عَرَضَـــتْ أحناءُ حقٍّ فخاصم	١٤٣
ولو أن مجداً أخلد الدهر واحداً	من الناس أبقى مجده الدهر مطمعا	١٥٣
لا تنـــه عن خلق وتأتـــيَ مثله	عـــارٌ عليـــك إذا فعلـــت عظـــيم	١٥٦
يرى للمســـلمين عليـــه حقًّـــا	كحـــق الوالـــد الرؤف الرحـــيم	٢٠٢

نحـــن آل الله فـــي كعبتـــــه	لم نـــزل ذاك علـــى عهد ابـــرَهَم	٢٢٥
عـــذت بما عـــاذ به ابـــرَهم	إذ قـــال وجهـــي لك عـــان راغم	٢٢٥

قافية النون

خليليّ هـــل طبٌّ فإني وأنتما	– وإن لم تبوحا بالهوى– دنفـــان	١٥٤
ذراعـــي عيطل أدمـــاء بكر	هجـــان اللـــون لم تقـــرأ جنيـــنا	١٨٦
فلســـت مبـــدلاً بـــالله ربـــا	ولا مستـــبـــدلاً بالسِّـــلْـــم دينـــا	١٨٧

قافية الهاء

إذا رضيـــت عليّ بنو قشير	لعمـــر الله أعجبـــنـــي رضـــاها	١٢٥
ما مات من كرم الزمان فإنه	يحيـــا لـــدى يحيـــى بن عبـــدالله	١٧٥
أفتلك أم وحشيـــة مسبوعـــة	خذلت وهـــادية الصـــوار قِوامها	١٩١

قافية الياء

بنيتـــه بعصبـــة من ماليـــا	أخشـــى رُكَيبا أو رجيـــلاً عاديًا	٢٣٩

رابعًا: فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع. تأليف عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي. نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨١م.

٣. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر. تأليف: أحمد بن محمد البنا الدمياطي. تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل. نشر عالم الكتب ببيروت. ط/١ سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤. الإتقان في علوم القرآن. تأليف جلال الدين عبدالرحمن السيوطي. تحقيق الدكتور مصطفى الديب البغا. نشر دار ابن كثير بدمشق. ط/٣ سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٥. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي (أبو عمرو بن العلاء). تأليف الدكتور عبد الصبور شاهين. نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٦. أساس البلاغة. تأليف محمود بن عمر الزمخشري. نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م.

٧. الأصوات اللغوية. تأليف الدكتور إبراهيم أنيس. نشر مكتبة الأنجلو المصرية ط/٤ سنة ١٩٩٩م.

٨. أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية. تأليف الدكتور أحمد عزوز. نشر اتحاد الكتاب العربي بدمشق سنة ٢٠٠٢م.

٩. إعراب القرآن. المنسوب للزجاج إبراهيم بن السري بن سهل. تحقيق إبراهيم الأبياري. نشر دار الكتاب المصري بالقاهرة. ط/٤ سنة ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

١٠. إعراب القرآن. لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس. تحقيق الشيخ خالد العلي. نشر دار المعرفة ببيروت. ط/١ سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١١. الاقتراح في علم أصول النحو. تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق الدكتور أحمد محمد قاسم. نشر أدب الحوزة – إيران بدون تاريخ.

١٢. إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن. تأليف أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري. نشر دار الكتب العلمية – بيروت ط/١ سنة ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

١٣. إنباه الرواه على أنباه النحاة. تأليف جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. نشر دار الفكر العربي بالقاهرة. ط/١ سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٤. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. تأليف أبي البركات عبدالرحمن بن محمد بن الأنباري. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. نشر المطبعة العصرية ببيروت سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
١٥. الإيضاح في علل النحو. تأليف أبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي. تحقيق الدكتور مازن المبارك نشر دار النفائس ببيروت. ط/٥ سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
١٦. البحر المحيط. تأليف أبي عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي. نشر دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة. ط/٢ سنة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
١٧. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة. تأليف أبي حفص عمر بن زين الدين النشّار. تحقيق الشيخ علي معوض وآخرين. نشر عالم الكتب ببيروت. ط/١ سنة ١٤١٢هـ-٢٠٠٠م.
١٨. البرهان في تجويد القرآن. تأليف محمد الصادق قمحاوي. نشر دار ابن زيدون ببيروت. ط/١ بدون تاريخ.
١٩. البرهان في علوم القرآن. تأليف بدر الدين الزركشي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر. ط/٢ بدون تاريخ.
٢٠. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تأليف جلال الدين عبدالرحمن السيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. نشر المكتبة العصرية ببيروت. بدون تاريخ.
٢١. البيان والتبيين. تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تحقيق حسن السندوني. نشر دار إحياء العلوم ببيروت. ط/١ سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٢٢. تاج العروس من جواهر القاموس. تأليف محمد بن مرتضى الزبيدي. طبع المطبعة الخيرية بمصر. ط/١ سنة ١٣٠٦هـ.
٢٣. تاريخ الأمم والملوك. تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري. طبع المطبعة الحسينية بمصر. ط/١ بدون تاريخ.
٢٤. تاريخ الخلفاء. تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. نشر مكتبة إشاعة الإسلام بالهند. بدون تاريخ.
٢٥. التصريف الملوكي. تأليف أبي الفتح عثمان بن جني. تحقيق الدكتور ديزيرة سقال. نشر دار الفكر العربي ببيروت. ط/١ سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٢٦. التطور النحوي للغة العربية لبرجستراسر. نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط/٤ سنة ٢٠٠٣م.
٢٧. التفسير عند ابن عباس. تأليف عبد الكريم بكار. نشر دار الإعلام بالأردن. ط/١ سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٨. تفسير البيضاوي. تأليف أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي. نشر دار الكتب العلمية ببيروت. ط/١ سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٩. التيسير في القراءات السبع. تأليف أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني. تحقيق أوتويرتزل. نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة. ط/١ سنة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣٠. الجامع لأحكام القرآن. تأليف أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. نشر مكتبة الغزالي بدمشق بدون تاريخ.

٣١. جمال القراء وكمال الإقراء. تأليف علي بن محمد السخاوي. تحقيق الدكتور عبد الكريم الزبيدي. نشر دار البلاغة للطباعة والنشر بلبنان ط/١ سنة ١٤١٣هـ-٢٠٠١م.

٣٢. حجة القراءات. تأليف أبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة. تحقيق سعيد الأفغاني. نشر مؤسسة الرسالة ببيروت. ط/٥ سنة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٣٣. الحجة للقراء السبعة. تأليف أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي. تحقيق بدر الدين قهوجي وآخرين. نشر دار المأمون للتراث-دمشق. سوريا ط/١ سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣٤. الحيوان. تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تحقيق الدكتور يحي الشامي. نشر دار مكتبة الهلال ببيروت ط/٣ سنة ١٩٩٠م.

٣٥. خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب. تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي. تحقيق الدكتور محمد نبيل طريفي. نشر دار الكتب العلمية ببيروت. ط/١ سنة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٣٦. الخصائص. تأليف أبي الفتح عثمان بن جني. تحقيق محمد علي النجار. نشر دار الهدى للطباعة والنشر ببيروت ط/٢ بدون تاريخ.

٣٧. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. تأليف الدكتور غانم قدوري الحَمَد. نشر دار عمار للطباعة والنشر بالأردن. ط/١ سنة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣٨. الدُّرُّ المنثور في التفسير بالمأثور. تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. نشر المكتبة الأزهرية للتراث. بدون تاريخ.

٣٩. دلائل الإعجاز. تأليف عبد القاهر الجرجاني. تحقيق السيد محمد رشيد رضا. نشر دار المعرفة ببيروت سنة ١٤٠٢-١٩٨٢م.

٤٠. دلالة الألفاظ. تأليف الدكتور إبراهيم أنيس. نشر مكتبة الأنجلو المصرية بدون تاريخ.

٤١. ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي. تحقيق إيليا حاوي. نشر دار الكتاب اللبناني ببيروت حزيران ١٩٨١م.

٤٢. ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ. تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي. نشر مطبعة مصر بالقاهرة سنة ١٩٥٣م.

٤٣. ديوان الأعشى. تقديم وشرح وتعليق الدكتور محمد حمود. نشر دار الفكر اللبناني ببيروت. ط/١ سنة ١٩٩٦م.

٤٤. ديوان جرير. نشر دار صادق ببيروت. سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٤٥. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري. تحقيق عبد الرحمن البرقوقي. نشر دار الأندلس ببيروت. سنة ١٩٧٨م.

٤٦. ديوان كعب بن مالك الأنصاري. طبع دار المعارف ببغداد. سنة ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

٤٧. ديوان النابغة الذبياني. تحقيق الدكتور علي أبو ملحم. نشر دار مكتبة الهلال ببيروت. ط/١ سنة ١٩٩١م.

٤٨. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. تأليف مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات. نشر دار عمار بالأردن. ط/٤ سنة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤٩. الرواية والاستشهاد باللغة. تأليف الدكتور محمد عيد. نشر عالم الكتب بالقاهرة سنة ١٩٧٦.

٥٠. السبعة في القراءات. تأليف أبي العباس أحمد بن موسى بن مجاهد. تحقيق الدكتور شوقي ضيف. نشر دار المعارف بمصر. ط/٢ بدون تاريخ.

٥١. سر صناعة الإعراب. تأليف أبي الفتح عثمان بن جني. تحقيق الدكتور حسن هنداوي. نشر دار القلم بدمشق. ط/١ سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٥٢. السيرة النبوية. تأليف أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري. تحقيق مصطفى السقا وآخرين. نشر دار الكتب العلمية ببيروت. بدون تاريخ.

٥٣. شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

٥٤. شرح أشعار الهذليين للسكري. تحقيق عبد الستار أحمد فراج ومحمود محمد شاكر. نشر مطبعة المدني بالقاهرة. (بدون تاريخ)

٥٥. شرح الأشموني لألفية ابن مالك. تأليف علي بن محمد بن عيسى الأشموني. وبهامشه حاشية الصبان. نشر دار الفكر بلبنان. بدون تاريخ.

٥٦. شرح جمل الزجاجي. تأليف علي بن مؤمن بن عصفور الإشبيلي. تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح.

٥٧. شرح شافية ابن الحاجب. تأليف رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي. تحقيق محمد نور الحسن وآخرين. نشر دار الكتب العلمية ببيروت. سنة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٥٨. شرح المفصل للزمخشري. تأليف موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش. نشر عالم الكتب ببيروت بدون تاريخ.

٥٩. شعر الأحوص الأنصاري. نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة. سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٦٠. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. تأليف القاضي عياض بن موسى اليحصبي. تحقيق حسين عبد الحميد نيل. نشر دار الأرقم ببيروت بدون تاريخ.

٦١. شواهد النحو. تأليف الدكتور عثمان الفكي (مخطوط).

٦٢. الصاحبي في فقه اللغة العربية. تأليف أحمد بن فارس. تحقيق الدكتور عمر فاروق الطباع. نشر مكتبة المعارف ببيروت. ط/١ سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٦٣. صحيح البخاري. تأليف محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري. تحقيق الشيخ قاسم الرفاعي. نشر دار القلم ببيروت. بدون تاريخ.

٦٤. صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري بشرح الإمام النووي. نشر دار الخير للطباعة والنشر بدمشق ط/٥ سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٦٥. طبقات النحويين واللغويين. تأليف أبي بكر الزبيدي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. نشر دار المعارف بمصر ط/٢ بدون تاريخ.

٦٦. علم الدلالة. تأليف الدكتور أحمد مختار عمر. نشر عالم الكتب بالقاهرة. ط/٦ سنة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٦٧. علم اللغة، مقدمة للقارئ العرب. تأليف الدكتور محمود السعران. نشر دار الفكر العربي بالقاهرة. ط/٢ سنة ١٩٩٧م.

٦٨. العين. تأليف الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق الدكتور هادي حسن حمودي. نشر مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي بمسقط-سلطنة عمان- بدون تاريخ.

٦٩. فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني. نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت. بدون تاريخ.

٧٠. فقه اللغة في الكتب العربية. تأليف الدكتور عبده الراجحي. نشر دار النهضة العربية ببيروت. بدون تاريخ.

٧١. الفهرست. تأليف ابن النديم محمد بن أبي يعقوب. تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان. نشر دار المعرفة ببيروت. ط/٢ سنة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٧٢. في اللهجات العربية. تأليف الدكتور إبراهيم أنيس. نشر مكتبة الأنجلو المصرية ط/٦ سنة ١٩٨٤م.

٧٣. القراءات القرآنية في ضوء علم للغة الحديث. تأليف الدكتور عبد الصبور شاهين. نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة. بدون تاريخ.
٧٤. الكافية في النحو لابن الحاجب بشرح رضي الدين الاستراباذي. نشر دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٧٥. الكامل في اللغة والأدب. تأليف أبي العباس محمد بن يزيد المبرد. تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي. نشر مؤسسة الرسالة ببيروت. ط/٢ سنة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٧٦. الكتاب. تأليف أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه. تحقيق عبد السلام محمد هارون. نشر دار الجيل ببيروت ط/١ سنة ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٧٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تأليف محمود بن عمر الزمخشري. نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت ط/٢ سنة ١٤١٢هـ-٢٠٠١م.
٧٨. الكشف عن وجوه القراءات السبع. تأليف أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق الدكتور محي الدين رمضان. نشر مؤسسة الرسالة ببيروت ط/٥ سنة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٧٩. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. تأليف حاجي خليفة. نشر دار الفكر للطباعة والنشر. بدون تاريخ.
٨٠. لسان العرب. تأليف ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري. تحقيق عبدالله الكبير وآخرين. نشر دار المعارف بمصر. بدون تاريخ.
٨١. اللغة. تأليف جوزف فندريس. ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص.
٨٢. اللغة العربية معناها ومبناها. تأليف الدكتور تمام حسان. نشر عالم الكتب بالقاهرة ط/٣ سنة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٨٣. اللغة والنحو بين القديم والحديث. تأليف عباس حسن. نشر دار المعارف بمصر بدون تاريخ.
٨٤. اللهجات العربية في التراث. تأليف الدكتور أحمد علم الدين الجندي. نشر الدار العربية للكتاب – طرابلس- ليبيا سنة ١٩٨٣م.
٨٥. مجاز القرآن. تأليف أبي عبيدة معمر المثنى. تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين. نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة. بدون تاريخ.
٨٦. مجالس العلماء. تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي. تحقيق عبد السلام محمد هارون. نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط/٢ سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٨٧. مجمع البيان لعلوم القرآن. تأليف أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي. نشر مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع بطهران – إيران. سنة ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.

٨٨. المخصص. تأليف أبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيدة. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي. نشر دار الآفاق الجديدة ببيروت. بدون تاريخ.

٨٩. المدارس النحوية. تأليف الدكتور شوقي ضيف. نشر دار المعارف بمصر ط/٥ بدون تاريخ.

٩٠. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. تأليف الدكتور رمضان عبد التواب. نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة. ط/٣ سنة ١٤١٦هـ–١٩٩٦م.

٩١. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو. تأليف الدكتور مهدي المخزومي. نشر دار الرائد العربي ببيروت. ط/٣ سنة ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.

٩٢. مراتب النحويين واللغويين. تأليف أبي الطيب اللغوي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. نشر مكتبة نهضة مصر سنة ١٣٧٥هـ–١٩٥٥م.

٩٣. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين. نشر دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي. بدون تاريخ.

٩٤. المستدرك على الصحيحين. تأليف الحاكم النيسابوري محمد بن عبدالله بن حمدويه. نشر دار الفكر ببيروت سنة ١٣٩٨هـ.

٩٥. مُشْكِل إعراب القرآن. تأليف أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق ياسين محمد السواس. نشر دار اليمامة للطباعة والنشر ببيروت ط/٣ سنة ١٤٢٣–٢٠٠٢م.

٩٦. معاني القرآن. تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء. نشر عالم الكتب ببيروت. ط/٣ سنة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٩٧. معترك الأقران في إعجاز القرآن. تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق علي محمد البجاوي. نشر دار الفكر العربي. بدون تاريخ.

٩٨. معجم الأدباء. تأليف ياقوت الحموي. نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت. بدون تاريخ.

٩٩. معرفة القراء الكبار. تأليف شمس الدين أبي عبدالله الذهبي. تحقيق محمد سيد جاد الحق. نشر مكتبة دار الكتب الحديثة بمصر. بدون تاريخ.

١٠٠. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تأليف جمال الدين بن هشام الأنصاري. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. نشر المطبعة العصرية ببيروت سنة ١٤١١هـ–١٩٩١م.

١٠١. المكشاف عمّا بين القراءات العشر من خلاف. تأليف الدكتور أحمد محمد إسماعيل البيلي. نشر الدار السودانية للكتب. ط/١ سنة ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

١٠٢. مناهل العرفان في علوم القرآن. تأليف محمد عبد العظيم الزرقاني. نشر دار إحيـاء التراث العربي. بدون تاريخ.

١٠٣. المنصف. شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني. تأليف أبي الفتح عثمان بن جني. تحقيق إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين. نشر إدارة إحياء التراث القديم بالقـاهرة. ط/١ سنة ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.

١٠٤. نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء. تأليف أبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري. تحقيق الدكتور إبراهيم السمرائي. نشر مكتبة المنـار بالزرقـاء – الأردن. ط/٣ سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٠٥. نشأة النحو. تأليف محمد الطنطاوي. نشر دار المعارف بمصر ط/٢ بدون تاريخ.

١٠٦. النشر في القراءات العشر. تأليف أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بـن الجزري. نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر. بدون تاريخ.

١٠٧. النوادر في اللغة. تأليف أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري. نشر دار الكتاب العربـي ببيروت. ط/٢ سنة ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

١٠٨. همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية. تأليف جلال الدين عبـد الـرحمن السيوطي. تحقيق السيد محمد بدر الدين النعساني. نشر دار المعرفة للطباعة والنشـر ببيروت. بدون تاريخ.

خامسًا: فهرس موضوعات البحث

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
التمهيد وبه أربعة مباحث	
– نشأة القراءات القرآنية وأشهر أئمتها	٤
– نزول القرآن على سبعة أحرف	٨
– التأليف في القراءات	١٤
– أشهر أئمة القراءة	١٧
الباب الأول: القراءات وعلم العربية	
* **الفصل الأول: أثر علماء القراءات في تطور الدراسة الصوتية**	٢٣
– المبحث الأول: نشأة الدراسة الصوتية عند الخليل وسيبويه	٢٤
– المبحث الثاني: تطور الدراسة الصوتية عند أبي الفتح بن جني	٣٣
– المبحث الثالث: الدراسة الصوتية وعلم التجويد	٤٠
– المبحث الرابع: دواعي التحفظ في اللفظ بالحروف	٤٥
* **الفصل الثاني: الدراسة الصوتية وأصول القراءات**	٦١
– الدراسة الصوتية وأصول القراءات	٦٢
– المبحث الأول: الإدغام	٦٣
– المبحث الثاني: المد والقصر	٧١
– المبحث الثالث: أحكام الهمز	٧٥
– المبحث الرابع: الفتح والإمالة	٨١
– المبحث الخامس: التفخيم والترقيق	٨٧
– المبحث السادس: الياءات الزوائد وياءات الإضافة	٨٩
* **الفصل الثالث: أثر علماء القراءات في تطور الدراسة الصرفية**	٩٢
– المبحث الأول: نشأة علم التصريف	٩٣
– المبحث الثاني: الخليل ودراسة بنية الكلمة	٩٦
– المبحث الثالث: سيبويه والتدوين في علم التصريف	١٠٣
– المبحث الرابع: تطور الدراسة الصرفية على يد المازني وتلاميذه	١١٠

- المبحث الخامس: مساهمة الكوفيين في تطوير علم التصريف ١١٨
- المبحث السادس: تكامل الدراسة الصرفية لدى المدرسة البغدادية ١٢١
* **الفصل الرابع: أثر جهود علماء القراءات في تطور الدراسة النحوية** ١٢٨
- المبحث الأول: نشأة النحو تحت ظلال القرآن الكريم ١٢٩
- المبحث الثاني: البصرة تضع النحو ١٣١
- المبحث الثالث: الخليل وتأصيل قواعد النحو ١٣٥
- المبحث الرابع: سيبويه وتطور التدوين في النحو ١٤٥
- المبحث الخامس: نشأة المذهب الكوفي في النحو وسماته العامة ١٤٩
* **الفصل الخامس: علماء القراءات وعلم الدلالة** ١٥٧
- المبحث الأول: نشأة علم الدلالة ١٥٨
- المبحث الثاني: عنصر تكوين المعنى ١٦٠
- المبحث الثالث: علم الدلالة في الدراسات اللغوية الحديثة ١٦٥
- المبحث الرابع: أنواع المعنى ١٦٧
- المبحث الخامس: علم الدلالة والمشترك اللفظي ١٧٠
- المبحث السادس: نظرية الحقول الدلالية ١٧٦

الباب الثاني: الاختلافات الصرفية في الربع الأول من القرآن الكريم وأثرها الدلالي ١٨٣

* **الفصل الأول: الاختلافات الصرفية في صيغ المصادر والصفات وأثرها الدلالي** ١٨٣
- المبحث الأول: الاختلافات الصرفية في صيغ المصادر وأثرها الدلالي ١٨٤
- المبحث الثاني: الاختلافات الصرفية في صيغ الصفات وأثرها الدلالي ٢٠٠
* **الفصل الثاني: الاختلافات الصرفية في صيغ الإفراد والتثنية والجمع وأثرها الدلالي** ٢١٦
- المبحث الأول: الاختلافات الصرفية في صيغ المفرد وأثرها الدلالي ٢١٧
- المبحث الثاني: الاختلافات الصرفية بين المفرد والجمع وأثرها الدلالي ٢٢٨
- المبحث الثالث: الاختلافات الصرفية في صيغ المثنى والجمع وأثرها الدلالي ٢٣٤
* **الفصل الثالث: الاختلافات الصرفية في صيغ الأفعال وأثرها الدلالي** ٢٤٠
- المبحث الأول: الاختلافات الصرفية في صيغ المجرد وأثرها الدلالي ٢٤١
- المبحث الثاني: الاختلافات الصرفية في صيغ المزيد وأثرها الدلالي ٢٤٧

- المبحث الثالث: الاختلافات الصرفية بين المجرد وبين المزيد وأثرها الدلالي ٢٥٩

- المبحث الرابع:الاختلافات الصرفية بين المبني للمعلوم وبين المبني للمجهول وأثرها الدلالي ٢٧٥

الباب الثالث: الاختلافات النحوية في الربع الأول من القرآن الكريم وأثرها الدلالي ٢٨٨

*** الفصل الأول: الاختلافات النحوية بين الأسماء وأثرها الدلالي** ٢٨٨

- المبحث الأول: الاختلافات النحوية بين الأسماء التي قرئت منصوبة فقط ٢٨٩

- المبحث الثاني: الاختلافات النحوية بين الأسماء التي قرئت مرفوعة فقط مضافة وغير مضافة ٢٩١

- المبحث الثالث: الاختلافات النحوية بين الأسماء التي قرئت منصوبة ومرفوعة ٢٩٣

- المبحث الرابع: الاختلافات النحوية بين الأسماء التي قرئت منصوبة ومجرورة ٣٠٩

- المبحث الخامس: الاختلافات النحوية بين الأسماء التي قرئت مرفوعة ومجرورة ٣١٥

*** الفصل الثاني: الاختلافات النحوية بين الأفعال وأثرها الدلالي** ٣١٨

- المبحث الأول: الاختلافات النحوية في الأفعال بين النصب والرفع وأثرها الدلالي ٣١٩

- المبحث الثاني: الاختلافات النحوية في الأفعال بين الفتح والجزم وأثرها الدلالي ٣٢٥

- المبحث الثالث: الاختلافات النحوية في الأفعال بين الرفع والجزم وأثرها الدلالي ٣٢٧

- المبحث الرابع: الاختلافات النحوية في الأفعال بين التذكير والتأنيث وأثرها الدلالي ٣٣٠

- المبحث الخامس: الاختلافات النحوية في الأفعال بين الغيبة والخطاب وأثرها الدلالي ٣٣٦

*** الفصل الثالث: الاختلافات النحوية في الحروف وأثرها الدلالي** ٣٥٧

- المبحث الأول: الاختلافات النحوية في الحروف بين الفتح والكسر ٣٥٨

- المبحث الثاني: الاختلافات النحوية في الحروف بين الإثبات والحذف والإعمال والإهمال ٣٦٨

الخاتمة ٣٧٥

الفهارس ٣٧٧